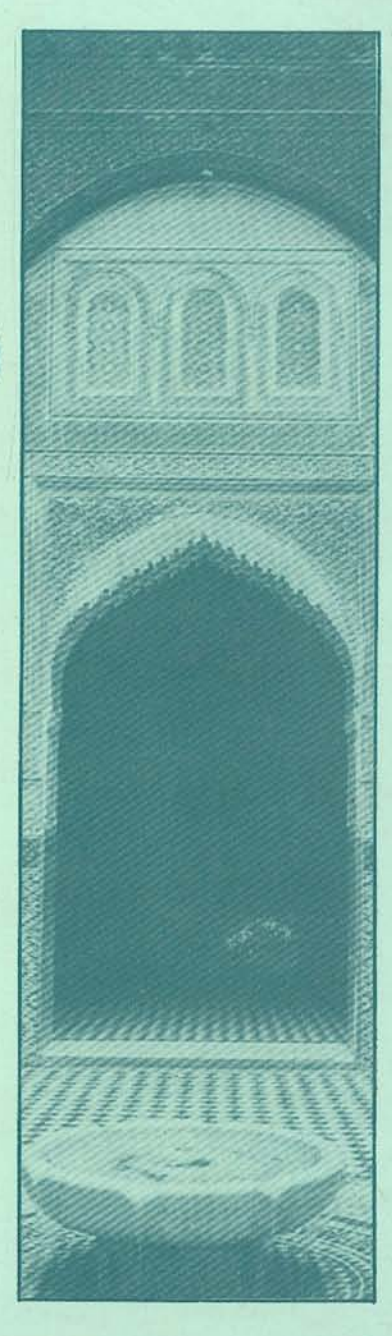
تاريخ
العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية
بالمغرب الأقصى



الجزء الرابع

عصر الدولة المرينية ودولة بني وطاس

تأليف

دكتور عثمان عثمان إسماعيل

أستاذ الآثار والفنون

رئيس مشرف على الأبحاث بالتعليم العالي بالمملكة المغربية



ردمك × - 0 - 9507 - 9981 (المجموعة)
ردمك 2 - 4 - 9507 - 9981 (الجزء الرابع)

مطبعة المعارف الجديدة
الرباط 947-08/09/15/38



الرباط، 21 زنقة ديكارت حي الليمون تلفون : 99-60-70 فاكس : 707751

سلسلة حضارة المغرب الاسلامي

تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى

الجزء الرابع

عصر الدولة المرينية ودولة بني وطاس

تأليف

دكتور عثمان عثمان اسماعيل

أستاذ رئيس مشرف على الأبحاث التاريخية والآثرية
بالتعليم العالي للمملكة المغربية
أستاذ الحضارة والفن الإسلامي بجامعة وهران
وخبير بإدارة الفنون الجميلة والآثار بالرباط سابقا
وعضو اتحاد المؤرخين العرب

الطبعة الأولى

1993

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ النمل آية 75
صدق الله العظيم

الغرب الإسلامي

الغرب أحسن أرض ولى دليل عليه
البدر يرقب منه والشمس تسعى إليه

تصميم الغلاف من وضع المؤلف

الإهداء

إلى

قيدوم مؤرخي المغرب

ومفخرة المؤرخين العرب

العلامة الجليل الأستاذ عبد الوهاب بنمنصور

مؤرخ المملكة المغربية

العالم الذي وهبه الله رفعة المقام ونور العلم وسمو النفس فأحيا سيرة المؤرخين الكبار وأعاد لعلم التاريخ مكانه الغابر، وأحاط المشتغلين به بجلائل الأفضال وكرائم المآثر، إلى معدن العلم وموطن الفضل أهدى هذا التأريخ على استحياء، عساه يفضح الحب ويفصح عن التعلق، ويدل على الوفاء.

دكتور عثمان عثمان اسماعيل

تقريظ بقلـم

معالي الأستاذ الرئيس الوزير محمد الفاسي

أول وزير للتعليم ورئيس أول جامعة عصرية
وزير الدولة في الثقافة
عضو الأكاديمية المغربية ومجمع اللغة العربية بالقاهرة
والمجامع العربية
ورئيس إدارة التنسيق بين اللجان العربية لليونسكو

يسعدني أن أقدم اليوم إلى الباحثين المتخصصين وجمهور المثقفين من قراء العربية والمتحمسين لاستعادة الوعي بالذات... عملا كبيرا يعتبر حصيلة سخية لاجتهاد وتمرس ومثابرة عكف عليها المؤرخ الأثري الدكتور عثمان عثمان إسماعيل سنوات طويلة.

إن موسوعة تارخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية التي اشتملت على خمسة مجلدات كبيرة كانت نتيجة مرجوة من باحث له تكوين علمي متخصص يقوم بدراسات جادة في نطاق الفكر العربي المتحرر من ضغوط المدرسة القديمة ومن ضغوط علماء الإستشراق الذين صحبوا حركة الزحف الإستعماري على العالمين العربي والإسلامي وقد استقر معظمها في أذهان الكثير من علماء العروبة والإسلام أنفسهم.

وأن الدكتور عثمان الذي تبنيت جميع أبحاثه العلمية التاريخية وكشوفه الأثرية منذ أكثر من ثلث قرن مضى لم يخيب الرجاء فيه وها هو بعد أن زود المكتبة العربية والفكر الإسلامي بموسوعته التاريخية والأثرية والفنية حول حضارة شالة الإسلامية التي جاءت نتيجة أبحاث تاريخية معمقة وكشوف أثرية موفقة صححت كثيرا من الأخطاء والمفاهيم السابقة عليها، وها هو اليوم يسد نقصا جوهريا في المؤلفات المتعلقة بالدراسات العربية والإسلامية العربية منها والأجنبية بتقديم موسوعة جديدة تتناول تاريخ العمارة الإسلامية بأنواعها الدينية والمدنية والحربية مع تخصص دقيق في جميع أنواع الصناعات الإسلامية والفنون الثابت منها والمنقول على مختلف المواد من حجر وجص ورخام ومعادن وعملة وخشب وخزف وفخار وغيرها بالإضافة إلى فنون الكتاب الإسلامي مما يجعل من هذه الموسوعة دائرة معارف شاملة وقاموسا جامعا لشوارد العمارة والفنون وواردها.

لقد سبق لي أن أوضحت بالبحث المسهب الذي صدرت به موسوعته العلمية عن حضارة شالة الإسلامية منهجية المؤلف التي تقوم أساسا على البحث الميداني والعمل التطبيقي والدراسة المقارنة بعد استيعاب آراء القدامى والمحدثين شرقا وغربا عرباً وأجانب، وتقصي الأصول والمصادر في مظانها المبعثرة وآثارها المندثرة الأمر الذي أوصله إلى نتائج جديدة أصبحت تفرض نفسها في مجال الكشف عن الذات بالنسبة للمجالات الحيوية للعبقرية المغربية في إطار الفكر العربي الإسلامي الشمولي لجناحي الإسلام في المشرق والمغرب.

وسوف يلمس الباحثون من خلال هذا العمل الكبير مبدأ المؤلف المعتمد على النظرة الموضوعية والبحث الميداني والتحليل المقارن في نطاق الوعي بالذات للوصول إلى الحقيقة بعد تقصي الأصول ومتابعة الفروع لرد الفرع إلى الأصل وجمع النظير إلى النظير وتبويب الإنتاج وتحديد المعالم واستخلاص المميزات وتمييز الطرز وتحديد الأساليب.

لقد وفق المؤلف في الدفاع بموضوعية علمية منصفة عن معالم الحضارة المعمارية والفنية التي خلدتها عبقريات المبدعين من بنائي وفناني المغرب الأقصى مع التأكيد على ربط الصلات الحضارية بين مراكز الحضارة العمرانية بالمغرب الإسلامي ووحدتها مع مؤثرات وتأثيرات الحضارة الإسلامية المشرقية نتيجة الوحدة التاريخية الحتمية لحضارة الإسلام شرقا وغربا المدعمة ببحث الأصول والمصادر للعناصر المعمارية والفنية ومتابعة مسيرة العنصر الواحد من مشرق العالم الإسلامي إلى مغربه أو العكس واستجابة العوامل النفسية والإجتماعية والاقتصادية في ربوع الوطن العربي لانسجام واحد طوال أربعة عشر قرناً.

كما لا يعفينا الإيجاز هنا من الإشارة إلى نجاح المؤلف في الوصول إلى وضع فهرسة تاريخية وتبويب علمي للطرز والأساليب لم يُسبَق إليه فأقر لأول مرة تسلسلا حضاريا لتاريخ العمارة والفن كان البحث العلمي يفتقر إليه إذ جعل من ميراث العمارة والفنون المغربية قبيل الإسلام طرازا أسماه الطراز المغربي العربي القديم مؤكدا بذلك المصطلح العلمي عروبة المغرب القديم في دورة حضارية سابقة على حضارة الإسلام كان المستشرقون من مروجي سياسة الإستعمار الحديث يخفونها بكل افتراءاتهم المعروفة.

كما يبتكر المؤلف مصطلح الفن المغربي الإسلامي المبكر لفنون عصر الأشراف الأدارسة والزناتيين ثم يصحح مفهوم الطراز الاسلامي الذي ظهر بالعدوتين المغرب والأندلس ابتداء من ضم المرابطين للأندلس وإنقاذ الرجل المريض، فيما وراء البوغاز بفعل ملوك الطوائف إلى نهاية عصر المرينيين، وأبان عن دور المغرب الحضاري بالنسبة للأندلس سياسيا وحربيا وعمرانياً. لقد أطلق المؤلف اصطلاح الفن المغربي الأندلسي بدل اصطلاح الفن الأندلسي المغربي الذي يتمسك به المستشرقون مجافاة للحقيقة، وقد أيدتُ فكرة الدكتور عثمان ببراهين

أخرى جديدة أشرتُ إليها في تصديري لموسوعته حضارة شالة الإسلامية.

ويكمل المؤلف تبويبه للطرز الفنية بعد الفن المغربي الأندلسي بطراز الأشراف السعديين والعلويين بعد أن ظهر طراز جديد متميز بذاته في إطار التطور السياسي والحربي الذي أصاب المغرب والعالم المحيط به وما استجد من آلات عصرية ومنتجات آلية ومواد حديثة صناعية.

ومما تجدر الإشارة إليه أن المؤلف لم يترك مشكلة تاريخية معمارية أو فنية دون تشخيصها وفحصها والوصول إلى رأي (ما وسعه الجهد) بفكر متخصص ونظرة موضوعية مما جعل من هذه الموسوعة دليلا تاريخيا لحضارة المغرب العربي المسلم وتطور مراحلها الذاتية اقتصاديا واجتماعيا وعمرانيا في إطار الوحدة الجهوية والعلاقات العرقية والفكرية للعالمين العربي والإسلامي شرقا وغربا.

الجمعة 5 رجب 1404
6 أبريل 1984

محمد الفاسي

تقريظ بقلـم

الأستاذ الهاشمي الفلالي أمين
وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية

ليس بخاف ما لتاريخ الأمم والشعوب من أثر بالغ الأهمية في زرع روح التفوق والنبوغ والاستمرار الذاتي في الأفراد والجماعات والشعوب. وكلما علا شأن هذا التاريخ وعظم حظه من المجد والسؤدد وسما بمآثره وصفحاته الخالدة كلما كان ذلك أدعى إلى الاعتبار والاتعاظ وأقوى مفعولا في التربية القومية والتكوين العام وأشد إثارة للهمم والارادات.

ولقد كان من دأب السياسة الاستعمارية في العالم العربي والاسلامي خاصة والسياسة الفرنسية في أفريقيا والمغرب بصفة أخص العمل على محو تاريخ الأمم الاسلامية والعربية بطرق متطورة وأساليب متنوعة وأفانين من الخداع والتضليل والمغالطة ليس أقلها إحياء تاريخها الجاهلي والبدائي والوثني أو صرف العناية والاهتمام للتاريخ الأوربي بمختلف الأساليب المغريه المثيرة للإعجاب.

ولعل في مقدمة ما ساعد الاستعمار الأوربي على هذا المنهج أن معظم التاريخ الاسلامي والعربي تاريخ حكام وحكومات وحروب وانتصارات أو انهزامات، من غير إعطاء الاهتمام بالجوانب الحضارية من تاريخ الشعوب، أو أقل عناية بالنواحي الأخلاقية والاجتماعية، والتطورات الفكرية والأدبية ومظاهر الحضارة العمرانية. وعدم الاهتمام بهذه الجوانب كتاريخ للشعوب وحضارتها متسلسل المعالم مما جعل عامة المتعلمين والطلبة وجمهور الدارسين من غير الباحثين والمتخصصين ينصرفون عن التاريخ انصرافا كليا أو يعتبرونه أقرب إلى الحكايات منه إلى العلم.

ولعله من نافلة القول إن هذه العوامل بالذات هي التي جعلت الطلائع الأولى من رجالات الوطنية في المغرب تنصرف لهذا المجال الحيوي الهام. حفاظا على هوية المغرب العربي المسلم ودفاعا عن حضارته وذاتيته ومحاربة لعمليات الاندماج والاستلاب الفرنسي الذي كان الاستعمار يمهد له بالمدرسة والكتاب والصحيفة والقوانين الوضعية. ومن ذلك منع دراسة تاريخ المغرب في المدرسة الاسلامية الأمر الذي دفعنا نحن الثلة الأولى علال الفاسي وعبد العزيز ابن ادريس رحمهما الله وكاتب هذه السطور لأن نشتغل بإحياء، تاريخ المغرب عن طريق

تحقيق وتحرير وطبع ونشر أمهات الكتب التاريخية كابن خلدون والقرطاس، في أول محاولة منذ ما يقرب من خمسين سنة لمقاومة المخطط الفرنسي الصليبي الاستعماري في هذا المجال. وهذا ما دفعني شخصيا، وبصفة أخص لأن أآلف للمدرسة الاسلامية (دروس تاريخ المغرب) متحديا بذلك قرار الاقامة العامة بمنع تدريس هذه المادة على نحو يشكل أزهى وأنصع صفحات الجهاد الوطني الذي خضناه على مدى نصف القرن الأخير.

ولهذه الأسباب جميعها، واعتبارا للمعطيات السالفة الذكر، كان سروري عظيما وتقديري كبيرا لفضيلة الأستاذ الباحث المحقق الدكتور عثمان عثمان إسماعيل الذي طلب مني أن أكتب مقدمة لهذا الكتاب الجامع والسفر القيم الذي يحوي فُصولا شيقة عن العمارة المغربية والإبداع الحضاري الذي ساهم به شعبنا العربي المسلم في الفنون المعمارية الشاهدة على مدى الزمن على تفوقنا ونبوغنا وعلو كعبنا في الحضارة والذوق والفن والعلم.

وأود أن أغتنم هذه المناسبة لأشيد بجهود المؤلف العالم المتمكن الذي وفق إلى أبعد الحدود في إبراز دور المغاربة في تطوير أعرق الفنون الحضارية لدى أمتنا العربية الاسلامية والمحافظة عليها عبر الأحقاب والأزمان.

ومن الحق أن نقول، وقد وقفت على محتويات الكتاب، وأحطت بمدلولاته وأبعاده والأهداف الفكرية والتاريخية والحضارية التي يخدمها، إن عمل المؤلف في هذا المجال يعتبر خدمة للعالم العربي والاسلامي باعتبار أن حضارة المغرب المعمارية والعمرانية حضارة إسلامية عربية إستطاع المؤلف أن يبرزها في أشكال رسومها وصورها وكل مظاهر الجمال فيها المرتبطة بالحرف العربي والآية القرآنية والحكمة البيانية.

ولا شك عندى، أن هذا العمل الجليل خير ما ينير السبيل لأجيالنا الناشئة ويربط حاضرها بماضيها المجيد ويرسم لها طريق المستقبل الذي يحفظ على هذه الأمة دينها وحضارتها ومميزاتها وقيمها ومقوماتها وهذا ما يجعل المؤلف الفاضل الدكتور عثمان عثمان إسماعيل حقيقا بكل تقدير وجديرا بكل تنويه.

وفق الله العاملين لازدهار حضارة العروبة والاسلام، وكل في حقل عمله، والله المسؤول أن يجزي كل من أحسن عملا.

الرباط 27 جمادى الثانية 1403
موافق 11 أبريل 1983

الهاشمي الفلالي أمين
وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية

تقريظ بقلم

معالي الأستاذ محمد العربي الخطابي

وزير الاعلام الأسبق الباحث والمفكر والأديب
مدير الخزانة الملكية وعضو أكاديمية المملكة
المغربية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

لايصبح تاريخ الدول والرجال ذا معنى إلا حينما يكشف عن معالم الحضارة ويبرز مقومات الفكر والثقافة، وهو بدون ذلك يبقى تاريخا جافا خاليا من الروح مجردا من الدلالات الإنسانية التي تتجلى في المعتقدات والعلوم والآداب والفنون والصنائع.

وقد دأب الأستاذ المؤرخ الدكتور عثمان عثمان إسماعيل على البحث والتنقيب عن معالم حضارة الغرب الإسلامي مستهينا بالصعاب التي يلقاها الدارس عادة في هذا الميدان لأسباب عدة منها تبعثر المعلومات في بطون المؤلفات القديمة، وضرورة غربلة ما هو موجود في المراجع الأجنبية المتخصصة التي قد لا تخلو من لمزات أو أخطاء في الفهم والحكم، فضلاً عن المشاق التي يتطلبها التنقيب الفعلي عن تلك المعالم ودراستها في عين المكان ومقارنتها بغيرها والكشف عن خصائصها ومميزاتها بكيفية تحترم منهج البحث العلمي وتفسح للنظر الفاحص والاستنتاج القويم مجالاً واسعاً. وكلُّ هذا لا يتاح لغير الباحث المتخصِّص الذي تجتمع لديه المعرفة والمراس والقدرة على الملاحظة والمقارنة والاستنباط، فضلاً عن الولع بمادة البحث والانسجام معها جملةً وتفصيلاً.

لذلك فإنني قدرت المجهود الذي بذله الدكتور عثمان عثمان إسماعيل في تأليف كتابه الجديد «تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى»، فهو لم يقف عند حدِّ جمع مادة الكتاب وترتيب أجزائها ولمّ أطرافها ــ وهذا في حد ذاته عمل شاق محاط بالصعاب ــ بل إنه استخدم فكره، فحصاً وتحليلاً واستنتاجاً ــ مستعيناً بما وهبه الله من علم في مسائل الآثار والتاريخ، وما منحه من عزيمة في سبيل الإبانة عن إسهام المغرب في بناء الحضارة الإسلامية الشامخة.

ولقد أحاط الدكتور عثمان بالموضوع إحاطة شاملة فتوسع في إبراز خصائص العمارة والصنائع الفنية المتصلة بها، وأفرد للخطّ والمسكوكات والصناعات المعدنية والرخامية والخشبية مكاناً رحيباً، وربط الفروع بالأصول، وفحص الأشباه والنظائر، وميَّز بين الأساليب والمدارس، ومهَّد لكل ذلك بمدخل ومقدمات لا بدّ منها، وحَلَّى كتابه بالصور والخرائط وما إليها، وأفرغ هذا الجهد كلَّه في قالب قوامه النظرة الإسلامية الشاملة التي تفسح لأجيال الإسلام وشعوبه مجالاً رخبياً للنبوغ والمهارة والإبداع، على اختلاف الناس والأزمنة والأمكنة.

ولا شكّ أن هذا الكتاب الحفيل سيملأ فراغاً كبيرا في الخزائن الإسلامية العربية، وسيجد فيه الطلاب والأساتذة وعموم القراء الفائدة المرجوّة والمتاع الفكري الذي تتيحه مطالعة الكتب الجادة.

والله تعالى يوفّق كلَّ من يخدم أمة الإسلام بالعلم والعمل وابتغاء مرضاة الله في السرِّ والعلن.

الرباط 8 ربيع الأول 1402

4 يناير 1982

محمد العربي الخطابي

تصدير العلامة الأستاذ عبد الوهاب بن منصور

مؤرخ المملكة المغربية وعضو الأكاديمية الملكية
بكتابنا حفائر شالة الإسلامية

بقيت دراسة الآثار المغربية ــ إسلامية وغير إسلامية ــ قاصرة على العلماء الأوربيين والأمريكيين إلى سنوات متأخرة والكتابة عنها مما تنفرد به لغاتهم، فكان الباحثون عن ماضي المغرب والدارسون له من العرب يحسون بنقص كبير، بل ويشعرون بخجل عظيم، لأن دراسة الآثار واستنطاقها واستنتاجات الأركيولوجيين مصدر قيّم من مصادر المؤرخ، لا غنى له عن الاستعانة به للوصول إلى حقائق ملموسة كانت لولاها مجرد طلاسم وألغاز تحوم حولها الأفكار وتتضارب بشأنها الآراء لسكوت الصحف المكتوبة عنها وإغفال المؤرخين إياها.

وقد بدت بعض البوادر التي تبعث على التفاؤل بعد نهاية الحرب العالمية الأولى بما ألف بعض علماء المغرب من مؤلفات تاريخية ضمنوها أوصافاً لما تحتوي عليه مدن المغرب وقراه من مساجد ومدارس وقصور وحصون وحمايات وبروج، أو بما نقلوه إلى العربية بما كتبه عنها العلماء الغربيون، ولكن دراسة موضوعية متخصصة للآثار المغربية باللغة العربية لم تظهر لأول مرة إلا على يد الأستاذ الجليل العالم المقتدر الدكتور عثمان عثمان إسماعيل الذي ملكت آثارنا لبه وسلبت عقله فعاش إلى جانبها ومعها يوليها من عمله مثل الذي أولاها من حبه. ويرفع عنها الغبار ويجلو منها الصدأ لتبدو كالمرآة صقيلة تحدث رائيها وهي صامتة بأفصح لسان عما تقلبت فيه بلادنا المغربية من حضارة وعرفته طوال تاريخها من عمران.

عرفت الأستاذ عثمان عثمان إسماعيل منذ اختيار المغرب وطناً ثانياً له، ووصل بهجرته إليه وإقامته فيه ما لم ينقطع من هجرة العرب والمسلمين إليه وإقامتهم فيه على الرحب والسعة، فعرفت فيه الرجل المتواضع والعالم المقتدر، والمحب الصادق الذي أقام على حبه للمغرب وإخلاصه لملكه ألف دليل معرضاً نفسه أحياناً في سبيل الحب لأخطار الأنظمة الديكتاتورية المتربصة المتآمرة قريبها والبعيد، وأعجبت به وهو يقود الطلبة إلى خرائب شالة يكشف لهم

عن أسرارها ويشرح لهم ما يعمر به باطنها وظاهرها مثلما أعجبت به وهو يسير جندياً مجهولاً وسط مئات آلاف المتطوعين في المسيرة الخضراء، وطالعت بعض مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة فراعتني دقته في البحث وبداهته في الاستنتاج وإحاطته بالموضوع من جميع جوانبه وإلمامه بكل ما كتب عنه مثلما راعني أسلوبه الإنشائي وطريقته في الحجاج والمناقشة التي تدل على حيوية وروح نقادة وإذا كنت أراه يحمل التاريخ أحياناً مالا يتحمل ويفترض فروضاً تقوم قرائن كثيرة على ضعفها فما أراه إلا متأثراً بفكر العالم الأركيولوجي وطبيعته : يرى أثرًا قائماً ينطق بأنه راجع إلى عصر من العصور فيتشكك ويقول لابد من سبر للأغوار وبحث في الأعماق لعلنا نكتشف أنه قائم على أنقاض آثار أخرى ترجع إلى عصور سبقته، وعلى أي حال فإن فضيلة الرجل أن بصره وقاد وعقله نقاد، لا يسلم القول تسليماً لمجرد أنه صادر عن فلان أو وارد في كتاب.

نرجو أن يواصل الدكتور عثمان عثمان إسماعيل دراساته وأبحاثه عن الآثار المغربية، فكم في المغرب غير شالة من مدائن خربت، وربط درست، وقلاع طمست، وقصور ومدارس دثرت، انه ان فعل ذلك سيملأ فراغاً يحس به الباحثون والدارسون بمنتهى المرارة، ويفجر ينبوعاً غزيراً يرتوي منه كل متعطش لمعرفة ماضي المغرب الأقصى قريبه والبعيد.

وبما أن الخالق البارىء زاده بسطة في العلم والجسم فما أظنه إلا سيفعل اعترافاً بنعمه وشكراً لآلائه.

الرباط في يوم الأربعاء 21 شوال 1397
5 أكتوبر 1977

عبد الوهاب بن منصور

مؤرخ المملكة

المملكة المغربية
القصر الملكي

ضريح محمد الخامس

رقم 35

الرباط في 3 ربيع الثاني 1402
موافق 1982/1/29

من محافظ ضريح محمد الخامس
إلى جناب الدكتور عثمان عثمان اسماعيل
الرباط

الموضوع : كتاب عن ضريح محمد الخامس

السلام عليكم ورحمة الله

وبعد، فإن مديرية ضريح الملك المرحوم محمد الخامس ترغب تأليف كتاب عن ضريح محمد الخامس يبين بكيفية علمية فنونه وروائعه ويشرح طرافته وبدائعه.

ولما هو معروف في جنابكم من كفاية واقتدار وفهم واسع للفنون الاسلامية والمغربية ارتأت ان تقترح على جنابكم تأليف هذا الكتاب.

فالمرجو إذا صادف منكم هذا الاقتراح استجابة ان تتصلوا بمحافظة الضريح لدراسة طرق انجاز هذا الكتاب والسلام.

توقيع محافظ الضريح

عبد الوهاب بنمنصور

تقريظ بقلم

الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله

مدير التعليم العالي ومدير مكتب تنسيق التعريب بالوطن العربي أستاذ الحضارة بالجامعات المغربية وعضو الأكاديمية الملكية بالرباط

يثري الدكتور عثمان عثمان المكتبة العربية وخاصة المغربية بفيض من الدراسات الميدانية في موضوع يكاد يكون بكرا هو (العمارة الإسلامية) وقد سبق للأستاذ أن أصدر الجزء الثالث من كتابه (حضارة شالة الإسلامية) ضمن سلسلة (حضارة المغرب العربي والأندلسي)، وهو يحتوي على سبعة فصول تنطوي على قسمين أولهما حول (الفنون الإسلامية بالمغرب الأقصى) والثاني بخصوص (النقوش العربية).

وهذا الجزء امتداد لجزئين سابقين (تاريخ شالة الإسلامية وحفائر شالة الإسلامية) قدم الدكتور خلالهما دراسة مقارنة رصينة كمحاولة لتأصيل جانب هام من معطيات الحضارة المغربية وإبراز الدور الطلائعي الذي قامت به مدينة شالة الإسلامية كمدينة رائدة في فترة حسبها الكثير من المؤرخين حقبة جمود وخمود.

ويصدر الأستاذ الفاضل اليوم سلسلة جديد في خمسة أجزاء من بحوثه الشيقة استكمالا للمسار العام لهذا المقوم الحضاري الحيوي مبرزا إسهام المغرب في بلورة كيان الأمة العربية من خلال الأضواء الملقاة على مظهر خلاب من مظاهر أصالتها وهو (العمارة الاسلامية والفنون التطبيقية).

وقد وفق الأستاذ فيما أدلى به من حجج تاريخية وأثرية حيث استخلص مظاهر الروعة في بادرات الأدارسة والزناتيين في الفترة التي سماها Gautier بالعصور الغامضة في تاريخ المغرب وقد تجلت هذه البادرات خاصة في مجالات أخاذة من المعمار العربي متبلورة في فنون الزخرفة والنقش التي يستشف الباحث من دقة تعاريجها ورقة مقرنصاتها وعمق خطوطها وتناسق أجزائها مشاعر الفنان المغربي الذي أشرف على إبداعها.

كما وفق الأستاذ عندما قسم «طرز هذه العمارة» إلى أربعة مظاهر مبرزا معالم هذا الطراز خلال أربع فترات وهي عهود الطراز المغربي العربي القديم (طراز البربر) والطراز المغربي

الاسلامي المبكر (من نشأة الاسلام إلى بداية عصر المرابطين) وهو ما سماه كوتيي بالعصور الغامضة ثم الطراز الأندلسي المغربي الممتد من عهد المرابطين إلى آخر الوطاسيين (أفرد له ثلاثة أجزاء) وأخيرا طراز الأشراف السعديين والعلويين الذي ضمنه الجزء الخامس والأخير من بحثه الشيق.

وهو يعرف (الطراز الأندلسي) بأنه هو الفن الذي أنتجه المسلمون بالأندلس منذ بداية فتح الأندلس عام 93 هـ حتى تاريخ (وقعة الزلاقة) وهو فن عربي إسلامي جمع بين المؤثرات القوطية المحلية الضعيفة والتقاليد البربرية منذ الفتح ثم التقاليد الشرقية الأموية بعد نجاح الإمارة ثم الخلافة الأموية مع الطابع الاسلامي للفن الاسلامي المشترك (ج 2).

تلك سمات بادرة خلاقة تستهدف الأصالة والتجديد في حيوية مبدعة تتجلى في ثناياها تطلعات الفنان نحو التطور الموصول لتجلية أفضل وتحلية أمثل. وهو تطور استجلاه الأستاذ الدكتور من هيكل التخطيط المعماري في المساجد والمدارس ومختلف مجالات العمران منذ عهد الأدارسة للكشف عن خصائصها ومميزاتها وأبعادها الفكرية والدينية والاجتماعية مع التركيز على مواد بعينها مثل الفخار والخزف والزليج بمختلف أنواعه في صور ناصعة لمختلف تركيباتها الزخرفية.

وقد حاول الأستاذ الدكتور تحقيق تاريخ بناء مدينة الرباط بالجزء الثالث فلاحظ ورود اسم (مدينة رباط الفتح) في فترة حكم الخليفة عبد المؤمن بن علي سبع مرات في نصوص من كتاب (المن بالامامة) لابن صاحب الصلاة تغطي فترة تبتدىء من عام 553 هـ إلى 558 هـ وهو تاريخ وفاة الخليفة في حين لم يستعمل ابن صاحب الصلاة هذا الاسم قبل ذلك أثناء عرضه لأحداث المنطقة وقد أورد أمر عبد المومن ببناء الدور والأسواق بموقع رباط الفتح حول قضية المهدية منذ 545 هـ مع تكرار اسم (رباط الفتح).

وقد فرضت استنتاجات الدكتور عثمان الرصينة نفسها حيث برزت حقائق تاريخية جديدة قومت أود ما تداوله بعض المؤرخين من أخطاء.

وقد وضع الدكتور بيبلوغرافية عن شتى فروع الحضارة الاسلامية حول العمارة والنقوش والعملة فاكتمل بذلك نسق هذه الدراسة الشيقة التي أسهمت في بلورة حقائق كان بعضها مجهولا في سلم ومقاييس الحضارة المغربية.

فهنيئا للأستاذ الدكتور بهذا التوفيق الذي نرجو أن يعقبه بحث جديد للكشف عن جوانب أخرى من حضارتنا المغربية.

وحرر بالرباط

عبد العزيز بن عبد الله

المملكة المغربية
الديوان الملكي
مستشار صاحب الجلالة
1-1018

الحمد لله وحده — والصلاة والسلام على مولانا رسول الله

20 ذوالقعدة 1413
12 مايو 1993

ب .هـ/م

من مستشار صاحب الجلالة
إلى
الأستاذ الدكتور عثمان عثمان اسماعيل
ـ الرباط ـ

الموضوع : الاعلام بوصول كتابكم " تاريخ العمارة الاسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى ".

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

وبعد ، تسلمت بيد الشكر والعرفان نسخة من كتابكم القيم " العمارة الاسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى ـ الجزء الثاني ـ عصر دولة المرابطين " الذي أرسلتموه هدية طيبة من فضيلتكم .

وأود بهذه المناسبة أن أعرب لكم عن عميق شكري وامتناني لهذه الالتفاتة الكريمة ، وأشيد بموسوعتكم التاريخية والأثرية والفنية ، التى أبرزت بكيفية جلية اسهام المعمار المغربي وتأثيراته على الفنون العربية والاسلامية ، وبالأخص الأندلس .

ولا شك أن هذا الانجاز العلمي الرفيع سيروي ظمأ أجيالنا المتعطشة لمعرفة جذور فنونها الضاربة بعمق فى تاريخ الحضارة الانسانية .

فجزاكم الله عن هذا العمل خير الجزاء ، واننا لنرجو الله سبحانه وتعالى أن يمدكم بالمزيد من الصحة والعافية والتوفيق ، لمواصلة أبحاثكم ودراساتكم الهادفة لخدمة التاريخ المعماري والفني لوطننا .

وتقبلوا فضيلكم فائق مودتي وأزكى تحياتي

مستشار صاحب الجلالة



إمضاء : أحمد ابن سودة

لأستاذنا العالم المجاهد سيدي أحمد بن سودة خالص الود والتقدير على رعايته للباحثين في حقول الحضارة العربية الإسلامية.

دلائل الكتاب

صفحة

دليل الموضوعات

صفحة

دليل الأشكال

الرقم	البيان	الصفحة

دليل الخرائط الملحقة

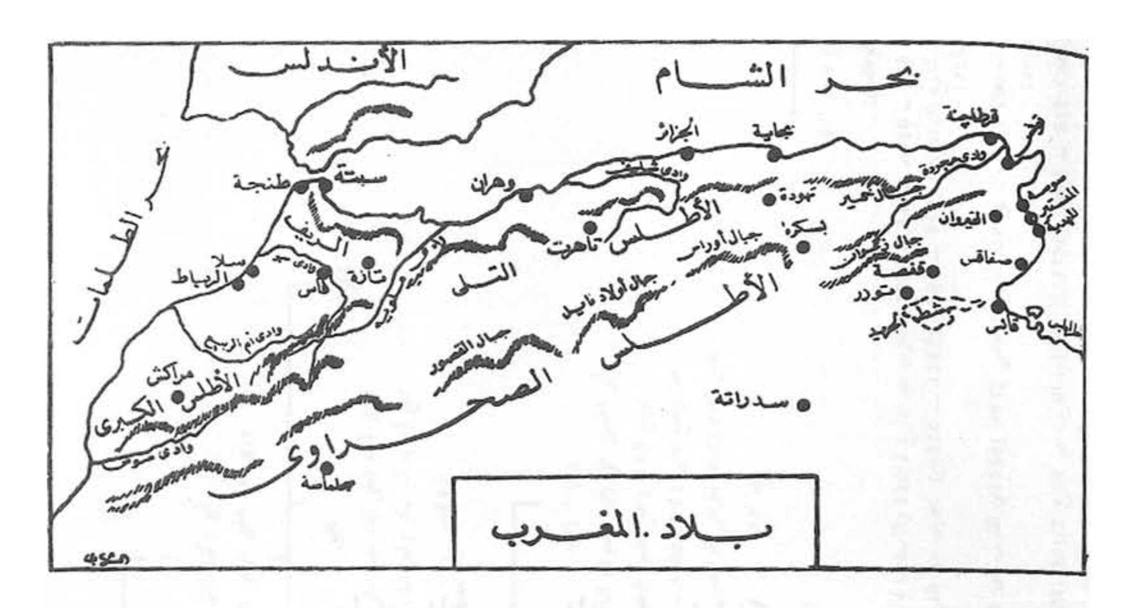
1 ــ بيان أفقي ورأسي وإمارات الغرب الإسلامي
2 ــ خريطة الغرب الإسلامي الإفريقي
3 ــ خريطة الغرب الإسلامي الأندلسي

إسبانيا المسلمة	المغرب الأقصى	المغرب الأوسط الغربي	المغرب الأوسط الشرقي	(إفريقية) تونس	مصر
الدولة الأموية (40 - 132 هـ)					
الأمويون بقرطبة والدولة العامرية (422/138)				الدولة العباسية من 132 هـ	
	الأشراف الأدارسة (343/172)	الدولة الرستمية (292/144) — بنو مدرار 140 - 354		الأغالبة (296 - 184)	الدولة الطولونية (292/254)
ملوك الطوائف بنو هود بنو عباد.. (484/422)	الزناتيون 462/313	بنو حماد 405 - 547	بنو زيري 361 - 405	الدولة الفاطمية	الأخشيدية 358/323
المرابطون (539/462)				العبيديون (567 - 296)	
امبراطورية الموحدية (674/527)					الأيوبيون (648/564)
بنو نصر بغرناطة سقطت 898	المرينيون والوطاسيون (961 - 668)	بنو عبد الواد ملوك تلمسان		الحفصيون	دولة المماليك (923 - 648)
ملوك النصارى	الأشراف السعديون 956/916 1069	العثمانيون من 923: البيلربكوات ثم الباشوات فالدايات	دايات قسنطينة	بايات تونس	
	الأشراف العلويون من 1069				دوله محمد علي من 1805 م
	حماية فرنسية	استعمار فرنسي			
	استقلال تام				جمهورية من 1952 م

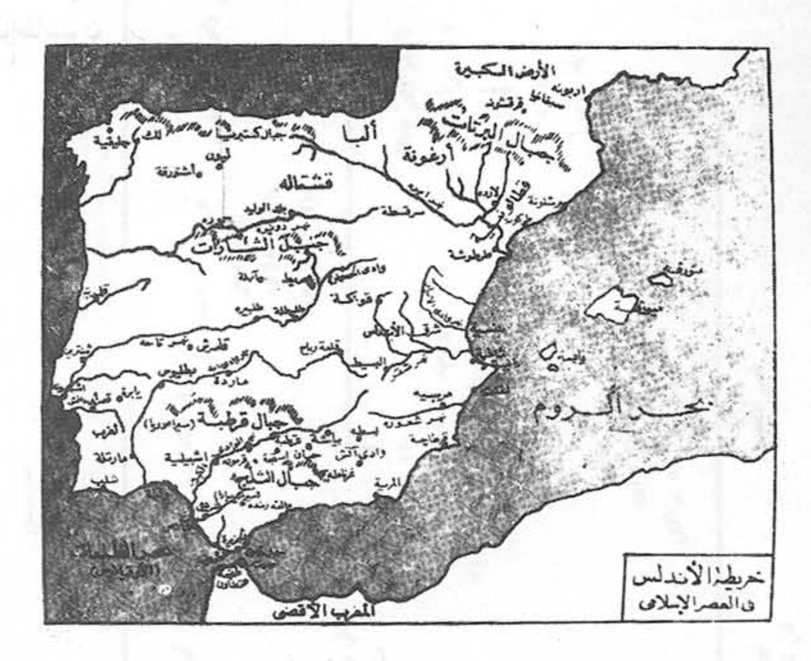
بيان أفقي ورأسي لدول وإمارات الغرب الإسلامي(*)

(*) – البيان بدون مقياس رسم، والدول لا تنشأ وتسقط في يوم وليلة وهو سبب تداخل تواريخ بداية ونهاية الدول.

– قصر المستشرقون اصطلاح شمال إفريقيا على تونس والجزائر ومراكش لعزلها عن مصر (وهي دولة شمال إفريقية جغرافيا) مركز ومحور اتصال المغرب العربي مع حضارة المشرق مهبط الوحي والموطن الأول للجنس العربي.



خريطة الغرب الاسلامي الافريقي

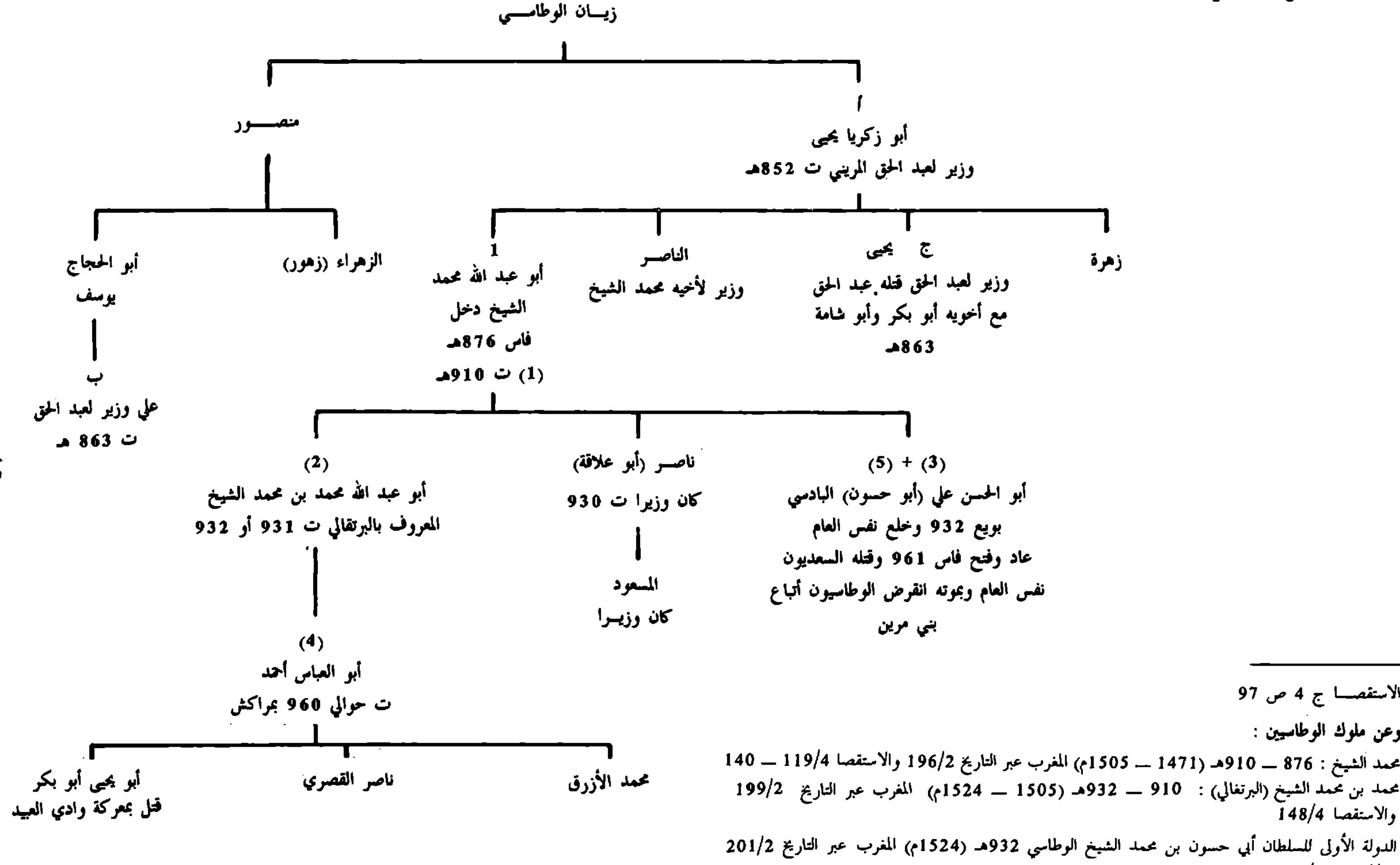


خريطة الغرب الاسلامي الأندلسي

دليل الأسر والدول الحاكمة

1 – دولة بني مرين
2 – الوطاسيون

الوطاسيـــون



الاستقصـا ج 4 ص 97

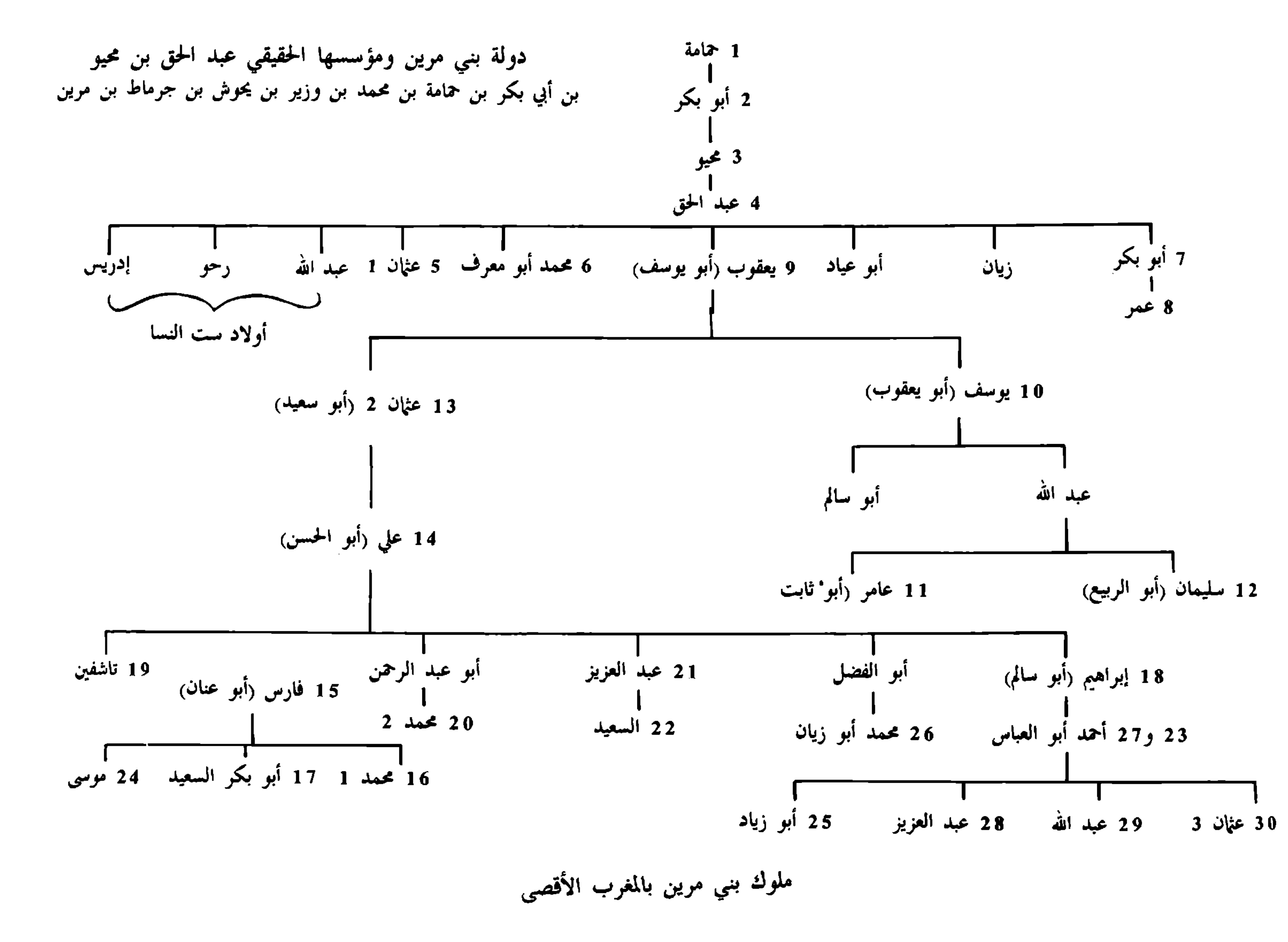
وعن ملوك الوطاسيين :

محمد الشيخ : 876 ـــ 910هـ (1471 ـــ 1505م) المغرب عبر التاريخ 196/2 والاستقصا 119/4 ـــ 140

محمد بن محمد الشيخ (البرتغالي) : 910 ـــ 932هـ (1505 ـــ 1524م) المغرب عبر التاريخ 199/2 والاستقصا 148/4

الدولة الأولى للسلطان أبي حسون بن محمد الشيخ الوطاسي 932هـ (1524م) المغرب عبر التاريخ 201/2 والاستقصا 149/4

أبو العباس أحمد : 932 ـــ 956هـ (1524 ـــ 1548م) المغرب عبر التاريخ 201/2 والاستقصا 151/4
الدولة الثانية للسلطان أبي حسون : 961 (1553م) المغرب عبر التاريخ 203/2 والاستقصا 159/4.



ملوك بني مرين بالمغرب الأقصى

المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا رسول الله وآله وصحبه، قال تعالى ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا اِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ اِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ اِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ سورة الأنعام آية 59. صدق الله العظيم.

وبعد،

هذا هو الجزء الرابع بحول الله تعالى من كتابنا تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى نتناول فيه موضوعات العمارة والفنون في عصر دولتي بني مرين واتباعهم الوطاسيين، وهو القسم الثالث من المراحل التاريخية للطراز المغربي الأندلسي الذي بلغ الذروة أيام المرينيين قبل أن تبدأ الأطماع الخارجية وتتكالب قوى الاستعمار الصليبية الأجنبية على البلاد المغربية فتتراجع فنون العمارة والصناعات وتتخذ لها مسارات جديدة نحو الانحدار إلى أن تصحح وجهتها الحضارية وتحقق رقيها الذاتي في عصر الانبعاث على أيدي الأشراف السعديين ومن بعدهم الأشراف العلويين الذين أحيوا التراث بعد ممات، وأغنوا المغرب وأثروا الحضارة بالمنشآت الجليلة والروائع الخالدات.

لقد أرسيت في الجزء الأول قواعد دراسة الآثار العربية الاسلامية في نطاق تراثها السابق الموروث في كل من المشرق والمغرب ومؤثرات البيئة المحلية في الجناحين الشقيقين وتأثيرات الاسلام وتوجيهاته التي توجت ذلك الانتاج الجم من المعالم الحضارية المعمارية والفنية.

ومنذ البداية أحسست إحساس اليقين أنه ما من دارس لتاريخ العمارة والفنون العربية والاسلامية بالجناح الغربي لمملكة الاسلام على العموم والمغرب الأقصى على الخصوص الا وكان في مسيس الحاجة إلى الوقوف على نشأة الفن الاسلامي الأولى وطرزه التاريخية بالمشرق العربي وعلاقة ذلك كله بالمغرب.

ولهذا درست في الجزء الأول الطرازين الأموي ثم العباسي إلى تاريخ قيام الدول واستقلال الامارات والممالك بالغرب الاسلامي بعد انصرام اجل التبعية السياسية إلى دار الخلافة بالمشرق بدمشق ومن بعدها بغداد.

وفي هذا النطاق – بعد دراسة فنون العمارة والصناعات بالمغرب الأقصى قبل الاسلام

فيما أسميته بالطراز العربي المغربي القديم ـــ بدأت دراسة طرز وأساليب العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى ضمن ما أطلقت عليه اصطلاح الطراز المغربي الاسلامي المبكر الذي امتد على طول عصر الأشراف الأدارسة في دولتهم الأولى بفاس وممالكهم التالية بالشمال ثم عصر الزناتيين بفروعه التاريخية المتوازية واعني بها امارات موسى بن ابى العافية المكناسي وزيرى ابن عطية المغراوي وبني يفرن الزناتيين إلى بداية ظهور المرابطين.

وفي الجزء الثاني من هذا الكتاب درسنا مرحلة جديدة في تاريخ العمارة والفنون بالغرب الاسلامي ابتداء من تاريخ ضم يوسف بن تاشفين بطل المرابطين مصير ارض الأندلس إلى المغرب حيث بدأ الطراز الذي أطلقت عليه اصطلاح (الطراز المغربي الأندلسي) بمساهمة بنائين وصناع وفنانين مبدعين من العدوتين يتكامل انتاجهم في اطار الحضارة الزاهرة التي عرفها المغرب والأندلس في ظل تفوق المرابطين والموحدين وبني مرين من ورائهم.

لقد كان ذلك الانتاج حقا انتاجا متميزا عن فنون كل من العدوتين قبل عصر المرابطين، ذلك أن الوحدة السياسية بين العدوتين والوصاية الحربية والكفالة الادارية للمغاربة (على الأندلس)، بما جبلوا عليه من تسامح وتآخ، وما عرف عنهم من نضج ووعي حضاريين، قد دفع بفنون العمارة والصناعات في الغرب الاسلامي خطوات جليلة الخطر عظيمة الأثر لا زالت ملامحها باقية ودلائلها خالدة في جميع ما تحلت به العدوتان إلى اليوم من علامات حضارية ومؤشرات فكرية ومادية.

غير أنه بسبب انفساح أجل ذلك الطراز الذي وفقني الله إلى تصحيح دراسته المنهجية وتسميته بالاصطلاح الحرى به أن يحمله خصصت الجزء الثاني لعصر المرابطين واتبعته بالجزء الثالث الذي وقفته على دراسة فنون العمارة والزخرفة بالغرب الاسلامي ابان امبراطورية الموحدين التي غطت أكبر رقعة من أرض الأندلس بالاضافة إلى المغارب الثلاثة إلى حدود ليبيا تقريبا، لقد بلغ جلال فنون العمارة على الخصوص ذروة العظمة والهيبة كما يطل علينا من قمم صوامع الكتبية والقصبة وحسان بأرض المغرب العربي والجيرالدا باشبيلية من أرض الأندلس... إلى جانب وضوح الوحدات الزخرفية وضوحا بارزا في مجموعات كبيرة نحتت من عبقرية الموحدين الهندسية وفكرهم الحسابي وفطرتهم المتوازنة فكرا وعملا.

ونصل الآن إلى الجزء الرابع بحول الله وقد خصصناه لعصر المرينيين واتباعهم الوطاسيين في عشرة فصول. وقد بدأناه بفصل أول كمدخل تاريخي لعصر الدولة المرينية نشرح به الظروف والملابسات التي استحدثت على الخريطة السياسية للغرب الاسلامي بعد انقضاء أجل الموحدين مركز الثقل الاستراتيجي بالمنطقة وقد تعرفنا في هذا الفصل على أصل المرينيين وشهرتهم وفلسفتهم وجهادهم ومشاهير ملوكهم وجلائل اعمالهم.

وقد ارتأيت من الأوفق تخصيص الفصل الثاني بأكمله لمصير الطراز المغربي الأندلسي بعد عصر الموحدين ليقف الباحث على اتجاهات الفنون في العدوتين بعد انفراط عقد الامبراطورية الموحدية وظهور فن المدجنين بعد سقوط غرناطة واحتفاظ المرينيين للمغرب بجميع ملامح ومميزات الطراز المغربي الأندلسي الذي بلغ القمة في انتاجهم المعماري والفني ويكشف عن مدى اهمية انجازهم الحضاري.

وفي الفصل الثالث بدأنا دراسة النشاط المعماري بنفس التنظيم والمنهجية التي التزمناها في الأجزاء السابقة بتناول العمارة الحربية أولا لأسباب أوضحناها آنفا، وحاولت جاهدا جمع أكبر قدر من المعلومات التي تسعفني بها الامكانيات حول أسوار وأبواب وأبراج شالة المرينية وأسوار مدينتي سلا وفاس الجديد والأبراج والأبواب التي يمكن نسبتها باطمئنان إلى عصر المرينيين، واختتام ذلك الفصل بدراسة خاصة حول العمارة الحربية ببرج الذهب ومعسكرات الجيش بفاس الجديد.

وبالفصل الرابع ننتقل إلى دراسة العمارة الدينية ونبدأ بعرض عام لمساجد المرينيين ثم دراسة تخصصية لمساجد المرينيين بالمغربين الأقصى والأوسط سواء ما كان منها تأسيساً أو توسعة وزيادة، وفي هذا الفصل بالذات قصدت مواجهة بعض المشكلات التاريخية والأثرية المحيطة بعصور بعض المنشآت أو الاضافات وذلك على سبيل المثال ما عرضته بالنسبة لكشفنا الأثري عن الزيادة المرينية بمسجد شالة (العتيق)[1] الذي كان ينسبه المستشرقون والمغاربة إلى عصر المرينيين ثم تبين من نتائج حفائرنا أنه كان مسجدا عتيقا أرجعناه إلى عصر الأدارسة في طوره الأول قبل أن يعرف الاصلاح أيام الزناتيين إلى أن وسعه أبو يوسف المؤسس الحقيقي للدولة المرينية واتخذ فيه مدفنا لزوجته أم العز كما دفن فيه إلى جوارها فيما بعد. وفي نفس الاتجاه التحرري قدمت أبحاثي الجديدةحول مجموعة ابن صالح المعمارية بمراكش وهي الأبحاث التي أقرها المهندس الأثري المخضرم زميلنا السابق الأستاذ بوريس ماسلوف الذي أعد تخطيطات جديدة كاملة مصححة بعد اطلاعه على أعمالنا. ومن هذا القبيل أيضا ما أدلينا به من آراء حول تأريخ الجامع الكبير برباط الفتح[2] عند عرضي لنظريتي الجديدة حول ظاهرة القص المتماثل في العمائر المغربية الدينية والمدنية[3].

وبالفصل الرابع أيضا درست بعض عمائر المرينيين الجنائزية بشالة وفاس وصححت بعض المفاهيم التاريخية والمعمارية التي كانت سائدة عند المؤرخين والأثريين والرحالة والجغرافيين فيما يتعلق بقباب شالة وجامع الجنائز بالجامع الكبير بفاس الجديد.

---

(1) كتابنا حفائر شالة ص 163 وما بعدها.
(2) نفس المصدر ص 419 وما بعدها.
(3) نفس المصدر فصل 6 ص 353 وما بعدها.

وفي الفصل الخامس الذي خصصناه لدراسة العمارة المدنية كشفت عن دور المدارس المغربية والتطور المعماري الذي أصابته مدارس المرينيين منذ نشأتها إلى ما بعد عصر أبي عنان، وقد عنينا على وجه الخصوص بابراز قيمة تلك المجموعة المعمارية التاريخية من حيث القيمة التاريخية والأثرية والاجتماعية كما حاولت جمع ما سمحت به الامكانيات من معلومات مفصلة حول المدن المرينية الجديدة والقصور والبساتين والقناطر والحمامات والزوايا المرينية.

وخلصت في الفصل السادس إلى دراسة المميزات الخاصة بالعمارة المغربية في عصر دولة المرينيين مع تبيان خصائص الزخفة المعمارية فدرسنا مساحة المساجد المرينية وطول جدار القبلة بالنسبة إلى طول عمق بيت الصلاة بالمسجد وسبب تطور مساحة المساجد المرينية وصغرها عن مساجد المرابطين والموحدين من قبل.

هذا وقد جعلت للفنون التطبيقية نصيبا وافرا بالفصلين السابع والثامن حيث درست بالفصل السابع أمثلة هامة ومؤرخة من فنون الخشب عند المرينيين ثم فنون الحفر على الرخام والجص والزليج وتأريخ جديد للخزف ذي البريق المعدني الذي أرجعت قطعنا المكتشفة سنة 1960 بحفائر شالة صناعته إلى القرن السابع الهجري بعد أن كان اقدم المعروف منه لا يتعدى القرن الحادي عشر. وفي ذات الفصل درست مفصلا عملة المرينيين ومنتجاتهم المعدنية وعلى الخصوص منها الثريات الشهيرة المؤرخة والمشتملة على نصوص وثائقية تتضمن اسم الأمير وتاريخ الصنع ومكانة اسم المعلم الفنان الذي أبدع تلك الروائع. كما كان من بين التحف المؤرخة كذلك نوع من المكاييل يعرف الواحد منها بالمد النبوي بسبب السلسلة التاريخية التي نقشت عليه ابتداء من تاريخ الصنع إلى تاريخ انتاج أول مد نبوي معلوم.

على أنني لم أغفل عن دراسة النسيج والسجاد المغربي الذي لا زال يحتل مكانا اجتماعيا داخل المسكن المغربي ومكاناً اقتصاديا بارزا في لانتاج الوطني بشكل عام.

ونظرا لأهمية فنون الكتاب وعلم النقوش العربية ووفرتها في عصر المرينيين خصصت الفصل الثامن باكمله لدراسة فن الكتاب المغربي ومكتبات المرينيين ونقوشهم العربية على مختلف المواد وبمختلف النماذج والأساليب.

ولما كانت دولة الوطاسيين تعتبر غالبا ذيلا لدولة المرينيين فقد خصصتها بالفصل التاسع الذي بدأته بموجز تاريخي وعرض حركة المنشآت المعمارية والفنون التطبيقية على عهدهم ليكتمل بذلك تاريخ العمارة والفنون في الطراز المغربي الأندلسي الذي بدأ بضم يوسف ابن تاشفين الأندلس إلى تاريخ نهاية المرينيين أو على الأصح سقوط دولة الوطاسيين.

وأخيرا ختمت هذا الجزء بفصل جرت عليه العادة لعرض نماذج من الشعر العربي تتناول ذكر أو وصف بعض معالم العمارة أو فنون الصناعات المغربية في ذلك العصر.

وسوف يرى القارىء انني بذلت قصارى الجهد لارساء قواعد هذه الدراسات بما يتناسب مع جلال الاصالة المغربية الحضارية وما بلغته من انسجام بين الانتاج الفني والوضع المعماري وبين الظروف الطبيعية والحياة الاجتماعية لتحقيق حاجات ذلك المجتمع العربي المسلم بما شاء له القدر من فلسفة خاصة في الفكر والعادة والعبادة في موقع استراتيجي جغرافيا وتاريخيا يعز نظيره... لقد استجابت الهندسة المدنية لوضع المسجد كمحور رئيسي ومركز بارز لتخطيط الحي والمدينة بالتجمع البشري، واستجابت العمارة لنوع البيئة الطبيعية بالشاطىء والجبل والصحراء. وفي نفس الوقت استجابت فنون العمارة استجابة طليعة لنوع الحياة الاجتماعية وما يتبع المعاش البشري من لباس وفراش واحتفال واستقبال... فكما رأينا وسط المسكن في فن العمارة يمثل تنسيق الفراغ المحوري بخصة الماء والشجر ووسائل تحقيق الجمال الداخلي رغم تواضع مظهر المداخل المغربية، فان الفلسفة ذاتها تتحقق في مظهر زي المرأة المغربية البسيط الذي يحتضن داخله تحفا رائعة وفنونا جميلة من طرز اللباس وتنوع المنسوجات وادوات الزينة والابداع الجمالي الفاتن الذي يطبع الأسرة المغربية إلى اليوم بطابع الحضارة والأصالة والجمال.

وختاما، فانه على الرغم من انني على يقين انني لن أبلغ الأسباب... أسباب الحضارات بالشرق والغرب، غير أن بذل ثلث قرن كامل من التخصص في حضارة الاسلام بالمغرب قد يبيح لي التوجه إلى الله تبارك وتعالى أسأله العون والمدد والسداد، وأستمد الهداية والتوفيق والرشاد لانجاح مسعاي الدؤوب وتضحياتي الجسام لتأسيس مدرسة مغربية معاصرة تكون عونا على دفع عجلة البحوث الاسلامية المخلصة لوجه الله والحق وخير العباد والبلاد، انه تعالى نعم المولى وهو خير مسئول.

دكتور عثمان اسماعيل

الفصل الأول

مدخل تاريخي لعصر المرينيين

ابحاث هذا الفصل :

1 – توطئة
2 – الخريطة السياسية لبلدان المغرب العربي والأندلس بعد عصر الموحدين
3 – أصل المرينيين وبداية دولتهم وأشهر ملوكهم
4 – ضعف دولة بني مرين

الفصل الأول

مدخل تاريخي لعصر المرينين

(أولا) تــــوطــئــــة

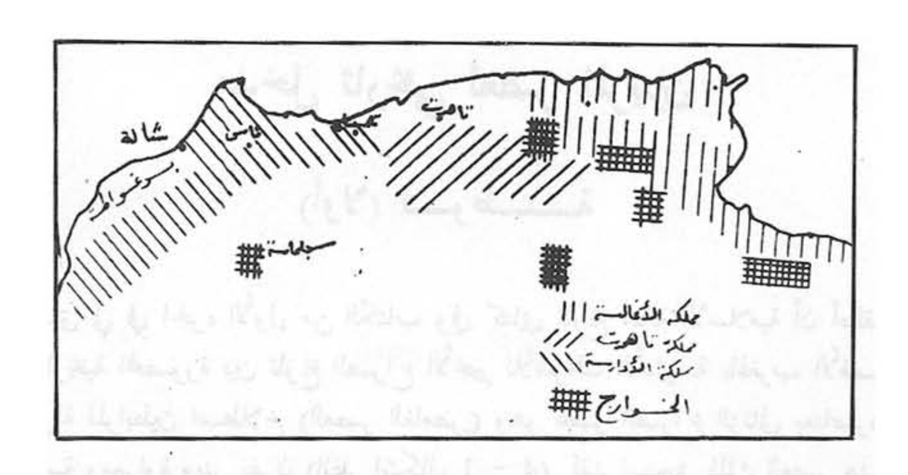
سبق لي في الجزء الأول من الكتاب وفي كتابي تاريخ شالة الاسلامية أن أطلقت على الفترة التاريخية المحصورة بين تاريخ الصراع الأخير للأشراف الأدارسة بالمغرب الأقصى وبين ظهور دولة المرابطين اصطلاح (العصر الغامض) وهو عصر الصراع الزناتي بعناصره الثلاثة من مكناسة ومغراوة وبني يفرن (انظر اشكال 1 – 4). لقد استحق ذلك العصر هذا اللقب عن جدارة لأسباب فصلتها سلفا وفي مقدمتها نقص النصوص وفقر معارفنا الحالية إلى مضادر تاريخية شافية.

ويمكن أن يقترب من ذلك الغموض مصير المنجزات الحضارية من عمارة وفنون في عصر دولة المرابطين التي لم يصلنا عنها ومنها الشيء الكافي الشافي الذي يكشف لنا سنن المسيرة الحضارية المواكبة للطفرة المرابطية في السياسة والجهاد وبعث بذور التفوق العلمي والفكري التي آتت اكلها وأينعت وأثمرت على عهد خلفائهم الموحدين.

وعلى الرغم من أن عصر الموحدين يبدو للباحثين اكثر وضوحا وأقرب رؤية، غير أن عصر الدولة المرينية أصبح اليوم يحتل مكان الصدارة في البحث والدرس والاستقصاء بما خلف من مئات المآثر المعمارية والفنية ومئات الكتب والمؤلفات في شتى نواحي الاختصاص ومختلف فروع المعرفة وضروب المجالات. ولعل هذا هو سر الاتجاه المعاصر نحو كثرة التنقيب في حضارة المرينيين حيث وفرة المخطوطات التي تستوعب جما كبيرا من المعارف والعلوم والفنون، ولعله أيضا سبب الازدهار الذي أينع وأثمر في رحاب مدرسة الأستاذ الرئيس الوزير محمد الفاسي لوفرة ما يلم به من معارف ومصادر حول ذلك العصر الزاخر بألوان الحضارة[1] والذي استقطب مميزات الرقي المغربي خلال العصور السالفة وقعدها وقننها كقاعدة انطلقت منها الدراسات التخصصية في حضارات المغرب اللاحقة.

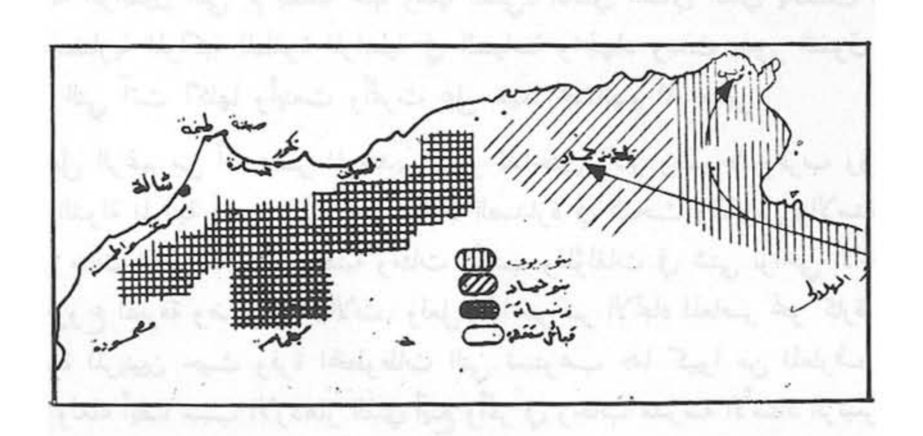
---

(1) انظر كذلك انتاج مؤرخ المملكة المغربية الأستاذ عبد الوهاب بنمنصور نشرا وتحقيقا عن العصر المريني.



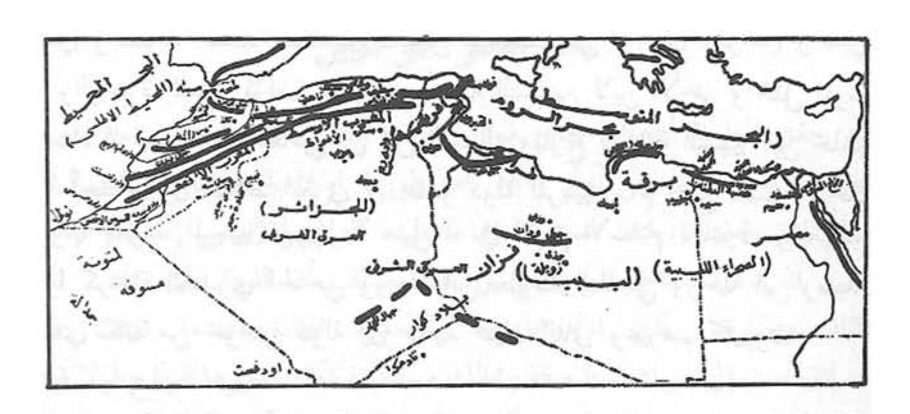
شكل 1

المغرب العربي أوائل القرن الثالث الهجري

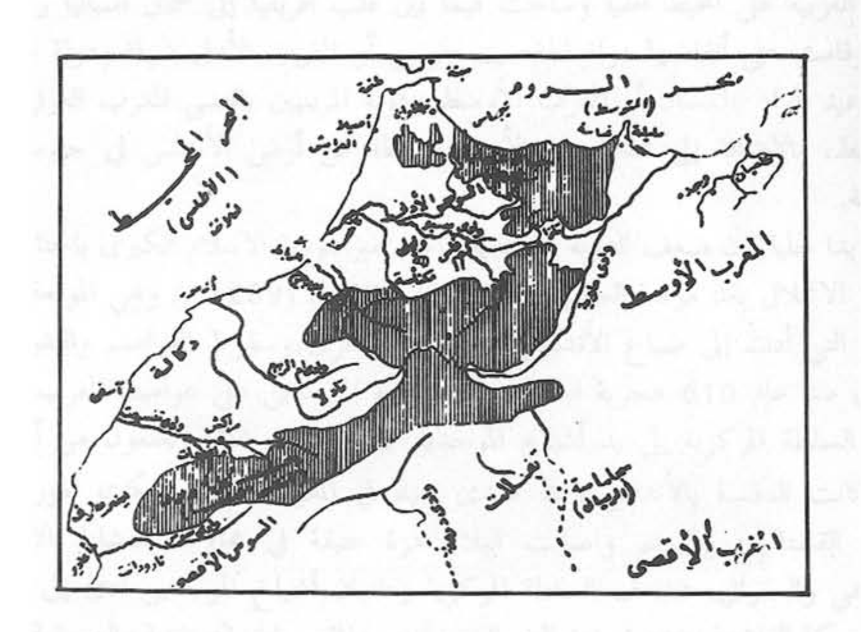


شكل 2

المغرب العربي منتصف القرن الخامس الهجري



شكل 3
خريطة الشمال الافريقي الطبيعية والأقسام السياسية



شكل 4
المغرب الأقصى، خريطة طبيعية

وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر بعض المصادر الرئيسية التي تناولت تاريخ المغرب العام إلى أيام المرينيين أو تلك التي تخصصت في تاريخ دولة بني مرين أو في فرع من فروع حضارتها وفي مقدمتها كتاب روض القرطاس لابن أبي زرع وجني زهرة الآس لأبي الحسن علي الجزنائي ومخطوط المسند الصحيح الحسن للخطيب بن مرزوق (الوالد) ومخطوط فيض العباب[1] والزخيرة السنية لمؤلف مجهول وروضة النسرين لابن الأحمر والحلل الموشية الذي ينسبه الأستاذ الرئيس محمد الفاسي إلى ابن السماك وتاريخ العلامة الشهير ابن خلدون (عبد الرحمن)[2] أحد رجال البلاط المغربي في عصر دولة المرينيين، ثم جميع كتب الرحلات التي نبغ في فنونها مغرب المرينيين نبوغا لا مثيل له في تاريخ الاسلام بالمشرق والمغرب وخلف تراثا زاخرا كرحلة العبدري الحاحي ورحلة ابن بطوطة الطنجي ورحلة ابن رشيد الفهري السبتي الذي كان من خواص دولة ابى سعيد عثمان الثاني وغيرهم كثيرون.

---

(1) مخطوط بالخزانة الملكية بالرباط العاصمة المغربية.

(2) وهو أكثر شهرة من أخيه مؤرخ دولة بني عبد الواد ملوك تلمسان.

(ثانيا) الخريطة السياسية لبلدان المغرب العربي والأندلس بعد عصر الموحدين

لقد حقق المغاربة أيام الموحدين فوق الأرض التي تنتصف بها مساحة المعمور (على جانبي خط جرينتش) تأسيس أول وآخر امبراطورية اسلامية موحدة (بالشمال الافريقي والجنوب الأوروبي جغرافيا) فيما نسميه تاريخيا بالمغرب العربي والأندلس (أشكال 5 أ و5 ب).

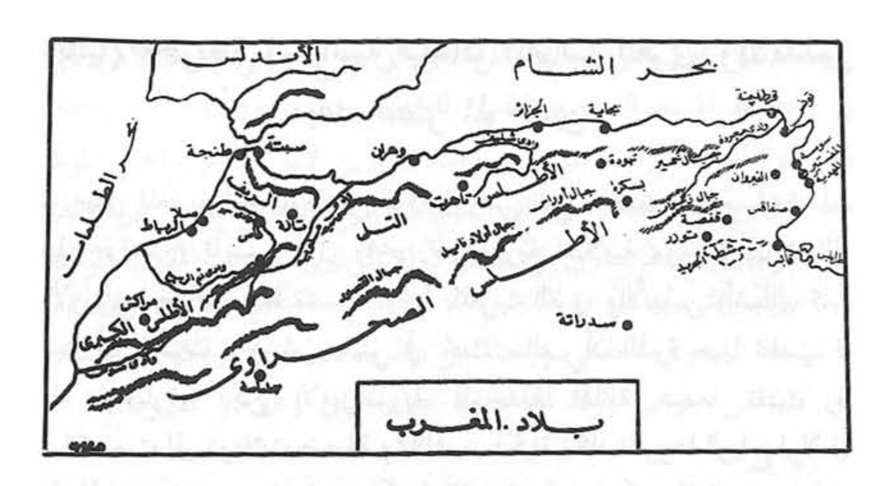
وسبق أن ذكرت باحساس يقيني في بحث سالف أن الذرة حينما تتفتت فانها تخلف طاقة هائلة وجبارة، لكن الامبراطورية الموحدية الهائلة عندما تفتت فانها - مع الأسف - انقسمت إلى دويلات ضعيفة وممالك مستكينة تكاد تذروها الرياح لولا قيام المغرب الأقصى ايام المرينيين بجهود سياسية وعسكرية فاقت قدراته وانهكت كيانه في سبيل دفع عجلة الوحدة سنوات أخرى سابحين ضد تيارات الأحداث وحتمية السنن التاريخية.

سجل التاريخ أن امبراطورية الموحدين التي امتدت من مشرق المغرب العربي إلى أقصى حدوده الغربية على المحيط افقيا وساحت فيما بين قلب افريقيا إلى شمال اسبانيا رأسيا، قد انحلت وقامت على أنقاضها دولة الحفصيين بتونس أو المغرب الأدنى شرقا ودولة بني زيان أو بني عبد الواد بتلمسان أو المغرب الأوسط ودولة المرينيين باقصى المغرب العربي مشرفة على المحيط، بالاضافة إلى مملكة بني الأحمر بغرناطة من أرض الأندلس في جنوب القارة الأوروبية.

(بدا جليا اذن ضعف الدولة الموحدية واتجاه امبراطورية الاسلام الكبرى بالجناح الغربي نحو دور الانحلال بعد موقعة العقاب بالذات سنة 609 هـ (1209 م) وهي الموقعة الفاصلة والحاسمة التي أدت إلى ضياع الأندلس المدينة تلو الأخرى وسقوط العواصم والثغور في يد النصارى منذ عام 610 هجرية ابان ضعف سيطرة الموحدين على عواصم المغرب الأقصى وانتقال السلطة المركزية إلى يد أشياخ الموحدين يبايعون من شاؤا ويخلعون من أرادوا.

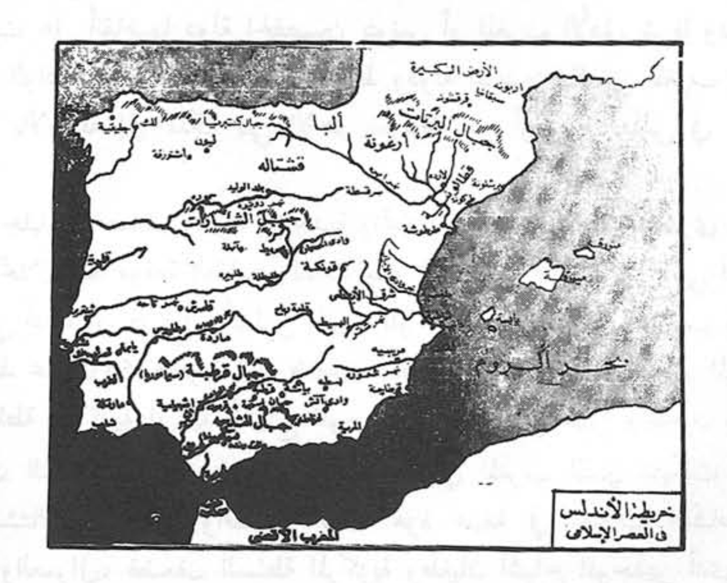
كانت النكسة بالأندلس ذات صدى بعيد في المغرب الذي انتهكت ثغوره ومدنه بغزوات القشتاليين وغيرهم واصابت البلاد هزة عنيفة في مجالات النشاط الاقتصادي والاجتماعي والعمراني، فضعف السلطة المركزية وطغيان أشياخ الموحدين أدى إلى الفوضى ووقف حركة الفلاحة وعدم تسديد الضرائب وتخريب المؤسسات الصناعية والعمرانية فخربت مراكش ودثرت مدينة مكناس وتهدم جامع حسان وغيره من المنشآت)[1].

(1) محمد المنوني : ورقات عن الحضارة المغربية ص 5 - 7.



شكل 5

أ - خريطة المغرب العربي والأندلس، طبيعية



شكل 5

ب - خريطة الأندلس طبيعية

وكما شرحت سلفا بكتابي تاريخ شالة الاسلامية والجزء الثالث من هذا الكتاب فقد استشعر ملوك المرينيين منذ البداية مسؤوليتهم كوارثين حقيقيين لتراث الموحدين الحضاري، ولهذا رأيناهم وقد اجهدوا انفسهم وحملوها فوق ما كانت تطبق في سبيل الحفاظ على وحدة الغرب الاسلامي بدءا ببسط الحماية على افريقية الحفصية، إلى أخذ ورد مع ملوك تلمسان بني عبد الواد، والالتزام بالدفاع عن كيان اللاسلام بالأندلس ومواصلة الجهاد الديني لحماية بني نصر ملوك غرناطة وآخر ملوك الاسلام بالقارة الأوروبية إلى اليوم.

وهكذا رأينا الغرب الاسلامي رغم جهود المرينيين يبدو مقطع الاوصال بعد الوحدة الشاملة وينقسم سياسيا إلى أربع دول لا تلبث أن تتغير حدودها الجغرافية من حين إلى حين.

لكن ذلك الوضع الخطير لم يكن له تأثير واضح في مسيرة الطراز المغربي الأندلسي بما خلده من روائع العمائر وبدائع الصناعات والفنون إلى تاريخ سقوط دولة بني مرين بالمغرب الأقصى (محتضنة ذلك التراث ومرضعته) وزوال مملكة الاسلام بغرناطة بسقوط دولة بني الأحمر، وهذا هو تاريخ التغير السياسي والتحول التاريخي اللاحق الذي تعايشه ملامح أخرى جديدة في أساليب العمارة والصناعات التطبيقية في كل من العدوتين على السواء المغرب والأندلس.

(ثالثا) أصل المرينيين وبداية دولتهم وأشهر ملوكهم

أصل المرينيين :

يقول ابن خلدون أن المرينيين كانوا كعبد الواد ملوك تلمسان من الطبقة الثانية لجيل زناتة وهم حسب تقسيمه من أعلى قبائل زناتة حسبا وأشرفهم نسبا بل (قيل أنهم شرفا)[1] (من ولد بر بن قيس بن عيلان بن عيلان بن مضر بن معد بن عدنان)[2]، وقد تحول لسانهم العربي بعد أن تحول بر بن قيس إلى أرض أخواله[3] البربر الذين كانوا يسكنون فلسطين ويجاورون العرب في المساكن والمراعي وقد تلقب ولده مادغيس بالأبتر وهو أبو البتر من زناتة وقد نشأ بين أخوال أبيه من البربر نطق بلغتهم وتزيا بزيهم.

مواطنهم الأصلي :

نقل أبو العباس أحمد صاحب كتاب الاستقصا عن روض القرطاس قوله أن المرينيين كانوا قبل استيلائهم على ملك المغرب احياء ظواعن بمجالات القفر من فجيج إلى سجلماسة إلى ملوية ينتقلون في تلك الصحاري ولا يدخلون تحت حكم سلطان ولا تنالهم الدولة بهضيمة... ولا يعرفون تجارة ولا حرثا انما شغلهم الصيد وطراد الخيل... وكانت طائفة منهم ينتجعون تخوم المغرب وتلوله زمان الربيع والصيف يرعون اغنامهم ويكتالون ميرتهم... فلما كانت سنة عشر وستمائة أقبل نجعهم وطل على المغرب فوجدوه تبدلت أحواله وبادت خيله ورجاله وفنيت حماته وأبطاله فأقاموا بمكانهم وبعثوا إلى إخوانهم وانتشروا في المغرب يشنون الغارات وظهرت قوتهم على يد عبد الحق بن محيو المريني عندما ضعفت دولة الموحدين أوائل القرن السابع[4].

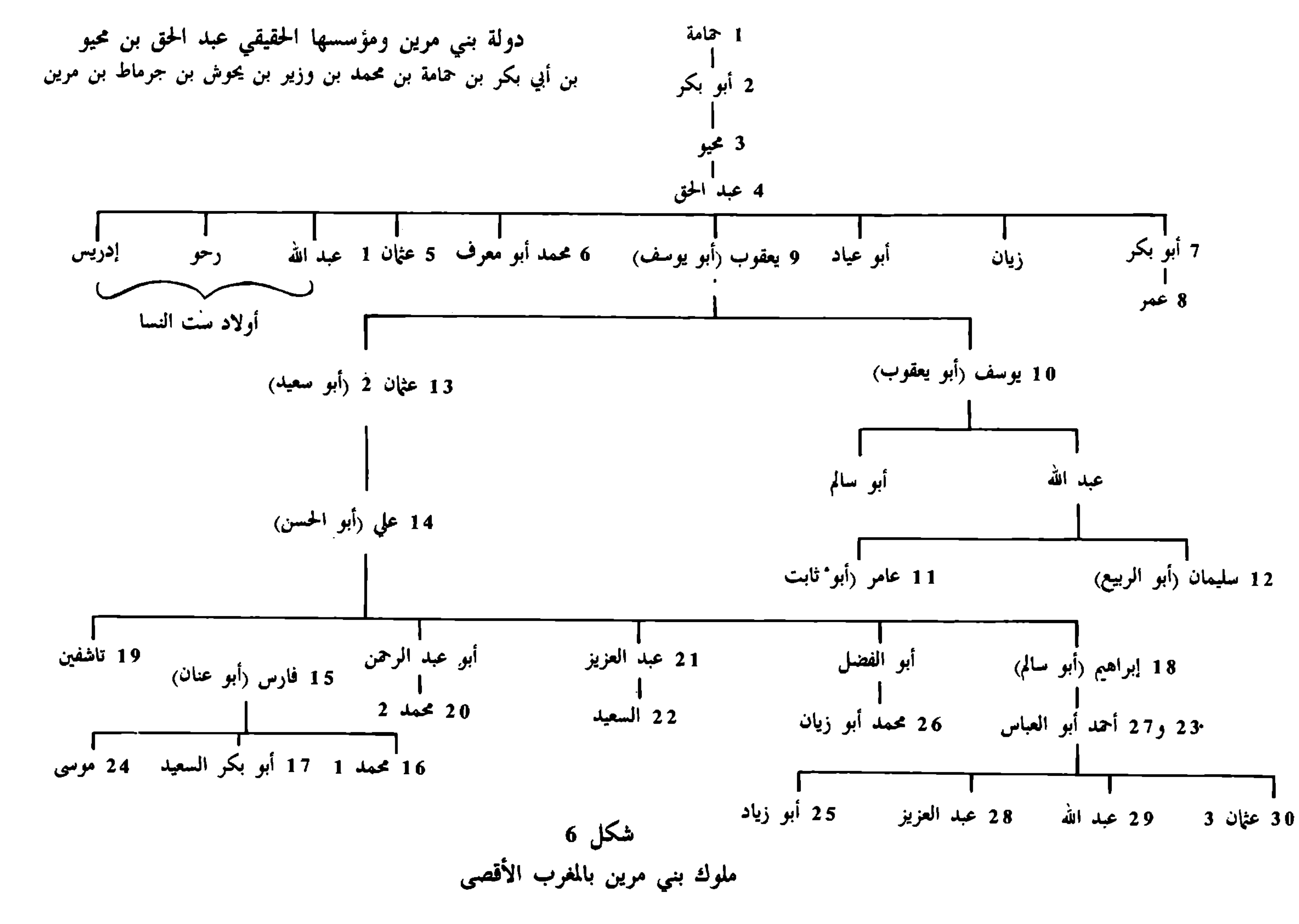
---

(1) رفع بعض المؤرخين نسبهم إلى أمير المؤمنين على بن أبي طالب، وقال جماعة أنهم من زناتة وكلها عربية الأصل من مضر، راجع كتابنا تاريخ شالة الاسلامية فصل 8 ص 269 والمصادر التي أشرنا اليها، وراجع نسب زناتة عند ابن خلدون وصاحب الحلل الموشية وتاريخ افريقيا الشمالية لشارل اندريه جوليان وروضة النسرين الذي قدمه ابن الأحمر إلى ابن سعيد عثمان الثالث.

(2) ابن الأحمر : روضة النسرين في ملوك بني مرين.

(3) كتابنا تاريخ شالة ص 270 وروضة النسرين وروض القرطاس.

(4) كتابنا تارخ شالة ص 27 والاستقصا للسلاوي 3/ ص 4 وما بعدها



شكل 6
ملوك بني مرين بالمغرب الأقصى

ويعتبر أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المؤسس الحقيقي لدولة المرينيين كما تبدأ دولتهم بصفتهم ورثة لملك الموحدين منذ استيلاء المرينيين على مراكش ودخول يعقوب بن عبد الحق العاصمة الموحدية (في عسكر ضخم يوم الأحد التاسع من محرم سنة ثمان وستين وستمائة)[1] وهو بدء دولتهم الحقيقي الذي مثلوه على مسرحين، مسرح الأندلس حيث خفوا لمساعدة بني نصر ضد المسيحيين، ومسرح المغرب الأوسط والأدنى حيث كان بينهم وبين بني عبد الواد ثم الحفصيين حروب كثيرة... هذا ويبدأ تأريخهم الحضاري والعمراني باتخاذهم فاس عاصمة لهم، ولا غرو فقد استعادت فاس مجدها القديم بعد أن أضافوا إلى المدينة القديمة مدينة أخرى بجميع مرافقها ومؤسساتها عرفت بفاس الجديد أو المدينة البيضاء (شكل 6).

أشهر ملوك المرينيين :

1 – الأمير عبد الحق بن محيو :

كان الأمير عبد الحق بن محيو أول من دخل المغرب من بني مرين وحاز نصرا حاسما على الموحدين بوادي نكور وهزم دول المغرب التي فر رجالها إلى فاس يخصفون عليهم من ورق النبات المعروف عند أهل الغرب بالمشعلة حتى سميت تلك السنة بعام المشعلة وذلك سنة ثلاث عشرة وستمائة. وقد حظيت شخصية عبد الحق بتعلق كبير من أهل المغرب لبركته المعروفة ودعوته المستجابة فكانت قلنسوته وسراويله يتبرك بها في جميع احياء زناتة[2]...

2 – أمير المسلمين أبو يوسف يعقوب :

يعتبر أبو يوسف يعقوب في الحقيقة المؤسس الفعلي للدولة وسيد بني مرين على الاطلاق، وهو أول من تسمى (أمير المسلمين)[3] من رؤساء بني مرين، وهو اللقب الذي اقتنع به خلفاؤه من بعده (إلى ما قبل ابى عنان) اعترافا منهم بسيادة بني حفص الملقبين بلقب (أمير المؤمنين).

ويعقوب هذا، كان أول من اتخذ من بقايا وآثار مدينة شالة الاسلامية الأثرية مدفنا للمجاهدين من بني مرين[4] وهو مؤسس مدينة فاس الجديد كما أنشأ البنية قرب الجزيرة الخضراء وبنى سور مدينة سلا الغربي من دار الصناعة إلى البحر وشيد بنفسه دار الصناعة وباب المريسة العظيم بمدينة سلا وعمل في بناء السور بيده.

---

(1) الاستقصا 27/3.

(2) كتابنا تاريخ شالة ص 282 والاستقصا للسلاوي 6/3.

(3) كتابنا الفنون الاسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى، دراسة الألقاب ص 228 وما بعدها.

(4) كتابنا تاريخ شالة وكتابنا حفائر شالة الاسلامية.

وكان يعقوب المريني هذا هو صاحب الضربة القاضية على آخر محاولات الموحدين بقتله أبي دبوس ادريس ودخول مراكش سنة ثمان وستين وستمائة. استخلص الملك للمرينيين ثم وحد المغرب الأقصى وجاز إلى الأندلس للجهاد الاسلامي أربع مرات ابتداء من سنة أربع وسبعين وستمائة وقتل دون نونة الذي لم تهزم له راية من قبل كما غير الأوضاع السياسية والعسكرية بير العدوة فأصبح زعماء النصارى يستصرخون به ضد اخوانهم، وهكذا استصرخه طاغية الاسبانيول هراندة على ابنه... وقد ذكر ابن خلدون وابن الخطيب ان الطاغية لما اجتمع بالسلطان يعقوب بأرض الأندلس قبل يده اعظاما لقدره فدعى السلطان بماء فغسل يده من تلك القبلة... وقد رهن الطاغية لديه تاجه الموروث عن أسلافه حيث بقي على حد قول ابن خلدون بدار بني عبد الحق فخرا للأعقاب لهذا العهد...

وعندما نزل ببلاد النصرانية ما نزل من تدمير قراهم واكتساح أموالهم وسبي نسائهم اجتمعوا إلى طاغيتهم سانجة وحملوه على الضراعة لأمير المسلمين، وعندما قدم الطاغية على الأمير يعقوب بحصن الصخرات قرب وادي لك في شعبان سنة أربع وثمانين وستمائة سأله السلطان أن يبعث اليه بكتب العلم التي بيد النصارى منذ استيلائهم على مدن الاسلام فبعث اليه منها ثلاثة عشر حملا فحبسها السلطان على المدرسة التي أسسها بفاس وهي مدرسة الصفارين التي كانت تعرف أيام يعقوب المنصور هذا بمدرسة الحلفائيين.

3 – أمير المسلمين أبو يعقوب يوسف بن أبي يوسف يعقوب :

كان أبو يعقوب ابن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني أول من هذب ملك بني مرين واكسبه رونق الحضارة وبهاء الملك وهو الذي أمر سنة احدى وتسعين وستمائة بعمل الاحتفال بالمولد النبوي وتعظيمه، وهو صاحب حصار تلمسان الشهير في التاريخ بدوامة مائة شهر منذ نزل يوسف بجيشه أمامها في شعبان سنة 698 هـ إلى تاريخ وفاته عام ستة وسبعمائة وقد وحّد ضمن مملكته جميع بلاد بني عبد الواد وبني توجين وبلاد مغراوة وبايعه صاحب الجزائر وتودد اليه صاحب تونس وبجاية ووفدت عليه رسل أهل الحجاز ووفود الملك الناصر صاحب مصر والشام بالهداية.

كان يوسف هذا هو صاحب الزيادة المرينية العظيمة في جامع تازا الموحدي وهو باني سور تاوريرت التي كانت تخما لعمل بني مرين وبني عبد الواد وقد ركب أبوابه وبنى قصرا بتازا سنة 696 هـ وأمر ببناء مدينة وجدة وأسوارها التي هدمها أبوه يعقوب وبنى بها قصبة ودارا لسكناه وحماما ومسجدا وشيد أسوار تلمسان المرينية التاريخية المعروفة بتلمسان الجديد أثناء حصاره[1] يغمراسن داخل جدران تلمسان فاختط سنة اثنتين وسبعمائة بمكان فسطاطه

(1) عن تلمسان وحصارها التاريخي انظر كتابنا تاريخ شالة ص 287 والاستقصا وروض القرطاس وتاريخ العلامة ابن خلدون

قصرا لسكناه واتخذ به مسجدا لصلاته وادار عليها سورا ثم أمر الناس بالبناء فبنوا القصور وغرسوا البساتين وأجروا اليها المياه وشيد السلطان الحمامات والفنادق والمارستان وابتنى مسجدا جامعا بمنارة عظيمة وادار حول ذلك السور فاستبحر العمران وقصدها التجار وسماها المنصورة[1].

4 – السلطان أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني :

إلى هذا السلطان يرجع بناء أربع مدارس من بين المدارس السبع التي شيدها المرينيون بفاس وهكذا فإن المدارس التي بناها أو أمر ببنائها هي مدرسة دار المخزن ومدرستي الصهريج والسباعيين وزهرة مدارس فاس وهي المدرسة الشهيرة باسم مدرسة العطارين.

وفوق ذلك كان السلطان أبو سعيد عثمان هو الذي أمر بانشاء الاجفان بدار الصناعة بسلا برسم غزو الروم سنة احدى عشرة وسبعمائة وشيد الباب العظيم امام القنطرة من مدينة الجزيرة وأدار السور حولها سنة خمس عشرة وسبعمائة وأمر ببناء سور مدينة اجرسيف سنة احدى وعشرين وسبعمائة وبنى البلد المسمى افراك عندما احتل قصبة سبتة سنة 728 هـ وجدد سلسلة الجهاد بالأندلس بعد انشغال يوسف بن يعقوب بحصار تلمسان الطويل، وارجع السلطان أبا بكر بن أبي زكريا الحفصي إلى مقر مملكته بتونس بعد أن أوقع به أبو تاشفين عبد الرحمن بن يغمراسن صاحب تلمسان وتمت المصاهرة بزفاف ابنة السلطان الحفصي إلى الأمير ابي الحسن بن ابي سعيد عثمان المريني وتوثقت العلاقات بين المغربين الأدنى والأقصى.

5 – أمير المسلمين السلطان أبو الحسن (السلطان الأكحل) :

أما السلطان أبو الحسن بن ابي سعيد عثمان فقد كان أكثر ملوك المرينيين شهرة وأعظمهم أبهة وأكثرهم بالمغربين والأندلس آثارا. فقد (امتد ملكه زائدا على ملك من قبله من الجهات الأربع... وخطب له على منابر المغرب... وكثير من منابر قواعد الأندلس وامتد ملكه من آخر المعمور بالمغرب إلى حدود برقة ووقف علمه على جبل عرفة... وامتدت في دولته العمارات وبنى بلدين مستقلين انشأ جميعهما بما اشتملا عليه من جوامع وحمامات وفنادق وهي المنصورة بسبتة ومنصورة تلمسان التي لم ير الراؤون مثلها[2]...)

وكان للسلطان (الأكحل) أبي الحسن اعتناء بالجهاد فاسعف السلطان محمد بن اسماعيل ابن الأحمر ضد استيلاء الطاغية الاسباني على جبل الفتح وامد المسلمين في الجزيرة بجيش عقد

---

(1) كتابنا تاريخ شالة 290 والاستقصا وتلمسان (بالفرنسية) لجورج مارسيه.

(2) كتابنا تاريخ شالة الاسلامية، ومخطوط المسند الصحيح نشر بروفنسال مقتطفات منه بمجلة الهسبريس 1925 والمخطوط بالاسكوريال، ومنه نسخة بخزانة الرباط مجلوبة من تمكروت.

عليه لابنه الأمير ابى مالك استطاع أن يفتح الحصن عنوة سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة، واقتحم بعسكره مدينة تلمسان عنوة في شهر رمضان سنة 737 هـ لتأديب ابى تاشفين على مضايقته اصهار ابى الحسن من بني حفص بتونس، وعندما ناهض عمر بن أبي بكر أخاه ولي العهد على الملك بعد وفاة السلطان ابى بكر الحفصي خاصة وقد سبق أن أعطى أبو الحسن خط يده بتولية ابى العباس، أجمع الحركة إلى افريقية ووصل اليها سنة ثمان وأربعين وسبعمائة في عسكر ضخم شاهده ابن خلدون وهو ابن ستة عشر سنة ووصفه بقوله (كان يوما لم ير مثله فيما عقلناه) فقد كان أبو الحسن المريني يمثل أكبر قوة حربية ضاربة بالمغرب العربي على ذلك العهد وكانت وصايته تمتد على ملوك الأندلس المسلمة كلما جد أمر إلى أن حلت نكبة طريفة سنة 741 هجرية حيث تحطم اسطوله واستشهد ثلة من رجال دولته ووزائه والأمراء والقواد[1] ووصل طريق الجهاد الاسلامي المغربي بالأندلس إلى غايته المحتوة فلم يشهد بر العدوة فيما وراء المضيق جهادا عسكريا آخر إلى وقت حلول الفاجعة التاريخية بتراجع المسلمين عن الأندلس.

لقد كان أبو الحسن حقا واحدا من أعظم ملوك المغرب على الاطلاق امتد سلطانه شمالا بالأندلس وشرقا إلى تونس وذاع صيته بالمشرق الاسلامي وأصبح يمثل ذروة المجد والقوة والحضارة التي وصل اليها المرينيون[2].

6 - أمير المؤمنين (أبو عنان) فارس :

ويمثل عصر ابى عنان فارس قمة الدولة وبداية تراجع الأحداث من بعده فهو آخر السلاطين العظام أو آخر عظماء السلاطين المرينيين[3]. بلغت الدولة أوج عظمتها في حياة والده أبي الحسن (الشهير بالسلطان الأكحل) وكان لابد للحوادث أن تبدأ في الهبوط، لكن أبا عنان منعها ودفع عجلة التقدم في المملكة طوال حياته فلم يبدأ التدهور الا بعد وفاته[4].

و لم يلقب من ملوك المرينيين (بأمير المؤمنين) غير أبى عنان و لم يتخلف من عصر الدولة المرينية نقش تاريخي واحد (فيما نعلم) ينسب اللقب إلى غير ابى عنان فالآخرون كل منهم قنع بلقب (أمير المسلمين) وحسب[5]. وكان ابو عنان هو الذي أعاد فتح تلمسان والمغرب

---

(1) اكتشفنا مقابر شهداء طريف، كتابنا حفائر شالة موقع 7 وشكل 36 ص 216 – 225.

(2) كتابنا تاريخ شالة الاسلامية، وتاريخ شمال افريقيا لشارل جوليان (بالفرنسية) 178/2.

(3) كتابنا تاريخ شالة ص 296.

(4) كتابنا تاريخ شالة ص 295 وتاريخ المغرب (بالفرنسية) لهنري تيراس ص 85/2.

(5) الألقاب التي منحها ابن الأحمر في (روضة النسرين) على هواه غير ثابتة تاريخيا ويكذبها واقع الآثار وما تحمله من القاب، انظر تاريخ شمال افريقيا لشارل جوليان 182/2 وبحثنا الخاص بالألقاب بكتابنا (الفنون الاسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى ص 230 وما بعدها لدراسة الألقاب منذ عهد عمر بن الخطاب إلى عصر الدولة المرينية.

الأوسط وتونس ووفد عليه ابن الخطيب سفيرا من طرف السلطان محمد بن يوسف الغني بالله يستمده على عدوه الطاغية وانشده بين يديه مستغيثا :

خليفة الله ساعد القدر ... علاك ما لاح في الدجى قمر

والناس طرا بارض اندلس ... لولاك ما اوطنوا ولا عمروا

وقد جاء برسالة السلطان ابن الأحمر التي حملها لسان الدين بن الخطيب قوله : (ونرث من الاعتماد عليه أسنى ذخر يرثه الولد عن آبائه وجدوده مقام محل أبينا رعى الذمم شأنه وصلة الراعي سجية انفرد بها سلطانه...)

كان أمير المؤمنين أبو عنان فارسا وفقيها وشاعرا، وكان ورعا هداه ورعه إلى رفع علم على صومعة القرويين أوقات الصلاة نهارا واشعال فنار مسرج ليلا، وقد استكثر من بناء المدارس والزوايا ومن أشهر مآثره المدنية والدينية المدرسة المتوكلية المعروفة بالبوعنانية بطالعة فاس القديم واخرى بمكناس[1]، وهو صاحب المدرسة (العجيبة) بمدينة سلا[2] ومؤسس زاوية النساك خارج نفس المدينة، وهو باني حصن (القاهرة)[3] بجبل السكسيوى عام 754 هجرية.

وكان أبو عنان أول من دفن من ملوك المرينيين خارج حرمة شالة المرينية، وذلك بدفنه في جامع الجنائز بالجامع الكبير بفاس الجديد[4] معطيا اشارة البدء لمن جاء بعده بتحول الدفن إلى مقابر القلة بفاس ايذانا بانتهاء عصر الجهاد حيث كانت حرمة شالة قد شيدت أصلا في مدة جهاد السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني كمقبرة خاصة لدفن المجاهدين من ملوك وأمراء المرينيين وكان أولهم دفنا بها أمير المسلمين أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق نفسه[5].

---

(1) كتابنا تاريخ شالة 295 – 298

(2) تاريخ المدرسة وتطورها المعماري بكتابنا تاريخ شالة 298 وأشكال 24 – 26.

(3) تاريخ شالة 298 وبحثنا (القاهرة المغربية) بمجلة التربية الوطنية الرباط 1960 تحقيقا لعجز احمد مختار العبادي عن تحديد موقعها كما صرح بكتابه (مشاهدات لسان الدين بن الخطيب). والمؤسف أنه أثبت معلوماتنا بعد اطلاعه عليها (وشرحنا له ذلك مطولا وبصفة شخصية) بالطبعة الجديدة دون الاشارة إلى المصدر الذي صحح منه معلوماته.

(4) كتابنا حفائر شالة 364/362 وأشكال 195/189.

(5) التفاصيل بكتابنا تاريخ شالة 311 آ 312 وحفائر شالة 337 + 368 وأشكال 65 – 67 وكتابنا الفنون الاسلامية ص 102 شكل 26.

(رابعا) ضعف الدولة المرينية

مر بنا ما أصاب الجهاد المقدس بارض الأندلس من نكبة كبرى على اثر هزيمة طريف التي محص الله فيها المسلمين سنة 741 هجرية، وهي ذات الموقعة المشهورة في حوليات النصارى بواقعة (ريو سالادو)، فاذا اضفنا إلى تلك الكارثة ما أصاب اسطول المرينيين في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري، فلهذا وذاك توقفت محاولات المرينيين في استعادة مجد الامبراطورية الموحدية سواء بالمغرب العربي ذاته أو بارض الأندلس، ذلك التوقف الذي صادف في نفس الوقت مدا كبيرا وتفوقا ملحوظا في القوات العسكرية والبحرية للبرتغال والاسبان، بالاضافة إلى الوباء الذي أصاب المغرب وخرب امصاره وأقفر دياره. وقد نقل المحقق العلامة المغربي الأستاذ محمد المنوني عن مقدمة ابن خلدون أن (عمران الأرض قد انتقص بانتقاص البشر فخربت الامصار والمصانع ودرست السبل والمعالم وخلت الديار والمنازل وضعفت الدولة والقبائل وتبدل الساكن...)

بدأ ضعف الدولة المرينية اذن واعتلى عرشها سلسلة من الملوك الصغار استبد بهم الوزراء وتدخل اصحاب غرناطة (ابناء الأمس)[1] في سياسة المغرب الداخلية واستولوا على جبل طارق ومحوا دعوة المرينيين فيما وراء المضيق.

وقد كانت تلك العوامل حافزا لرد فعل مسيحي حاقد استغله نصارى البرتغال باحتلال بعض شواطىء المغرب ونزلوا سبتة سنة 818 هـ (1415 م) وقصر مصمودة (القصر الصغير) سنة 863 هـ (1458 م) ثم طنجة سنة 869 هـ (1463 م) أي في وقت سقوط الدولة[2] في السابع والعشرين من رمضان بعد أن مثلوا دورهم على مسرح التاريخ الاسلامي بالجناح الغربي أكثر من قرنين ونصف من الزمان مخلفين ملاحم من الجهاد العسكري والديني والانبعاث الحضاري المجيد بما حفل به من مآثر معمارية وفنية تذكر بهم إلى اليوم.

---

(1) راجع رسالة ابن الأحمر إلى ابي عنان المذكورة آنفا.

(2) محمد المنوني : ورقات عن الحضارة ص 10-11.

الفصل الثاني

الطراز المغربي الأندلسي بعد عصر الموحدين وانجاز المرينيين الحضاري

أبحاث هذا الفصل :

1 – اتجاهات فنون المغرب والأندلس بعد عصر الموحدين
2 – فن المدجنين باسبانيا بعد سقوط غرناطة
3 – قمة الطراز المغربي الأندلسي وعودته من المهجر
4 – مميزات عصر الدولة المرينية
5 – انجاز المرينيين الحضاري والاحتفاظ بخصائص الطراز المغربي الأندلسي

الفصل الثاني

الطراز المغربي الأندلسي بعد عصر الموحدين وإنجاز المرينيين الحضاري

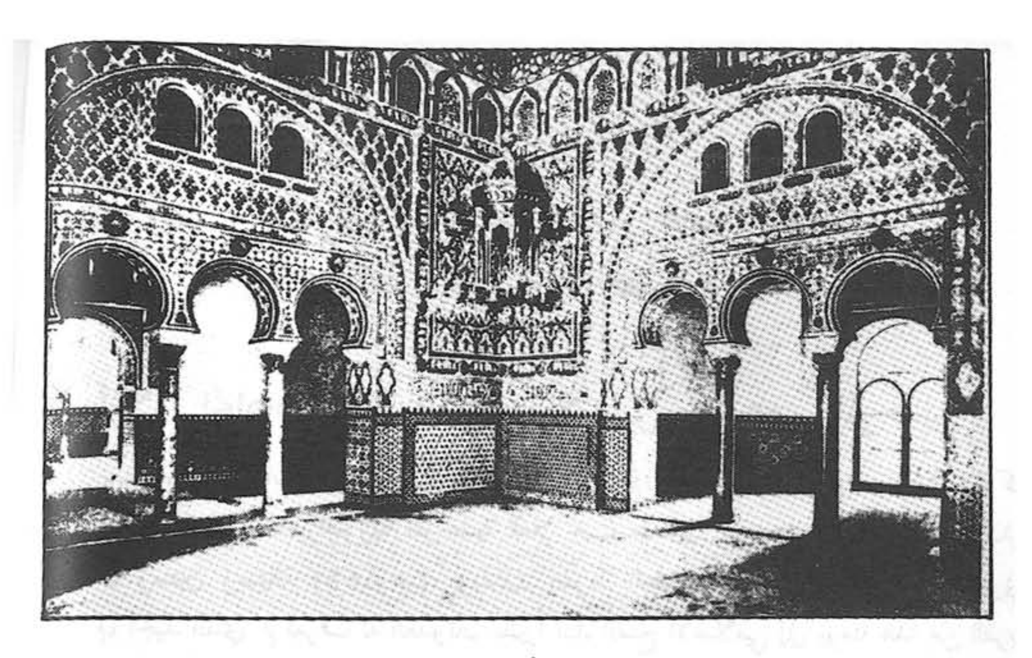
أولا : اتجاهات فنون المغرب والأندلس بعد عصر الموحدين

بعد موقعة العقاب التي جرت بها الأقدار سنة 609 هـ (1209 م) ضعفت شوكة الموحدين ثم سقطت الامبراطورية الموحدية فعلا تحت طعنات بني مرين ودخولهم مراكش سنة ثمان وستين وستمائة (668 هـ)، وبذلك انفرط العقد الفريد في جيد الجناح الغربي للاسلام، الجيد الذي لم تعرف له العدوتان نظيراً منذ الفتح الاسلامي إلى يومنا هذا من القرن الخامس عشر لهجرة الرسول المصطفى عليه الصلاة والسلام.

وإذا كانت سنة الفنون البطء في حركتها وتطورها كما نعلم، غير أن الاتجاهات السياسية لا تخلو من تأثيرات عاجلة أو آجلة على مسيرة الفنون في قطر من الأقطار ولا غرو فالناس على دين ملوكهم.

إن الحفصيين الذين وجدوا بتونس قواعد أصيلة وركائز متينة لفنون افريقية سابقة كحلقة وصل بين عمائر وفنون المشرق والمغرب الاسلاميين قد أخذوا يتجهون مع تيار التحرر عن صيغ الامبراطورية التي سادت العدوتين والمغرب العربي طوال عصر الموحدين، ففي افريقية أصول تاريخية لا سبيل إلى تخطيها أو تجاهلها أو إنكارها رسخت وتوطنت منذ الفتح الاسلامي المبكر على عهد سيدي عقبة بن نافع وأتباعه من كبار القادة الفاتحين والولاة، ثم حضارة افريقية الأغلبية، ومن بعدها حضارة العبيديين وأتباعهم من صنهاجة بني زيري وأبناء عمومتهم بحدودهم الغربية بني حماد. وهكذا سوف تتميز الصيغ الفنية بخصائص متباينة نوعاً عما يميز فنون المرينيين ورثة الطراز المغربي الأندلسي القائمين بأمر المغرب الأقصى بعد الموحدين.

وإذا كان المغرب الأوسط قد عرف انتعاشا في عمائره وفنونه ضمن ازدهار الطراز المغربي الأندلسي ابتداء من عصر المرابطين، غير أن الأوضاع السياسية الجديدة الناشئة عن سقوط دولة الموحدين واستقلال دولة بني عبد الواد ملوك تلمسان عن كيان الامبراطورية الموحدية، خاصة مع عدم صفاء العلاقات من حين إلى حين بين الجارتين المغرب الأوسط



شكل 7

قاعة السفراء بالقصر باشبيلية من طراز المدجنين

والمغرب الأقصى، قد جعل فنون العمارة والصناعات التطبيقية تبطىء الخُطا على الرغم من الازدهار المعماري والفني الذي خلفه المرينيون بتلمسان حاضرة المغرب الأوسط وأم قراه ومركز حضارته وقطب رحاه المتميز باشعاعه المضيء بجذوة العلم والفن والصناعة عبر التراب الجزائري بمدنه وقراه.

وفي تلك الظروف يتمهد الطريق إبان عصر المرينيين لتنسلخ الأندلس بصفة نهائية عن دولة الاسلام وذلك بعد هزيمة طريف سنة 741 هـ ثم بعد سقوط غرناطة سنة 898 هـ، وهكذا تتخذ الفنون بالأندلس صبغة جديدة تمتزج بمؤثرات أخرى غير إسلامية تتمادى في البعد عما كان لها من مميزات فنون الاسلام في العمارة والفن التطبيقي كما يتضح من ملامح فن المدجنين ببر العدوة الأندلسية.

ثانيا : فن المدجنين بالأندلس

المدجنون هم المسلمون الذين ظلوا في خدمة الأندلس بعد زوال سلطان المسلمين وسقوط مملكة غرناطة، فقد استمر هذا الفن أكثر من قرن من الزمان في تقديم خدمات جليلة تحت اسم فن المدجنين، ويعتقد ان اطلاق اسم (المدجنين) جاء من تشبيه المسلمين بالطيور التي طارت من شبه الجزيرة بعد حرب الردة المسيحية، في حين أن فريقا منهم عجز عن مغادرة الجزيرة لأسباب اقتصادية تربطهم بمصالحهم بالأندلس فتدجنوا أي أصبحوا كالطيور الداجنة العاجزة عن الطيران.

نتج عن ذلك ان استطاع هذا الفن احتلال ميدان اتسعت رقعته تدريجيا من القرن الثاني عشر إلى القرن الرابع عشر للميلاد وكانت قد تأصلت جذوره مع جذور الحضارة الاسلامية في شبه الجزيرة إلى درجة يصعب محوها، لهذا استُخدمَ المبدعون حملة ميراث العناصر والأساليب الفنية الاسلامية في البناء والزخرفة في تشييد وزخرفة الكنائس والمؤسسات المسيحية، وسوف تظهر فيما بعد عناصر الكنائس القرطبية ممتزجة بالعناصر المجلوبة من غالة التي قامت هي نفسها على أسس عصر النهضة الايطالية، وعلى الرغم من ذلك احتل الفن الأندلسي الاسلامي الصدارة إلى القرن الثامن عشر للميلاد وأصبح تقليد فن المدجنين شيئاً تلقائيا وأسلوباً راسخاً تأكيداً لنبوغ الفن العربي الاسلامي بالأندلس.

وقد مكنت ظروف نشأة وميلاد أعمال المدجنين وعقليتهم وشخصيتهم الشعبية المتميزة والموروثة، ومكان وزمان الانتاج، واستخدام العناصر والمواد الاسلامية والمسيحية الممتزجة بها، تحديد شخصية وسمات الطراز الخاص بهم في العمارة والفن.

وتجدر الاشارة إلى أن فن المدجنين الشعبي ظهر أولاً بقشتالة بعد احتلال طليطلة بقليل سنة 478 هـ (1085 م) حيث عرفت هذه المدينة القديمة بزوغ مجموعة من الكنائس ظُنَّ أنها عربية لوقت طويل حسبما تدل مؤثراتها، كما تبدو في نفس الوقت كمبان مسيحية أنشئت في عصر السيادة الاسلامية ومن أدلة ذلك كنيسة سان رومان (EGLISE SAN ROMAN) بأقواسها المتجاوزة (OUTREPASSES) وزخارفها النباتية ذات الصبغة العربية المعروفة بالأرابسك ومباني طليطلة المزودة بقاعات الصلاة ذات الزخارف الخارجية بالآجر والأجراس التي اعتلت الصوامع.

وكانت أساليب المدجنين تختلط وتندمج بالفن المعماري البيزنطي الذي بقيت آثاره ببعض الجهات الأندلسية إلى وقت متأخر، وأحيانا كانت المباني الممتزجة بالأساليب الرومانية العربية تعكس زيادة الأساليب العربية المستخدمة أكثر من المسيحية.

وظهرت بجانب تلك الأعمال الفنية الشعبية والاقليمية أعمال أخرى قام بانجازها فنانون مسلمون استقدموا إلى الأندلس بواسطة الحكام الجدد ومن أقدم تلك الأعمال الفنية المعبد اليهودي (La Synagogue) الذي أسس حوالي (1200 م) بطليطلة وأصبح فيما بعد كاتدرائية (EGLISE SAINTE-MARIE-LA BLANCHE) ففي هذا المعبد يظهر تأثير فن المدجنين بوضوح في عقود على شكل حدوة الفرس وتيجان تظهر عليها أوراق الأكانتس التي تذكرنا بصراحة بفن الموحدين.

وفي المسجد الجامع الأموي في قرطبة الذي تحول إلى كنيسة كاثوليكية جاء الفونس الملقب بالعاقل فبنى (1252-1284 م) المعبد الملكي (LA CHAPELLE ROYALE) وقد ادخلت عليه اصلاحات عام (1371 م) من طرف هنري الثاني (HENRY II)، تذكر فكرة القبو القائم على الضلوع (Voûte sur Nervures) المزدانة بالدلايات (STALACTITES) والزخارف النباتية بفن غرناطة المعاصر.

وكان أشهر هذه المباني الملكية قصر اشبيلية (ALCAZAR de SEVILLE) (شكل 7) المشيد حوالي (1354 م) من طرف بيير القاسي (Pierre le Cruel) والمحتمل قيامه في محل قصر اسلامي سابق يرجع إلى القرنين الحادي عشر والثاني عشر للميلاد، ورغم التغيرات التي عرفها في القرنين السابع عشر والتاسع عشر للميلاد، ينم هذا القصر الأندلسي بساحته وغرفه الباهية في زخرفتها وحدائقها الجميلة على تدخل فناني غرناطة ويشهد بحق على بقاء ذوق الفن الاسلامي لدى ملوك المسيحيين.

وقد بنى صمويل هالفي (Samuel Halévi) الوزير اليهودي للمالية في عهد بيير القاسي معبدا جديدا (Synagogue) بطليطلة سنة (1357 م) تحت اسم الترانسيتو (EL TRANSITO) وهو عبارة عن قاعة بسيطة مستطيلة الشكل مغطاة بسقف خشبي منقوش بروعة زينت جدرانه بحشوات وافاريز ذات زخارف نباتية منقوشة.

ويرجع قصر (La Casa de Mesa) بطليطلة والمبنى الملكي في برغش (BURGOS) الى سلسلة مآثر المدجنين التي عرفت الأندلس المسلمة نماذجها في القرنين الثالث عشر والرابع عشر للميلاد، ويصرح لامبير بأن فن المدجنين كان يجمع في نهاية القرن الرابع عشر ومدة طويلة من القرن الخامس عشر للميلاد بين الفن القوطي والفن المغربي (Mauresque)[1].

---

(1) G. Marçais : L'art de L'Islam, Paris 1946, ch. III, P. 178-180

وقد رأت الفترة التي تلت هنري الثاني (Henri de Transtamare)، وهي فترة مضطربة ومؤلمة بالنسبة للأندلس، إبداعا ذا صبغة عسكرية باصلاح الأسوار وبناء أبواب المدن والقصور المحصنة.

وفي طليطلة نجد باب الشمس (Puerta del Sol) الجميل بأقواسه المرسومة على شكل حدوة الفرس (Fer à Cheval) وحجارة الدبش (Moellons) وقراميد الآجر التي توحي بتقاليد المدينة العريقة. وفي برغش باب سان استبان (San Esteban) والبقايا الفخمة لقصر (Coca) حيث الكتلة الحمراوية اللون التي تتقدمها الأبراج.

أما الزخرفة الداخلية لمساكن الملوك بطليطلة وغيرها فهي مزيج من الرسوم المقتبسة من القوطيين مع عناصر الأرابسك الأندلسية.

وأخيرا عرف فن المدجنين خلال القرن السادس عشر تغيراً آخر باختلاطه مع الأساليب المجلوبة من ايطاليا وكان لنهضة ايطاليا المنقولة إلى الأندلس نصيبها في التقاليد الفنية المغربية (Mauresque) الباقية في الأندلس.

ثالثا : قمة الطراز المغربي الأندلسي

لقد تربع الطراز المغربي الأندلسي على قمة الفنون المعمارية والزخرفية بالعدوتين المغرب والأندلس أيام الموحدين إلى أن أصابته مصيبة التمزق بانهيار امبراطورية الغرب الاسلامي، ففي اعقاب سقوط دولة الموحدين انكمش الفن الاسلامي بالمغرب الأوسط من تلمسان على عصر بني عبد الواد وتراجع في افريقية إلى حدود تونس أيام الحفصيين، بينما ظل وفاء المرينيين ثابتا عمارة وزخرفة لفنون الطراز المغربي الأندلسي الذي فرضوه تعرضت من خلال وصايتهم السياسية على ملوك بني نصر بغرناطة فأتاحوا بذلك حياة وانتعاش ذلك الطراز بالعدوة الأندلسية إلى أواخر القرن التاسع الهجري وبالعدوة المغربية الى وقتنا الحاضر.

وعلى الرغم مما تعرضت له الفنون المغربية على عصر بني مرين من مناورات ومؤامرات استعمارية تمثلها كتابات العسكريين أمثال الجنرال بريموند[1] وجواسيسهم المتنقلين أمثال (دوتيه) الذي صرح بأن شالة (المرينية) تبرز في هذا الموقع كرمز لعقم وتلف الاسلام... حيث تبدو على الفن الاسلامي الذي تمثله علامات الهرم[2]... فان كتابات المنصفين أمثال العملاقين في دراسة الفنون المغربية هنري باسيه وليفي بروفنسال تؤكد على أن الفن المغربي قد وصل إلى غاية التطوير والنضج الفني فيما بقي من آثار شالة المعمارية والفنية[3].

على أن الواقع الملموس بالدليل المادي يؤكد أن دولة المرينيين ما زالت تتمتع بمكانة خاصة في تاريخ الحضارة المغربية العام، ذلك أن المؤسسات الاجتماعية ومختلف مظاهر الحياة الحضرية منذ أن تم صوغ اشكالها على عصر الدولة المرينية قد طبعت المغرب بطابع خاص لا زالت آثاره ماثلة إلى اليوم مع تغييرات طفيفة في هيئته اقتضتها سنة التطور الطبيعي لدى المجتمعات الحية. ذلك أن مميزات العصر المريني تتمثل في انتشار الرفاهية في كل ما يتعلق بالمسكن والملبس ومختلف مظاهر النشاط العمراني والفني. ولا غرو فقد أصبح المغرب الحضري منذ عصر بني مرين يمثل العظمة والأبهة في علومه وأدبه وموسيقاه ومبانيه حتى صار ذلك مثلا على لسان الناس (من بعد بني مرين وطاس ما بقى ناس)[4].

---

(1) G. BREMOND : BERBERS ET ARABES 1950. P. 215-272

(2) E. DOUTTE : Mission ou Maroc, paris 1914 P. 401-403
أوردناه بدراستنا المنشورة بكتاب متنوعات محمد الفاسي نشر كلية الآداب بالرباط.

(3) chella una necropole Mérinite Hesp. 1922 1e et 2e Trim.

(4) الأستاذ الرئيس محمد الفاسي : محاضرات بكلية الآداب بالرباط 1961 م وهو مرجع شامل في الحضارة.

يقول ابن أبي زرع مؤرخ دولة بني مرين (... وقد تأنق الناس في ملبسهم ومساكنهم وأوثقوا البنيان بالزليج ...)[1]، وأكد ابن خلدون وابن أبي زرع أن عصر ابى الربيع المريني قد شهد تهافت الناس على اقامة القصور الفخمة بالحجارة والمرمر والزليج والنقوش والمضاربة وأصبح ثمن الدار بفاس ألف دينار ذهبية[2].

نشر صديقنا الأستاذ محمد المنوني المحقق الصبور عدة دراسات تاريخية ضمها أخيراً كتاب جامع نشرته كلية الآداب بالرباط تحت عنوان ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين تناول فيه نظم الدولة المرينية بما فيها النظام الاداري والنظام العسكري والنظام الاقتصادي ثم عاد فأفرد كتابات متقنة لمظاهر الاستقرار وتناول أهم مميزات الدولة وانجازاتها من حيث تحقيق لغة موحدة وتشريع موحد ودفاع موحد وقومية موحدة كما لم يغفل مميزات الدولة في مجالات الصناعة[3] وابداع التحف[4] ثم الثقافة[5] بمفهومها الواسع، وكنت قد أبنت بكتابي تاريخ شالة الاسلامية عن دور الدولة المرينية في مجال التعريب بعد أن كان مغرب المرابطين والموحدين يستخدم اللغة البربرية في درائر المخزن (الحكومة).

---

(1) كتابنا تاريخ شالة فصل 8.
(2) عبد العزيز بن عبد الله : مظاهر الحضارة المغربية 59/2.
(3) محمد المنوني : ورقات ص 110.
(4) نفس المصدر ص 171.
(5) نفس المصدر ص 193.

رابعا : مميزات عصر الدولة المرينية

ولا بأس الآن قبل استعراض أهم معالم انجاز المرينيين الحضاري من التعرف على ابرز المميزات العامة لدولة بني مرين الوريثة الشرعية لامبراطورية الموحدين.

كانت مميزات العصر المريني موضوع محاضرات تخصصية من قبل الأستاذ الرئيس محمد الفاسي وزير التعليم المغربي بجامعة محمد الخامس منذ ما يقرب من ثلاثين عاما، ومنذ سنوات يخص الاستاذ محمد المنوني المحقق الصبور مميزات العصر المريني بمساحة واضحة من كتابه ورقات عن الحضارة المغربية تساعد على تفهم دور المرينيين الحضاري.

وقد مر بنا في المدخل التاريخي التعرف على عدد وافر من عظماء ملوك بني مرين الذين انعشوا المغرب الأقصى وانقذوه من الفوضى التي عمت أطراف الامبراطورية الموحدية عندما مالت شمسها إلى المغيب، ولا غرو فقد استطاعت تلك الوفرة من عظماء ملوك المرينيين ابتداء من عصر المؤسس الحقيقي أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق إلى أواخر أيام أمير المؤمنين أبي عنان فارس بن أمير المسلمين أبي الحسن على، استطاعت توحيد عدد كبير من مظاهر الحياة والنشاطات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية بالمغرب الأقصى بدأ من اللغة العربية فوحدة التشريع وانقاذ عوامل الوحدة القومية خاصة بعد أن نُكِبَ المسلمون باحراق جنكيز خان 617 هـ (1218 م) ما لا يأتي عليه الحصر من خزائن الكتب في بخارى ونيسابور وغيرها من مدائن العلم في فارس، ونسف هولاكو لمدينة بغداد 656 هـ (1258 م) وطرح نفائس المصنفات في دجلة لتصبح معابر وجسور للرجالة والفرسان، ثم احراق ابن هولاكو سنة 671 هـ (1272 م) مدرسة مسعود بك في بخارى وقد كانت أوسع دور العلم في ذلك العصر... كما أحرق الاسبان كتب العلم في كل مدينة أندلسية استولوا عليها من أيدي المسلمين، وصحبت تلك الكوارث مأساة تشريد علماء الأندلس في بقاع الأرض، في حين أباد التتار بقية العلماء في المشرق فتأكدت بذلك محنة الثقافة في العالم الاسلامي شرقا وغربا وقت نشأة الدولة المرينية[1].

---

(1) نفس المصدر ص 193/192.

لهذا لا نعجب اذا رأينا المرينيين يبادرون (بعد تحقيق الامن واستقرار الأوضاع ووضع القدم الصحيحة على طريق برنامج الدفاع عن الأندلس... إلى الاتجاه نحو مشروعهم الكبير بتشجيع العلم واقامة معاهده[1] في كل مدينة وصقع).

ويتضح من جهة أخرى أن عناية المرينيين بتأسيس دور العلم وايواء الطلبة ورعايتهم بحياة كاملة في مؤسسات اجتماعية حول أهم الجوامع المغربية كانت بقصد بعث الحضارة الاسلامية بعد الاعصار الصليبي الذي هب على دول الاسلام بالمشرق، وكارثة التتار هناك وقت تهاوى مراكز الحضارة الاسلامية بالأندلس تحت وطأة خلاف امراء المسلمين وتكالب النصارى وقسوة حرب الردة ضد حضارة الاسلام[2]. لقد كان للمرينيين الفضل الأكبر في تأخير كارثة الأندلس نحو قرنين من الزمان بجهادهم العسكري والسياسي والحضاري لنصرة المسلمين فيما وراء المضيق.

في نفس الوقت أولى المرينيون اهتماما كبيرا بالنظام الاداري والعسكري والاقتصادي، وما يتعلق بفنون الصناعات، وصيانة المباني، وإحداث أخرى جديدة، مما كان له الأثر الواضح على مسيرة الحضارة المعمارية والفنية وطبعها بالميسم الذي التزم به المغرب إلى حد كبير إلى يومنا هذا.

وكان النظام الاداري لبني مرين يرتبط بفنون العمارة حيث كان عظماء ملوك بني مرين يباشرون تسيير القضايا في مجالس أُعدت عمارتها لمناسبة الحال (فقد كان مجلس الفصل ينعقد في قبة عظمى بمشور القصر الملكي بفاس الجديد لنظر القضايا المهمة) وكان مجلس الخاصة وأهل الشورى يعقد في قبة أخرى خاصة لاجتماع الملك ورجال الدولة للمشاورة، وكان (مجلس العرض وهو ببرج الذهب الواقع ببستان المسرة خارج فاس الجديد) هو مجلس السلطان يومي الاثنين والخميس لعرض الجيوش واستقبال وفود الملوك، وقد أسس ابو الحسن المريني (قبة العدل) بكل من سبتة وتلمسان لسماع الشكايات عند حلوله بالمدينتين[3].

وكان للنظام العسكري علاقة وثيقة بفنون العمارة فقد عرف نظامهم العسكري سلطات عليا ثانوية تتمثل في (منصب صاحب السقيفة) الذي ذكره صاحب الجذوة والسلاوي، كما جاء في معيار الاختيار اسم (سقائف الترس والنصل) الأمر الذي يفسر مهمة تلك العمائر ومسيريها بصفتها مخازن لأسلحة الدولة يكون رئيسها هو صاحب السقيفة[4].

---

(1) نفس المصدر ص 7.
(2) نفس المصدر ص 12.
(3) نفس المصدر ص 61/60
(4) نفس المصدر ص 62 والمصادر المشار اليها.

كما اقتضى نظام المرينيين العسكري للبحرية الجهادية بناء دار صناعة السفن وباب المريسة منذ عصر يعقوب بن عبد الحق قبلي مدينة سلا على يد المهندس الأندلسي محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن الحاج الاشبيلي وهي نفس دار الصناعة التي حظيت بعناية أبي سعيد عثمان الأول الذي استكثر من انشاء الاجفان الغزوية بتلك المصانع، كما بنى ابنه ابو الحسن داراً أخرى لصناعة السفن بجبل الفتح[1]، وكانت تبنى بسبتة بدار صناعتها التي تسمى بدار الانشاء[2] سفن جهادية.

وبعد نكبة اسطول المسلمين في القيروان أيام ابي الحسن استكثر خليفته أمير المؤمنين ابو عنان (من انشاء الأجفان بجميع السواحل) واستكثر من عِدَد البحر ولا شك أن الحركة الانشائية لتعويض الاساطيل المفقودة استلزم بناء وتشييد عدد كبير من مصانع بناء السفن بعدة موانىء مغربية، وهكذا نشط قطاع العمارة ونعنى به قطاع العمارة الحربية.

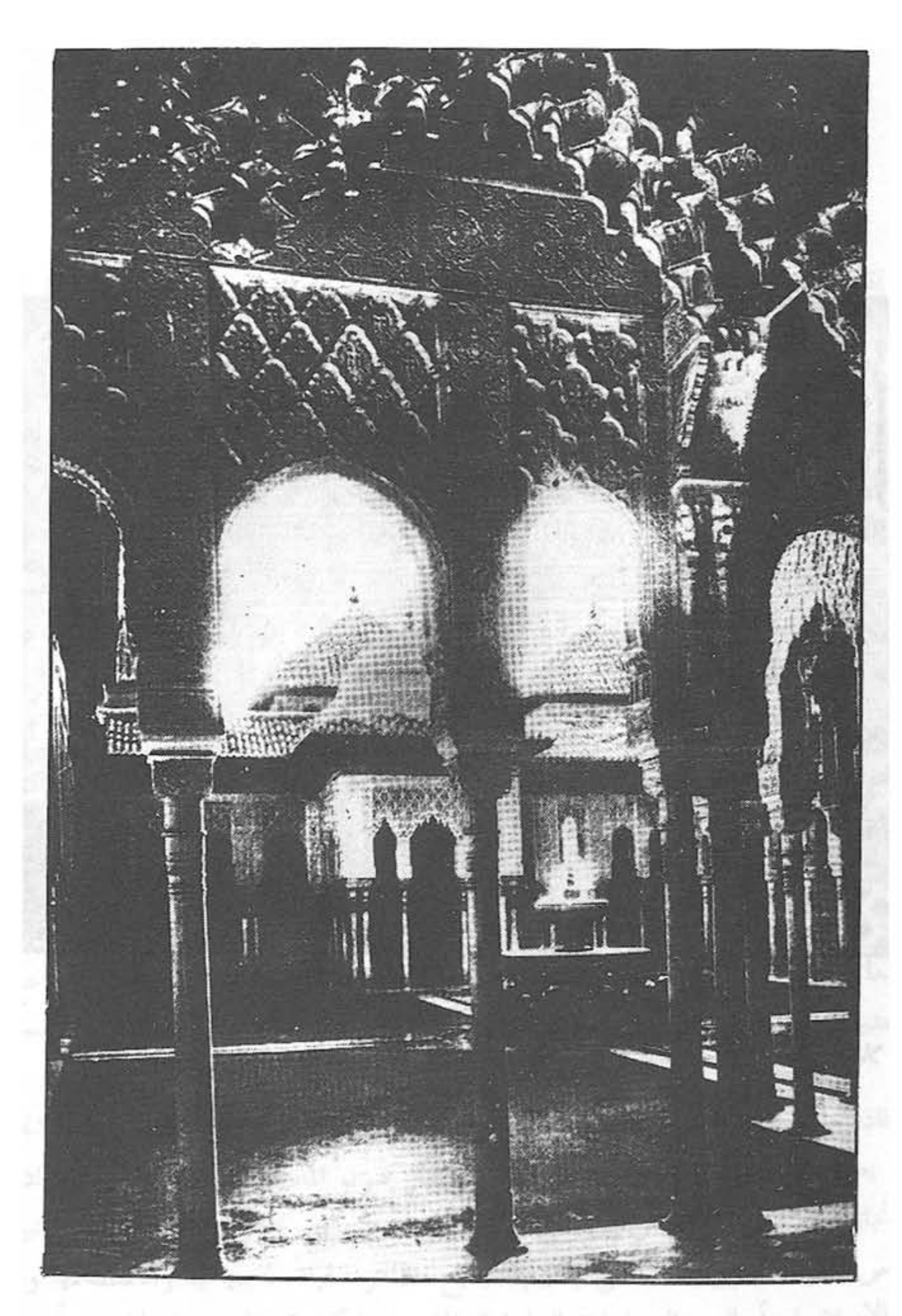
وبسبب عناية بني مرين بالنظام الاقتصادي وتنظيم ميزانية الدولة إلى موارد عامة وتنظيم ميزانية الأوقاف الاسلامية نشأ تنظيم خاص للنقود والاوزان والمكاييل والمقاييس فكانت تضرب العملة المرينية بعدد من المدن المغربية بدور خصصت لضرب السكة بفاس وسجلماسة ومراكش ومنصورة تلمسان وأزمور ومكناس حيث ظهر أثر ذلك التعدد الكبير في شكل النقود المرينية وأساليب وأشكال صنعها[3].

وقد استفادت الصناعة من توجيهات المرينيين في العمارة والفن فكان شكل البنايات يخضع لتصميم يرسم سلفا، وكان لكل حرفة من الصناع والتجار رؤساء يعرفون بالأمناء، وهكذا نجح المرينيون في مقاومة الغش في الصناعة خاصة إذا علمنا أنه كان بمدينة سبتة دار للأشراف على البناء والتجارة ولا يستبعد وجود مثيلات لها بكبريات المدن الأخرى[4].

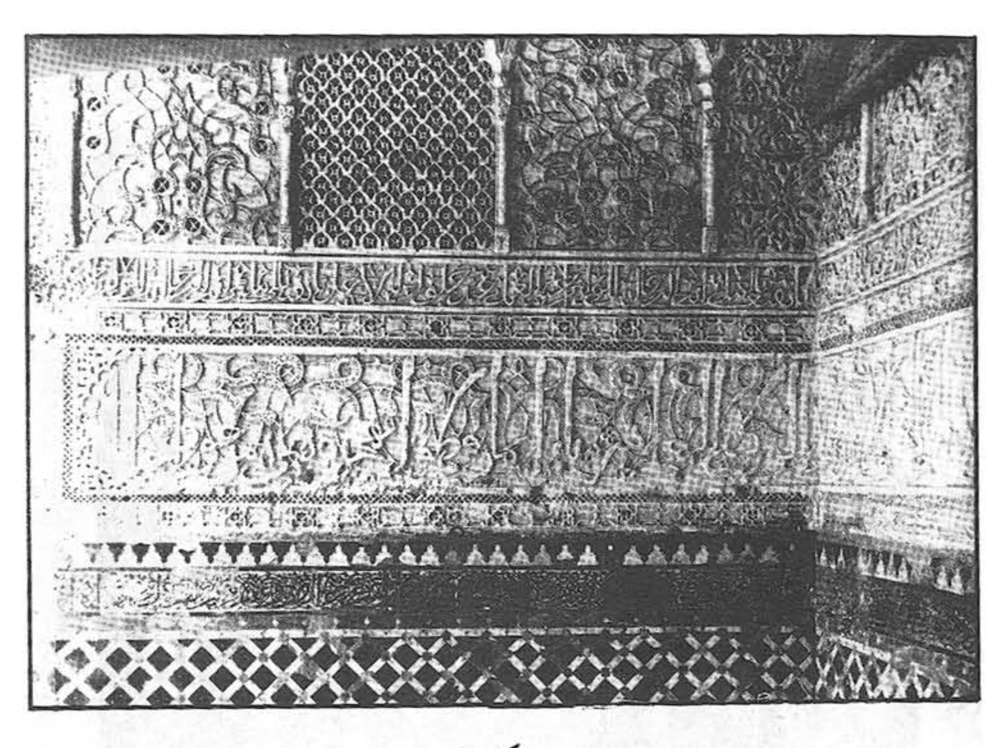
ولرغبة بني مرين في الاكثار من انشاء المدن وتعميرها انشأوا وظيفة مخصصة لذلك تعرف بنظارة المباني يتولى صاحبها الاشراف على مباني الدولة واخراج الأموال للانفاق عليها، وكان أبو سعيد عثمان الأول هو الذي أضاف تلك الخطة في سبتة لوالي جبايتها أبي القاسم ابن أبي مدين كما أسند أبو العباس احمد بن ابي سالم تلك الوظيفة بصفة مستقلة إلى المهندس الطبيب ابى عبد الله الحياني بمدينة سبتة[5].

---

(1) محمد المنوني : ورقات ض 77/76 والمصادر المشار اليها ص 84.
(2) نفس المصدر ص 78.
(3) محمد المنوني : ورقا ص 99/97 والمصادر التي أشار اليها ص 123.
(4) نفس المصدر ص 111/110 والمصادر الواردة ص 125.
(5) نفس المصدر ص 66 والمصادر الواردة ص 85.



شكل 8
انجاز بني الأحمر بالحفاظ على خصائص الطراز المغربي الأندلسي بقصر الحمراء بغرناطة



شكل 9
احتفاظ المرينيين بمميزات الطراز المغربي الأندلسي كما نراه بمدرسة أبي الحسن بسلا

خامسا : انجاز المرينيين الحضاري واحتفاظهم بخصائص الطراز المغربي الأندلسي

لقد تحقق إنجاز حضاري كبير عندما وفق عظماء ملوك المرينيين في الاحتفاظ لفنون الاسلام بخصائص ومميزات الطراز المغربي الأندلسي حية ونشطة في كل مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية إلى اليوم بحيث أصبحت معيناً لا ينضب لفنون العمارة والصناعات التطبيقية التقليدية يعايش أساليب الصناعة والبناء الحديثة ويمتزج بها في توافق لا يعرف التنافر بعد أن تخطى الزمن فنون العمارة والصناعات بعدد من بقاع الاسلام منذ قرون خلت.

إن فنون افريقية الأغلبية الأصيلة، وبقايا نتف فنون الرستميين في تاهرت وسدراتة من بعدها، ثم فنون الحفصيين وبني عبد الواد بالمغربين الأدنى والأوسط، قد خضعت لسيطرة الأساليب التركية بينما انفصلت بسقوط غرناطة مدرسة الفن الاسلامي الأندلسية التي عرفت مشاركة المغرب الأقصى خصائص ومميزات الطراز المغربي الأندلسي طوال عصور المرابطين والموحدين وبني مرين معاصرى بني الأحمر وحلت ببر العدوة فنون مدرسة المدجنين الى أن ورثتها فنون أوربية محلية جديدة حملت معها من حين إلى حين ملامح تشير فقط إلى ذكريات فنون الاسلام بشبه الجزيرة الايبيرية.

إن حدود المغرب الأقصى الشرقية وحدها ودون غيرها لم تسمح بمرور أية سيطرة عسكرية تركية أو نفوذ سياسي عثماني في العصر الحديث منذ وقفت حدود المغرب الأقصى سداً منيعا وحاجزا صلباً أمام تدفق النفوذ التركي غرباً حاملاً معه تأثيرات اقتصادية واجتماعية وفنية جديدة صبغت عمائر وفنون المغربين الأدنى والأوسط بطابع عثماني لازال واضحا إلى اليوم.

فاذا ما تذكرنا ذلك وأضفنا اليه مصير الطراز المغربي الأندلسي بأرض شبه الجزيرة الايبيرية بعد سقوط بني الأحمر (شكل 8) وانتشار فنون المدجنين وتطورها هناك، ادركنا قيمة الانجاز الحضاري لدولة المرينيين التي انفردت وحدها بالقدرة على الاحتفاظ بجميع مميزات وخصائص الطراز المغربي الأندلسي وتثبيتها بجميع مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية وفنون العمارة الاسلامية وأساليب الصناعات التطبيقية بالمغرب (شكل 9) إلى يومنا هذا مروراً بدولتي الأشراف السعديين ثم العلويين مع مراعاة مقتضيات التطور والاستفادة باستخدام الالة الحديثة في انتاج نفس الأساليب المزدهرة والموروثة والأصيلة.

الفصل الثالث

العمارة الحربية

الأسوار والأبراج وأبواب المدن المحصنة

1 – أسوار شالة المرينية
2 – أبراج وأبواب شالة المرينية
3 – أسوار منصورة تلمسان
4 – أسوار مدينة سلا
5 – أسوار فاس الجديد
6 – أبراج وأبواب فاس الجديد
7 – العمارة الحربية ببرج الذهب ومعسكرات الجيش
8 – الأساطيل الجهادية والعمارة الحربية.

الفصل الثالث

العمارة الحربية

الأسوار والأبراج وأبواب المدن المحصنة

1 – أسوار شالة المرينية[1]

أوضحت على طول كتابي تاريخ شالة الاسلامية أن موقع المدينة التي درسها العالمان هنري باسيه وليفي بروفنسال باعتبارها (روضة مرينية)، قد استمد على طول تاريخه منذ ما قبل الاسلام، اهتمامات تتعلق بالاستراتيجية العسكرية والموارد الطبيعية والمميزات الطبغرافية، مما جعل مدينة شالة ذات وزن خاص في التاريخ السياسي والاداري والحربي طوال تاريخ الاسلام كمركز اداري أيام الأدارسة، ثم قاعدة للملك والسلطان أيام بني يفرن عندما غزت شالة فاس في عصر الأمير أبي الكمال تميم أمير شالة وصاحب مملكتها في فترة العصر الزناتي، ثم رباط للمجاهدين ضد برغواطة أيام المرابطين[2].

فلما أقبل المرينيون واختار أبو يوسف يعقوب موقع مدينة شالة كمكان مخصص لدفن المجاهدين من ملوك وأمراء بني مرين، كان ذلك اشارة إلى أمير المسلمين أبي الحسن الذي أدار حولها سنة 739 هـ أسواراً ذات أبراج وأبواباً محصنة تذكر بفكرة الجهاد صممت لأغراض دفاعية تتخطى مهمة الأسوار المنتصبة عادة حول الأضرحة والقباب الجنائزية[3].

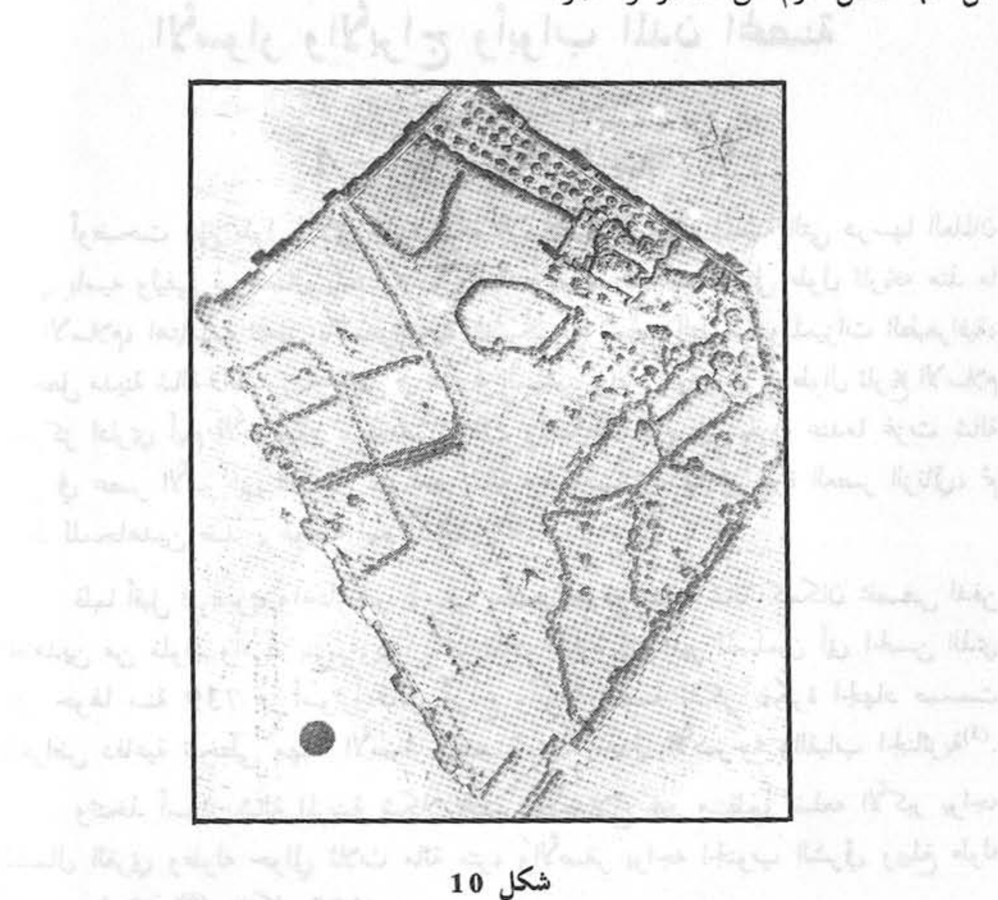
وتتخذ أسوار شالة المرينية شكلا مخمس الأضلاع غير منتظم، ضلعه الأكبر يواجه الشمال الغربي وطوله حوالي ثلاث مائة متر، والأصغر يواجه الجنوب الشرقي ويبلغ طوله ثمانين مترا تقريبا[4] (شكل 109).

ويبلغ ارتفاع السور ما بين ستة وسبعة أمتار في الارتفاع بما في ذلك الشرفات، ويسمح سمك السور البالغ مترا وستين سنتيمتراً بوجود ممر عرضه متر واحد وعشرة سنتيمترات. ويبدو

---

(1) تقع أسوار شالة الأثرية مقابلة لباب زعير أحد أبواب رباط الفتح عاصمة المغرب الحالية لا تبعد عنه باكثر من مائتي متر.
(2) كتابنا تاريخ شالة الاسلامية لمن أراد الوقوف على ذلك مفصلا.
(3) كتابنا حفائر شالة الاسلامية الفصل الأول لمعرفة هيئة شالة وأسوارها وأبوابها الحالية المزودة بتخطيطات دفاعية.
(4) شالة روضة مرينية : مجلة الهسبرس 1922 فصلة 1 و2 ص 46.

لمن يلقي نظرة على أسوار شالة من بعيد، أن سطوحها ونهاياتها العليا لا تتخد مستوى واحدا في الارتفاع، ذلك لأن مستوى سطوحها العليا يختلف باختلاف الأرض المبني عليها السور، فالسور نفسه يحيط بجزء من هضبة ترتفع من ناحية المدخل الكبير وتنخفض في المنحدر، وناحية الوادي. وعلي طول الممر العلوي ستارة مكونة من شرفات من الآجر يجلس فوق كل منها شكل هرم من الآجر والحجر.



شكل 10

منظر عام بالطائرة لمواقع وأسوار ومداخل شالة المرينية

2 – أبراج وأبواب شالة المرينية

الأبـــــراج :

ويتخلل أسوار شالة اثنان وعشرون برجا موزعة على النحو التالي : المدخل الكبير يحيط به برجان يصنعان له ذلك البروز الظاهر خارج الأسوار، ثم خمسة أبراج موزعة على أركان المخمس بحيث يدعم كل ركن برج من الأبراج. ثم في الحائط الجنوبي الغربي أربعة أبراج (بخلاف برجي المدخل) بين كل برجين مسافة 32.5 م. ويتوسط الحائط الذي يكون القسم الأول من السور الجنوبي الشرقي برج واحد ثم في القسم الثاني من السور الجنوبي الشرقي الذي يقع فيه باب البساتين برجان آخران بين باب البساتين وبين نهاية السور الجنوبي من ناحية الشمال. ثم في الحائط الشمالي الشرقي برجان أحدهما بين باب عين الجنة وبين برج الركن الشمالي، والآخر بين نفس الباب وبرج الركن الشرقي للمخمس. وأخيرا فهناك الحائط الشمالي الغربي (المواجه لسور الرباط الموحدي) وبه ستة أبراج متتالية. وكل هذه الأبراج (مثل الحوائط) مبنية بالتابية ملتصقة بالأسوار. ويبلغ طول البرج خمسة أمتار ويبلغ بروزه عن السور ثلاثة أمتار ونصف مع بعض التفاوت في النسب والمقاييس.[1]

الأبــــواب :

الباب الغربي الكبير أو المدخل البارز :

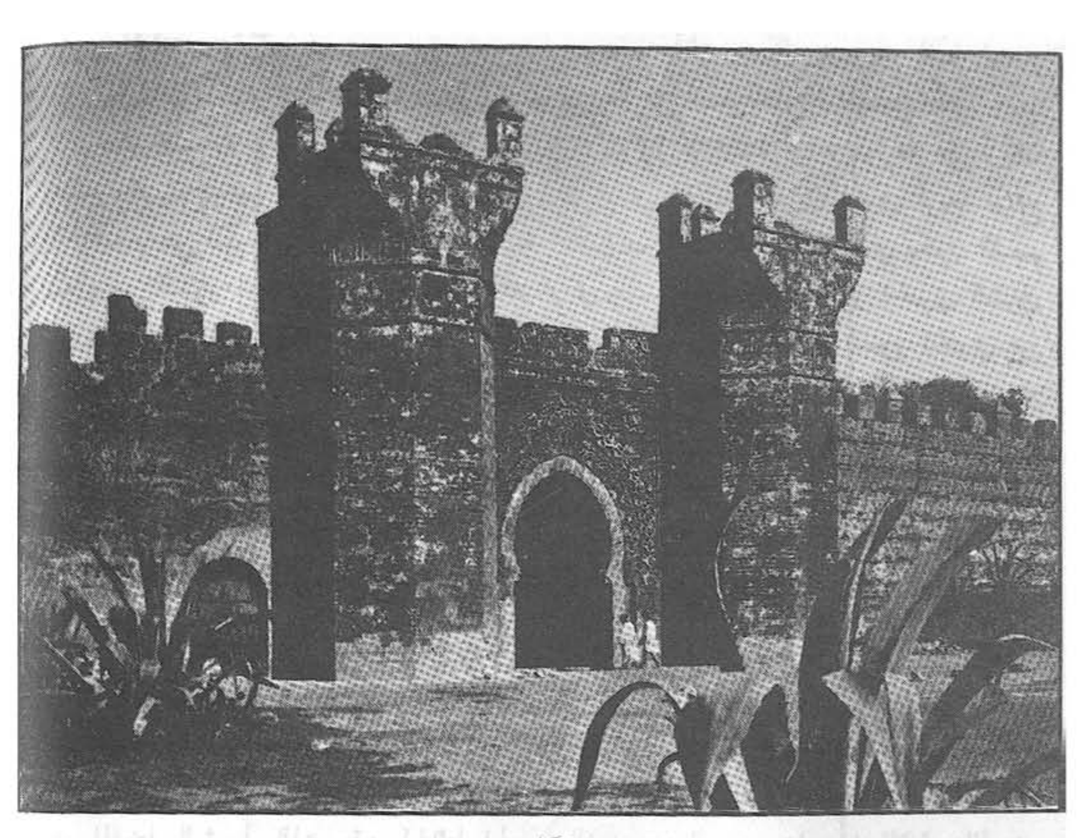
إن باب شالة الغربي العجيب الشأن يشبه في عظم هيكله بأبواب المدن الكبرى كأبواب مدينة المرية من مدن الأندلس لاسيما باب الشمس منها، فإنه كهذا في الهيئة والعظم والاتقان. وهو المدخل الرئيسي الذي يقع بالحائط الجنوبي الغربي من السور وعلى بعد ثلاث مائة متر من باب زعير أحد أبواب الرباط. ويحيط بالمدخل برجان يصنعان بروزا عن مستوى حائط السور ويكسبانه شكلا أثريا أصيلا (شكل 11). فقد كسيت واجهته من الداخل (شكل 12) والخارج بالحجارة المنحوتة التي ثبتت إلى جوار بعضها بطيقة رقيقة من الموطوب[2] النقي. وقد رتبت الحجارة في جزئه العلوي بالتناوب طولا وعرضا الأمر الذي نلاحظه في آثار مدينة الرباط من عصر الموحدين حتى القرن الحادي عشر الهجري[3].

---

(1) انظر تاريخ شالة الاسلامية أشكال 7 و8.

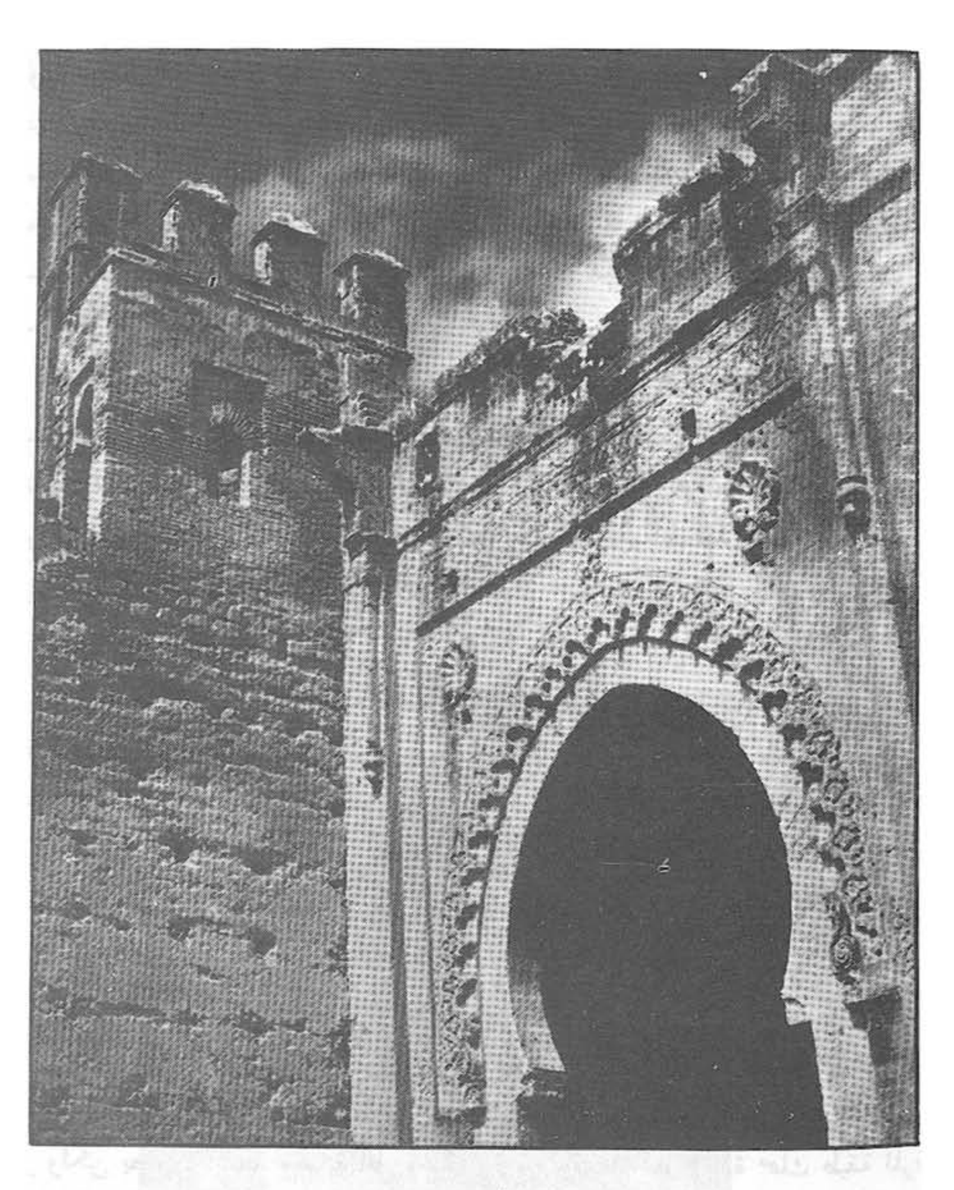
(2) المونة بلغة المشارقة وهو الملاط.

(3) شالة روضة مرينية : ابتداء من ص 53.



شكل 11

مدخل شالة الغربي الكبير المقابل لباب زعير برباط الفتح



شكل 12

مدخل شالة الغربي الكبير، الواجهة الداخلية

والمدخل الكبير مدخل ملوي (Bent entrance)[1] وهو تخطيط دفاعي حربي له واجهة خارجية وأخرى من جهة الداخل (شكل 13). وفتحة الباب في كل من الواجهتين تتكون من عقد متجاوز منكسر صنجة اشعاعية، مع اختلاف ارتفاع مفتاح العقد عن الأرض في كل من الواجهتين. وعندما ندخل في فتحة الباب الخارجية نصل إلى مساحة خلفية يغطيها قبو متقاطع، وتوصل هذه المساحة المسقوفة من ناحية اليمين (اتجاه الجنوب الشرقي) إلى فتحة الباب الداخلية المؤدية إلى داخل الأسوار، كما نجد بالركن الغربي منها (أي إلى يسار الداخل) بابا صغيرا يؤدي إلى سلم يمكن الصعود منه إلى الطبقة الثانية فوق الباب الكبير حيث صممت فتحات خاصة لصب السوائل على المهاجمين عند تخطيهم المدخل.

لقد قصت جوانب كل برج بحيث تبدو من الخارج كأنها مثمنة الاضلاع بينما هي في السطح العلوي مربعة الشكل وهو وضع يخدم الغرض الدفاعي. أما بالنسبة للأبراج ذات الجوانب المقصوصة فان شالة لم تشذ بها عن المنطقة ذاتها ففي الرباط أمثلة سابقة على شالة ونشير على سبيل المثال إلى باب الأحد من أبواب الموحدين بالرباط فقد شطفت جوانبه وتحول البرج المربع في الأصل إلى مثمن.

باب عين الجنة :

ويفتح هذا الباب في الواجهة الشمالية الشرقية للسور، وهو مدخل ملوي كذلك أي أنه يخدم الفكرة الدفاعية ولكنه على عكس المداخل الملوية المعروفة عادة بالتوائها داخل الباب والأسوار كما شاهدنا في المدخل الكبير، فهو عبارة عن فتحة في الحائط يتصل بها من خارج الأسوار كتلة من البناء على شكل زاوية تحدث ذلك الالتواء (شكل 14). وعقد الباب متجاوز خفيف الانكسار مبني بالآجر بينما بني الحائط الملوي الخارج على الباب بالدقشوم وبعض الحجارة الرومانية القديمة المعاد استخدامها.

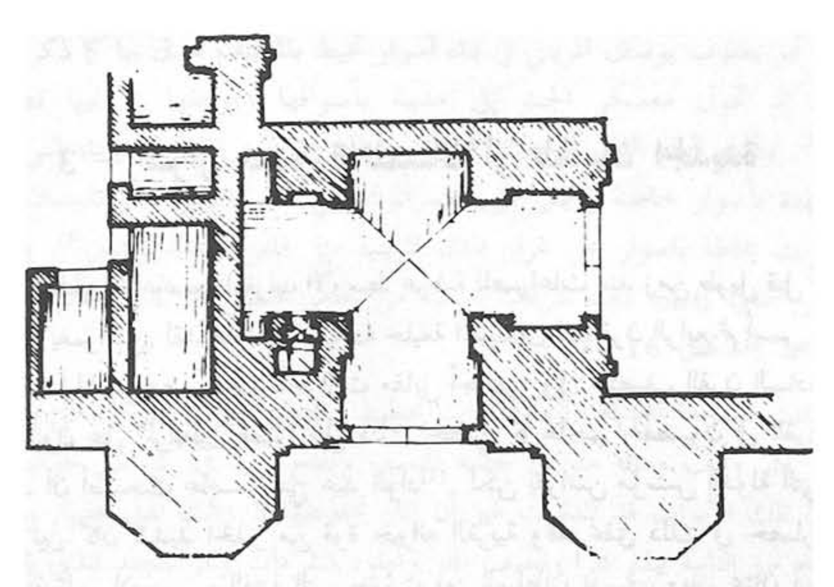
باب البساتين :

ويفتح هذا الباب بالحائط الجنوبي الشرقي للسور مشرفا على بساتين شالة[2]، وهو عبارة عن فتحة بسيطة في الحائط. وكانت واجهته مكسوة بالحجارة المنجورة على غرار المدخل الكبير ولكن بصورة أبسط وعناية أقل (شكل 15). كما نلاحظ زيادة سمك طبقة المرطوب في بناء هذا الباب، وعقد الباب منكسر يبلغ اتساع فتحته ثلاثة أمتار.

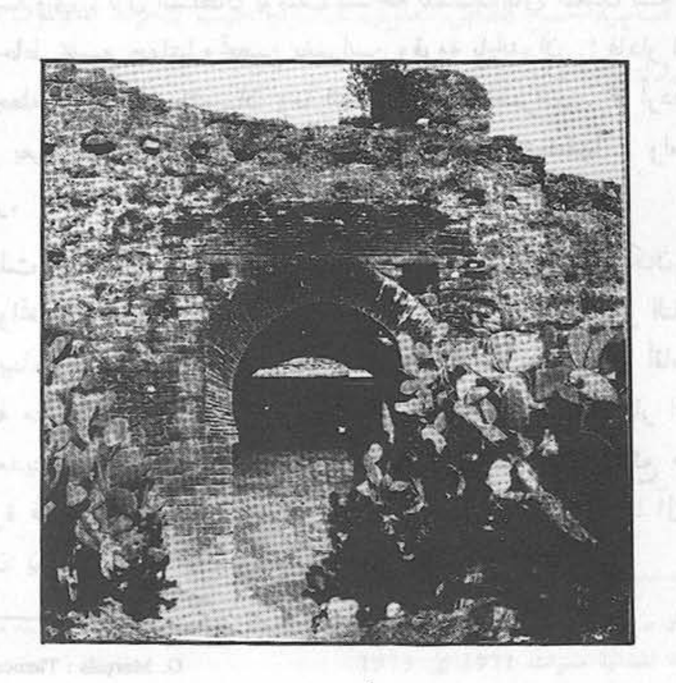
---

(1) وبالاصطلاح الفرنسي : Porte coudeé

(2) أما السور الذي شيده المرينيون لحماية مدينة سلا وباب المرسة وسور الأقواس الذي جلبوا به الماء إلى داخل مدينة سلا فنراها في الأشكال (111–113) بهذا الفصل.



شكل 13
تصميم مدخل شالة الكبير وتغطيته ووسائله الدفاعية



شكل 14
باب عين الجنة بأسوار شالة المرينية

3 – أسوار منصورة تلمسان أو تلمسان الجديدة

كانت تلمسان عاصمة المغرب الأوسط عرضة للصراعات منذ زمن طويل قبل أن تصبح قاعدة لمملكة يغمراسن. لقد هاجمتها صنهاجة حليفة العبيديين في القرن الرابع ثم أسس المرابطون في نهاية القرن الخامس معسكرهم تاجرارت مقابل أجادير. وفي منتصف القرن السادس عندما أجهز الموحدون على المرابطين قضوا على ذلك الحصن كما هاجم الحفصيون في القرن السابع تلمسان بعد أن أصبحت عاصمة بني عبد الواد[1]. لكن يغراسن مؤسس الدولة التي عاشت أكثر من قرنين كان شديد الحذر من قوة جيرانه الغربية وقد تحقق ذلك في حصار المرينيين الطويل لمدينة تلمسان بسبب الفتنة التي حدثت بين السلطان يوسف وبين عثمان بن يغراسن بن زيدان[2].

يقول السلاوي : نزل السلطان يوسف بساحة تلمسان ثاني شعبان سنة 698... وأنزل محلته بفنائها وأحاط بجميع جهاتها وتحصن يغمراسن وقومه بالجدران... فأدار السلطان يوسف سورا عظيما جعله سياجا على تلمسان وما اتصل بها من العمران... ثم أردف ذلك السور من ورائه بحفير بعيد المهوى وفتح فيه مداخل لحربها... وأخذ بمخنقها... واستمر مقيما على ذلك مائة شهر.

ولما دخلت سنة اثنتين وسبعمائة اختط إلى جانب ذلك السور بمكان فسطاطة وقبابه قصرا لسكناه واتخذ به مسجدا لصلاته وأدار عليها سورا يحرزهما، ثم أمر الناس بالبناء حول ذلك... وأمر ببناء الحمامات والفنادق والمارستان، وابتنى مسجدا جامعا أقامه على الصهريج الكبير وشيد له منارا رفيعا وجعل على رأسه تفافيح من ذهب... ثم أدار السور على ذلك كله فصارت مدينة عظيمة استمر عمرانها... ورحل اليها التجار بالبضائع من جميع الآفاق وسماها المنصورة فكانت من أعظم أمصار المغرب وأحفلها إلى أن خربها آل يغمراسن عند مهلك السلطان يوسف وارتحال جيوشه عنها[3].

---

(1) G. Marçais : Tlemcen, P. 52-57

(2) راجع اسباب الفتنة مفصلة بالاستقصا ج 3 ص 63–69.

(3) الاستقصا ج 3 ص 79–80 وكتابنا تاريخ شالة الاسلامية ص 278 وهامش 1 لوصف الحصار وأقوال المؤرخين فيه.

بدأ أبو يعقوب يوسف المريني في بناء أسوار تحيط بالمدينة وتحدق بها كما ذكر المؤرخون المعاصرون ثم تحول معسكر الجند إلى مدينة بأسواقها ومرافقها بما فيها قصر الأمير والمسجد[1]. وأثناء العام الثاني للحصار أحاط سلطان المرينيين تلك المنشآت التي أصبحت مدينة جديدة بأسوار خاصة وأطلق على العمران المريني اسم المنصورة أو تلمسان الجديد[2] التي اصبحت محاطة باسوار على غرار المدن المرينية مثل فاس الجديد وهنين[3]. وقد كانت الأسوار من التابية (pisé) ذات شرفات مسننة من حجر الدبش كما كانت الأبراج المستطيلة ذات شرفات (أشكال 16 و17).

وكانت المساحة المحاطة بالأسوار ذات تخطيط مستطيل غير منتظم الشكل يبلغ اتساعه نحو الكيلو متر وألف ومائة متر في جانبه المتسع، ويفتح باب في كل من جوانبه الأربعة. واذا كانت تلك الأبواب قد اندثرت غير أن آثار تخطيطها لا زالت تدل عليها. وكان سمك السور المقام من التابية يبلغ مترا ونصف المتر وتعلوه الشرفات وممر للجند الذي يعبرون عن طريقه من برج إلى آخر. وكان اتساع البرج يبلغ سبعة أمتار بينما يبلغ بروزه عن السور نحو 3.75 مترا[4]. ويتوسط البرج من الداخل حائط متعامد على السور كوسيلة هندسية لتدعيم الجدران وقاعده أساسية لحمل الطابق العلوي للأسوار حيث يتحرك المقاتلون بسلاحهم على غرار ما هو معروف بأسوار شالة المرينية.

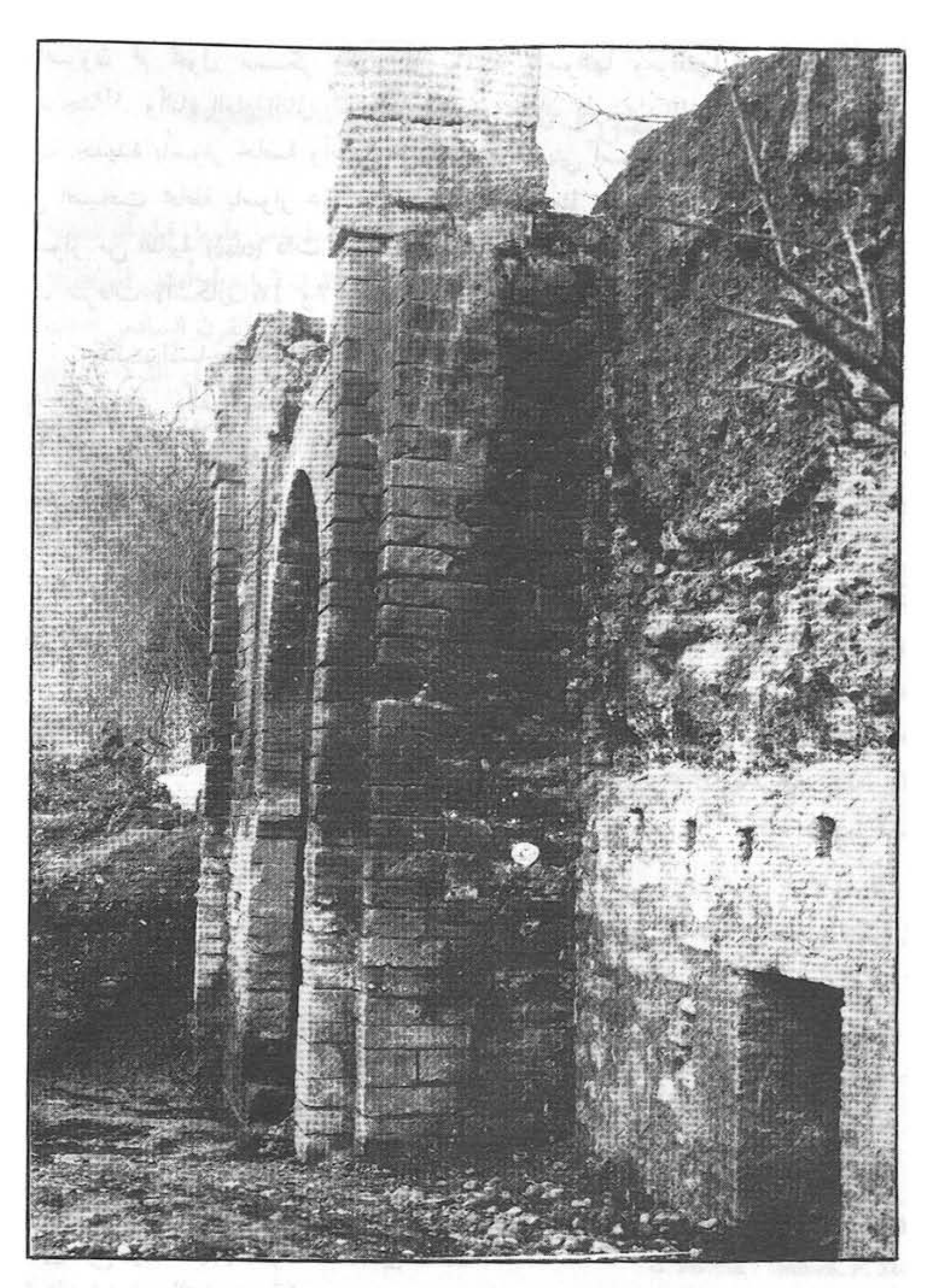
---

(1) مارسيه : تلمسان ص 61 لوصف المسجد وآثاره الباقية والصومعة وكلها على الحال الذي وصفه مارسيه سنة 1950 إلى تاريخ دراستنا الميدانية سنوات 1971 إلى 1973.

(2) مارسيه : نفس المصدر ص 57.

(3) G. Marçais : L'Archit. Mus, P. 320

(4) نفس المصدر ص 320.



شكل 15
باب البساتين بأسوار شالة المرينية

4 - أســـوار مـــديـنــة ســـلا

اهتمام الموحدين ثم المرينيين بالمنطقة :

أوضحت بكتابي تاريخ شالة الاسلامية الأهمية الاستراتيجية التي ميزت منطقة مصب نهر ابى الرقراق في المحيط الأطلسي منذ عهد الدولة الموحدية، وتشتمل المنطقة على مواقع عمران مدينة شالة العتيقة منذ عصر الفينيقيين ومدينة سلا الحديثة حيث أمر عبد المؤمن ابن علي سلطان الموحدين ببناء رباط الفتح على هيئة مدينة الاسكندرية، وقد بدأها ابنه يوسف وأتمها حفيده يعقوب بن يوسف المعروف بيعقوب المنصور الذي حاز نصرا حاسما على السلاويين حول شاطىء نهر أبي الرقراق واراد أن يؤكد هذا الانتصار باتمام بناء المدينة المقابلة لهم على الجانب الآخر من النهر.

لقد كان لأهمية الموقع على ساحل البحر وعند ملتقى طريق فاس ومراكش وعلى مسيرة اربعة ايام أو خمسة من جبل طارق قيمة في ابراز أهمية الرباط أكثر من العاصمة مراكش التي لم تكن ذات موقع متوسط بالنسبة للبلاد[1]، كما أصبحت منطقة ابى الرقراق تمثل معسكر تجميع الجيوش والقوات الجهادية الوافدة من اطراف المملكة في اتجاه الشمال للجهاد في الأندلس ونصرة الاسلام في بر العدوة من القارة الأوروبية بشبه جزيرة إيبيريا.

لقد بلغ احتفال الموحدين بالمنطقة مبلغا جعلها تمثل العاصمة الثانية للامبارطورية الموحدية بينما كان كرسي الملك في مراكش[2] التي غدت وكأنها (كاليوم) عاصمة الجنوب.

وإذا ما لاحظنا ثقل مدينة سلا نفسها خاصة بعد اضافة عمران رباط الفتح إلى مجموع موقع الرباط القديم، ادركنا إلى أي حد غدت المنطقة على ضفتي مصب نهر أبي الرقراق احدى أهم نقط ارتكاز سلطان الموحدين وموقعا ممتازا لتجميع القوات والجيوش الموجهة إلى اسبانيا وافريقية إلى أن أصبحت بالفعل مقر اقامة ملوك الموحدين الصيفية وغالبا ما كانت مركز حكمهم الفعلي[3].

---

(1) كتابنا تاريخ شالة الاسلامية ص 254 وما بعدها.
(2) نفس المصدر ص 307.
(3) كتابنا تاريخ شالة ص 307 وكتاب البعثة الفرنسية الرباط وضواحيها 56/1.

ومنذ بداية دولة بني مرين فتح الأمير ابو بكر بن عبد الحق فاس وتخطى إلى مدينة سلا ورباط الفتح سنة 649 هـ وتاخم الموحدين بثغرها واستعمل عليها ابن أخيه يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق. وبعد استرجاع الموحدين للمدينة استعمل يعقوب بن عبد الله الحيلة في تملك رباط الفتح وسلا سنة 657 هـ وطرد عامل الموحدين وجاهر يخلع عمه السلطان يعقوب بن عبد الحق الذي بويع بعد الأمير ابى بكر بن عبد الحق.

بناء السور الغربي لمدينة سلا بيد يعقوب بن عبد الحق :

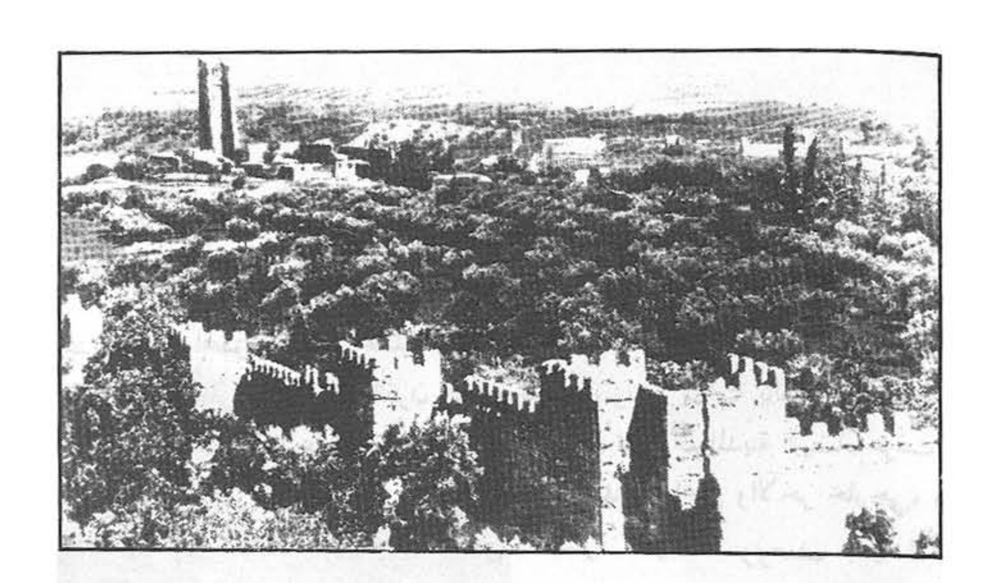
استغل تجار الحروب من النصارى تفاقم الوحشة بين اليعقوبين فتواردت سفنهم بالسلاح واستغلوا انشغال الناس باحتفالات عيد الفطر من سنة 658 هـ وثاروا بسلا وقتلوا الرجال وانتهبوا الأموال فتحصن يعقوب بن عبد الله برباط الفتح وأسرع يعقوب بن عبد الحق من تازا وحاصر النصارى واقتحمها عليهم عنوة ثم شرع في بناء السور الغربي للمدينة حيث دخل النصارى لأنها كانت لا سور لها من تلك الجهة منذ هدمه عبد المؤمن بن علي ملك الموحدين[1].

يقول الشيخ أبو العباس أحمد السلاوي (ثم شرع السلطان يعقوب رحمه الله في بناء السور الغربي من سلا الذي يقابل الوادي منها فانها كانت لا سور لها من تلك الجهة من أيام عبد المؤمن بن علي فإنه كان قد هدم أسوار قواعد المغرب مثل فاس وسبتة وسلا.... ومن هذه الثلمة كان دخول النصارى إلى سلا فشرع السلطان يعقوب رحمه الله في بنائه فبناه من أول دار الصناعة قبلة إلى البحر جوفا (شكل 18–20) وكان رحمه الله يقف على بنائه بنفسه ويناول الحجر بيده ابتغاء ثواب الله وتواضعا وسعيا في صلاح المسلمين حتى تم السور المذكور على احسن وجه وأكمله)[2]

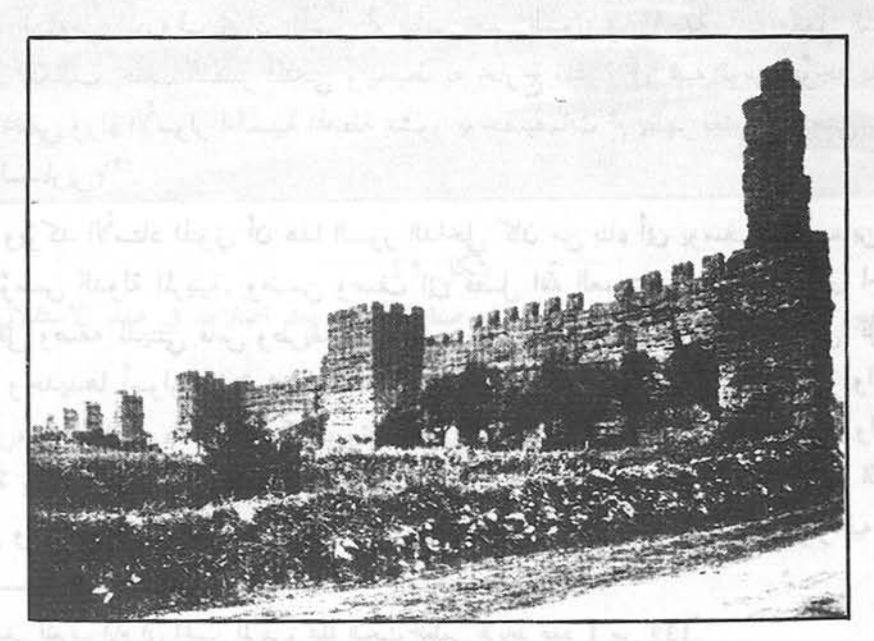
---

(1) كتابنا تاريخ شالة ص 309/308 وكتاب البعثة الفرنسية الرباط وضواحيها بالفرنسية 57/1 والاستقصا للسلاوي 22-21/3.

(2) الاستقصا 22/3 وكتابنا تاريخ شالة ص 283 وشكل 22 ص 284.



شكل 16
أسوار وأبراج منصورة تلمسان وتظهر بقايا صومعة مسجد المنصورة المريني



شكل 17
أسوار وأبراج منصورة تلمسان المرينية

5 – أسوار فاس الجديد (المدينة البيضاء)

عنى زميلنا المحقق الأستاذ محمد المنوني بدراسة أسوار المدينة البيضاء المعروفة بفاس الجديد التي أسسها المرينيون أواخر القرن السابع الهجري زنشر دراسة بالعدد الأول من مجلة البحث العلمي[1] اعتمد فيها على نصوص تاريخية للعمرى تفيد أن المدينة البيضاء عرفت اثناء تشييدها وبعدها تأسيس سورين اثنين يحيطان بالمدينة احدهما داخلي والآخر خارجي، وتابع دراسته للمدينة وملحقاتها بكتابه ورقات عن الحضارة المغربية[2] ووصف بقايا الأسوار المرينية وتابع وصفه على الطبيعة. (أشكال 21 – 22)

فالسور الداخلي لازالت آثاره باقية (تشاهد يسرة المخترق لمر بوطويل ابتداء من جهة باب الجياف، وتنقطع هذه البقايا عند نهاية سوق فاس الجديد، وعلى مقربة من البوبية النازلة للبستان العمومي المعروف بجنان السبيل ثم يظهر نفس السور في واجهة باب معمل السلاح الحسني لينعطف خلف القصر الملكي وليحيط به خارج المدينة في شبه قوس تتوّجه بدنات إلى أن يختفي وراء الأسوار الحسنية المحيطة بمشور بوخصيصات ثم يظهر بعد ذلك حتى يتصل بباب السمارين)[3].

ويؤكد الأستاذ المنوني أن هذا السور الداخلي كان من بناء أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق مؤسس الدولة المرينية. وضمن وصف ابى فضل الله العمرى للمغرب أيام أبي الحسن نقف على وصفه لمدينتي فاس وطريقة بناء السور والمواد المستعملة في البناء[4] (وعلى كل من عتيقها وجديدها أسوار دائرة محصنة ذات بروج وبدنات وجميع أبنيتها من الحجر والآجر والكلس، موثقة البناء مشيدة الأركان، وتزيد فاس الجديد على فاس العتيقة في الحصانة والمنعة، والعتيقة بسور واحد من الحجارة، والجديدة بسورين من الطين المفرغ بالقالب من التراب والرمل والكلس المضروب، وهو أشد من الحجارة، ولا تعمل فيه المجانيق ولا تؤثر فيه...).

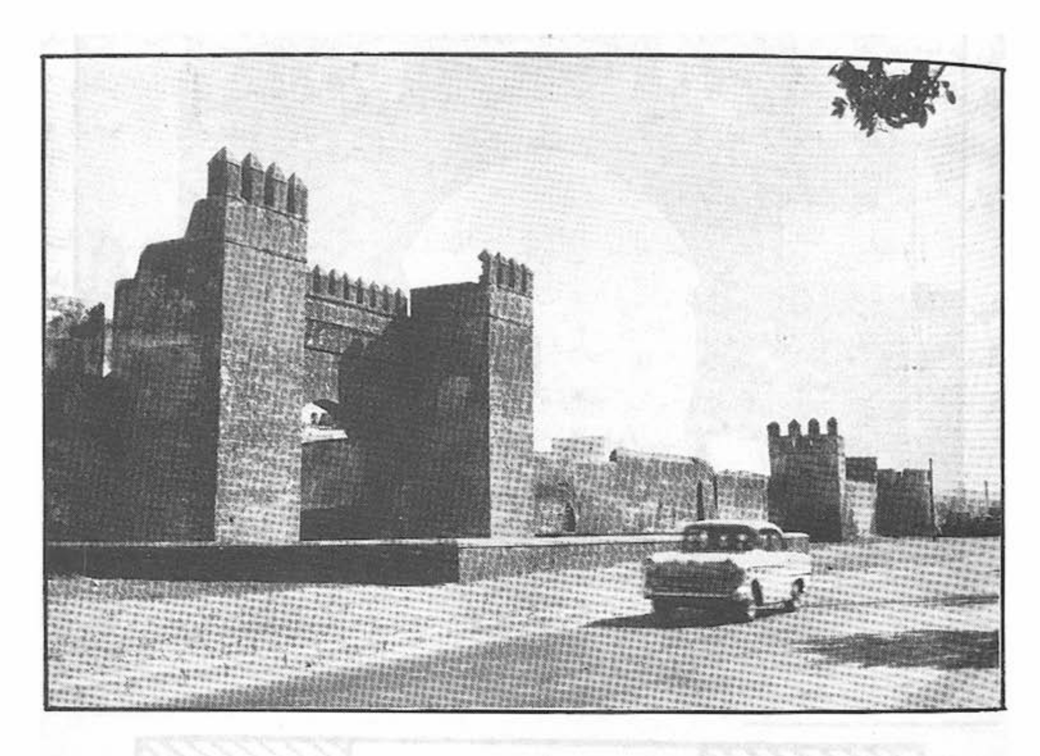
---

(1) وصف المغرب ايام ابى الحسن المريني، مجلة البحث العلمي الرباط عدد 1 ص 139.

(2) ورقات ص 24 وما بعدها.

(3) نفس المصدر ص 24.

(4) نفس المصدر ص 295.

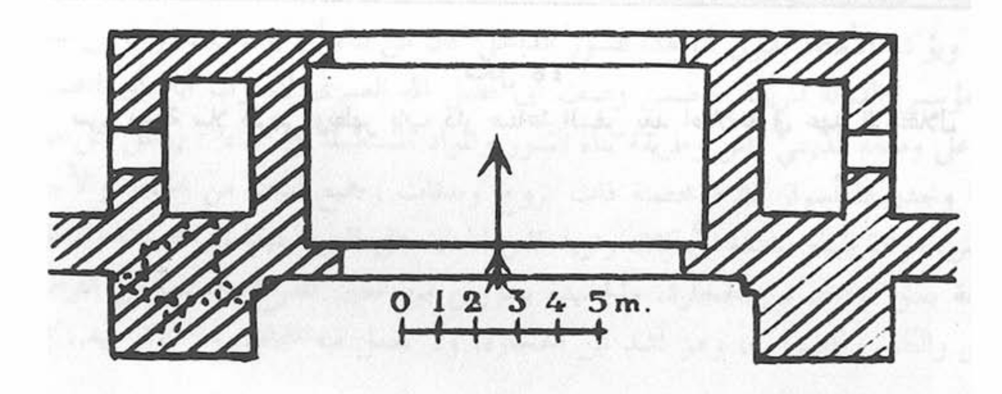


شكل 18

سور مدينة سلا المريني ويظهر باب دار صناعة السفن بعد اصلاحه في عهد الاستقلال

شكل 19

هيئة باب المريسة بسلا، الباب القبلي



شكل 20

تصميم عمارة باب المريسة المريني بسلا

ويظهر السور الخارجي غرب ساحة التجارة ويمر وراء الملاح إلى باب الجياف ثم يحيط بالبلد الجديد[1] مطلا على شارع الحرية وينعطف حتى يشرف على البستان العمومي إلى أن يتصل بباب السبع المعروف بباي المكينة).

ويرجع الأستاذ المنوني نسبة السور الخارجي أو معظمه إلى تأسيس ملوك آخرين بعد أبي يوسف يعقوب المريني مؤسس الدولة والمدينة معتمداً على ورود زيادة ببعض فسخ روض القرطاس تفيد أن أبا سعيد عثمان الأكبر[2] بنى مدينة جديدة جوار البلد الجديد ادار عليها ستارة خاصة، وقد فهم البعض من تلك الزيادة في نص روض القرطاس أن أبا سعيد عثمان ادار السور البراني من فاس الجديد[3].

أما السور الخارجي المحيط بالقصر المريني والممتد من باب البوجات حتى ساحة التجارة فهو يرجع إلى عصر بناء أحمد بن أبي سالم المريني تبعا لرواية ابن خلدون في العبر[4] ان السلطان أحمد بن أبي سالم[5] بنى سياجا على البلد الجديد قصداً لحصار جيش الأمير عبد الرحمن المريني. ولعل أبحاثا أخرى جديدة توجه لتحقيق ذلك.

---

(1) محمد المنوني : نفس المصدر ص 24.

(2) يقول المنوني (ابا سعيد المريني الأول)، والأفضل القول (بالأكبر) أي الأشهر فقد ولى ثلاثة ملوك مرينيون باسم (عثمان) أولهم عثمان بن عبد الحق (أخ يعقوب) والثاني عثمان بن يعقوب (أخ يوسف)، والثالث عثمان بن ابى العباس أحمد (والد عبد الحق آخر ملوك بني مرين). وهناك رابع لم يصل إلى الحكم وهو (عثمان بن ادريس بن يعقوب بن عبد الله من ابناء ست النسا). راجع كتابنا تاريخ شالة ص 289 والاستقصا 29/3 وروضة النسرين ص 10 و11 و19 و39 بالذات عن عثمان بن ابى العباس بويع 30 جمادى الآخر سنة 800 هـ (21 مارس 1398 م) يقول ابن الأحمر في كتابه روضة النسرين (وهو الآن ملك المغرب).

(3) أشار المنوني لمخطوط المكتبة الملكية بالرباط (الحلل البهية) لمحمد بن مصطفى المشرفي الذي يقول : والغالب أن السور المواجه لدار السلاح انما وقع ترميمه، ورقات ص 37 تعليق 50، وقال المنوني : السلطان الحسن الأول سور عدة جهات من هذا البلد وبنى السور المحيط بالمشور الخارج عن سور المدينة خارج باب البوجات وبنى أيضا السور المواجه لباب دار السلاح.

(4) نفس المصدر للمنوني ص 25 والعبر 340/7.

(5) ابن الأحمر : روضة النسرين في ملوك بني مرين نشر كلية الآداب بالجزائر طبع باريس 1917 بويع بالمدينة البيضاء 789 هـ وتوفي 796 هـ بتازا ودفن بالقلعة بفاس، ص 36.

6 - أبواب فاس الجديد

كانت أبواب فاس الجديد أو المدينة البيضاء تبعا لدراسة الأستاذ المنوني في كتابه ورقات عبارة عن باب عيون صنهاجة وباب الوادي في السور الأول، بينما كان السور الثاني يشتمل على بابي الجيف والسبع[1].

وباب (عيون صنهاجة) هذا الذي أشار اليه ابن الأحمر في روضة النسرين هو باب (السمارين) الحالي الذي عرف بهذا الاسم منذ عصر ابن الخطيب[2]، وقد صحح المنوني خطأ ماسينيون الذي اعتقد أن ما كان يعرف بباب عيون صنهاجة عند تأسيس أبواب فاس الجديد انما هو ما يعرف اليوم بباب الساكمة[3].

ويمكن تحديد موقع باب الوادي الذي عرف بهذا الاسم في عصر ابن الأحمر (بعد أن كان يعرف بباب القنطرة منذ أوائل عصر المرينيين وتأسيس المدينة البيضاء) على ضوء ما جاء بالزخيرة السنية في حوادث سنة 679 هـ (وفيها بنى أبو يوسف في المدينة المذكورة الأسواق من باب القنطرة إلى باب عيون صنهاجة...)[4] وقد تحدد السوق حسب رواية روضة النسرين (والسوق الذي حده من باب القنطرة التي يقال لها الآن باب الوادي المصاقبة لباب السبع ـــ إلى باب عيون صنهاجة)[5]، (ومن هذا يتبين أن باب عيون صنهاجة هو الذي يعرف بباب السمارين، بينما يظهر أن باب القنطرة أو باب الوادي قد اندثر بعدما كان موضعه عند مدخل السوق الحالي بفاس الجديد أو قريبا منه)[6].

(أما باب الجيف الذي يسميه البعض باب الجياد فيقع شرق باب السمارين بالسور الثاني[7]، كما يعرف باب السبع حاليا بباب المكينة وكان هو مدخل فاس الجديد من جهة المدينة القديمة[8]... وسائر هذه الأبواب الأربعة مرينية البناء[9].

---

(1) المنوني : نفس المصدر ص 25.

(2) اشار المنوني في التعليق 53 ص 37 إلى الاحاطة 11/2

(3) المنوني : نفس المصدر تعليق 54 ص 37.

(4) نفس المصدر ص 23 وتعليق 41 ص 37.

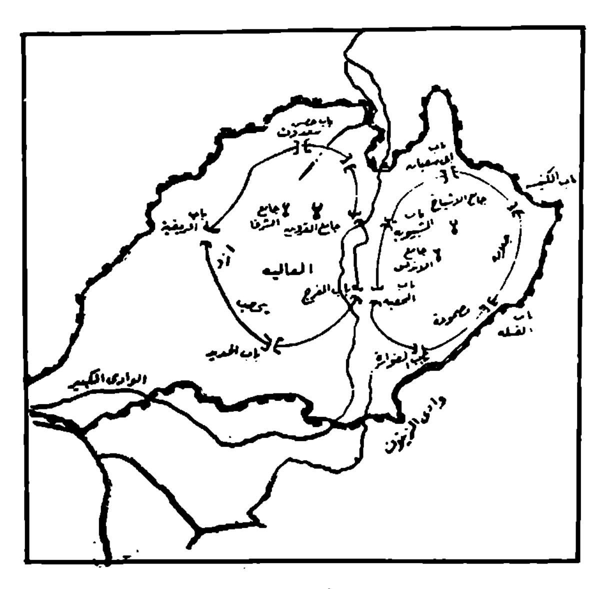
(5) نفس المصدر والصفحة.

(6) نفس المصدر والصفحة.

(7) نفس المصدر ص 25 وتعليق 58 ص 38.

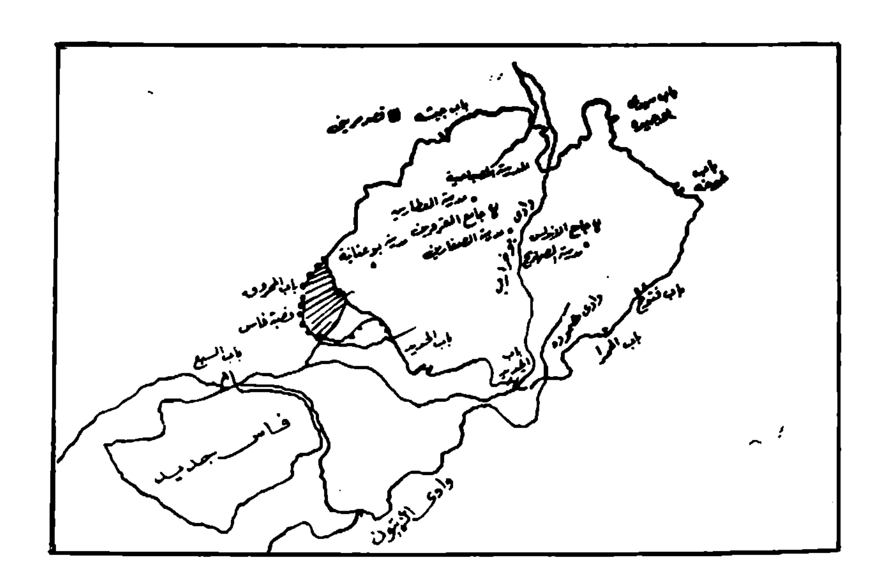
(8) نفس المصدر ص 25 وقد أشار المنوني إلى أن الباب المقابل لباب المكينة شمالا من بناء السلطان الحسن الأول، نفس المصدر ص 25 وتعليق 61 ص 38، كما أشار إلى أن جميع الأبراج أو البستيونات الواقعة خلف أسوار فاس الجديد ليست مرينية وانما سعدية تبعاً لطابعها ونصوص مناهل الصفا، المنوني : نفس المصدر ص 25.

(9) نفس المصدر للمنوني ص 25.



شكل 21

أسوار فاس البالي وفاس الجديد



شكل 22

أسوار فاس على عصر بني مرين

7 – العمارة الحربية[1] ببرج الذهب ومعسكرات الجيش

برج الذهب بحديقة فاس الجديد :

ذكر اللأستاذ المنوني تلك البناية الشامخة بحديقة فاس الجديد وهي قبة عالية تحمل اسم برج الذهب الذي أشار اليه الخطيب بن مرزوق وهو يتحدث عن يوميات السلطان أبي الحسن، فقد (كان أمير المسلمين السلطان أبو الحسن المشهور عند العامة بالسلطان الأكحل افخم ملوك بني مرين دولة وأضخمهم ملكا... وأكثرهم آثارا بالمغربين والأندلس ولهذا افرد له التاريخ كتابا خاصا جعله وزيره الخطيب بن مرزوق كيوميات له وسجل لجلائل أعماله ومبانيه ومنجزاته وأسماه المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا ابى الحسن[2] ذكر فيه أن أبا الحسن (عند اقامته بفاس ينتقل يومي الاثنين والخميس إلى يرج الذهب لاستعراض الجيش وتفقده... فيلعب بين يديه الفرسان ليعرف الفارس من غيره...)[3] وهناك كان يجلس كبراء ارسال الملوك وأبناء الملوك اذا وفدوا[4].

وكان موقع برج الذهب لصق دار السلطان أبي الحسن بروض المصارة الأمر الذي نفهمه من نص ابن خلدون الذي ذكر أن أبا الحسن قد أنزل سلطان غرناطة محمد الرابع بروض المصارة لصق داره، فقد كان برج الذهب معداً ضمن أغراض تأسيسه لاستقبال كبار الزوار حيث استقبل أبو الحسن ضيفه سلطان غرناطة محمد الرابع سنة 732 هـ (1331 م) كما استقبل السلطان أبو سالم من بعده سلطان مالي سنة 762 هـ (1361/1360) وودع أبو سالم سلطان غرناطة محمد الخامس سنة 762 هـ منصرفة من التجائه بفاس ليحاول استرداد عرشه السليب.

---

(1) عن العمارة الحربية فيما يخص المحارس والمناظر في عصر ابى الحسن المريني انظر (المسند الصحيح الحسن) وضعه الخطيب ابن مرزوق الذي كان في صحبته كلما حل لتشييد وتأسيس، نسخة الاسكوريال نشر ليفي بروفنسال نخباً منها في هسبريس فصلة اولى 1925 م ص 182، وقد أشرت اليها بكتابي تاريخ شالة ثم حفائر شالة، وبخزانة تمكروت نسخة أخرى نقلت إلى قسم المخطوطات بخزانة الرباط العامة رقم 111 بها اضافات، عن المحارس والمناظر باب 39 فصل 2 ثم فصل 3 عن أبراج سبتة والجبل المحروس.

(2) كتابنا تاريخ شالة 291/290.

(3) المنوني : نفس المصدر ص 45.

(4) المنوني نقلا عن المسند.

ويتضح لنا شيء من هيئة عبارة القبة من عبارة لسان الدين في نفاضة الجراب نقلا عن ابن الأحمر (... واستحضر السلطان فصعد إلى القبة...) اشارة إلى ارتفاع هيكلها[1] الذي يقتضي صعود الداخل اليها.

وتتأكد وظيفة القبة وعمارتها وملائمتها لعرض الجيوش من تسمية ابن الخطيب لبرج الذهب (بقبة العرض) وقد كرر المؤرخون عبارة (حيث قصور السلطان من ظاهر دار الامارة بالمدينة البيضاء حيث برج الذهب مجلس السلطان يوم الخميس والاثنين لعرض الجيوش والفصل بين الناس[2].

معسكرات الجيش[3] :

ذكر ابن الخطيب في معيار الاختيار اسماء ثلاثة من المعسكرات بمناسبة تعداد البنايات المرينية بفاس الجديد وهي مقاعد الحرس وسقائف الترس والفصل ثم اهداف الناشبة وقد ذكر الحسن الوزاني الشهير بليون الافريقي مقاعد الحرس ضمن مؤسسات يعقوب المريني بفاس الجديد وحدد موقعها فقال (وقرب الباب الغربية التي تقع في السور الثاني – يقصد باب السبع – مساكن كبيرة محاطة باخرى صغيرة يسكنها الضابط حارس المدينة مع جنوده[4].

ويعتقد الأستاذ المنوني أن تلك الاشارة تعنى قصبة الخميس المعروفة بقصبة شراكة فيما بعد، فإن بقايا جزء كبير من سورها تعكس خصائص لا تختلف عن هيئة السور المحيط بالقصر المريني بما في ذلك الشرفات وأبراج التقوية مما يؤكد كون القصبة المذكورة مرينية البناء، كما أن النقش الذي يتوج باب القسم الشرقي المتخذ مركزا لمستشفى ابن الخطيب اليوم يتسم بالطابع المريني ويبدو أنه كان يمثل المدخل الرئيسي للقصبة المرينية[5].

وبعد اتخاذ القصبة سكنة عسكرية أيام السعديين سقط بعض السور جهة معهد الشراردة وباب الساكمة فأعاد بنائه الرشيد بن الشريف العلوي فقد أمر شراكة ببناء الدور في قصبة لهم وأدار هو السور عليهم بموضع دور كراوة من جيش السعديين، ولهذا توهم البعض أن القصبة المرينية من تأسيس العلويين مع أن هيئة السور بالجهة المرممة أيام العلويين تخالف صفة باقي سور القصبة المرينية[6].

---

(1) المنوني : نفس المصدر ص 46.

(2) نفس المصدر ص 46 والمصادر المشار اليها.

(3) يقصد بها مراكز الجيش مع الاصطبلات، انظر ورقات للمنوني ص 21.

(4) نفس المصدر ص 21.

(5) نفس المصدر والصفحة.

(6) نفس المصدر ص 22.

وكان المعسكر الثاني المسمى سقائف الترس والفصل، أي سقائف أصحاب الترس والفصل وهم فرقة من الجيش تختص بذلك السلاح، يحتل ثكنة جهة حي مولاي عبد الله من فاس الجديد(1)، ويحتمل ان تضم تلك الثكنة أكثر من تلك الاختصاصات على غرار سقائف مراكش أيام الموحدين لاسيما وقد أشار الحسن الوزاني إلى أن يعقوب مؤسس الدولة المرينية قد شيد ضمن تلك المعسكرات اصطبلات كثيرة لخيله وعددا كثيرا من القصور لضباطه وحاشيته(2).

ويعتقد الأستاذ المنوني أن موضع تلك الاصطبلات كان بمؤخرة حي مولاي عبد الله بفاس الجديد حيث لا زالت سكة غير نافذة هناك تعرف إلى اليوم بدرب العودات(3) قرب جامع مولاي عبد الله الأمر الذي يؤيده وجود باب هناك يعرف بباب العودة.

ويمثل (اهداف الناشبة ذو الخصل) المعسكر الثالث الذي أشار اليه لسان الدين ابن الخطيب، ويعتقد الأستاذ المنوني أن فرقة الغز الذين اتخذوا خصلة الشعر بأعلا أعلامهم (رنكا)(4) كعلامة مميزة لهم بجيش المرينيين قد خلفوا اسمهم على ساحة التدريبات العسكرية (ميدان التدريب الحربي (الذي لازال بحاجة إلى تحقيق مكانة(5) وتحديد موقعه من فاس الجديد).

---

(1) نفس المصدر ص 22 اشارته لنص ابن الخطيب وتعليق 34 ص 37 نص حوالة احباس فاس الجديد التي تذكر حونيت الصف الأيمن من ناحية السقيف.

(2) نفس المصدر ص 22 والتعليق 36 ص 37 ومقالة بمجلة البحث العلمي عدد 1 ص 147.

(3) رأي له وجاهته، والعودات جمع (عودة) والمغاربة يطلقون لفظ (عود) على الحصان.

(4) جمعها (رنوك) استعملها المماليك بمصر نفس العصر فكان لكل منصب أو شخصية بارزة أو فرقة علامة تميزها رسمت على الكؤوس والأطباق والرايات والملابس.

(5) ورقات للمنوني ص 23.

8 – الأساطيل الجهادية والعمارة الحربية البحرية

ادارة الأساطيل الجهادية :

بلغت عناية بني مرين بالاساطيل البحرية الجهادية مبلغا كبيرا جعلهم يخصصوم لها وظيفة (قائد أعلى لجميع المراسي البحرية بالمغرب والأندلس، وكان صاحب هذه الخطة يسمى الملند اشتقاقاً من الكلمة الاسبانية (MALAND) ومهمته الاشراف على انشاء الاساطيل والركوب عليها للجهاد أو السفر في البحر، وهو مرؤوس للوزير في كثير من الأحوال)[1] ضمانا لسرعة انجاز المهام المنوطة به تجاه نقل وحماية الخيل وغزاة المسلمين بالأندلس بالاضافة إلى مهام الوحدة الاسلامية من افريقية إلى المغرب الأقصى.

ولا غرو فقد بدأت عناية المرينيين بتأسيس المراسي وصنع الأساطيل الجهادية[2] منذ عصر يعقوب بن عبد الحق مؤسس الدولة الذي أمر ببناء دار لصناعة السفن بسلا، وكان في صدر اهتمامات ابى سعيد عثمان بن يعقوب فور بيعته تبعاً لاشارة السلاوي في الاستقصا[3] خروجه إلى رباط الفتح لتفقد الأحوال والنظر في أمور الرغبة وانشاء الأساطيل الجهادية فعيد هناك عيد الأضحى... وأمر بانشاء الأساطيل بدار الصناعة من سلا برسم جهاد الافرنج[4].

ونوجز ما جاء بالاستقصا عن خبر اعتناء السلطان أبى الحسن بالأساطيل الجهادية للتعرف لى مستوى انتاجها كماً ونوعاً، فقد كان أبو الحسن أوعز إلى ابنه ابى مالك أمير الثغور الأندلسية سنة أربعين وسبعمائة بالدخول إلى دار الحرب وكان غير بصيَر بالحرب لصغر سنه فأدركه العدو واستلحموا الكثير من قومه واتصل الخبر بأمير المسلمين ففجع لهلاك ابنه ثم أنفذ وزراءه إلى سواحل المغرب لتجهيز الأساطيل... واستنفر أهل المغرب كافة ثم ارتحل إلى سبتة ليباشر أحوال الجهاد... وأخرج الطاغية أسطوله إلى الزقاق ليمنع السلطان من الاجازة واستحث السلطان أساطيل المسلمين من مراسي المغرب فعقد الحفصيون أصهاره لزيد ابن فرحون قائد بجاية ووافى سبتة في ستة عشر أسطولا من أساطيل افريقية... وتوافت الأساطيل

---

(1) عن البحرية في عهد بني مرين انظر، تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والأندلس للدكتور سيد سالم بيروت 1969 ص 289 وما بعدها.

(2) المنوني : نفس المصدر ص 63/62 وهامش ص 84.

(3) الاستقصا 103/3. و(4) الاستقصا 104/3.

المغربية بمرسى سبتة تناهز المائة. وزحفوا على أسطول النصارى واظفر الله المسلمين بعدوهم وقتلوا قائدهم (الملند) واستاقوا أساطيلهم إلى مرسى سبتة وعظم الفتح سنة أربعين وسبعمائة وانتظمت الأساطيل سلسلة واحدة من العدوة إلى العدوة[1].

وفي نفح الطيب ان (أساطيل ابى الحسن التي اعدت لعودته من تونس شتاء سنة تسع وسبعمائة كانت نحو الستمائة فغرقت كلها ونجا هو على نوح...)[2].

ومن المؤكد لدى المؤرخين أن أمير المؤمنين أبى عنان بن أبى الحسن بادر بعد نكبات اسطول المرينيين أواخر عصر والده في سواحل تونس وبموقعة طريف بالأندلس (إلى انشاء الأجفان في جميع السواحل واستكثار عدد البحر وعمليات قطع الأخشاب وبهذا يخاطبه الشاعر أحمد بن يحيى التلمساني :

فلله ما انشأته من مراكب	**ترادفها في البحر منه تكاوس**
كأن مجاديف الغراب قوادم	**يطير بها والنسر في الأفق كانس**

وكتب ابن الأحمر ان ابى عنان (... وقد كان ذاع الخبر... بما صرف الله اليه عزمكم من تجديد ما درس... من الأساطيل السابحة... فلا تسألوا عن موقع هذه الأنباء من صديق يعدها من الله فضلا ومنه...)[3].

ويرى الدكتور ابراهيم حركات أن المرينيين الذين بلغت قوتهم البحرية أقصاها في عهد أبى الحسن، قد بدأت عنايتهم بالأساطيل تضعف بسبب الفتن الداخلية وتوقف التدخل في سواحل الأندلس إلى أن صار معظم العناية بالنشاط الحربي مقصوراً على حركة الجهاد البحري الشعبي منذ القرن الخامس عشر الميلادي[4].

أما الأستاذ المنوني فيورد أسماء ستة من رؤساء الأساطيل المرينية وخطتهم وهم : يحى قائد اسطول سبتة إلى نحو سنة 720 هـ ومحمد بن علي العزفى الذي خلفه في أساطيل سبتة قبل أن يرتقي إلى رتبة القائد الأعلى للأسطول المريني أيام السلطان أبى الحسن[5] ثم محمد ابن يوسف بن الأحمر الذي عينه أبو عنان قائداً أعلى للأسطول وأحمد بن الخطيب قائد أسطول طنجة أيام أبى عنان وأبى القاسم بن بنج قائد أسطول جبل الفتح أيام أمير المؤمنين أبى عنان وقد استحق بعد ذلك رتبة القائد الأعلى مما جعل لسان الدين بن الخطيب يسميه قائد الأسطول والملند[6].

---

(1) الاستقصا 134/3
(2) الاستقصا 170/3
(3) ورقات ص 77.
(4) المغرب عبر التاريخ 137/2.
(5) حركات، نفس المصدر 138/2.
(6) نفس المصدر ص 80/79 وتعليقات ص 88.

العمـارة الحربيـة ودار صناعـة السفـن بسـلا :

تدل وفرة القطع البحرية الجهادية وشهرتها أيام المرينيين وتنوع صناعتها وعددها وكثرة غزواتها على وفرة مصانع بناء السفن البحرية بعدة مصانع بثغور المغرب وسواحله.

لقد مرت بنا الاشارة الى بناء السفن الجهادية بثغر سبتة [1] بدار صناعتها التي كانت تسمى دار الإنشاء[2]، كما ذكر المؤرخون بناء السلطان أبي الحسن المريني لدار الصنعة بجبل الفتح.

وقد ذكر أبو الحسن الجزنائي في كتابه جنى زهرة الآس [3] في بناء مدينة فاس خبر دار صناعة السفن قرب فاس وقال (ومنها – من أسباب أهمية موقع فاس – قربها من وادي سبو الذي تسير منه القوارب والسفن الصغار الى البحر الأعضم، وتطلع منه إلى ملقى واديها.

وقد كانت دار صناعة لإنشاء القوارب والسفن الصغار وغيرها بالموضع المعروف بالحبالات من أرض ابن عبودة التي بقرب ملقى وادي فاس في أيام الخليفة عبد المؤمن الموحدي حين أراد الوجهة لفتح المهدية سنة اثنتين وخمسين وخمسمئة، قيل انها كانت عشرة،... وكذلك أمر مولانا المتوكل أبو عنان رحمه الله بإنشاء جفنين اثنين إحداهما شيطى يجر مائة وعشرين مجدافا، والثاني شلير يجر ستين مجدافا بمنزل خولان ودفعا بوادي سبو إلى أن وصلا لمعمورة سلا في شوال سنة ست وخمسين وسبعمئة...)

وسوف نلقى ضوءاً أكثر وضوحا حول تاريخ وعمارة دار صناعة السفن الشهيرة بمدينة سلا من أرض رباط الفتح.

بادئ ذي بدء كنت أوضحت بكتابي تاريخ شالة الإسلامية أهمية أرض الرباط وموقعها الاستراتيجي ومميزاته العسكرية والحربية من حيث الموقع المتوسط بين الجنوب والشمال.

والقرب من البحر، مما جعل المنطقة طريقا رئيسيا للقوافل والجيوش عبر التاريخ الإسلامي حيث تلتقي طرق تازا وفاس ومكناس ثم مراكش وما يليها جنوبا، قبل التوجه إلى طنجة في اتجاه الأندلس.

ليس ذلك فحسب، فإن منطقة مصب نهر أبي الرقراق التي تميزت بتلك المميزات

---

(1) كانت أهم ترسانات المغرب توجد في سبتة وسلا... غير أن سبتة كانت تفوقها أهمية حيث أنها كانت مركز تجمع مختلف (القطع)، المغرب عبر التاريخ للدكتور حركات 137/2.

(2) إشار المنوني بالتعليق 153 ص 88 الى العبر 261/7.

(3) تحقيق الأستاذ عبد الوهاب بن منصور مؤرخ المملكة، طبع المطبعة الملكية الرباط 1967 ص 37.

الاستراتيجية عسكريا، قد أوضحت أبحاثنا السالفة قيمتها الكبرى بالنسبة لصلاحيتها لصناعة السفن إذ تعتبر تلك المنطقة أكبر وأصلح مركز للتشجير بالمغرب، ففي زمور وسهول زعير تغطي الغابات مساحة تبلغ حوالي مائتي وخمسين ألف هكتار مربع موزعة بين غابة المعمورة وسهولى نخيلة وكريفلة وزعير، وإن غابة المعمورة وحدها القريبة من سلا تمتلك أكثر من نصف أشجار البلوط بالمغرب.

ولا شك أن وجود الغابات للإمداد بالأخشاب، ثم توفر مجاري المياه للنقل، مع توسط المنطقة... كل ذلك أوجب قيام صناعة السفن خاصة لغرض الجهاد في الأندلس.

لقد دفعت تلك الأسباب والإمكانيات أمير الموحدين عبد المؤمن بن علي الى تأسيس مدرسة بحرية داخل القصبة التي بناها بالضفة الغربية لمصب أبي الرقراق في البحر المحيط وسماها المهدية وهي المعروفة اليوم بقصبة الودايا.

وقد ذكر ابن أبي زرع والشيخ أبو العباس أحمد السلاوي وغيرهم خبر إنشاء يعقوب المريني لدار صناعة السفن وباب المريسة في سلا[1].

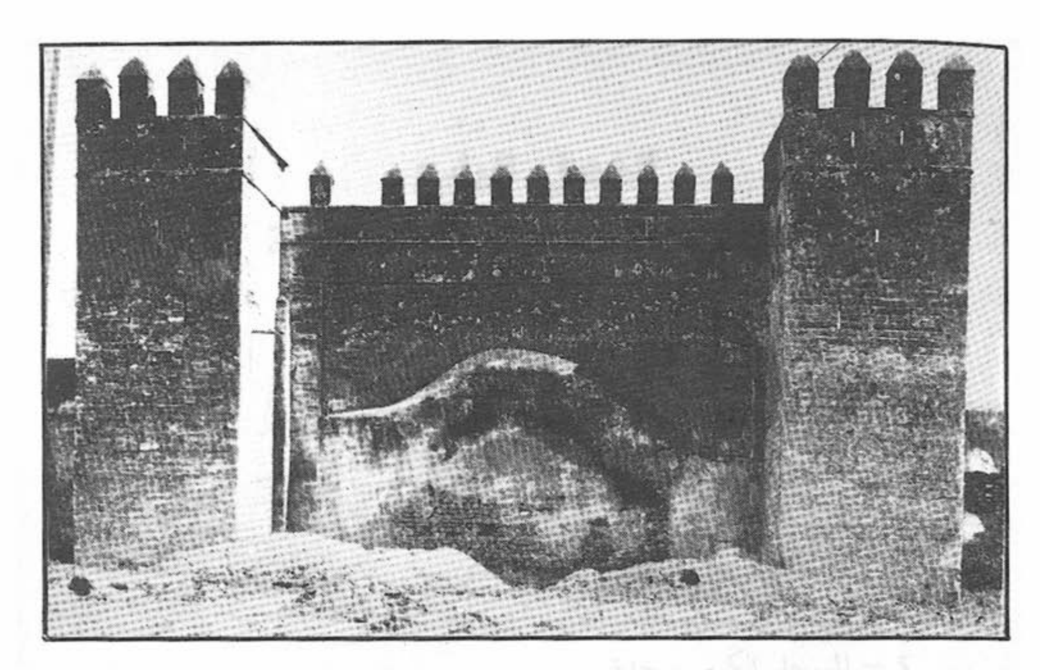
وبالفعل فكما بادر أبو يوسف يعقوب المريني مؤسس الدولة إلى بناء السور الغربي لمدينة سلا من أول دار الصناعة قبلة الى البحر جوفا، (فإنه يرجع اليه الفضل كذلك في بناء دار الصناعة وباب المريسة العظيم الذي لا يداني إشرافه على مصب أبي الرقراق وسلا سوى إشراف أبي الهول والأهرام على القاهرة)[2].

وفي أمر بناء دار صناعة السفن الحربية بسلا يقول الشيخ أبو العباس أحمد السلاوي : (ودار الصناعة المذكورة في هذا الخبر هي الدار التي كانت تصنع بها الأساطيل البحرية والمراكب الجهادية يجلب إليها العود[3] من غابة المعمورة فتصنع هناك ثم ترسل في الوادي وكان ذلك من الأمر المهم في دولة الموجدين) ثم ينقل عن جذوة الاقتباس اسم المهندس وموطنه الأصلي واختصاصه المعماري وقدراته الفنية فيقول :

(قال في الجذوة : دار الصناعة بسلا بناها المعلم أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن الحاج من أهل اشبيلية، وكان من العارفين بالحيل الهندسية ومن أهل المهارة في نقل الأجرام ورفع الأثقال بصبر باتخاذ الآلات الحربية).[4]

---

(1) كتابنا تاريخ شالة الإسلامية ص 73 وكتاب البعثة العلمية الفرنسية : الرباط وضواحيها 36/3.
(2) كتابنا تاريخ شالة الإسلامية ص 283.
(3) العُود بضم العين عند المغاربة معناها الخشب، بينما العَوْد بفتح العين وسكون الواو تعني الحصان.
(4) الاستقصا 22/3.



شكل 23
باب دار صناعة السفن بأسوار سلا وحالته المخربة قبل الاستقلال

ويضيف الاستاذ المنوني إلى تلك المعلومات مكان وزمان وفاة المهندس المعلم أبي عبد الله محمد الاشبيلي الأصل باني دار الصناعة فيقول : وإليه – يقصد يعقوب بن عبد الحق المريني – يعزى بناء دار الصناعة بسلا على يد المهندس الأندلسي محمد ابن علي بن عبد الله بن الحاج الاشبيلي الأصل والمتوفى بفاس الجديد سنة 714 هـ (1314م)[1].

ويستطرد الأستاذ المنوني في وصف دار الصناعة فيقول (وقد بنيت مدينة سلا من جهة وادي أبي رقراق، وجعل لها بابان كان الوادي يدخل من أحداهما ويخرج من الآخر بصناعة هندسية، حيث جلب الماء من الوادي إلى الباب المسامت لجامع حسان في ترعة عميقة (شكل 18 + 23).

فإذا صنعت سفينة جديدة بهذه الدار وأُريد إرسالها إلى الوادي، فتحت الترعة فيدخل الماء وتعوم فيه السفينة فتخرج من الباب القبلي سابحة على وجه الماء إلى أن تقع في الوادي، ولذلك ارتفع قوس الباب القبلي جدا (الشكل 19) ليخرج المركب منشور القلاع.) [2].

---

(1) النوني : ورقات ص 76.
(2) نفس المصدر وتعليق ص 87 نقلا عن مخطوط الاتحاق الوجيز المحفوظ بالخزانة العامة بالرباط وانظر المغرب عبر التاريخ لإبراهيم حركات 162/2.

الفصل الرابع
العمارة الدينية والمباني الجنائزية

أولا : عرض عام لمساجد المرينيين.

ثانيا : مساجد المرينيين بالمغربين الأقصى والأوسط.

1 – الجامع الكبير بفاس الجديد.
2 – الزيادة المرينية بمسجد شالة العتيق.
3 – الزيادة المرينية بمسجد تازا الموحدي.
4 – مسجد المنصور بتلمسان.
5 – المسجد الكبير بوجدة.
6 – مسجد العباد بتلمسان.
7 – مسجد الحمراء بفاس الجديد.
8 – مسجد سيدي ابن صالح بمراكش.
9 – مسجد أبي الحسن بفاس البالى.
10 – مسجد سيدي الحلوي بتلمسان.
11 – مسجد أزهار بفاس الجديد.
12 – مسجد الشرابليين بفاس.
13 – الجامع الكبير برباط الفتح.
14 – جامع الغربية.
15 – جامع العباسيين بالبيضاء.

ثالثا : الأضرحة والعمائر الجنائزية.

1 – قباب شالة المرينية.
2 – جامع الجنائز بالمسجد الكبير بفاس الجديد.
3 – قبيبات بني مرين بفاس.

الفصل الرابع

العمارة الدينية والمباني الجنائزية

أولا : عـرض عـام لمساجـد المـرينييـن

إن عمارة المرينيين الدينية وأولها المساجد أكثر من أن يسعها الحصر كثرة. ونذكر منها المسجد الكبير بفاس الجديد الذي بناه يعقوب سنة 674 هـ[1] ثم الزيادة المرينية التي أضافها يعقوب بن عبد الحق إلى المسجد العتيق بشالة من أسكوب واحد متراجع من النهايتين والتي كشفنا عنها ودرسناها بكتابنا حفائر شالة الإسلامية، ثم إضافة خلفه يوسف سنة 690 بمسجد تازا الذي أسسه عبد المؤمن الموحدي عام 542 كما بنى يوسف بوجدة مسجدها الكبير سنة 696 ومسجد المنصورة بتلمسان سنة 702 ومصلى المنصورة [2]بنفس المدينة وهي عبارة عن مساحة واسعة خارج المدينة يحيط بها سور به موقع القبلة. وعندما جاء دور أبي الحسن المريني[3] قام بتشييد مسجد العباد الملحق بضريح العارف بالله سيدي أبي مدين الغوث الأندلسي عام 739 هـ، وكان نفس الملك قد شيد على يد نفس المهندس مسجد الحمراء السابق على مسجد العباد بعدة سنوات. ومن عصر المرينيين كذلك مسجد سيدي ابن صالح بمراكش[4] الذي تحمل صومعته نقشا تأسيسيا في الزليج مؤرخا بعام 721هـ[5]، وهو مسجد يقع ضمن مجموعة معمارية تشتمل على مسجد وصومعة ومسيد ومدرسة. وفي فاس مرة أخرى بنى أبو الحسن مسجد فاس الجديد عام 739 هـ ومسجدا من أسكوب واحد بفاس البالي سنة 742 هـ. وقد شيد السلطان أبو عنان سنة 754 مسجد سيدي الحلوى بتلمسان

---

(1) بوريس ماسلوف : مساجد فاس وشمال المغرب لدراسة الجامع الكبير بفاس الجديد. ودراستنا لتخطيط المسجد وجامع الجنائز بكتابنا حفائر شالة الإسلامية.

(2) راجع جورج مارسيه : تلمسان.

(3) عن منشآت أبي الحسن المريني راجع مخطوط الخطيب بن مرزوق أو المقتطفات التي نشرت بمجلة هسبريس. وإشارة الدكتور حركات بالمغرب عبر التاريخ 160/2 (إن الجامع الكبير بتلمسان من بناء أبي الحسن، والبناء الأصلي يعود لى عهد ابن يوسف 530 هـ ورممه عبد المؤمن)، إنها إشارة غير مطابقة للواقع التاريخي، انظر دراستنا للمسجد الأعظم بتلمسان بالجزء الثاني من كتابنا تاريخ العمارة والفنون الخاص بعصر المرابطين، فإن أبا الحسن المريني لم يكن باني أو مؤسس المسجد المذكور.

(4) التخطيط والدراسة التاريخية بكتابنا حفائر شالة الإسلامية.

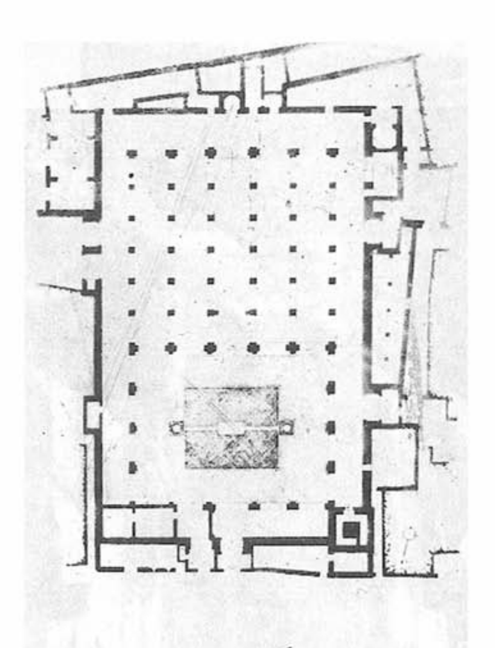
(5) عثمان عثمان : الفنون الإسلامية والنقوش العربية، الفصل السادس.

مجاورا لضريح صوفي أندلسي كذلك، كما بنى بفاس الجديد سنة 759 مسجد أزهار الذي يعتبر من أجمل المساجد المرينية عامة[1]. ويتبقى بفاس في حي الشرابليين مسجد يعرف بمسجد الشرابليين[2] يرجع إلى القرن الثامن غير أن صحنه المستطيل يشير الى العودة نحو الأسلوب الموحدي، وقد جدده المولى سليمان ويبقى منه المدخل والصومعة. وفي مدينة الرباط مجموعة تاريخية تشتمل على الجامع الكبير والسقاية العزيزية التي تحمل واجهتها نقشا تأسيسيا في شكل أبيات شعرية والمارستان العزيزي الملاصق[3] لها، وذلك بالإضافة إلى أعمال المرينيين المعمارية بجامع الأندلسيين التي درسناها في فصل سابق.

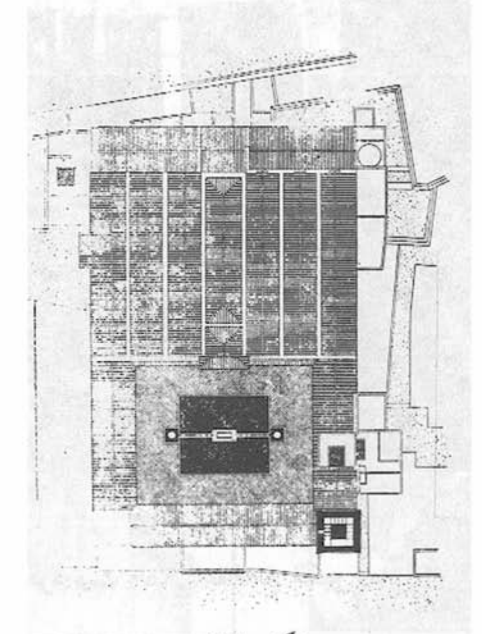
(1) راجع كتاب بوريس ماسلوف عن مساجد فاس وشمال المغرب.

(2) ماسلوف : مساجد فاس وشمال المغرب ومارسيه نفس المصدر ص 274.

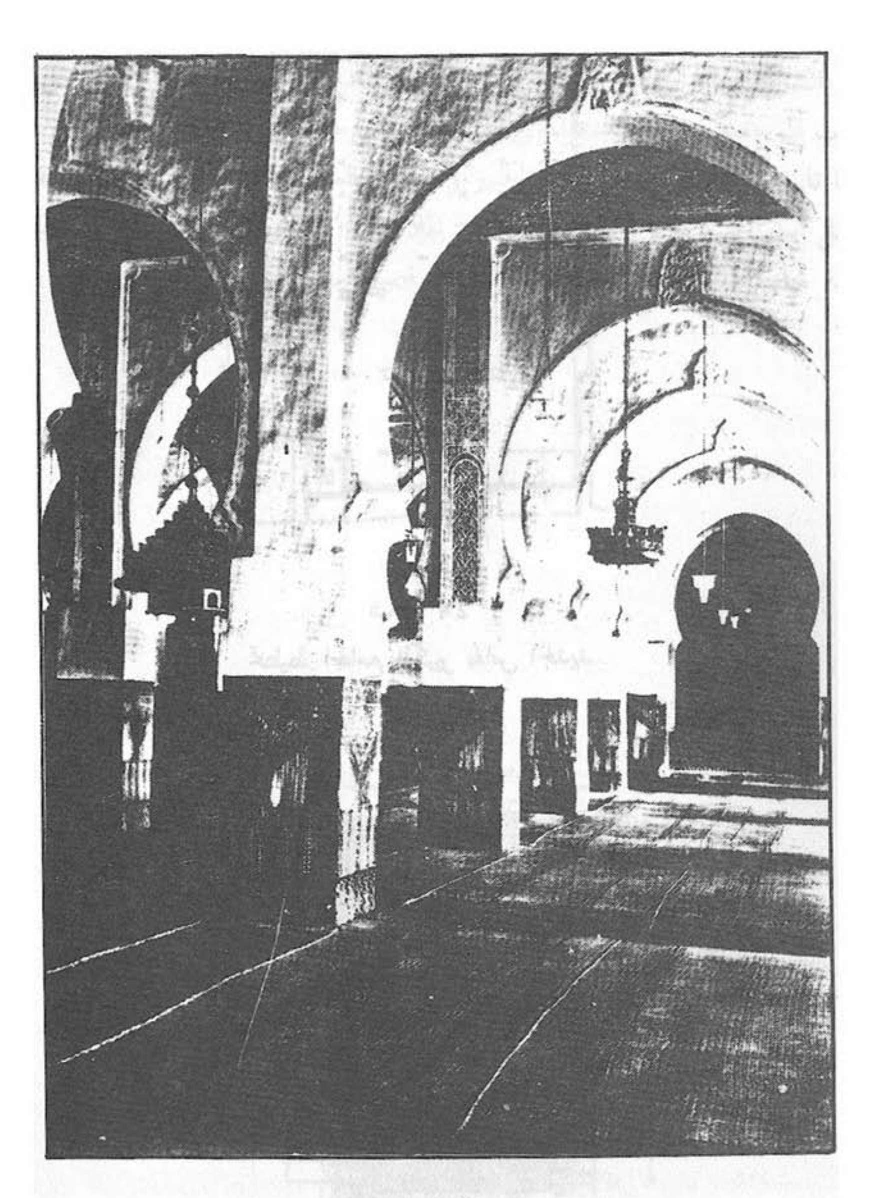
(3) راجع كتابنا تاريخ شالة الاسلامية وكتابنا الفنون الاسلامية والنقوش العربية خاصة الفصل السادس للوقوف على أساليب تأريخ لتلك المجموعة المعمارية.



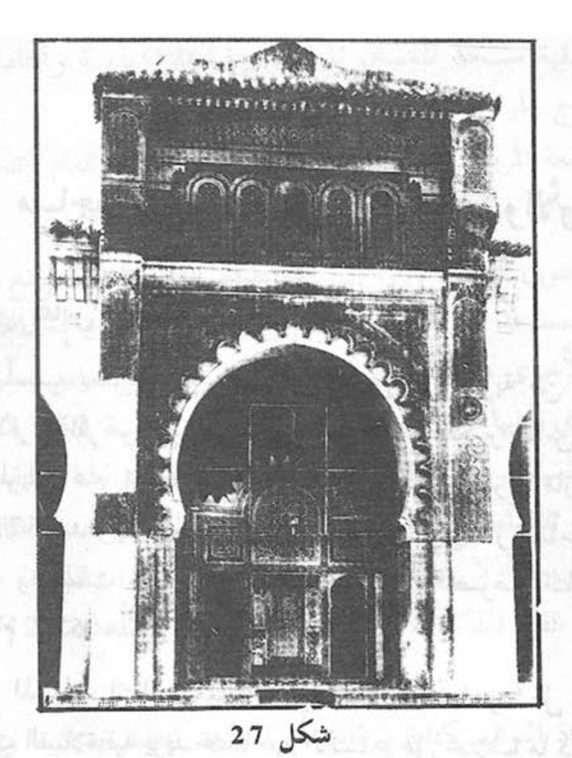
شكل 24
تخطيط الجامع الكبير بفاس الجديد



شكل 25
تصميم أسقف الجامع الكبير بفاس الجديد

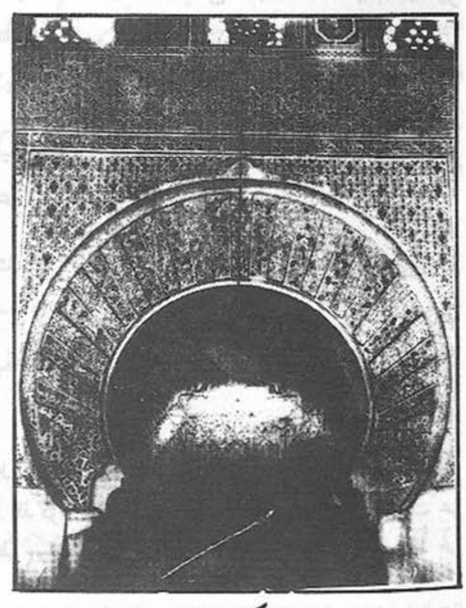


شكل 26
عقود بيت الصلاة بالجامع الكبير بفاس الجديد



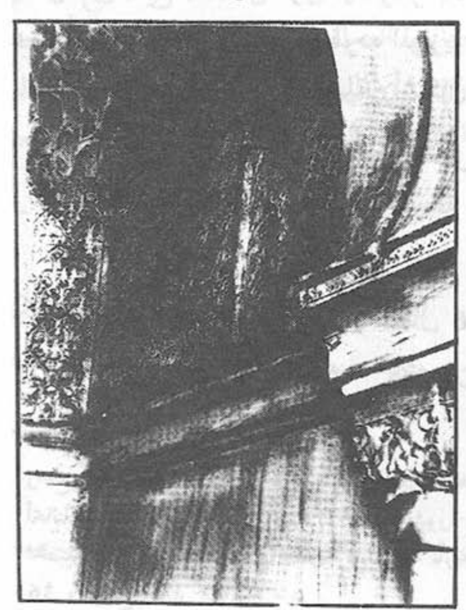
شكل 27

عقود بلاط المحراب تنتهي بالعقد المطل على الصحن حيث العنزة بالجامع الكبير بفاس الجديد



شكل 28

واجهة المحراب بالجامع الكبير بفاس. الجديد



شكل 29

تغطية المحراب والزخارف المعمارية

ثانيا : مساجد المرينيين بالمغربين الأقصى والأوسط

1 - الجامع الكبير بفاس الجديد :

مسجد جامع أسسه يعقوب بن عبد الحق المريني على مقربة من القصر الملكي وقد أرخ زميلنا المؤرخ الاثري المرحوم بوريس ماسلوف الجامع الكبير بفاس الجديد من عصر ابي يوسف يعقوب المريني عام 674 هـ (1275 م) ويعتقد جورج مارسيه أنه يرجع إلى عام (1276 م) أي 675 هـ. وقد اضطررت الى إعادة البحث في تاريخ تأسيس المدينة البيضاء المعروفة بفاس الجديد وتوصلت بناء على الأبحاث الميدانية والنصوص التاريخية[1] ومقارنتها، إلى تأريخ المسجد بعام 677 هـ.[2]

ويحقق تخطيط المسجد انتظاما ملحوظا وتناسقا هندسيا ويشغل مستطيلا مساحته 54 × 34 مترا. وبيت الصلاة فيه يزيد عمقا عن الاتساع على خلاف ما ذكر جورج مارسيه ويشتمل على سبع بلاطات أوسطها وهو بلاط المحراب أكثر سعة من سبعة أساكيب يتميز من بينها أسكوب القبلة بسعته وعقوده الموازية لحائط المحراب حيث تستند إليها عقود البلاطات التي تتجه عمودية نحو جدار القبلة (أشكال 24، 25).

ويكاد يزيد اتساع الصحن عن العمق وتحيط به ثلاث مجنبات من الشمال والشرق والغرب، وعقود المجنبة الشمالية موازية للقبلة بينما عقود المجنبتين الشرقية والغربية عمودية[3] .

وعقود بيت الصلاة متجاوزة كاملة الاستدارة من أعلى (plein cintre outrepassé) وترتكز على دعائم مستطيلة المقطع (أشكال 26 - 29). وقد وضعت قبة عند بداية بلاط المحراب من جهة القبلة وأخرى عند نهايته من جهة الصحن، وهما قبتان ذاتا عقود متداخلة

(1) راجع أبحاثنا المطولة بكتابنا حفائر شالة الإسلامية الفصل السادس.

(2) أبحاثنا الميدانية بفاس الجديد 1960/1961 المنشورة بكتابنا المذكور قبل عشرين عاما من ظهور كتاب ورقات عن الحضارة المرينية للاستاذ المنوني الذي أكد صحة تأريخنا، انظر ورقات نشر الرباط 1981 ص 16 وتعليق 10 ص 36 والمراجع المشار اليها.

(3) انضر كتاب مارسيه عن العمارة الاسلامية الغربية ص 268 وشكل 167 وانظر كتاب ماسلوف ص 30 وشكل 10 ص 40.

متقاطعة تذكران بقبة مسجد تلمسان المرابطية وقبة تازا مرينية وتختلفان عن قباب القرويين التي ذكرها جورج مارسيه.[1]

وتقع الصومعة المربعة بالركن الشمالي الغربي للتخطيط العام وتتحقق إضاءتها الداخلية عن طريق أربعة نوافذ مرتبه رأسياً على محور الواجهة الشمالية.

وبالركن الجنوبي الغربي بارزا عن التخطيط العام يوجد جامع الجنائز ملتصقا بنهاية الواجهة الجنوبية للمسجد من ناحية القبلة، وينقسم إلى قاعتين إحداهما مستطيلة تفتح على أسلوب المحراب والأخرى مربعة تغطيها قبة أرخها مارسيه على أساس أسلوب زخرفتها بمنتصف القرن الثامن الهجري وفيها دفن السلطان أبو عنان المتوفى سنة 759 هـ والخطيب محمد ابن العالم والوزير الخطيب بن مرزوق المتوفى 760 هـ. وقد أثبتنا سابقا بكتابنا حفائر شالة الإسلامية إرجاع تاريخ بناء القبة المذكورة إلى حياة السلطان أبي سعيد عثمان الذي تعود الجلوس بها في حياته ثم دفن بها أولا 731 هـ بعد نقله إليها من تازا وقبل أن ينقل جثمانه بعد ذلك إلى شالة[2] وتزدان القبة المذكورة بزخارف غنية وأنيقة وقبة ذات 12 عقدا متقاطعا ترتقي فوق المقربصات.

وذكر الأستاذ المنوني بكتابة ورقات أن المسجد يحتفظ بعمارته وزخارفه على علامات من مميزات الطراز المغربي الأندلسي خاصة وقد استخدم مؤسس فاس الجديد والجامع المذكور يعقوب بن عبد الحق عدداً من أسر الأسبان إلى جانب العمال والصناعة المغاربة، وقد أشرف على عمارة المسجد أبو عبد الله بن عبد الكريم الحدوي ووالي مكناس أبو علي الأزرق، ويظهر أن الأول كان مشرفا على التصميمات بينما أشرف الثاني على النفقات التي خصصت لها مداخيل معصرة مكناس.[3]

---

(1) انظر وصف جورج مارسيه بكتابة العمارة الإسلامية الغربية ص 268 وتصميم القبة من الداخل عند ماسلوف بمساجد فاس شكل 42 بعد ص 44.

(2) انظر ذلك مفصلا بكتابنا تاريخ شالة الفصل السادس.

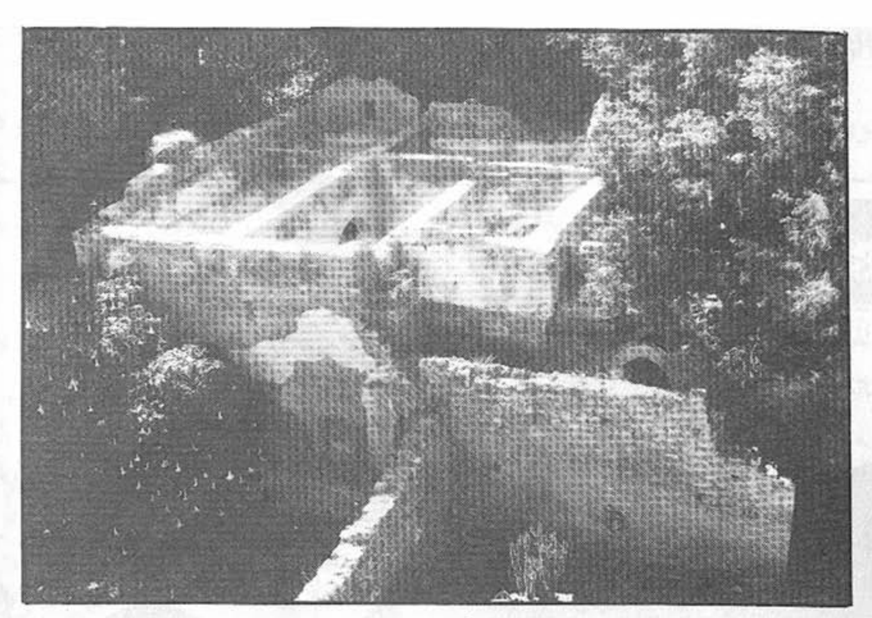
(3) ورقات ص 17/16.

2 – الزيادة المرينية بمسجد شالة العتيق : يعقوب المريني سنة 675 هـ.

لقد أمكنتنا الأبحاث المطولة والحفائر الأثرية من الكشف عن حقيقة وتطور مسجد شالة العتيق الذي اتفق الأثريون المستشرقون والمؤرخون العرب على إرجاعه إلى عصر أبي الحسن المريني. لقد أدت الأبحاث والحفائر إلى الكشف عن مسجد أول عتيق أرجعناه إلى عصر الأدارسة، فوقه مسجد آخر من العصر الزناتي بنفس السعة والتخطيط يشتمل حسب التقاليد الإسلامية المبكرة على أسكوبين اثنين، ثم كشفنا عن المسجد في عصره الثالث عندما أضاف إليه المرينيون أسكوبا واحدا جهة الصحن متراجعا أو مقصوصاً بكل من نهايته الشرقية والغربية (أشكال 30 – 32). وقد أرجعنا هذه الزيادة الى عصر يعقوب المريني المؤسس الحقيقي لدولة بني مرين والذي اختار لأول مرة موقع شالة لدفن المجاهدين من بني مرين حيث بدأ بدفن زوجته الحرة أم العز سنة 683 هـ وحيث دفن هو بعد ذلك سنة 685 هـ. وقد افترضت تأريخ الزيادة المرينية بعام 675 هـ بناء على أدلة تاريخية وأثرية ناقشتها مطولا بكتابي حفائر شالة الإسلامية[1].

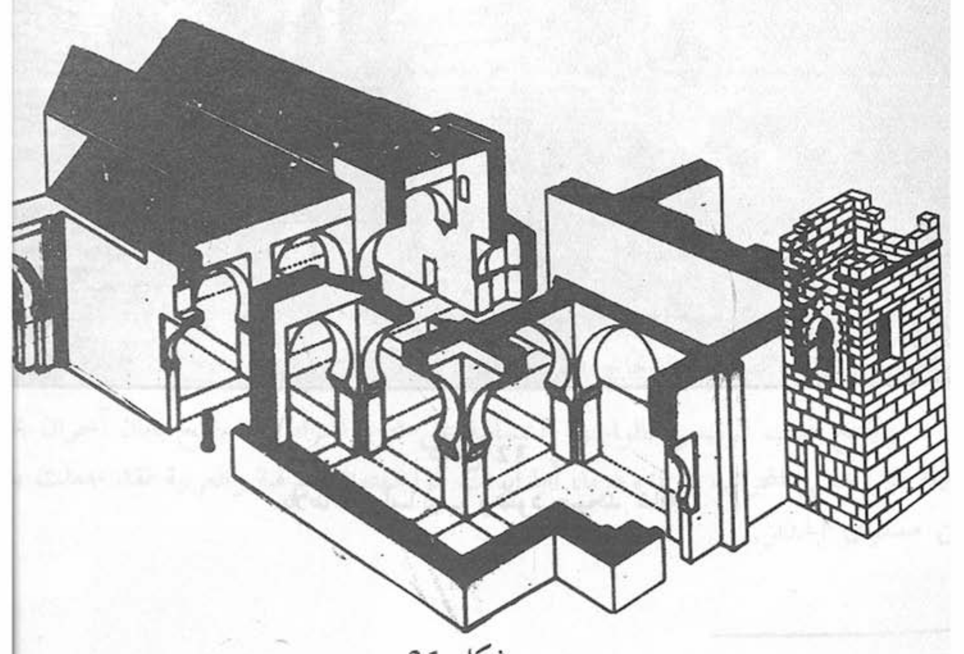
---

(1) كتابنا حفائر شالة الاسلامية الفصل السادس عند دراسة ظاهرة القص بمسجد شالة العتيق.



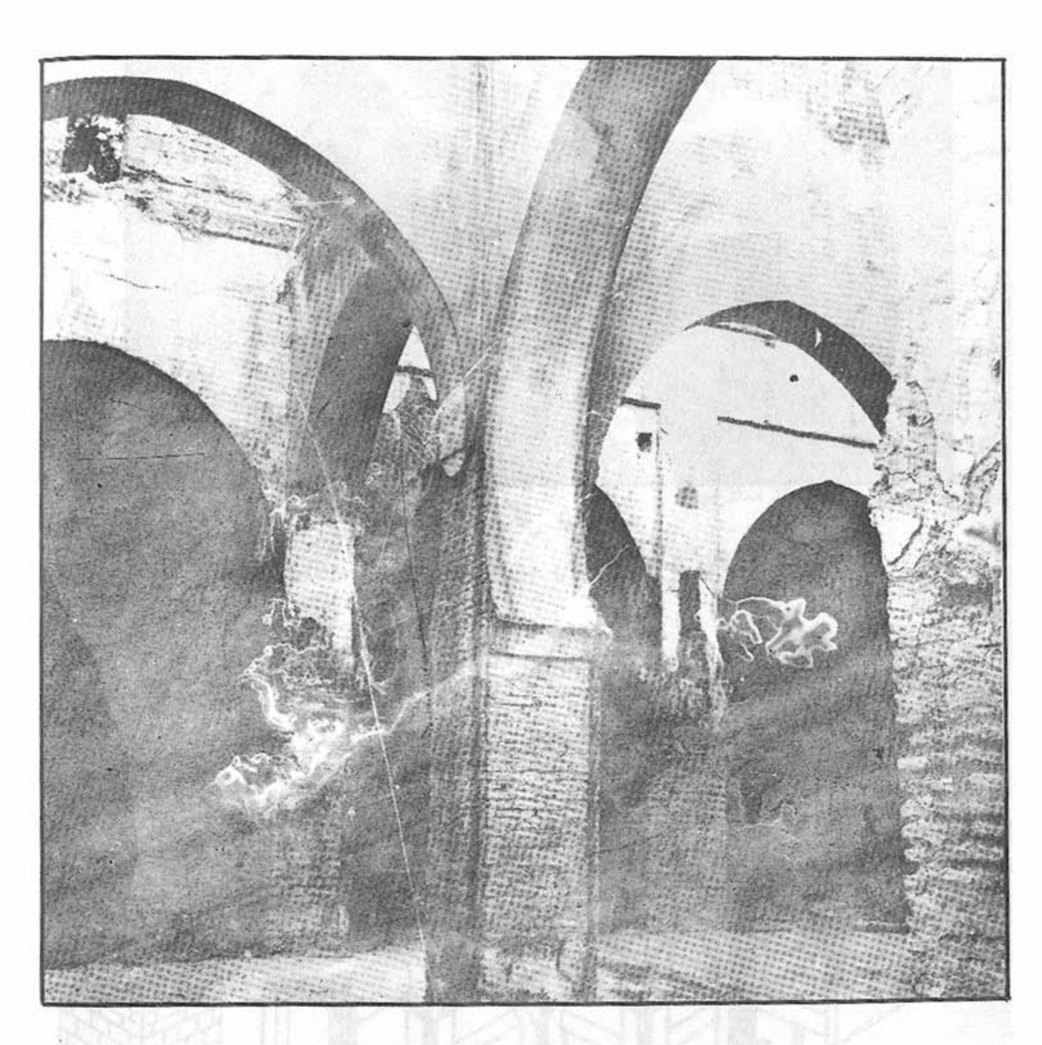
شكل 30

مسجد شالة بحالته الراهنة المخربة وقت حفائرنا الأثرية 1959 م



شكل 31

تخطيط مسجد شالة بعد الزيادة المرينية كما توصلت اليه أبحاثنا وحفائرنا



شكل 32
بلاطات وأساكيب وعقود مسجد شالة

3 – الزيادة المرينية بمسجد تازا الموحدي

ويعتبر المسجد بحق مرحلة انتقال بارزة بين عمارة الموحدين وعمارة بني مرين. ولاغزو فالمسجد بحالته الراهنة يرجع إلى أواخر القرن السابع وبالذات إلى عام 691 هـ من عصر أبي يعقوب يوسف بن أبي يوسف يعقوب الذي أجرى الأعمال في زيادة المسجد الموحدي ما يقرب من عشرين شهراً.

لقد كان مسجد الموحدين عبارة عن صحن يزيد اتساعه عن عمقه تحيط به زيادات من جهاته الثلاث شمالا وشرقا وغربا، وبيت للصلاة يزيد اتساعه عن العمق يشتمل على أربعة أساكيب وسبعة بلاطات. ويتميز أسكوب القبلة سعة عن بقية الأساكيب وبصف من العقود الموازية تستند إليها عقود البلاطات العمودية، ثم بلاط للمحراب أكثر سعة من البلاطات الأخرى. والصومعة قرب نهاية الواجهة الشرقية ناحية الشمال بارزة كلها عن مستوى حائط المسجد.

وبعد زيادة المرينيين احتفظ الصحن بتخطيطه الأول، ثم أضيف بلاط جانبي بطول كل من الواجهتين الشرقية والغربية يبدأ شمالا بالصحن ويتجه جنوبا إلى جدار القبلة الجديد بعد أن أصبح المسجد يشتمل على ثمانية أساكيب وتسعة بلاطات (أشكال 33 – 38). وقد تميز أسكوب القبلة الجديد بسعته وإقامة قبة هرمية بكل من نهايته الغربية والشرقية فوق المساحة الناتجة من التقاء البلاط الجانبي الطولي مع نهاية أسكوب القبلة بكل من طرفيه الشرقي والغربي[1]، بينما تميزت أسطوانة المحراب المريني الجديد بأروع قبة إسلامية عمارةً وزخرفةً وأناقةً رفعت على مقرنصات (مقسمة إلى دلايات) حولت التخطيط الأرضي المربع إلى تخطيط علوي مثمن يتحول إلى قاعدة ذات 16 ضلعا تجلس عليها طاقية القبة التي صمم هيكلها من عقود معمارية متقاطعة مُلِئَت الفراغات بينها بأنواع شتى من الزخارف الجصية ذات العناصر الكتابية والنباتية والزجاج الملون (شكل 39).

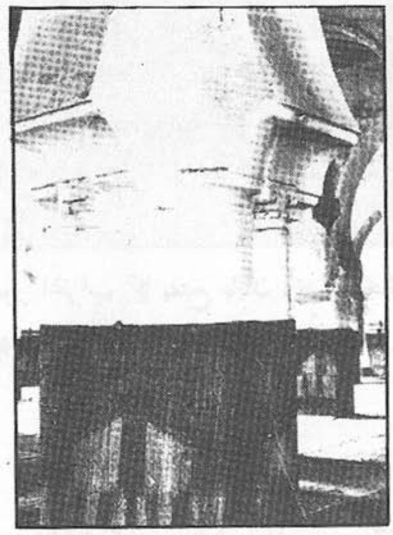
ويفتح الباب الرئيسي بالواجهة الشمالية على محور المحراب كما يفتح بابان آخران بحائط القبلة على جانبي المحراب شرقا وغربا، أما أبواب الواجهتين الشرقية والغربية فقد جعلت بارزة عن مستوى الجدار.

---

(1) راجع التخطيط والدراسة واللوحات في كتاب مارسيه المذكور ص 271 ثم كتاب ماسلوف ابتداء من ص 17 ثم شكل 5 ص 18 وشكل 6 ص 20.

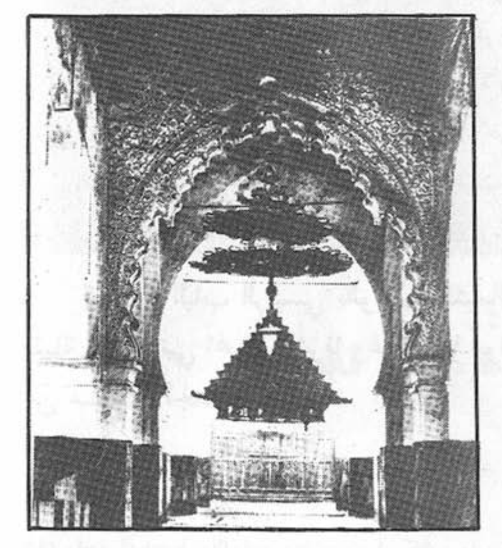
شكل 33

تخطيط المسجد الجامع بتازا في العصر المريني



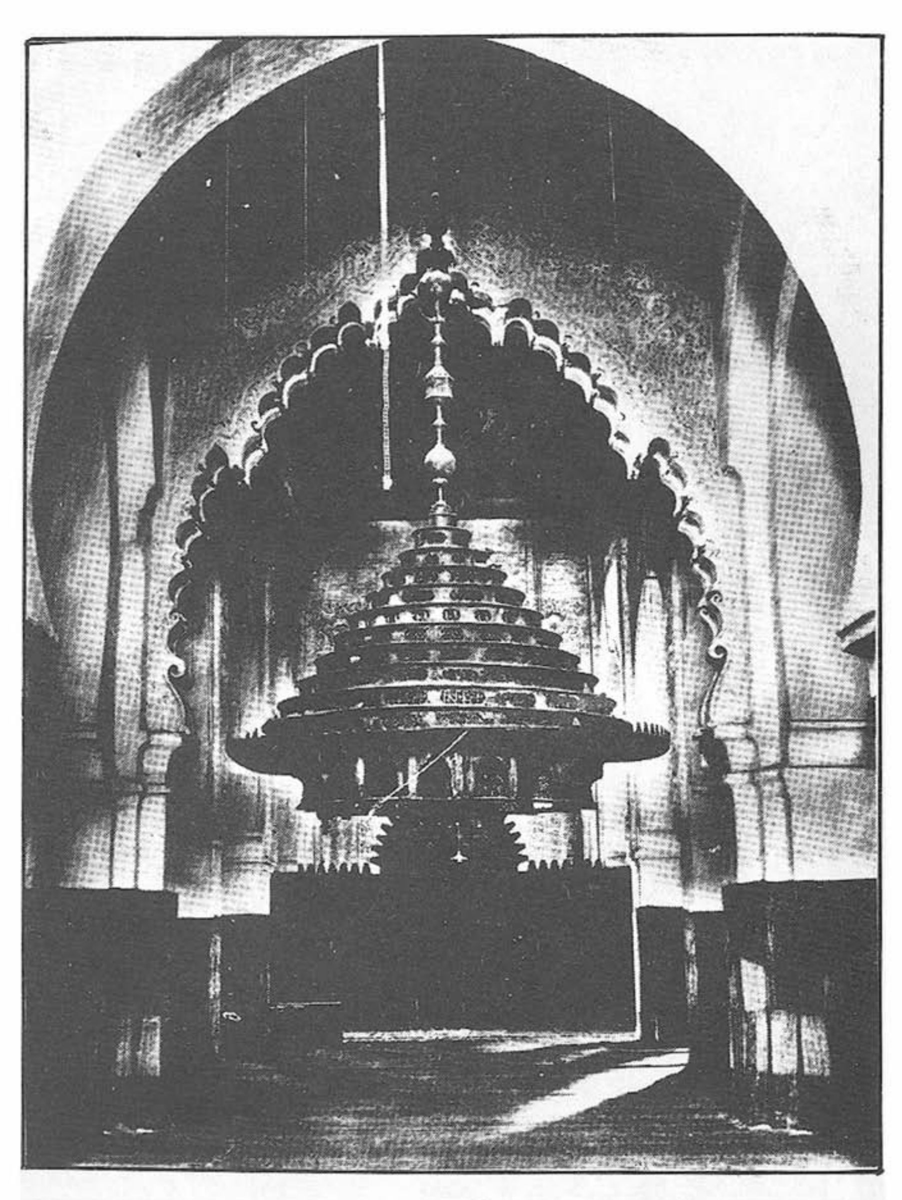
شكل 34

نظام الأعمدة وبدايات العقود

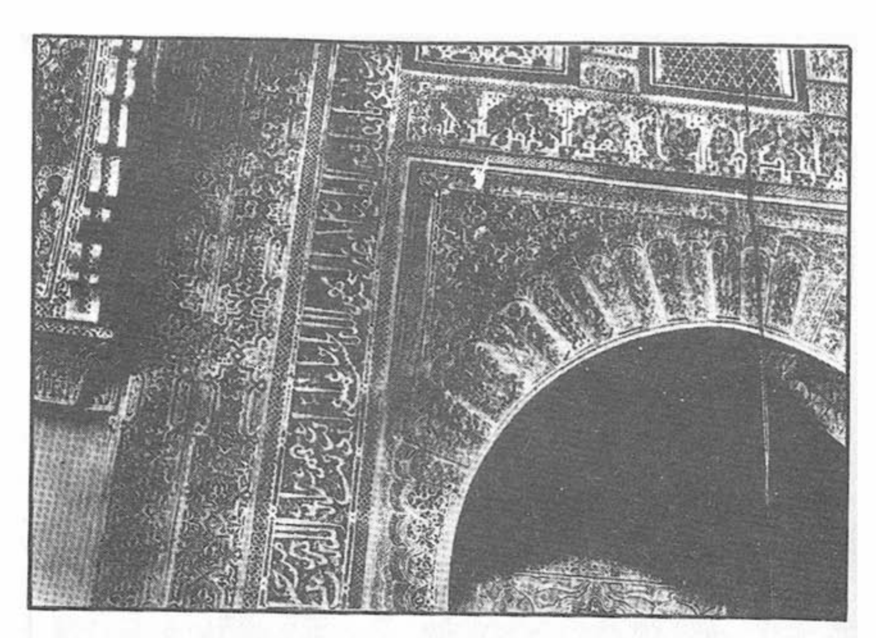


شكل 35

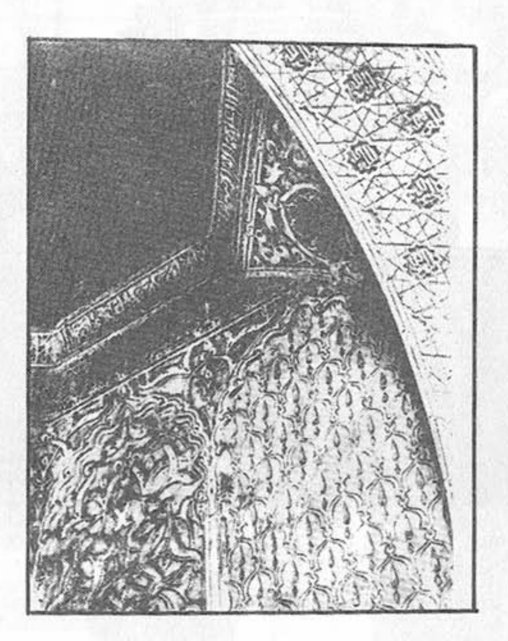
بلاط المحراب في اتجاه العنزة



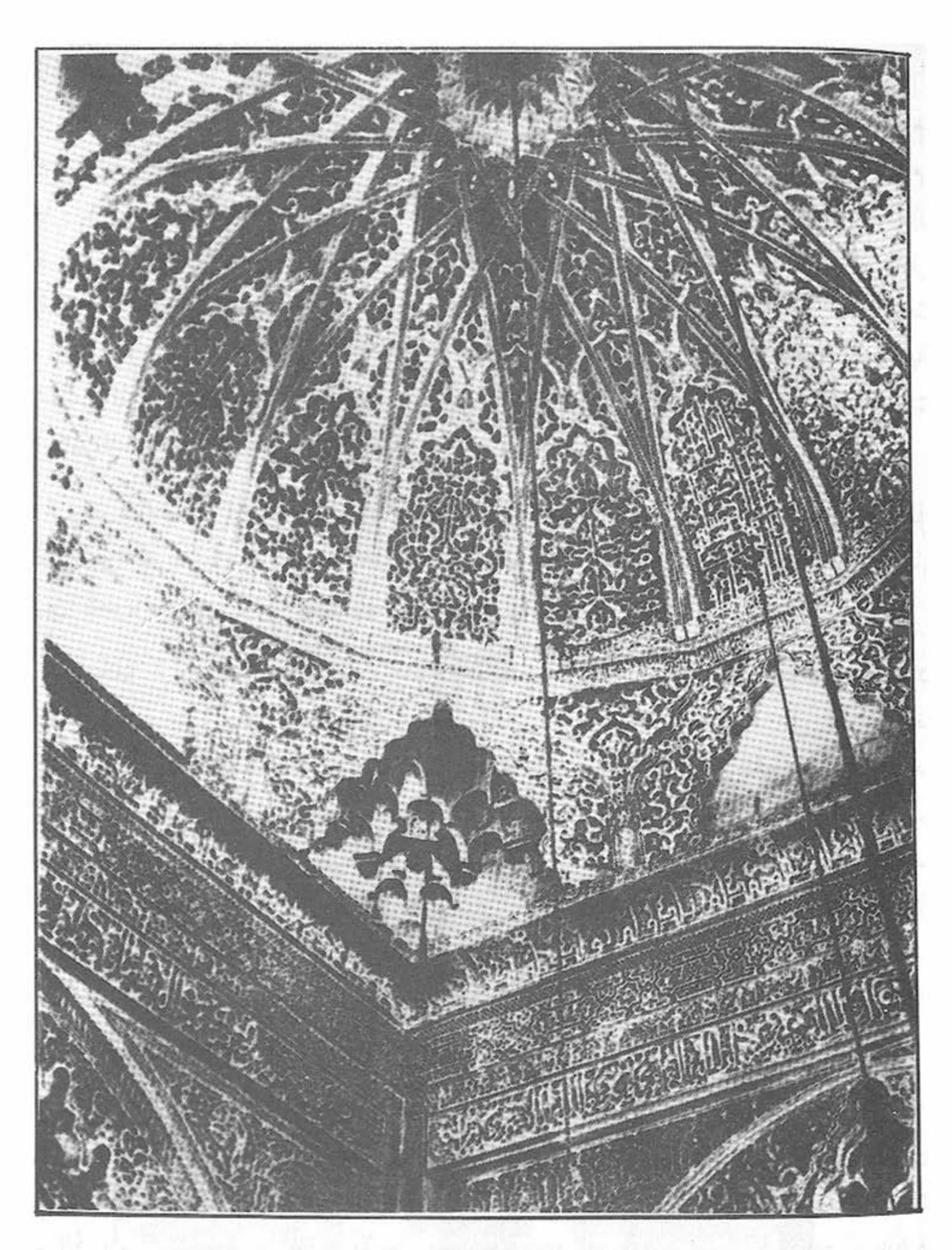
شكل 36
بلاط المحراب في اتجاه القبلة بالمسجد الجامع بتازا



شكل 37
تفصيل عمارة وزخرفة واجهة المحراب بالمسجد الجامع بتازا



شكل 38
مثلث كروي لتغطية جوفة المحراب بالمسجد الجامع بتازا



شكل 39
القبة الرئيسية أمام المحراب بروعتها المعمارية والفنية بالمسجد الجامع بتازا

4 – مسجد المنصورة بتلمسان :

إنه أحد المساجد المرينية التي تخلفت بتلمسان الداخلة في حدود القطر الجزائري اليوم. ويرجع تاريخ الشروع في بنائه إلى السلطان أبي يعقوب يوسف المريني 702 هـ (1303 م) حسبما ورد في إشارات لعبد الرحمن بن خلدون وفي نقش تاريخي بالمسجد. والمعلوم أن السلطان يوسف المريني قد مات أثناء حصاره لتلمسان سنة 706 هـ حيث نقل الى المغرب ودفن بشالة تبعا للنصوص التاريخية التي قرأناها على شواهد القبور[1]. ولا شك أن ذلك الحدث أدى الى رحيل البنائين والمزخرفين والصناع المغاربة وتوقف العمل في البناء حتى كانت أيام أبي الحسن المريني الذي أعاد بناء منصورة تلمسان سنة 736 هـ (1336 م) وأتم البناءات التي كان قد بدأها أبو يعقوب يوسف.

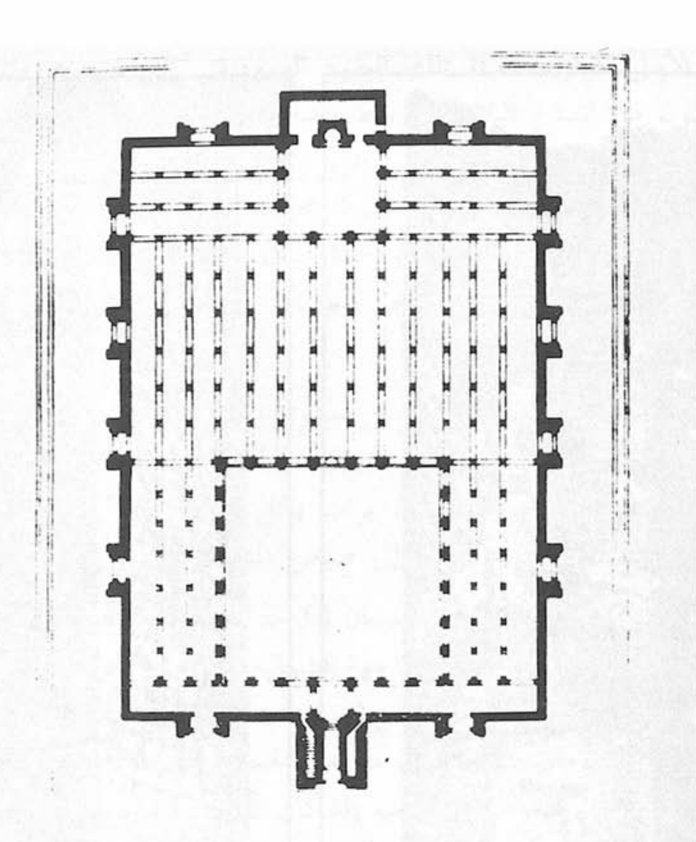
وقد شاء سوء الحظ لذلك البناء المهيب أن يحظى بالإهمال والحوادث المتكررة لنقل مواده وأخيرا تخريبه باعتبار أن منشآت منصورة تلمسان كانت تذكر المواطنين دائما بحصار المرينيين الطويل والمرير لمدينة تلمسان.

وهكذا لم يتبق من الأثر غير حدود تخطيطه الأول على هيئة بقايا حوائط وجدران كما سقط قطاع طولي من نصف الصومعة. وتدل آثار مسجد المنصورة على أن جدرانه الخارجية قد أقيمت حسب التقاليد المرينية بالتابية (البتن المغربي غير المسلح) فوق مساحة منتظمة متماثلة تبلغ 80 مترا طولا × 60 متر عرضا. ويفتح الباب الرئيسي عند قاعدة الصومعة على محور المحراب بالواجهة الشمالية الغربية. والصحن مربع الشكل يبلغ طول ضلعه 30 مترا بكل جانب تحيط به زيادتان بكل من الناحية الشرقية والناحية الغربية تشتمل كل زيادة منها على ثلاثة بلاطات تتجه عقودها عمودية على القبلة، ثم زيادة شمالية من رواق واحد جعلت عقوده موازية للقبلة، كما يطل بيت الصلاة بصف من العقود الموازية وهكذا تطل فتحات العقود على الصحن من جهاته الأربع.

وبيت الصلاة يزيد عمقه عن اتساعه حسب التقاليد المرينية وعلى خلاف بيوت الصلاة في مساجد الموحدين ويستمل على تسعة أساكيب وثلاثة عشر بلاطا أوسعها بلاط المحراب وعقود بيت الصلاة كعقود المجنبتين تتجه عمودية نحو جدار القبلة ولكنها لا تبلغه حيث جعلت عقود الأساكيب الثلاثة من ناحية المحراب موازية لحائط القبلة ليعترض صف العقود الثالث

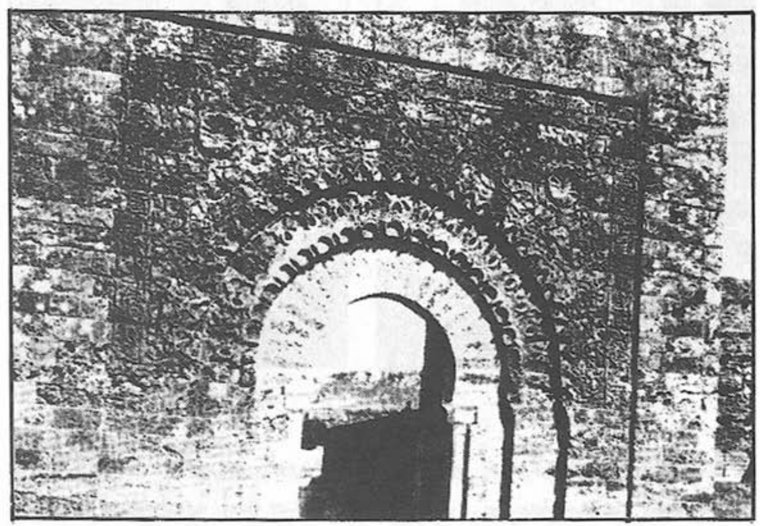
---

(1) عن تاريخ ذلك السلطان راجع كتابنا تاريخ شالة الإسلامية، وعن نقوش شاهد قبره راجع كتابنا دراسات جديدة في الفنون الإسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى.



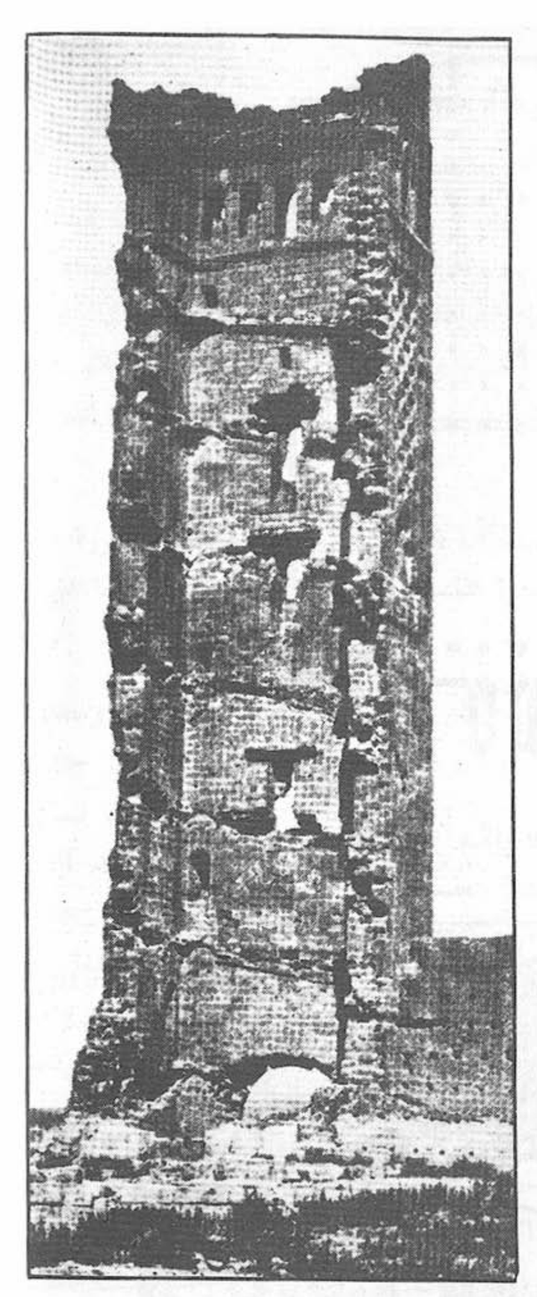
شكل 40

تخطيط مسجد المنصورة بتلمسان

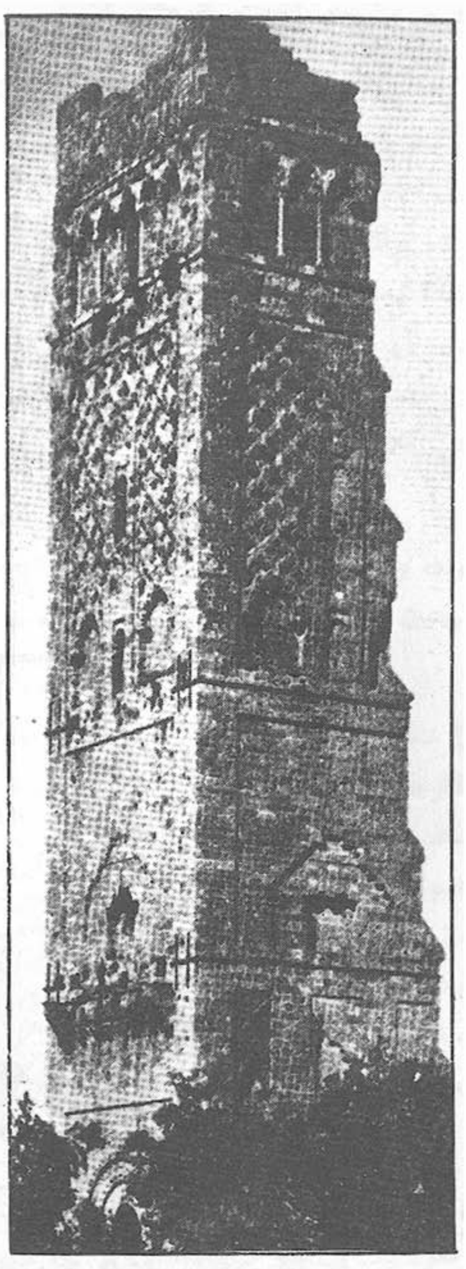


شكل 41

المدخل الرئيسي لمسجد المنصورة بتلمسان



شكل 43
بقايا عمارة القسم الداخلي المتبقي من صومعة مسجد المنصورة



شكل 42
عمارة وزخرفة القسم المتبقي من صومعة مسجد المنصورة، الواجهة الخارجية

بالأساكيب الأولى الموازية للقبلة تلك العقود العمودية. كما خصصت مساحة كبيرة أمام المحراب، تتكون من اتساع البلاط الأوسط والبلاطين المحيطين به وبعمق الأساكيب الثلاثة الأولى من جهة القبلة، لاحاطتها بالأقواس غربا وشمالا وشرقا أمام المحراب. وقد رفعت عقود المسجد فوق أعمدة مستديرة. وكان تخطيط محراب المسجد مضلع الشكل ويتميز وضعه المستقل بذاته وهيئته وبنائه بميزة غريبة وفريدة حيث يمكن الالتفاف حوله عن طريق فتحتين بالجانبين، الأمر الذي يذكرنا بمثال آخر وجدناه في بيت الصلاة بزاوية أبي سعيد عثمان بشالة[1] (أشكال 40 – 41).

وقد جعلت أبواب المسجد بارزة عن مستوى الجدران ومبنية بالحجر في مواضع متقابلة. فبالإضافة إلى المدخل الرئيسي على محور المحراب بالواجهة الشمالية، يوجد بابان جانبيان بكل من الواجهتين الشمالية والحنوبية وأربعة أبواب بكل من الحائطين الشرقي والغربي ثلاثة منها تؤدي إلى بيت الصلاة والرابع يؤدي إلى صحن المسجد[2].

ويبلغ ارتفاع صومعة منصورة تلمسان 38 مترا وتعتبر من أبدع ما خلفه الطراز المغربي الأندلسي في عمارة الصوامع، وتقع بالواجهة الشمالية على محور المحراب ويدور طريق الارتقاء إلى قمتها حول نواة محورية تحت سقف من قبو نصف اسطواني وتقاطع قبوين عند المنعرجات. ويبلغ سمك جدار الصومعة مترا ونصف متر من الحجارة الوردية اللون المختارة بدقة مما جعل تلك الصومعة من أجل البناءات الإسلامية (أشكال 42 – 43). وترجع الصومعة إلى عصر أبي يعقوب يوسف المريني بناها سنة 702 هـ وقد جعل واجهتها الرئيسية تتجه نحو المغرب ببوابة أشبه ما تكون بأبواب الحصون يتصدرها عقد متجاوز مدبب خفيف الانكسار ثم عقد مفصص ينحصر داخل مستطيل تدور به كتابة نسخية.

والصومعة مبنية جميعها بالحجارة المنجورة وعارية من البياض أو الطلاء حسبما عاينتها شخصيا خلال دراستي الميدانية منذ عام 1970 إلى عام 1973 م. ويرتقي فوق المستطيل سبعة مقرنصات يحدها كابولي من كل من الجانبين، وتبدو أسفل الكابولي (المسند) كلمات منقوشة من الكتابة الكوفية، وقد لفت نظري تشييد الصومعة برمتها في مستوى أعلى من مستوى بناء الأسوار وكأنها تشرف على الأسوار والمنطقة بأسرها.

---

(1) انظر تفصيل ذلك بكتابنا حفائر شالة الإسلامية وخاصة دراسة تخطيط زاوية أبي سعيد عثمان المريني التي كانوا يسمونها قبل أبحاثنا بالمسجد العتيق.

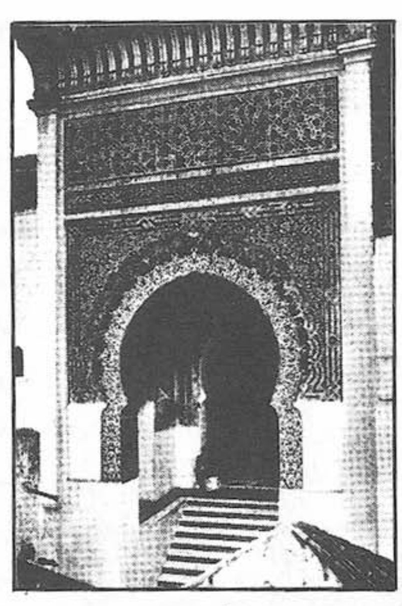
(2) انظر كتاب مارسيه المذكور عن العمارة الإسلامية الغربية ص 273 – 275 وتخطيط المسجد شكل 168 ص 274 ثم قطاع رأسي بالصومعة شكل 169 ص 275.

5 – المسجد الكبير بوجدة :

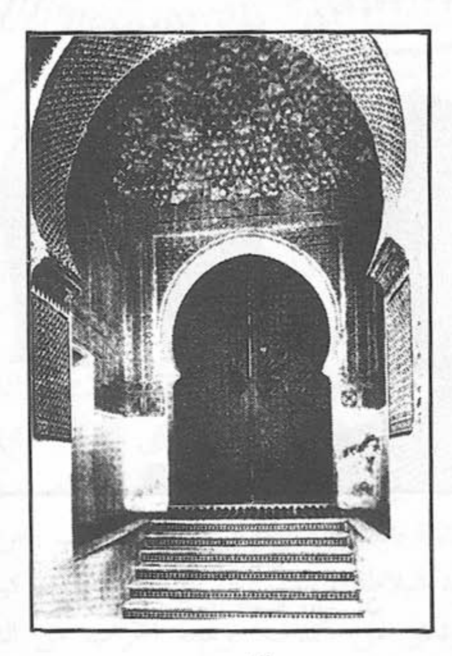
يرجع المسجد الجامع بوجدة الى عصر أبي يعقوب يوسف المريني من سنة 696 هـ (1296 م)[1]. وهو بناء متواضع يشتمل بيت الصلاة فيه على عشرة بلاطات وثلاثة أساكيب. ويبدو أن القسم الشمالي من بيت الصلاة والصحن قد أُعيد بناؤه[2]. وتقع الصومعة المربعة ذات الأبعاد المتناسقة ملتصقة بالركن الغربي لبيت الصلاة، أما المحراب فإن إطاره وعقده الأول لازالا محفوظان ويعكسان روح البناء الأول من نهاية القرن السابع كما أن جوفة المحراب فيه مغطاة بقبة ذات مقرنصات بأسلوب قديم وأن العقد الكبير الرخوي (Découpé En Lambrequins) يعكس بآثاره وزخارفه الزهرية مظهر العقود المماثلة من عصر المرابطين أكثر مما يعكس صورة العقود المماثلة بمساجد المرينيين الأولى.

---

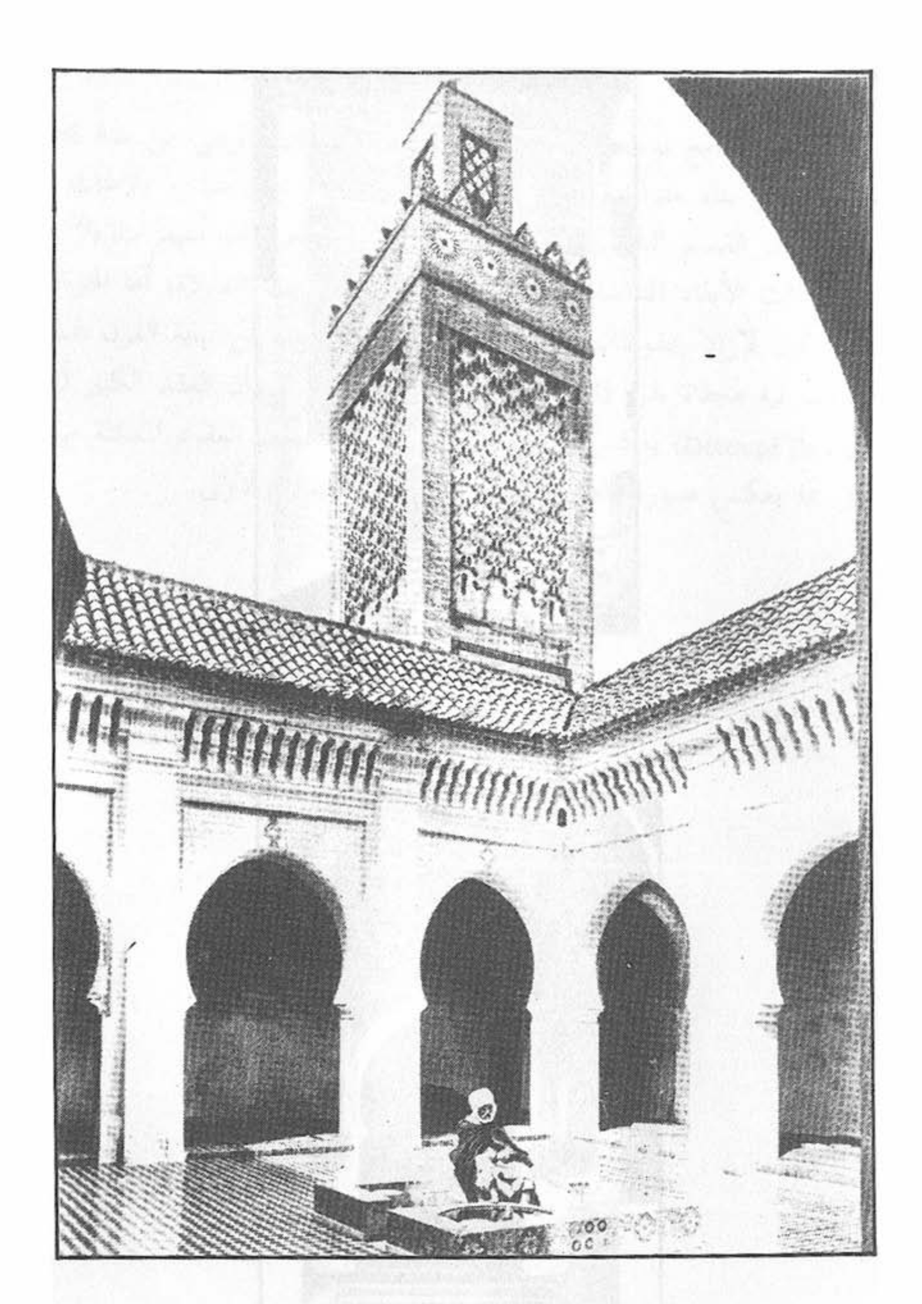
(1) جورج مارسيه نفس المصدر ص 271 (ويسمح لنا القرطاس بنسبة المسجد لنفس الأمير المريني...).
(2) نفس المصدر والصفحة.



شكل 44
مدخل مسجد العباد بتلمسان



شكل 45
تفصيل عمارة وزخرفة مدخل مسجد العباد بتلمسان



شكل 46
صحن مسجد العباد بتلمسان

6 – مسجد العباد بتلمسان :

خلال عام 739 هـ (1339 م) بنى السلطان أبو الحسن المريني بتلمسان مسجد العباد كبناء ملحق بضريح سيدي بومدين الصوفى الأندلسي المتوفى 594 هـ (1197 م).

ويعتبر مدخل هذا المسجد من أروع التحف المعمارية الفنية، ويُرتقى إليه بعدة دروج بسبب ارتفاع أرضية المسجد. وهو عبارة عن قوس كبير كأنه إيوان مغطى بأفخر أنواع الخزف المموه يتقدم قبة قائمة على مقرنصات دقيقة (أشكال 44 – 45). ويستحق مدخل مسجد العباد أن نقف أمامه وقفة متأنية لشرح الانطباع الذي خلفته زيارتنا له والشعور، رغم صغر المساحة، بالرهبة وتقدير الكمال والإجلال بمجرد ارتقاء درجات المدخل المتكامل عمارة وزخرفة بفن رفيع الجوهر والمظهر، فباطن العقد الأول الكبير وخدود المدخل قد غشيت بأنواع الزليج الملون المنقوش تحدها هندسة العقد المفصص المضفر، بينما تنطوي جوانح البنيقات على تركيبات نباتية متعددة الألوان، ثم يضم ذلك التركيب مستطيل عام كما هو الشأن في مداخل وواجهات الأبواب الكبرى، ويرتقي المستطيل نقش كتابي في الزليج تعلوه تقسيمات وتركيبات هندسية متماثلة من نوع الأرابسك.

وتقع التحفة الفنية الرئيسية خلف فتحة العقد مباشرة حيث تقوم قبة مقرنصة فوق المربع الصغير الذي نصل إليه بعد دروج المدخل، وهي المساحة التي تنتهي بدفتى الباب. وفي تلك المساحة المربعة متواضعة الأبعاد نرى جميع فنون الزخرفة المرينية في الجص داخل مساحات زخرفية معقودة بأقواس ترتفع إلى مستوى المقرنصات والدلايات التي تحيط بأعلى الجدران توطئة لعمارة القبة المقرنصة التي تتساقط منها الدلايات الدقيقة الرقيقة التي تذكر بفنون مدارس العطارين والبوعنانية بفاس وزخارف الجص بقاعات قصر الحمراء بغرناطة.

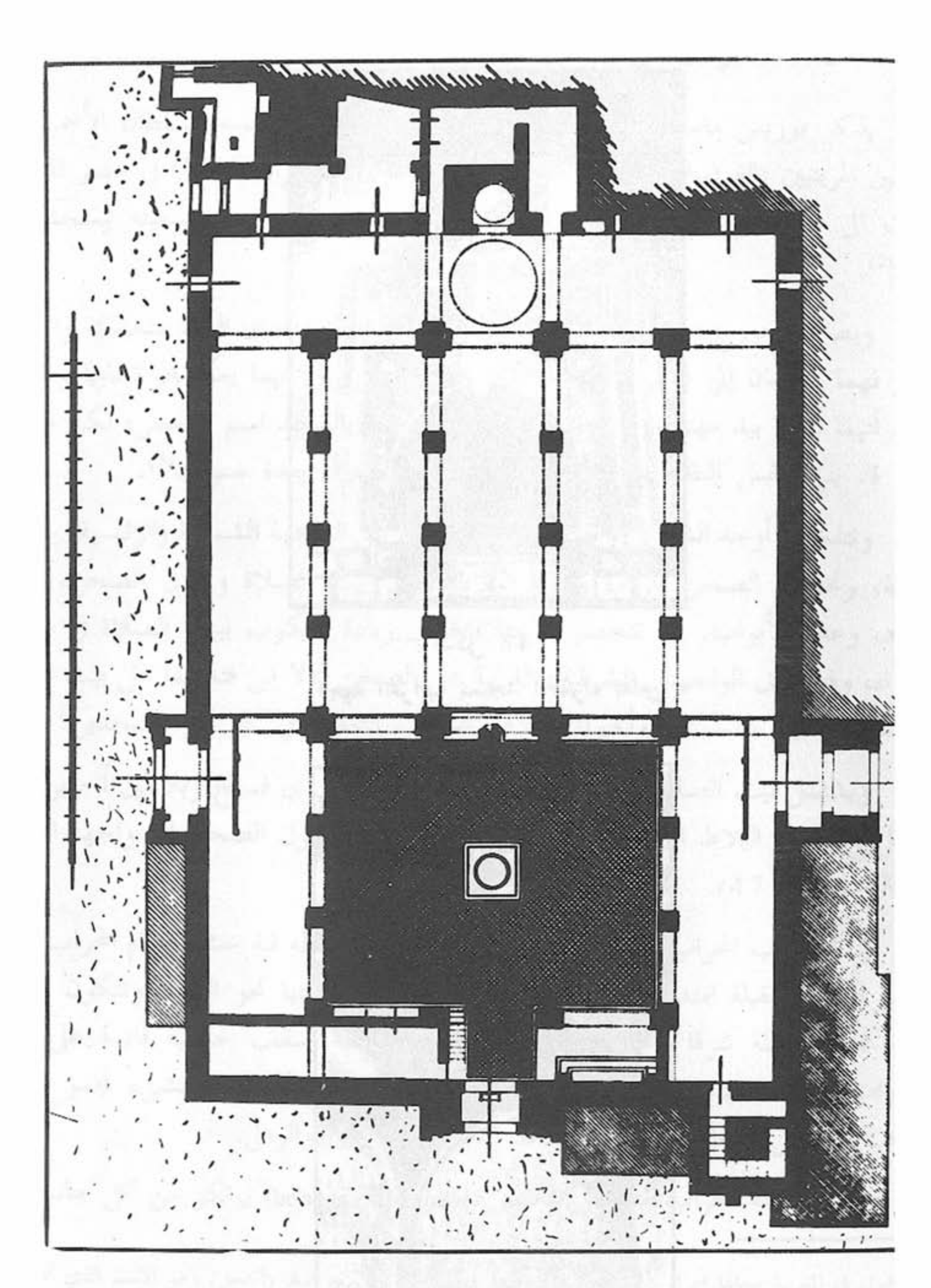
وصحن المسجد متواضع الأبعاد يكاد يكون مربع الشكل تحيط به زيادة من رواق واحد من جهاته الثلاث غربا وشرقا وشمالا، وتفتح عقود تلك الزيادات على الصحن بالإضافة إلى صف العقود التي يطل بها بيت الصلاة على الصحن (شكل 46). وبيت الصلاة بالإضافة إلى البلاط المحوري المتسع يشتمل على بلاطين من كل جانب بحيث يكون امتداد البلاط التاني منهما عبارة عن الزيادة الجانبية بالصحن. وبالإضافة إلى أسكوب المحراب الفسيح الذي تعترض عقوده الموازية للقبلة عقود البلاطات العمودية، توجد ثلاثة أساكيب أخرى. وجميع عقود بيت الصلاة والصحن ترتكز على أكتاف. وهيئة المحراب من الداخل جعلت على غرار الأسلوب الذي نراه في مسجد سيدي بلحسن بنفس المدينة تلمسان (من عصر ملوك بني عبد الواد سنة 696 هـ) وتغطي جوفته قبة على مقرنصات.

وأمام المحراب أسطوانة تغطيها قبة تجلس رقبتها على قاعدة مربعة دون مرحلة انتقال بحيث تبدأ حوائط اسطوانة المحراب من قاعدة مربعة وتنتهي من أعلى جهة السقف بنفس التخطيط المربع الذي تجلس عليه رقبة القبة دون مرحلة انتقال أو مقرنصات لتحويل القاعدة المربعة الى مساحة مثمنة تجلس عليها رقبة القبة في عمائر أخرى. وبالاضافة الى الباب الرئيسي الواقع بالواجهة الشمالية على محور المحراب، يفتح بابان جانبيان بالواجهتين الشرقية والغربية يؤدي كل منهما إلى بيت الصلاة نحو الأسكوب الأول من جهة الصحن، وعلى يمين الواقف بالمحراب باب آخر يؤدي الى جامع الجنائز الواقع خلف المسجد[1].

وقد لفت نظرنا في الصومعة الدور الفني الذي يلعبه الزليج في التصميم الزخرفي، فقد غطيت المرحلة الأخيرة تحت العزرى، وكذلك العزرى بأكمله، وجميع الشرفات بالزليج الدقيق الملون في تركيبات نجمية وتجمعات هندسية، كما ازدانت بالزليج شبكات المعينات المنتشرة فوق بدن واجهات الصومعة بقصد استغلال الجمال الفني للتعويض عن صغر الأبعاد الهندسية للكتلة المعمارية.

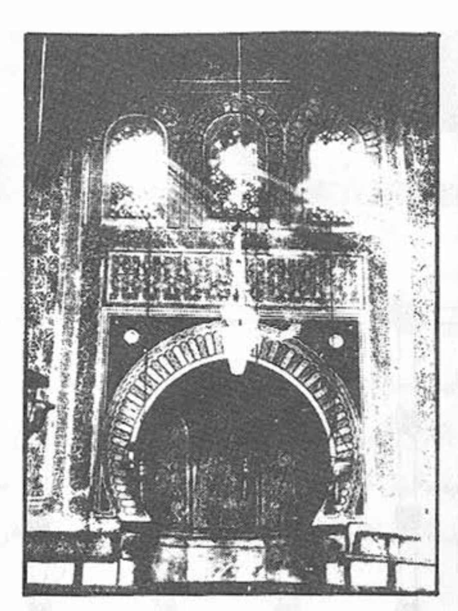
---

(1) مارسيه نفس المصدر ص 276 – 277 وشكل 170 ص 276 ودراستنا الميدانية 1973/1971 م .



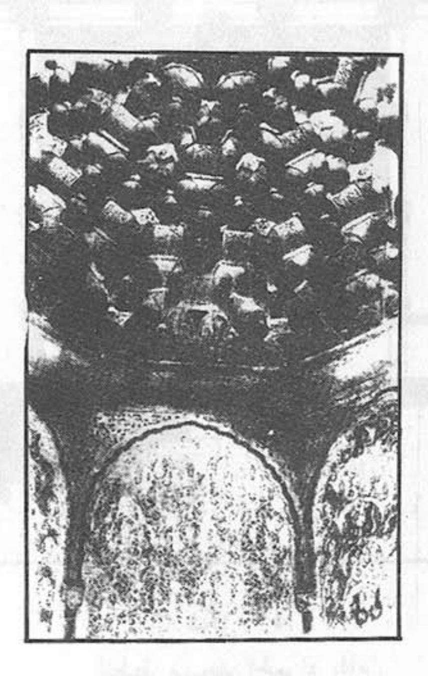
شكل 47

تخطيط مسجد الحمراء بفاس



شكل 48

واجهة المحراب بمسجد الحمراء بفاس



شكل 49

تفصيل عمارة وزخرفة جوفة المحراب وتغطيتها بمسجد الحمراء بفاس

7 – مسجد الحمرا بفاس الجديد :

يذكر بوريس ماسلوف أن الأسطورة تقول أن المسجد أسسه السلطان الأحمر أحد سلاطين المرينيين (القرن السابع) كما تقول أسطورة أخرى أن امرأة حمراء[1] في عصر المرينيين وفدت الى فاس من تافيلالت بكل ثروتها لبناء المسجد وهو سبب تسميته بمسجد (للا حمرا)[2].

ويصرح جورج مارسيه بأننا لا نستطيع الفصل بين مسجدى العباد بتلمسان والحمراء بفاس فهما يرجعان إلى عصر نفس السلطان (أبى الحسن) بل أنهما يعكسان تشابها ومؤاخاة تؤكد أنهما أنشئا بيد مهندس واحد، وإذا كنا لا نعرف بالضبط اسم المؤسس، لكن مسجد العباد قد بني بنفس النظام والأسلوب قبل مسجد الحمراء بعدة سنوات[3].

وتتلخص أوجه الشبه في وجود الصومعة بارزة عن الواجهة الشمالية (الرئيسية) بناحيتها الغربية، وتخطيط الصحن المربع، وعدد البلاطات في بيت الصلاة وحول الصحن، واتجاه العقود، وعدد الأبواب. بينما تنحصر الاختلافات في زيادة أسكوب ببيت الصلاة في مسجد الحمراء، وفتح بابى الواجهتين الشرقية والغربية على الصحن بدلا من فتحهما على بيت الصلاة في مسجد العباد بتلمسان، وأخيرا اختلاف أسلوب التغطية في كل من المسجدين.

ويشتمل بيت الصلاة في مسجد الحمرا على بلاط محوري فسيح وبلاطين آخرين شرقا وغربا مع امتداد البلاط الأخير في كل من الجانبين ليسير بطول الصحن إلى واجهة المسجد الشمالية (شكل 47).

إن أسكوب المحراب الفسيح عن بقية الأساكيب تتوسطه قبة خشبية أمام المحراب تقطع عقوده الموازية للقبلة امتداد عقود البلاطات التي تتجه عمودية نحو القبلة. وتتكون التغطية في أسكوب القبلة شرقا وغربا من قبة المحراب، بواسطة أسقف خشبية قائمة على أربعة انحدارات حيث تتضافر جوائز البرشلة مكونة عناصر نجمية[4]. وقد أنشىء مجموع البناء بالآجر و كسى داخله وخارجه بالملاط المكون من الجير والرمل.

وعقد فتحة المحراب متجاوز منكسر (brisé et outrepassé) يرتكز من كل جانب على

---

(1) حمراء في المغربية معناها سمراء أي قمحية داكنة بينما يطلقون على الأسود لفظ (أكحل) وهو الاسم الذي أطلق على السلطان أبى الحسن المريني.

(2) ماسلوف : نفس المصدر ص 54.

(3) مارسيه : العمارة الإسلامية الغربية ص 277.

(4) ماسلوف نفس المصدر ص 54.

عمود أسطواني ذي تاج وقاعدة من الرخام. ويحيط بالعقد الأساسي لفتحة المحراب عقد آخر مفصص (Lobé)، وتفصل بين العقدين المذكورين صنج مزخرفة بالتناوب بزخارف هندسية وزهرية. ويحيط بمجموع العقدين إطار رئيسي يحصر بنيقات ذات زخارف نباتية من أوراق النخيل المزدوجة (à palmes doubles). ويحيط بذلك كله اطار آخر من زخارف كتابية فوق خلفية زهرية[1] (أشكال 48 – 49).

ويشكل تخطيط الصحن مستطيلا أبعاده 70. 13 م طولا × 11.30 م عرضا ويطل عليه من كل جانب ثلاثة عقود متجاوزة كاملة الاستدارة (Plein Cintre Outrepassé) مع تميز القوس الأوسط لبيت الصلاة المطل على الصحن بعقد مزدوج.

وأبواب المسجد الثلاثة موزعة على الواجهتين الشرقية والغربية بالاضافة الى الباب الرئيسي بالواجهة الشمالية على محور المحراب، وكلها أبواب بارزة عن مستوى جدران المسجد وعقودها من النوع المتجاوز المنكسر (birisé outrepassé) داخل إطار مستطيل فوقه سقيفة (auvent) يغطيها الزليج الأخضر مرفوعة على كوابيل (Concoles) من الخشب المنحوت المدهون.

وتقع صومعة مسجد الحمراء في الزاوية الشمالية الغربية للتخطيط وليس في الركن الجنوبي الغربي كما ذكر ماسلوف خطأً[2]. وطول ضلع قاعدتها المربع 4.50 م وارتفاعها 19.20 م بسمك سبعين سنتيمترا من البناء بالآجر[3] (شكل 50).

ويقع جامع الجنائز خلف حائط القبلة بارتفاع أربعة أمتار ويشتمل على ممر وبلاطين والمراحيض والنافورة. وتفتح نافذتان بحائط القبلة على ارتفاع 4.50 م في الجهة الغربية للمحراب حيث يقع جامع الجنائز لتحقيق الإضاءة الكافية داخل بيت الصلاة[4].

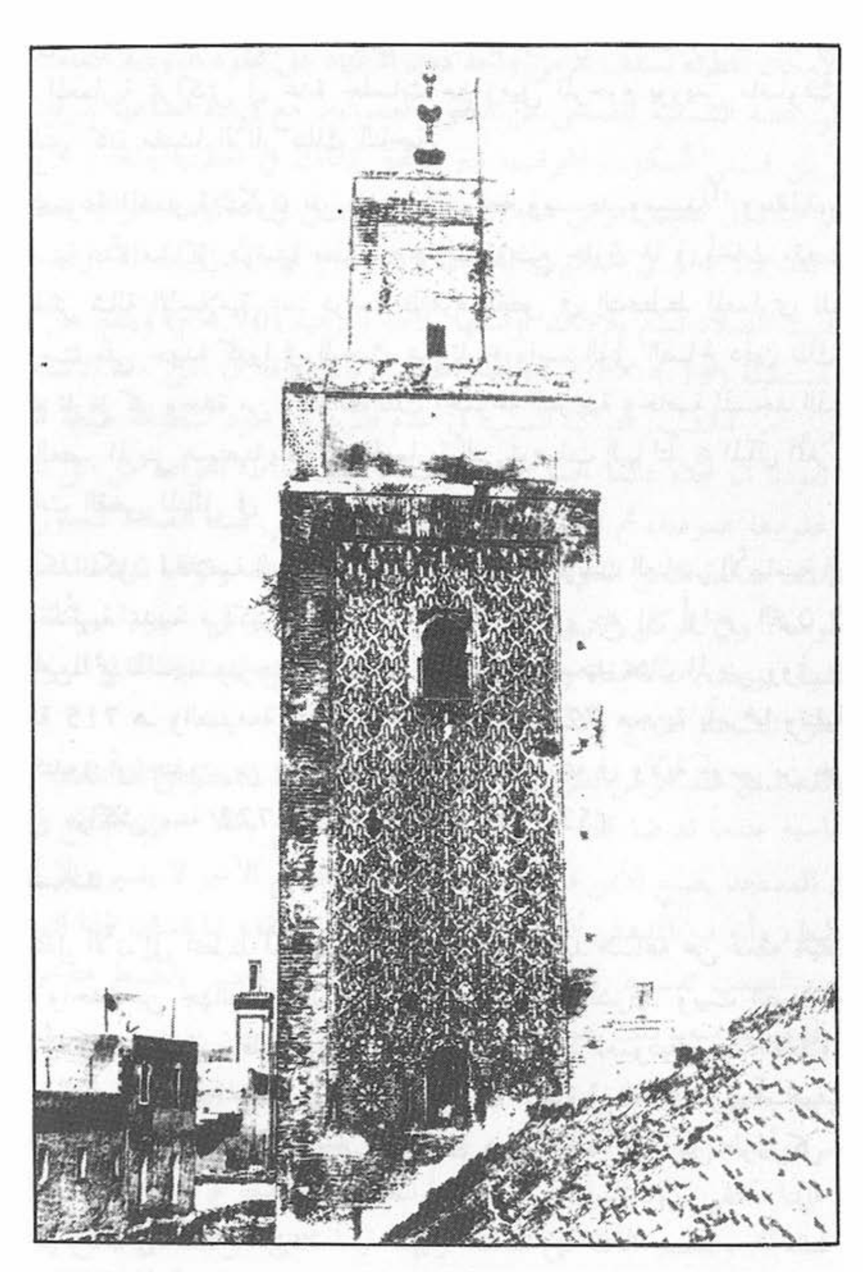
---

(1) تفصيل زخارف واجهة المحراب المرجع السابق ص 55 + 58.

(2) ماسلوف، نفس المصدر ص 59 سطر 4 أسفل.

(3) الدراسة التفصيلية للصومعة عند ماسلوف بنفس المصدر ص 62.

(4) أنظر، ماسلوف : مساجد فاس ص 56 لتخطيط المسجد، ص 57 قطاع رأسي ص 63 تصميم التغطيه ولوحة 28 أمام ص 64 للصومعة وانظر العمارة الإسلامية لمارسيه ص 277.



شكل 50
العمارة والزخرفة المعمارية لصومعة مسجد الحمراء بفاس

8 - مسجد سيدي ابن صالح بمراكش :

سبق أن قمت منذ ثلاثين عاما بدراسة ميدانية وعمل مجسات وبحث مشكلة مجموعة ابن صالح المعمارية بمراكش في عدة جلسات مع زميلي المرحوم بوريس ماسلوف المهندس الأثري الذي كان مفتشا الآثار بتلك الناحية.

والمجموعة المعمارية تتكون من ضريح وصومعة ومسجد ومسيد[1] وسقاية، وتعترض سبيل دراستها عدة مشاكل درستها مطولا وحاولت وضع حلول لها في أبحاث مفصلة نشرتها بكتابي حفائر شالة الإسلامية عند دراسة ظاهرة القص في التخطيط المعماري للمسجد[2] التي استلزمت مني جهدا كبيرا في البحث عن تاريخ واسم الولي الصالح دفين تلك المجموعة المعمارية ثم تاريخ كل وحدة من وحدات تلك المجموعة التاريخية وخاصة المسجد الذي قررت نسبته إلى العصر المريني مستعينا بنظريتي المعمارية التي توصلت إليها لتأريخ المباني المغربية الدينية والمدنية ذات القص المتماثل في التخطيط[3].

وهكذا تكون الخلاصة التي توصلت إليها من حيث ترتيب العناصر الأساسية في مجموعة ابن صالح الأثرية بمدينة مراكش أن الضريح هو أقدمها ويرجع إلى أواخر القرن السابع أو مستهل الثامن، ثم المسجد ويرجع إلى حكم السلطان أبي سعيد عثمان المريني وولى عهده أبي الحسن سنة 715 هـ والصومعة التي بُدء في بنائها سنة 721 هجرية بأمرهما وتنفيذ واليهما بمراكش كندوز أو جندون بن عثمان وقد تمت بعد قتله ربما في ولاية موسى بن علي الهنتاتي واليهما على مراكش سنة 722 هجرية (أشكال 51 - 53).

تخطيط المسجد :

وننتقل الآن إلى تخطيط المسجد وخلاصته صحن يزيد اتساعه عن عمقه يحيط به مجنبة من بلاطة واحدة من جهاته الثلاث في الغرب والشمال والشرق. وبيت الصلاة من ثلاثة أساكيب، أسكوب المحراب أقلها سعة[4]. ولما كانت العقود العمودية ببيت الصلاة لا تقطع أسكوب المحراب إلا حول المحراب فقط، فإننا نرى أن الرغبة في تغطية جزئي أسكوب المحراب (إلى الشرق والغرب من أسطوانة المحراب) بسقف هرمي واحد يمتد على طول كل من هاتين

---

(1) المسيد هو الكُتّاب في اصطلاح المشارقة.

(2) كتابنا حفائر شالة الإسلامية الفصل السادس.

(3) انظر الدراسة المفصلة لنظريتي المعمارية عن ظاهرة المتماثل بالعمائر المغربية الدينية والمدنية في الفصل السادس من كتابي حفائر شالة الإسلامية

(4) من أدلة نسبة المسجد إلى المرينيين لعلمنا بأن الموحدين عنوا بأسكوب المحراب أكثر من غيره.

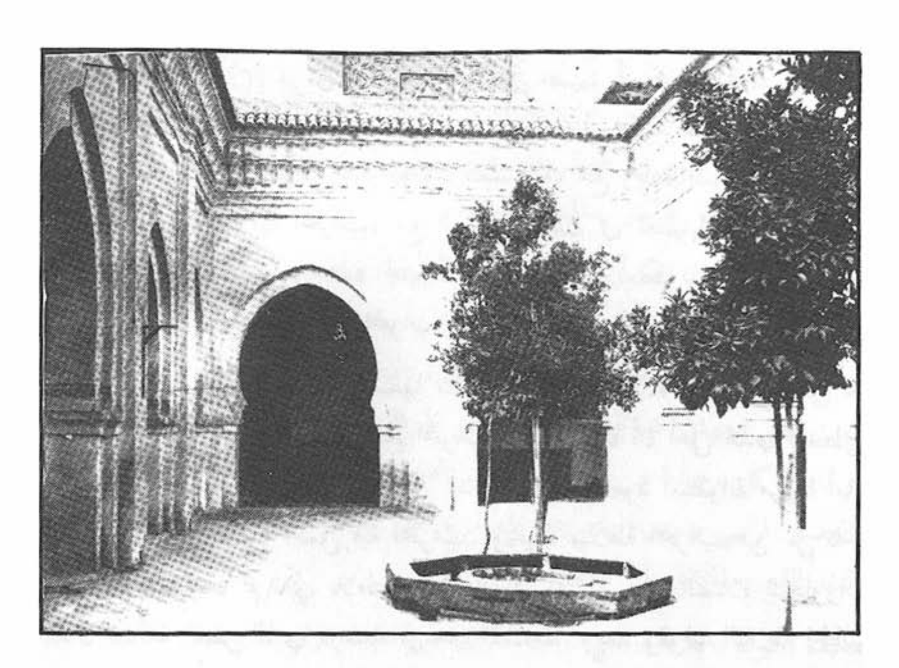
المساحتين الطويلتين وهي تساوي عرض الأسكوب مضروبا في سعة ثلاثة بلاطات [4.15 م × (4.15 × 3)] هي التي دفعت البنّاء إلى تضييق أسكوب المحراب عن الأساكيب الأخرى لإمكان تغطيته بسقف هرمي واحد دون الاعتماد على عقود عمودية تحمله. ومما يرجح رأينا، خلو المجنبة الشمالية للصحن من العقود العمودية، مع زيادة اتساعها شرقا وغربا عن كل قسم من قسمي أسكوب المحراب، مع الرغبة كذلك في تغطيتها بسقف هرمي واحد، وقد اضطر البنّاء الى تضييق عرض هذه المجنبة أكثر مما جعل في أسكوب المحراب نفسه، فجعلها 4.00 م بعد 4.15 م في أسكوب المحراب و4.45 م في الأساكيب الأخرى.

ولبيت الصلاة تسع بلاطات أوسعها بلاطة المحراب (4.70 م) وينتج عن هذا، خلق أسطوانة مستطيلة (4.15 × 4.70) أمام المحراب. فإذا عرفنا أن أعلى هذه الأسطوانة يغطيه سقف هرمي من الخشب، أدركنا السبب في عدم ضرورة وجود أسطوانة مربعة أمام المحراب وهي ما تعودنا أن نجده دائما لحمل قبة المحراب. ويحيط ببلاطة المحراب من كل ناحية ثلاث بلاطات عقودها عمودية، ثم تأتي بلاطتان ضيقتان في جانبي بيت الصلاة تتجاوزان واجهته قليلا ثم تقفان صانعة القص الذي درسناه في هذا المسجد. وبعد وقوف البلاطة الجانبية الغربية تأتي الصومعة. وفي الركن الغربي للمسجد يوجد الضريح. وعلى محور الصومعة تقريبا من ناحية الشرق يوجد باب الحفاة (الذي أصبح فيما بعد مصلى النساء) المقابل للمراحيض التي يفصلها عن المسجد شارع (أشكال 54 – 56).

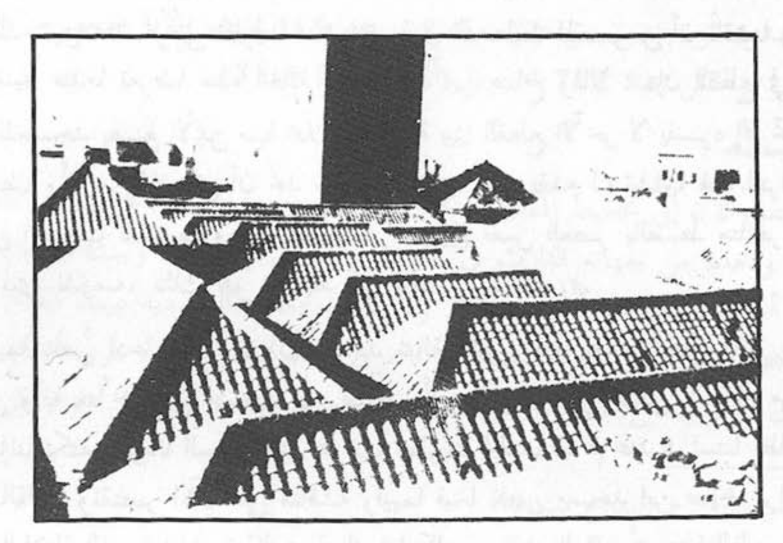
ولقد سبق عند عرض نظريتنا الجديدة حول التخطيط المقصوص أن ناقشنا رأي تيراس وزميله باسيه عندما تعرضا لهذه الحالة في مسجد ابن صالح وقالا : «إن القطع في البلاطتين الجانبيتين للمسجد يصنع الأيمن منها محلا للصومعة بينما القطع الآخر لا يفسره إلا تحقيق التماثل في التخطيط، وأنه من المدهش أن نجد مسجدا مغربيا آخر يقدم لنا تشابها لهذا التراجع المتماثل لا زال من الصعب تفسيره. وهذا المسجد يرجع إلى نفس العصر بالضبط متأخرا قليلا عن المسجد الذي ندرسه، ذلك هو مسجد أبي الحسن بشالة...».

وفيما يخص ادعاء العالمين بأن مسجد شالة الذي يظهر فيه تراجع متماثل هو مسجد أبي الحسن وأنه متأخر عن مسجد ابن صالح وأن هذا التراجع المتماثل لا زال من الصعب تفسيره، فإننا نكتفي بردنا السابق عند عرضنا لنظريتنا الجديدة، ثم عند دراستنا لظاهرة القص بمسجد شالة[1]. ونقتصر الآن على مناقشة رأيهما فيما يخص مسجد ابن صالح بمراكش، وأن القطع في البلاطة الغربية الجانبية كانت لترك محل للصومعة. والواقع أن هذا الظن يحمل معنى

(1) انظر ذلك بكتابنا حفائر شالة فصل 6.



شكل 51
صومعة مسجد سيدي ابن صالح بمراكش

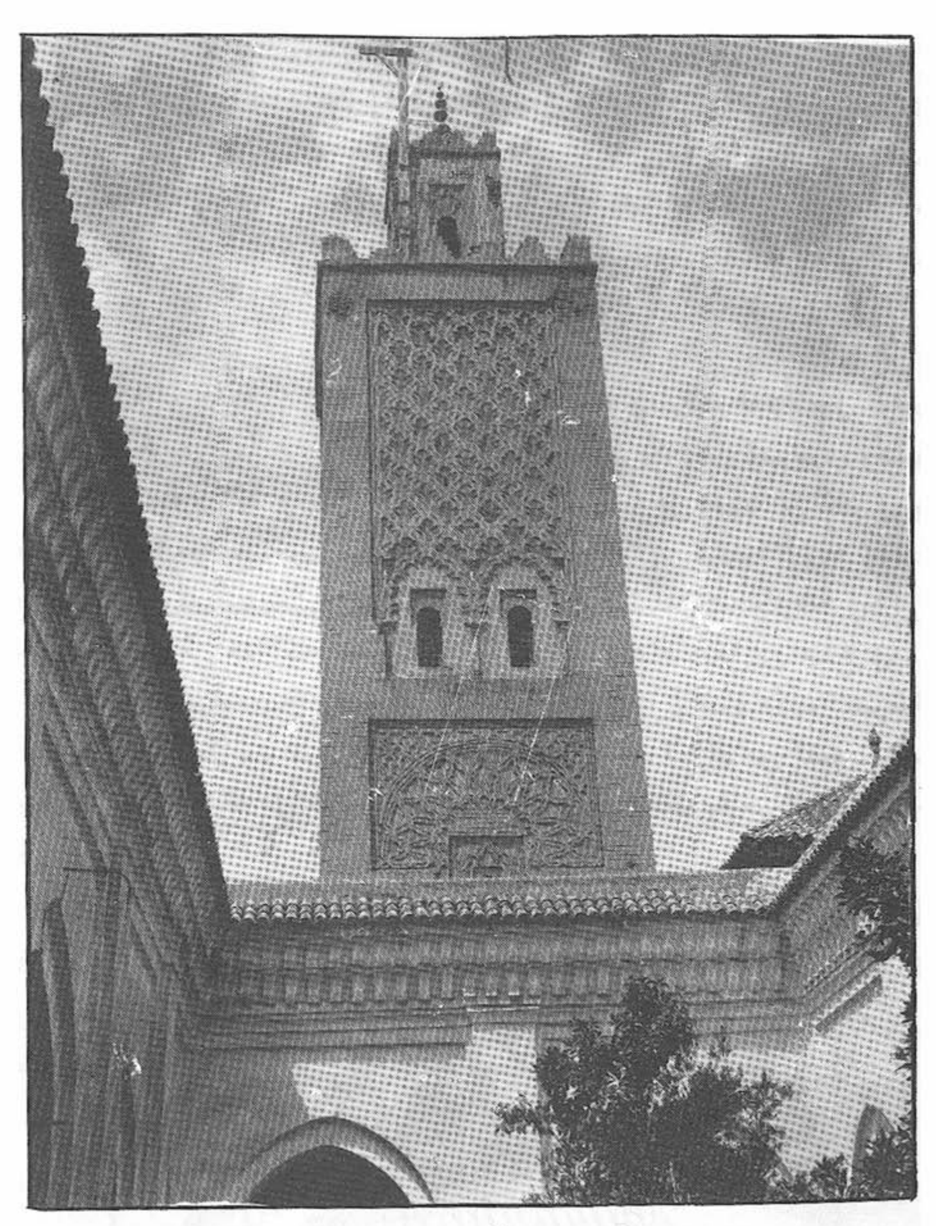


شكل 52
تغطية مسجد سيدي ابن صالح بمراكش

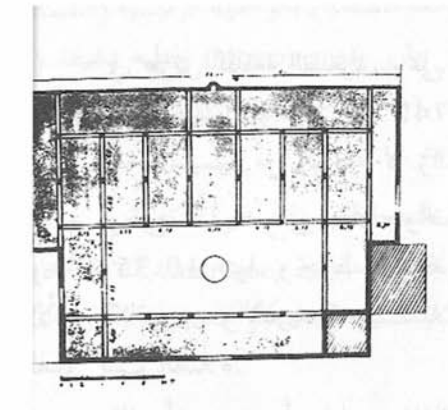
ضمنيا بأن الصومعة أقدم من المسجد، وهذا يظهر تضاربهما في الرأي عندما عادا فقالا بأن المسجد أقدم منطقيا من الصومعة. وسبق أن أوضحنا أن القطع في البلاطة الغربية لو كان الدافع إليه هو ترك محل للصومعة، لكان هذا التصميم فاشلا حيث أن الصومعة لا تدخل كلها في المحل المقطوع بل أنه لا يتسع لنصف مساحتها وأنه لو كان في نية البنّاء إدخال الصومعة في محل القطع لزاد في عرض البلاطتين الجانبيتين، ولكننا رأينا أن العكس هو الذي حدث فان عرض هاتين البلاطتين أقل من عرض بلاطات المسجد كلها. وسبق أيضا أن اتفقنا على تأريخ المسجد من عام 715 هـ بينما الصومعة تحمل تاريخ البدء في بنائها من عام 721 هـ فلم يكن وضع الصومعة اذن في هذا الموضع هو سبب خلق هذا القص. وأكثر من ذلك أننا أوضحنا بأنه لم يكن هناك تقليد عام في الفن المريني يقضي بوضع الصوامع في الواجهات الجنوبية الغربية قرب نهايتها الشمالية. ومعناه أن الصومعة لم يكن من الضروري وضعها في هذا المكان بمسجد ابن صالح ولم يكن هذا الوضع مفروضا على البنّاء، بل كان في وسعه أن يضعها في عدة مواضع أخرى سبقه إليها بناؤون مرينيون لم يعرفوا مكانا ثابتا كتقليد عام لوضع الصوامع، وقد أتينا بعشرة أمثلة مختلفة لمساجد مرينية اتخذت الصومعة في كل منها موضعا مخالفا[1]. ومن هذا كله نصل الى أن البنّاء قد وضع صومعة ابن صالح في مكانها هذا وهو مختار، وأن تفسير ظاهرة القص المذكورة بأنه وسيلة لإعطاء مكان للصومعة غير مقبول. وإلا فلماذا قالا بأن بمسجد شالة تراجع متماثل مشابه لا زال من الصعب تفسيره. لقد وضعت صومعة شالة على محور جدار القبلة لا دخل لها مطلقا بالقص الظاهر في الحائط الشمالي للمسجد.

وإذا كان العالمان لم ينتبها إلا إلى مثالين فقط من أمثلة القص، فإننا نضع بين أيدي الباحثين سبعة أمثلة على الأقل استطعنا جمعها وتفسيرها بكتابنا حفائر شالة، بأنها ظاهرة معمارية فنية جديدة أراد بها البنّاء المريني تمييز عمائره عما سبقها كما أراد حفظها من تزييف أي طامع جديد.

(1) كتابنا حفائر شالة الإسلامية الفصل السادس.

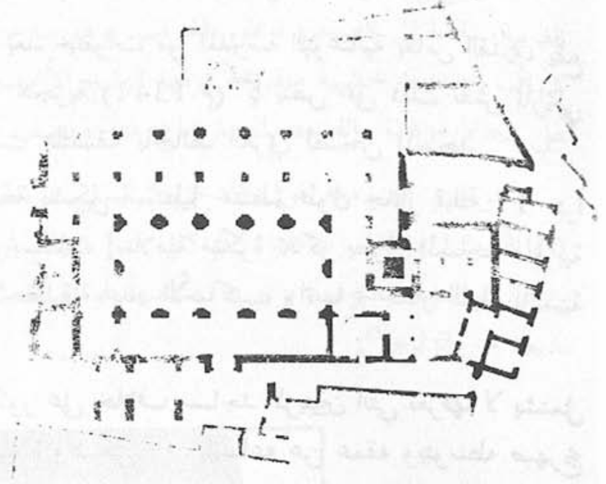


شكل 53
صحن مسجد سيدي ابن صالح بمراكش



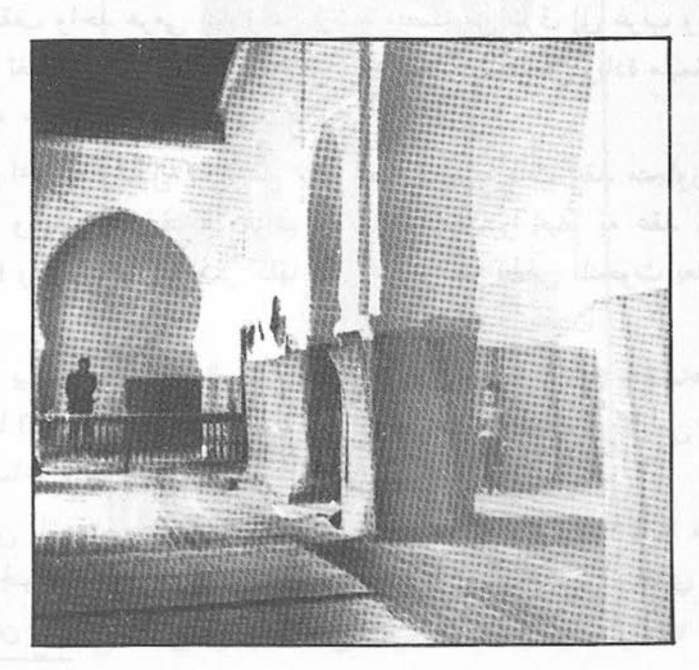
شكل 55

تخطيط مسجد سيدي ابن صالح حيث تظهر ظاهرة القص في التخطيط



شكل 54

تخطيط مسجد سيدي ابن صالح ضمن المجموعة الأثرية الذي نفذه المهندس بوريس ماسلوف بإشرافنا



شكل 56

داخل بيت الصلاة بمسجد سيدي ابن صالح

9 – مسجد أبي الحسن بفاس البالي :

في طريق الطلعة الصغرى وعلى بعد خطوات من المدرسة البوعنانية بفاس القديم، يقع مسجد أبي الحسن المؤسس سنة 742 هجرية (1341 م) كما ينص على ذلك نقش تاريخي على لوحة تأسيسية من الرخام لا زالت ملتصقة بالحائط الغربي لصحن المسجد.

ويقوم المسجد على أبعاد متواضعة بشكل مستطيل منتظم طول جدار قبلته 17 مترا وعمقه 10.35 مترا. ويحتفظ المسجد بسمات إسلامية مبكرة تذكر بطراز المساجد المغربية الأولى كالقرويين والإدريسية حيث نلاحظ قلة عدد الأساكيب واتساع جدار القبلة بالنسبة لعمق بيت الصلاة.

ذلك أن مسجد أبي الحسن المذكور على خلاف مساجد المرينيين التي نعرفها لا يشتمل على أكثر من أسكوب واحد ببيت الصلاة وصحن يزيد اتساعه عن عمقه ويتوسطه صهريج للوضوء ثم مجنبة واحدة من كل من ناحيتيه الشرقية والغربية.

وفي هذا المسجد الذي يمتاز بالتناسق والتقابل المطلق في التخطيط نلاحظ أن أسكوب المحراب وهو الأسكوب الوحيد بالمسجد لا يتوفر على دعائم أو أكتاف أو أعمدة لحمل العقود وإنما يغطيه سقف واحد هرمي عبارة عن برشلة متصلة من شرق إلى غرب وهو نفس النظام الذي اتبع في تغطية زيادتي الصحن شرقا وغربا حيث غطيت كل زيادة منهما بسقف هرمي (برشلة) يتجه من الشمال إلى الجنوب.

ويفتح المحراب (شكل 57) على بيت الصلاة بجوفة ذات عقد متجاوز منكسر (brisé outrepassé). ويحيط بعقد فتحة المحراب عقد آخر منكسر يحيط به عقد رخوي (Arc à lambrequins) وحول تلك العناصر كلها إطار عريض من الجص المنحوث بعناصر الشبكات المتجاورة.

ويفتح بيت الصلاة على الصحن بثلاثة عقود أوسطها 3.25 م اتساعا والجانبيان في سعة كل منهما 1.90 مترا بينما يفتح بيت الصلاة على الزيادة الجانبية في كل من ناحيتي الصحن بعقد يبلغ اتساعه 2.90 مترا.

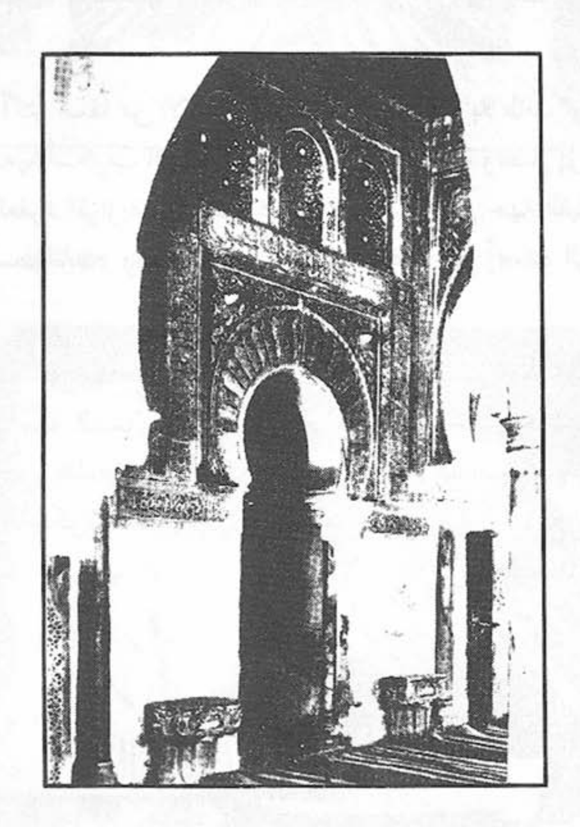
وصحن المسجد مستطيل التخطيط يبلغ اتساعه شرقا وغربا 8.80 مترا وعمقه من الشمال إلى الجنوب 6.80 مترا على خلاف ما ذكره بوريس ماسلوف الذي أخطأ فعبر عن اتساع الصحن بالعمق وعن العمق بالاتساع[1].

(1) B . Maslow : les mosquées de Fés et du Nord du Maroc , P. 82.

وقد نقل جورج مارسيه دراسته عن ماسلوف ولم يصحح الخطأ المذكور، انظر العمارة الاسلامية لجورج مارسيه ص 277.

ويقع المدخل الرئيسي (الذي تعلوه مباشرة صومعة المسجد) بالواجهة الرئيسية (الشمالية الغربية) نافذا إلى الصحن ومحور المحراب. وهو مدخل بارز (Monumental) تغطيه سقيفة (أو شواف auvent) خشبية منقوشة فوقها الزليج الأخضر. وعقد المدخل متجاوز منكسر يرتكز على دعائم مزدانة بالفسيفساء بارتفاع متر ونصف متر.

وتقوم الصومعة فوق المدخل الرئيسي مربعة التخطيط ويبلغ طول كل من جوانبها 3.10 مترا ويبلغ رتفاعها 15.65 مترا ويبلغ ارتفاع العزري (lantrenon) ثلاثة أمتار. وتزدان واجهة الصومعة بزخرفة هندسية قوامها تصميمات من شبكة المعينات فوق أرضية بديعة من الزليج[1].



شكل 57

تفصيل عمارة وزخارف المحراب بمسجد سيدي أبي الحسن بفاس

(1) التصميم مفصلا بشكل 29 ص 84 من كتاب ماسلوف المذكور.

10 – مسجد سيدي الحلوي بتلمسان :

أسس السلطان أبو عنان المريني سنة 754 (1353 م) في الجهة الشمالية الشرقية من مدينة تلمسان مسجدا صغير الأبعاد تخليدا لذكرى سيدي الحلوي الناسك الأندلسي المتوفى عام 705 هـ (1305 م)، ذلك المسجد الذي يصنع مع الضريح والزاوية والمدرسة مجموعة معمارية[1] متكاملة.

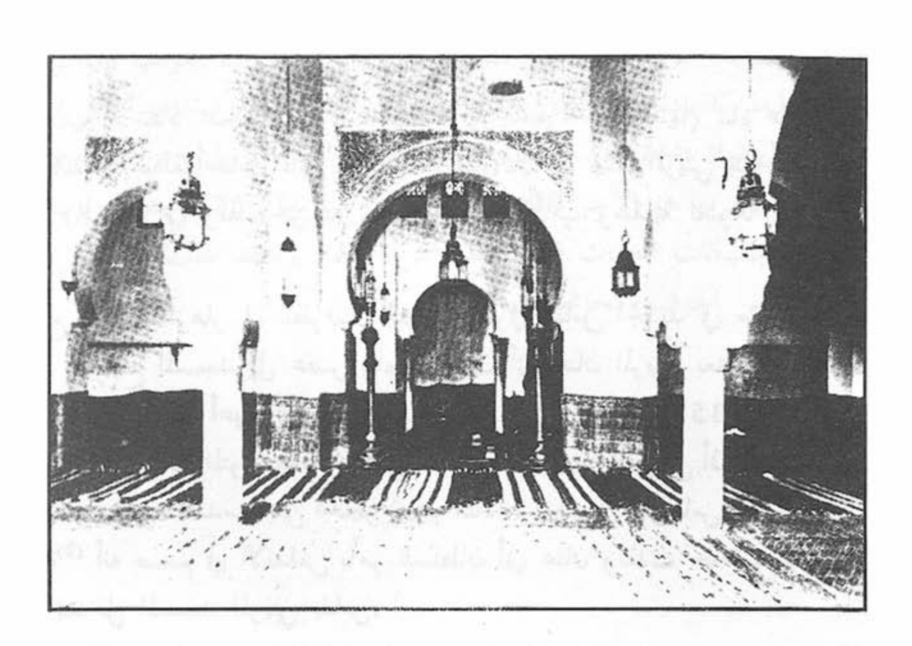
ويقوم المسجد على أبعاد متواضعة تقل عن أبعاد مسجد العباد ذاتها. ويشتمل على صحن مربع الشكل تطل عليه ثلاثة عقود من كل من جهاته الأربع، حيث توجد زيادة واحدة في كل من الجهاته الغربية والشمالية والشرقية بالإضافة إلى واجهة بيت الصلاة التي تطل على الصحن بثلاثة عقود.

بيت الصلاة أكثر عمقا من الاتساع ويشتمل على خمسة بلاطات أوسعها بلاط المحراب وأربعة أساكيب أوسعها أسكوب القبلة. عقود البلاطات عمودية وتصل إلى نفس جدار القبلة، بينما امتد صف من العقود الموازية فوق صف الأكتاف الأول من جهة القبلة مما قسم أسكوب المحراب الى خمسة أسطوانات، ويتوسط بيت الصلاة صفان من أعمدة الرخام المجزع (شكل 58).

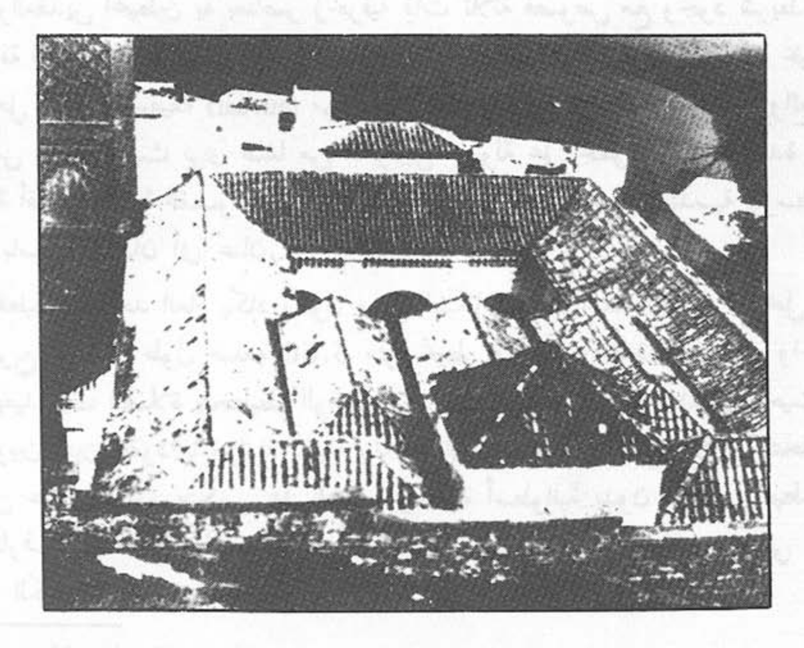
تخطيط المحراب على عادة المرينيين مضلع الجوانب وتغطي جوفته قبة مقرنصة. ويفتح المدخل الرئيسي بالواجهة الشمالية على محور المحراب دون فخامة معمارية أو زخرفة كتلك التي عرفناها في مدخل مسجد العباد، كما يوجد بابان آخران يفتحان شرقا وغربا على بيت الصلاة ينفذان إلى الأسكوب الأول من جهة الصحن. ويختلف موقع الصومعة عن نظيره في العباد حيث تلتصق هنا بنهاية الواجهة الغربية شمالاً بارزة عن تخطيط المسجد (شكل 59).

---

(1) G . Marçais : l'archit. Mus. d'occ. P. 278 et fig. 172



شكل 58
داخل بيت الصلاة بمسجد سيدي الحلوي بتلمسان



شكل 59
أسقف مسجد سيدي الحلوي بتلمسان

11 – مسجد أزهار بفاس الجديد :

يسميه الأستاذ محمد المنوني جامع الزهر (جامع الحجر قديما) بناء على وجود الإسم على هذا النحو بحوالة أحباس فاس الجديد، ويقول أن أبا عنان المريني بناه أوائل رجب عام 759 هـ (1358 م) وقد الحق به يسرة مدخله كُتَّاب وسقاية تعلوها كتابة محفورة في الخشب[1].

يقع مسجد أزهار في الطرف الجنوبي الشرقي لفاس الجديد في مقابلة أسوار القصر السلطاني. ويرجع المسجد إلى عصر بناء السلطان أبي عنان المريني بعد بنائه لمسجد سيدي الحلوي بتلمسان بأربعة أعوام أي أنه يرجع إلى عام 759 هجرية (1357 م). ويعتبر المسجد على الرغم من مساحته المتواضعة من أجمل منشآت المرينيين بفاس بل أن مدخله الذي نقشت زينته الفنية وزخارفه الهندسية من الحجر ليعتبر مثالا فريدا بين مآثر فاس على الاطلاق، وتقول الاسطورة[2] أنه صمم في الأندلس بأمر السلطان أبي عنان ونقلت حجارته قطعة بقطعة الى موضعها بمدخل المسجد المريني بفاس.

ويقع المدخل الرئيسي بالواجهة الشمالية الغربية (الرئيسية) على محورالصحن والمحراب وعقده متجاوز منكسر يحيط به عقدان من نفس النوع. وقد شغلت المساحة بين العقد الأساسي والعقدين المحيطين به بعناصر زخرفية ذات ثلاثة فصوص مع وجود شريط خارجي من الزخرفة الكتابية فوق أرضية زهرية (نباتية) وقد تفرعت في البنيقات زخارف نخيلية. وقد تُوج المدخل بظلة أو سقيفة (auvent) من المقرنصات المحفورة في الحجر لحماية روائع المدخل من الشمس والمطر حيث نرى صفا من الكوابيل محمولة على مجموعة من الأعمدة المزدوجة بينها خمسة أقواس ثلاثية الفصوص تشكل حشوات فنية من الزخرفة الهندسية يتوسطها نقش التأسيس باسم السلطان أبي عنان.

وتخطيط المسجد العام يكاد يكون مربع الشكل. ومنذ البداية يتصل المدخل الرئيسي بصحن مربع المساحة طول ضلعه 6.60 مترا تحيط به مجنبة واحدة من رواق واحد شرقا وغربا. ويعيد بيت الصلاة بتخطيطه الواضح ذكريات مساجد الإسلام المبكرة حيث يقتصر على أسكوبين اثنين عقودهما موازية للقبلة وثلاثة بلاطات فقط (شكل 60). وفتحة المحراب تتكون من عقد متجاوز منكسر على أعمدة رخامية أسطوانية بدون قواعد ويحيط به إطار يضم زخارف من البالمت المزدوجة في البنيقات[3]. ويحيط بذلك إطار خارجي آخر من الزخارف الكتابية الكوفية تظهر بأركانه العليا زهيرات هندسية الشكل.

---

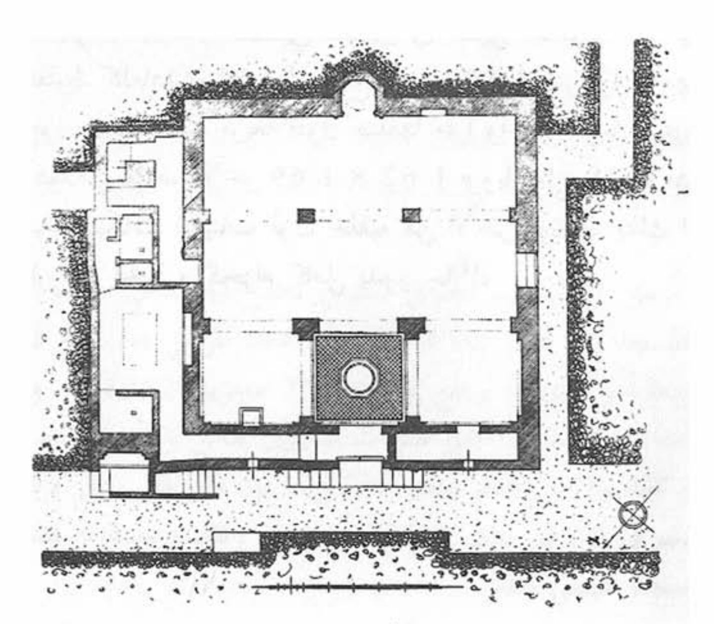
(1) ورقات ص 29 وتعليق 93 ص 39.

(2) ماسلوف : نفس المصدر ص 65.

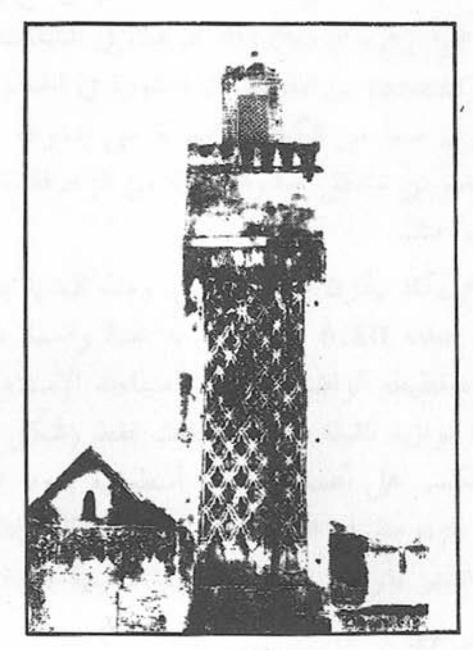
(3) تفصيل الزخارف بالمرجع السابق ص 70 وأشكال 59 – 63.

وتلتصق الصومعة بالجدار الشمالي الشرقي في مقابل أسكوب المحراب (شكل 61)، وهي مربعة التخطيط كالعادة ويبلغ طول ضلع مربعها 3.50 مترا وارتفاعها 16.85 مترا. ويدور سلمها حول نواة داخلية مربعة طول ضلعها مترا واحدا تقريبا. وعزرى (lanternon) الصومعة يكاد يكون مربعا هو الآخر 1.69 × 1.62 م وبارتفاع 4.25 مترا. وتزدان أوجه الصومعة الخارجية بشبكات المعينات فوق خلفية من الآجر. ويحيط بتلك العناصر الزخرفية بكل واجهة إطار من الخزف كحزام كامل يدور بها[1].

(1) عن تفاصيل العناصر الزخرفية بكل واجهة، نفس المصدر ص 72 وأشكال 66 – 67.



شكل 60
تخطيط مسجد ازهار بفاس الجديد



شكل 61
صومعة مسجد ازهار بفاس الجديد

12 - مسجد الشرابليين :

يقع مسجدالشرابليين بفاس وسط الحومة التي يحمل اسمها ويرجع الى القرن السابع الهجري من بناء أحد سلاطين المرينيين غير المعروف على وجه التحديد، وربما كان من بناء السلطان أبي الحسن[1]. وقد جُدد المسجد تجديدا شاملا أيام مولى سليمان العلوي (1792 - 1823 م) بما في ذلك الأسقف بحيث لم يحتفظ بحالته الأولى شيء غير المدخل والصومعة[2].

ويعكس تخطيط مسجد الشرابليين مظهر مسجد أزهار من حيث اشتمال بيت الصلاة على أسكوبين اثنين يمتدان من الشرق إلى الغرب تتجه عقودها المتجاوزة المنكسرة في موازة القبلة. وترتكز العقود على أكتاف (piliers) مربعة. طول ضلع الواحد منها خمس وستون سنتمتراً، وتغطى مساحة الأسكوبين أسقف هرمية من الخشب، وتخترق الأسكوبين خمسة بلاطات من الشمال إلى الجنوب ولا يتوسط المحراب جدار القبلة.

والصحن مستطيل يبلغ اتساعه 11.20 م وعمقه 4.80 م تطل عليه مجنبتان اثنتان فقط أخطأ ماسلوف في تحديد موقعها[3]. وتقع المجنبة الكبيرة منها في الركن الغربي للتخطيط العام أي في النهاية الغربية للواجهة الشمالية الغربية وليس في الجنوب كما ذكر ماسلوف. وتتكون هذه الزيادة من مساحة مستطيلة تغطيها برشلة من الخشب وتفتح على بيت الصلاة جنوبا بعقدين كبيرين وعلى الصحن بعقد واسع من نفس النوع المتجاوز المنكسر. أما الزيادة الأخرى فهي مساحة غير منتظمة الشكل في الجهة المقابلة تفتح على الصحن بعقد مماثل.

ويفتح المدخل الرئيسي وهو مدخل بارز (Monumental) على محور الصحن والمحراب فهو لا يقع إذن على محور الواجهة حيث لا يتوسط المحراب جدار القبلة كما مر بنا الآن. وترتفع الصومعة مباشرة فوق ذلك الباب الرئيسي، كما يوجد باب آخر يفتح بالواجهة الشرقية مقابل أسكوب المحراب. وتقع خلف جدار القبلة حجرة الإمام وجامع الجنائز (شكل 62).

ويبلغ ضلع مربع قاعدة الصومعة[4] ثلاثة أمتار ويبلغ ارتفاعها 17.75 مترا،

---

(1) جورج مارسيه : العمارة الإسلامية الغربية ص 281.
(2) ماسلوف : نفس المصدر ص 74.
(3) ماسلوف : نفس المصدر ص 75 + 76.
(4) عن تفاصيل زخارف الصومعة انظر المصدر السابق ص 77 وشكل 26 ولوحة 70 + 71

G. Marçais : l'archit. Mus. d'occi. p. 281.

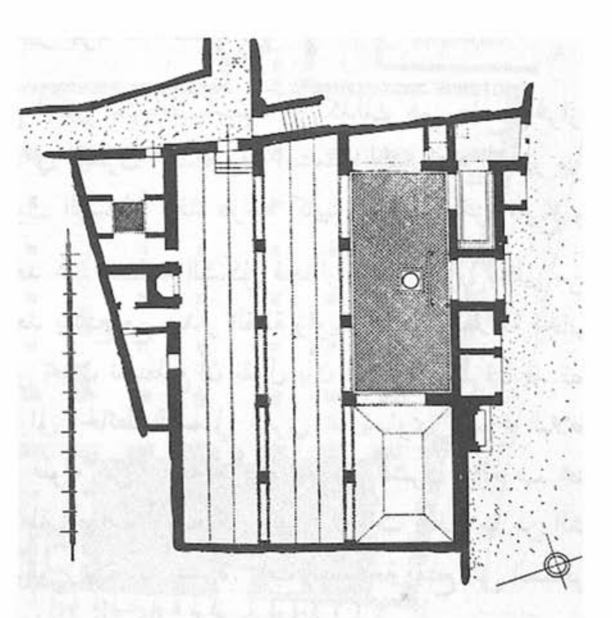
العزرى (صومعة الصومعة[1]) مربع التخطيط طول ضلعه 1.10 مترا وبارتفاع 3.50 مترا وتغطيه قبة قائمة على مثلثات كروية (Coupole Sphérique) (شكل 63).

وكما يذكر المسجد بتخطيط بيت الصلاة في مسجد أزهار الذي نحا نحو المساجد المبكرة، فإنه يذكر أيضا بوضع الصومعة الذي شاهدناه في مسجد أبي الحسن فوق المدخل الرئيسي. ولكنه يتميز عن المساجد المعاصرة له بالصحن المستطيل الذي يشير إلى العودة نحو صحون الموحدين المستطيلة ويعتبر مرحلة انتقال بين الصحون الموحدية المستطيلة وصحون المرينيين المربعة التي شاعت بعد ذلك[2].

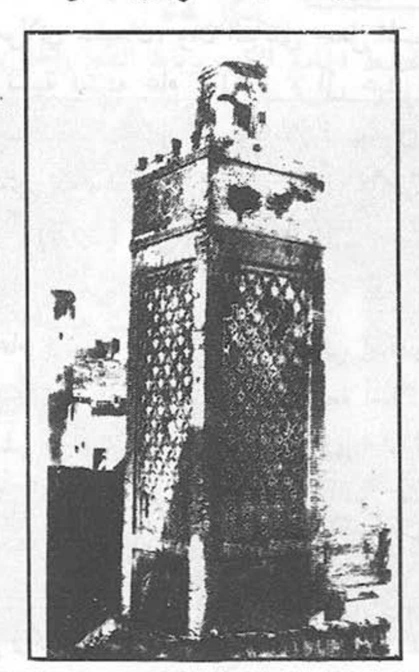
---

(1) العزرى lenternon يسمى كذلك (صومعة الصومعة) وهو البناء المربع التخطيط على هيئة الصومعة المغربية الذي يوضع في المرحلة الأخيرة للصومعة. انظر تلك التسمية في وصف ابن صاحب الصلاة لصومعة جامع اشبيلية، المن بالإمامة تحقيق دكتور عبد الهادي التازي ص 483.

(2) G. Marçais : l'archit. Mus. d'occi. P. 281.



شكل 62
تخطيط مسجد الشرابليين بفاس



شكل 63
صومعة مسجد الشرابليين بفاس

13 – الجامع الكبير برباط الفتح :

ويعرف الجامع الكبير بالرباط باسم آخر كذلك هو جامع الخرازين. والخرازون هم صانعوا السباط ومعناه في المشرق الحذاء وقد استمد الجامع اسمه الأخير من وقوعه عند ملتقى شارع باب شالة بسوق السباط. وقد درسه كاييه في كتابه عن تاريخ وآثار مدينة الرباط.

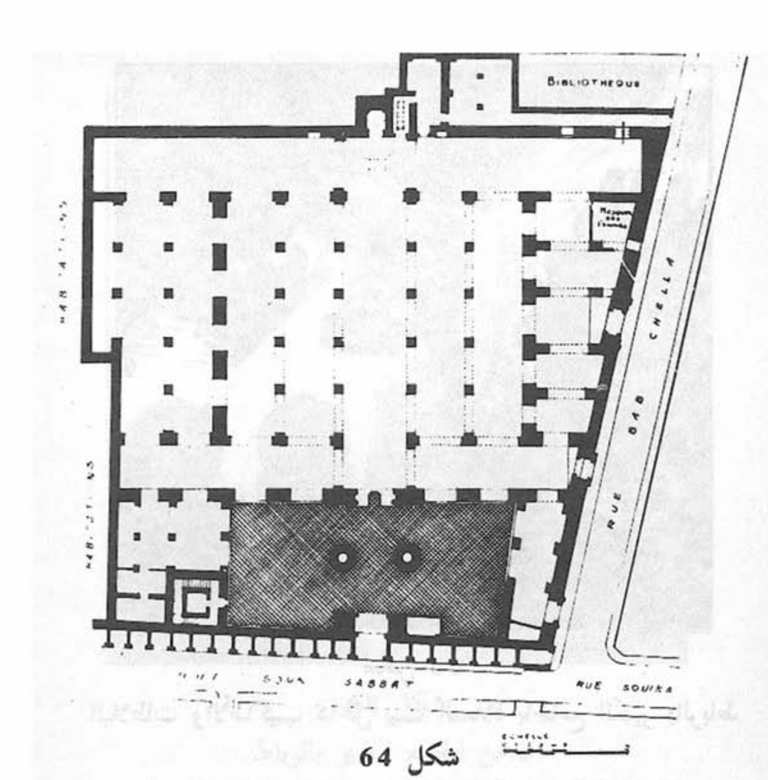
ومساحة المسجد غير منتظمة الشكل فجدار القبلة أطول بكثير من الواجهة الشمالية، والحائط الغربي للمسجد يصنع مع جدار القبلة زاوية حادة. والبلاطة الجانبية الشرقية مقطوعة أمام الأسكوب الخامس بحيث نستطيع أن نقول بأن الواجهة الشرقية قد قصت من الأسكوب الخامس ببيت الصلاة الى الحائط الشمالي الغربي بما يساوي اتساع البلاطة الجانبية الشرقية. وصحن المسجد يزيد طوله عن عمقه وتحيط به من الشرق والغرب مجنبات، بيت الصلاة به سبعة أساكيب. بلاطة المحراب أوسع من باقي البلاطات يحف بها من الشرق خمس بلاطات ومن الغرب أربع فمجموع بلاطاته عشرة. باب الصومعة يفتح على الصحن وهي داخله كلها في المحيط العام للمسجد[1] (أشكال 64 – 71).

ويخضع تاريخ المسجد لعدة آراء. وخلاصة هذه الآراء أن الضُعيف ذكر اصلاحا علويا بالمسجد 1816 م بأمر مولاي سليمان، وأن الدكالي جعل المسجد من بناء يعقوب المنصور الموحدي، وأن البعثة الفرنسية نسبته عام 1917 م الى عبد الحق المريني ثم اكتفت عام 1918 م بقولها : «إن المسجد سواء كان من بناء الأندلسيين في القرن السابع عشر الميلادي أو سواء كان من بناء سيدي محمد بن عبد الله (1767 – 1790 م) فان المدخل قد أصلح بواسطة مولاي سليمان عام (1813 م – 1229 هـ)»[2] فجعلته من القرن السابع عشر أو الثامن عشر الميلادي.

وأخيرا جاء كاييه عام 1945 فبذل مجهودا حسب إمكانياته وقال بأن المسجد الأول كان يشتمل على صحن ومجنبات وبيت للصلاة من أربعة أساكيب وخمس بلاطات ويرجع إلى أواخر القرن الثالث عشر أو أوائل الرابع عشر الميلادي، ثم تم توسيعه أيام العلويين. وإننا لنأسف الآن إذ نقول بأن كاييه قد بنى فكرته الأولى على أساس خطأ فاحش. لقد نقل كاييه النص التالي من بوجندار وسأنقله هنا بألفاظه وصورته كما ذكره كاييه نفسه واستنتج

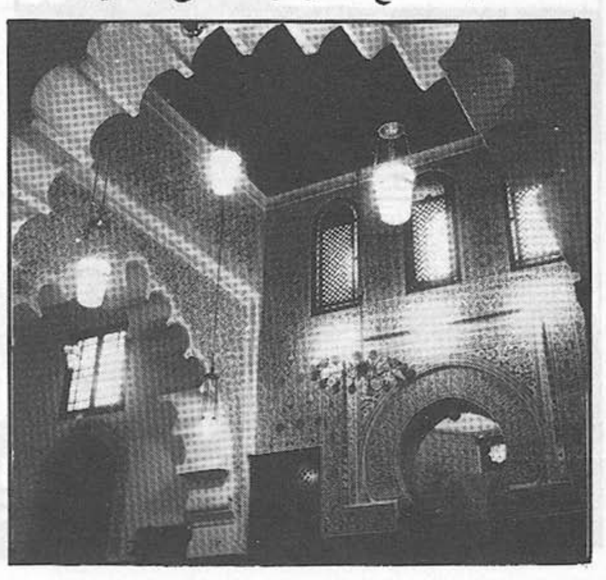
(1) جاك كاييه : مدينة الرباط ج 2 أشكال 71 و 72 واللوحات العديدة بالجزء الثالث. وقد وقع كاييه في عدة أخطاء فاحشة بسبب جهله التام باللغة العربية وعدم قدرته على استخدام المراجع المغربية كخلطه بين أسماء ملوك متشابهة من عصر دولتين مختلفتين.

(2) الرباط وضواحيها، ج 1 ص 152.



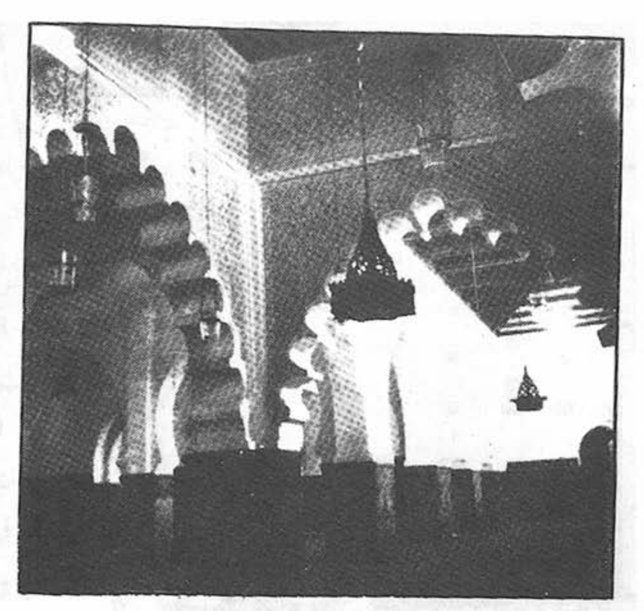
شكل 64

تخطيط الجامع الكبير برباط الفتح (الحالي)



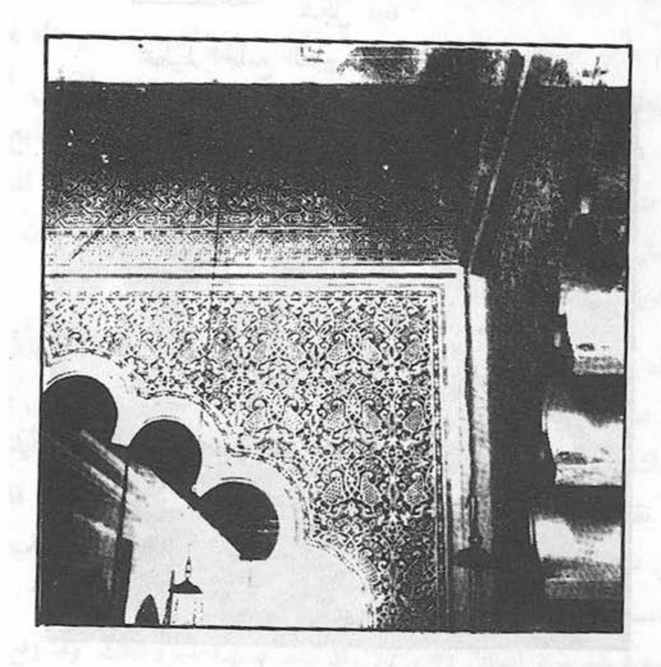
شكل 65

تفصيل عمارة وزخارف المحراب واسطوانة المحراب بالجامع الكبير بالرباط



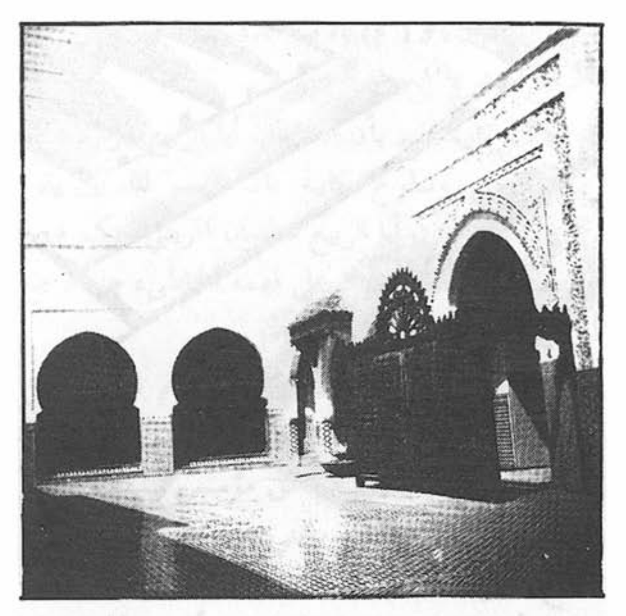
شكل 66

البلاطات والأساكيب داخل بيت الصلاة بالجامع الكبير بالرباط

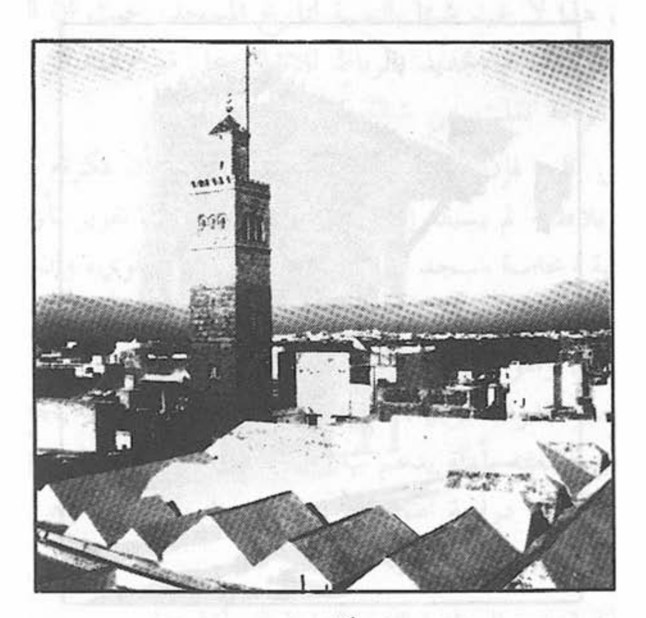


شكل 67

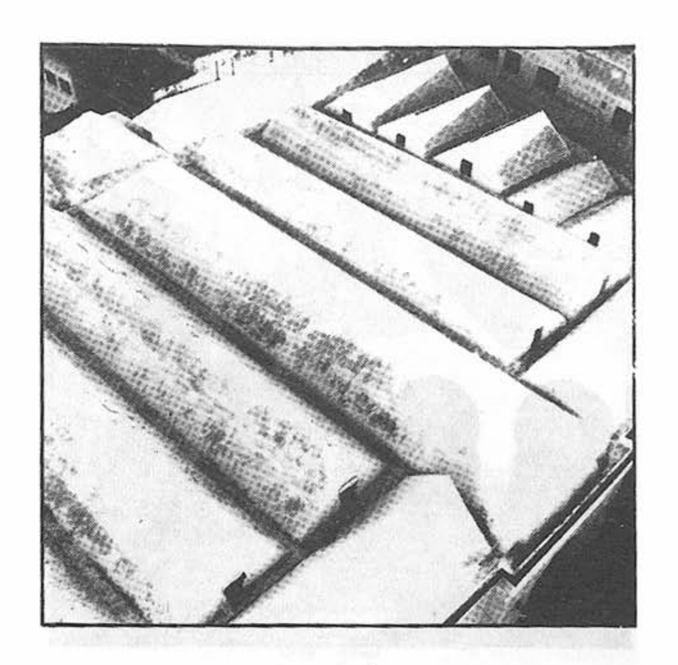
تفصيل الزخارف المعمارية بواجهة المحراب بالجامع الكبير بالرباط



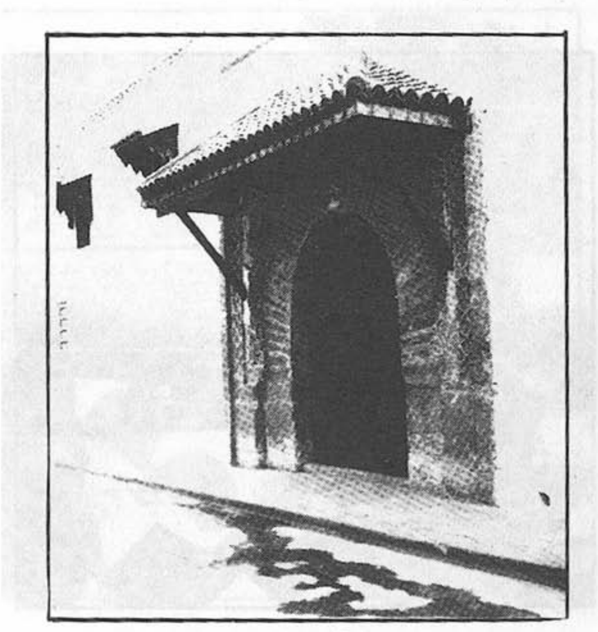
شكل 68
صحن الجامع الكبير بالرباط



شكل 69
الصومعة ونظام التغطية الخارجية بالجامع الكبير بالرباط



شكل 70
نظام الأسقف من الخارج، الجامع الكبير بالرباط



شكل 71
مدحل الجامع الكبير بالرباط المواجه للمجموعة العزيزية

رأيه منه «ان المؤرخ الرباطي يذكر عن غيره أن أحد أبواب المسجد كان قد أصلح بواسطة السلطان أبي الربيع (1308 – 1310 م) الأمر الذي يرجع الأثر الى أواخر القرن الثالث عشر أو بداية القرن الرابع عشر»[1].

ومن هذا يتضح لنا أن كاييه فهم بأن السلطان أبا الربيع الوارد ذكره في نص بوجندار هو السلطان أبو الربيع المريني وتطوع كاييه بأن رسم لنا بين قوسين تاريخ حكمه (1308 – 1310 م). فاذا عرفنا بأن أبا الربيع سليمان المريني حكم فيما بين 708 و 710 هجرية، أدركنا أن كاييه يعنيه بالتحقيق، وبناء على فهمه الخاطىء هذا أرجع المسجد إلى أواخر القرن 13 الميلادي أو أوائل القرن 14 الميلادي.

ومن هذا نصل إلى أن تأريخ كاييه للمسجد غير قائم على أساس صحيح وأننا الآن أمام تضارب في الرأي شديد. وخلاصة جميع تلك الآراء على عللها أن الجامع الكبير بالرباط إما موحدي (الدكالي) أو مريني من بناء عبد الحق مؤسس الدولة (البعثة الفرنسية 1917) أو مريني دون تحديد (ترجيح بوجندار) أو مريني من عصر أبي الربيع سليمان (كاييه) أو أندلسي من القرن السابع عشر الميلادي (البعثة الفرنسية 1918 ورواية أوردها بوجندار) أو علوى (البعثة 1918) أو به نقط زيادة علوية من أيام مولاي سليمان (كاييه).

وبالنسبة لوجود رخامة الحمام الجديد الذي بناه أبو عنان برباط الفتح ملتصقة بحائط واجهة الصحن، فإن هذا لا يفيد شيئا بالنسبة لتأريخ المسجد، حيث أن اللوحة نقشت بأمر أبي عنان لتحبيس دخل الحمام الجديد بالرباط للانفاق على قبر والده أبي الحسن بشالة. كل ما هنالك أن هذه اللوحة نقلت من شالة كما نقل غيرها.

وإذا رجعنا إلى كاييه فإن الانصاف يقتضي منا القول بأن فكرته بوجود مسجد أول حدد عدد أساكيبه وبلاطاته لم يسبقه إليها أحد، كما استعان عند تقرير تأريخه بمشابهة تخطيطه لمساجد تلمسان المرينية وخاصة مسجد العباد ومسجد سيدي الحلوي، وإن هناك ظاهرة أخرى تعطيه شكل المساجد القديمة وهي وجود العقد المفصص أمام المحراب، ذلك التقليد الذي كان شائعا أيام المرابطين والموحدين كما وجد أيام المرينيين فنراه مثلا في الجامع الكبير بفاس بينما لم يظهر بعد عصر الدولة المرينية. غير أنه لم يوفق في فهم ما رجع اليه من نصوص كما لم تساعده المصادر فتسعفه بأدلة يدعم بها رأيه. وفي هذه الحالة فلم يبق لنا إلا مواد البناء وعناصر البنيان التي تستلزم دراسة أطول وأعمق مما فعل كاييه مع إجراء حفريات جديدة بهذا المسجد لعلها تلقي ضوءا على تأريخه.[2]

(1) وقد أشار كاييه في ذيل الصفحة إلى مقدمة الفتح والصفحة التي أخذ عنها.

(2) اكتفيت هنا بموجز لدراسة مشاكل المسجد التاريخية والمعمارية، والأصل مفصلا بكتابي حفائر شالة وخاصة لنظريتنا المعمارية حول القص في المباني المغربية.

وسواء كان المسجد الحالي لازال محتفظا بتخطيطه الأصلي، أو أن البلاطات الثلاث الشرقية مع البلاطتين الغربيتين قد أضيفت في الزيادة العلوية كما ذهب كاييه. فإن البلاطة الجانبية الشرقية التي تمثل لنا ظاهرة القص في التخطيط إما مرينية أو من عصر متأخر عن العصر المريني كما تشير جميع النصوص التي سبق تحليلها والأبحاث التي عرضتها بكتابي حفائر شالة الإسلامية.

14 – جامع الغربية :

اعتمادا على دراسة الفرد بل يذكر الباحث المغربي الأستاذ المنوني ان جامع الغربية كان يسمى زمن بنائه (مسجد السوق الكبير) ويؤكد بأن مسجد السوق الكبير كان من تأسيس القائد عبد الله الطريفي حاجب السلطان المريني (أبي سعيد الثاني) أوائل القرن التاسع الهجري.

وقد ورد بجذوة الاقتباس ما يؤيد وجهة النظر تلك (وهو ـــ يقصد الحاجب الطريفي – الذي بنى مسجد السوق الكبير بالبلد الجديد وحبس عليه كتباً كثيرة...) ويشير الأستاذ المنوني إلى رخامة أسفل منارة جامع الغربية نقشت عليها وقفية تحمل تاريخ 16 ذي القعدة عام 810 هـ (1408 م) تعدد الأملاك التي أوقفها الطريفي على إمام الجامع وعلى تفريق الكتب التي بخزانته بين صلاتي الظهر والعصر[1].

15 – جامع العباسيين بالبيضاء :

ويذكر الاستاذ المنوني مسجداً آخر بالمدينة البيضاء يسمى (مسجد العباسيين) كان موجودا قبل بناء جامع الغربية حيث ورد ذكره بنص وقفية جامع الغربية المشار اليه آنفا باسم (مسجد الصفصاف)، أما مؤسسه ومؤسس جامع البيضاء فلا يزال غير معروف بالضبط[2].

(1) ورقات للمنوني ص 30/29 وتعاليق 94 – 97 ص 39.
(2) نفس المصدر ص 30.

ثالثا : الأضرحة والعمارة الجنائزية

العمارة الجنائزية :

كان من عمارة بني مرين الجنائزية في الطراز المغربي الأندلسي قباب شالة التي احترم بها لسان الذين بن الخطيب وطبقت شهرتها سائر ممالك المغرب والأندلس، وقبيبات بني مرين بفاس التي انتقل اليها الدفن بقية العصر المريني بعد تحوله عن شالة ابتداء من وفاة السلطان أبي عنان المدفون بجامع الجنائز بفاس الجديد، وقد مر بنا ذكر قبة أبي مدين الغوث بتلمسان.

أولا : قباب شالة المرينية خارج الخلوة وداخلها :

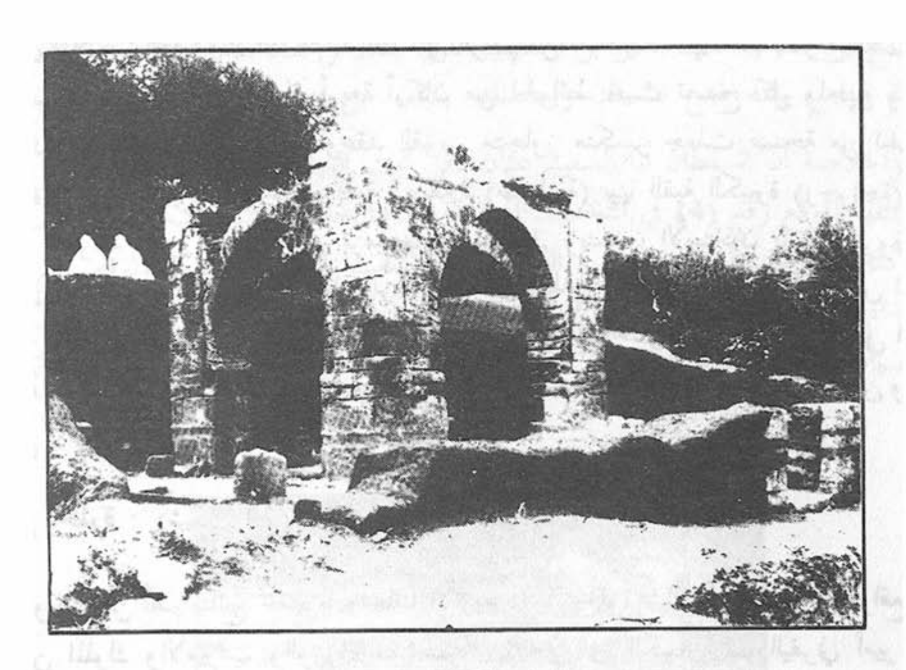
والخلوة هي نفس الروضة المرينية، وهي عبارة عن مساحة مستطيلة الشكل يدور سورها حول عدد من المباني التاريخية والأثرية الدينية والمدنية. ويوازي الضلع الطويل من المستطيل، سور شالة الجنوبي الشرقي الذي يقع به باب البساتين ولا يبعد عنه إلا بعدة أمتار. وللخلوة بابان، أحدهما بالحائط الجنوبي الغربي قرب باب البساتين وهومن وقت متأخر بينما يفتح الباب القديم بالحائط الشمالي الغربي. ولا يبرز من مباني الخلوة عن هذه الجدران سوى بروز مكعب خلف محراب المدرسة (أو الزاوية) قرب الركن الشرقي للمستطيل ومحل الوضوء المجاور لصومعة المدرسة بالركن الشمالي للخلوة. وسور الخلوة كله من التابية ما عدا الحائط الجنوبي الغربي فهو من الحجر غير المنجور.

خارج الخلوة :

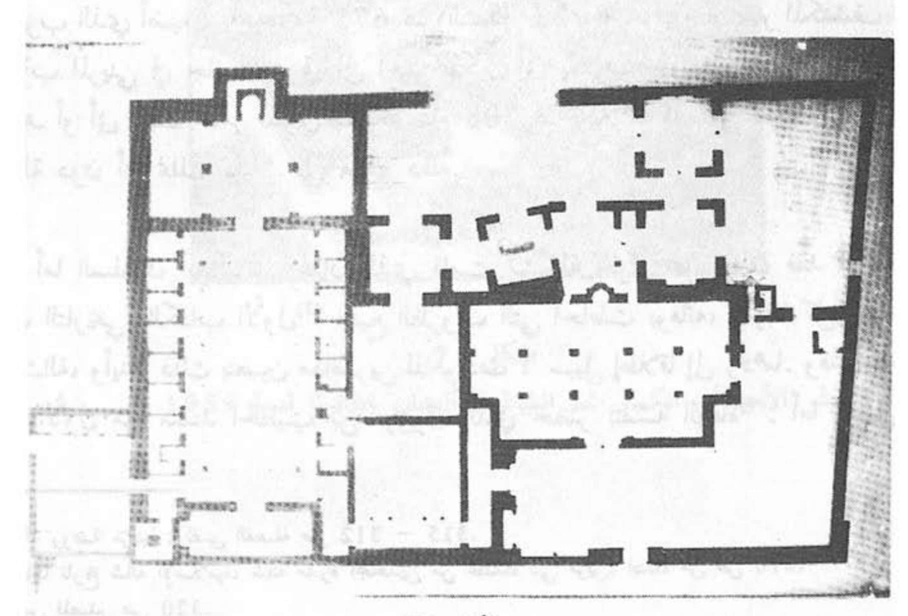
وأول ما يقابلنا عندما ننفذ من المدخل الغربي الكبير منحدرين مع الطريق المتجه الى الخلوة، بقايا قبتين قديمتين بسفح الربوة المطلة من جهة اليمين، وتعرف أكبر القبتين بللا رجراجة وتقع خلف ضريح سيدي الحسن الإمام[1] لازال بها آثار عدد من القبور[2]، وتعرف القبة

(1) شالة روضة مرينية : هسبريس 1922 الفصلة الثالثة ص 415.

(2) شالة و آثارها : قال بوجندار أنها غربي قبة سيدي يحيى بن يونس ص 44. الرباط وضواحيها ج 1 ص 49 : قالت البعثة الفرنسية أنها قرب عين شالة وقد أوضحنا أخطاء هاتين الإشارتين بكتابنا حفائر شالة الإسلامية.



شكل 72
عمارة قبة مرينية خارج خلوة شالة



شكل 73
تخطيط خلوة شالة المرينية أثناء حفائرنا بها 1959 م

الصغرى بللا صنهاجة. والقبتان متشابهتان على الرغم من الاختلاف في النسب والأبعاد، وكل منهما عبارة عن قبة محمولة على أربعة أركان من الحوائط بحيث تصبح كل واجهه وكأنها قوس كبير مفتوح (شكل 72). وعقد القوس متجاوز منكسر جعلت صنجة من الحجارة المنجورة. ولم يبق شيء من غطاء القبة الصغيرة (صنهاجة) بينما القبة الكبيرة (رجراجة) التي لازالت محفوظة يبدو أنها قد سيق ترميمها وتدعيمها. وينسب الأستاذان باسيه وبروفنسال القبتين إلى بعض أمراء المرينيين، فعلى الرغم من تحول الدفن عن شالة إلى القلة بفاس استمر عدد من الأمراء الذين لم يصلوا إلى الحكم في الدفن بشالة واختاروا الربوة المشرفة على الخلوة باعتبارها أرضا مقدسة كذلك. ويدعم الأستاذان رأيهما بمشابهة القبتين لقبتي أبي الحسن وشمس الضحى داخل الخلوة ولقباب المرينيين بالقلة[1].

داخل الخلوة : (شكل 73).

وكان من أهم نتائج حفائرنا وأبحاثنا الأثرية داخل خلوة شالة الكشف عن مواقع دفن عدد من الملوك والأميرات والوزراء نبدؤهم[2] بالأمير أبي الكمال تميم اليفرني أمير شالة وولده محمد (شكل 74) ثم شخصيات مرينية أولها الحرة أم العز (توفيت سنة 683 هـ) وزوجها السلطان أبو يوسف يعقوب المريني (توفي سنة 685 هـ) داخل مسجد شالة العتيق بالأسكوب الذي أضيف بأمره عام 675 هـ (الشكل 75). وربما يرجع القبر المكتشف داخل الأسكوب المريني في جانبه الشرقي الى أحد الملكين أبي يعقوب يوسف المقتول بتلمسان عام 706 هـ أو أبي ثابث عامر المتوفى بطنجة عام 708 هـ فكلاهما قد نقل فعلا من محل وفاته إلى شالة دون أن نملك دليلا على موقع دفنه.

أما السلطان أبو سعيد عثمان الذي قامت مشكلة حول محل دفنه، فقد أوضحنا في البحث التاريخي بالكتاب الأول[3] جميع الظروف التي أحاطت بوفاته، وأزلنا كل شك حول دفنه بشالة، وأيدنا ذلك بنصين معاصرين للحوادث لا سبيل إطلاقا إلى ردهما. وقد استخلصنا الدليل الأول من مسند الخطيب بن مرزوق الذي حضر بنفسه الوفاة[4]. أما الدليل الثاني

(1) شالة روضة مرينية : نفس الفصلة ص 312 - 315.
(2) كتابنا تاريخ شالة الإسلامية، شالة مقبرة المجاهدين من عظماء بني مرين، ابتداء من ص 310.
(3) نفس المصدر ص 320.
(4) راجع النص لأهميته بكتابنا تاريخ شالة الإسلامية.

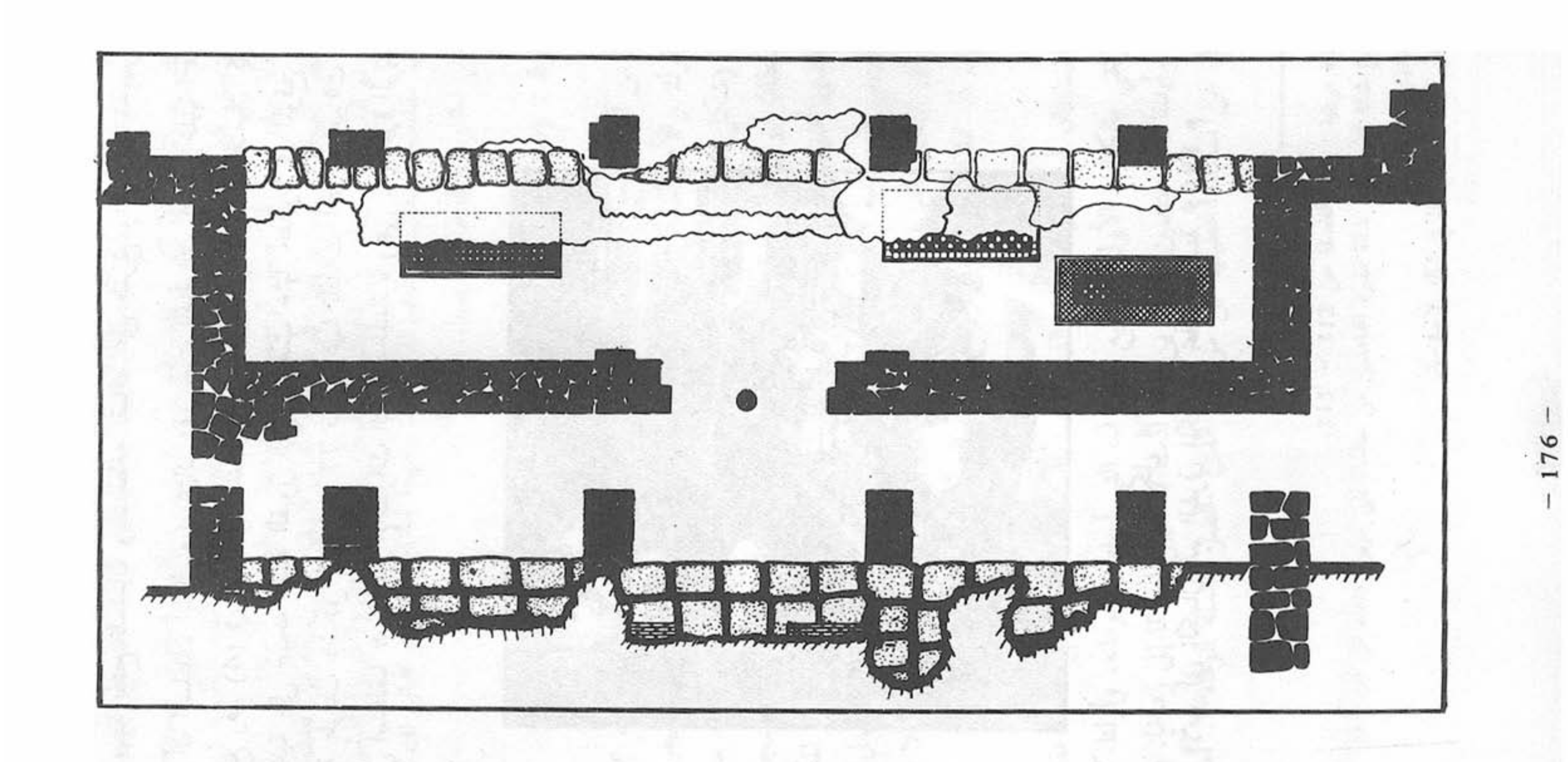
فهو يتضح من خطاب لسان الدين بن الخطيب الذي كتبه من شالة عام 761 هـ إلى السلطان أبي سالم إبراهيم يهنئه بفتح تلمسان ويستعطفه بقيامه على ضريح والده أبي الحسن.

والخلاصة أن السلطان أبا السعيد عثمان دفن تحت القبة التي أطلقنا عليها اسمه (شكل 76) ويمثلها الموقع رقم (4) في التخطيط المنشور بكتابنا حفائر شالة الإسلامية. كما سبق أن أقمنا الأدلة التاريخية على صحة نسبة القبور التي كشفت عنها حفائرنا في الموقع رقم (7) إلى شهداء موقعة طريف (شكل 77 أ + 77 ب) وعينًا بالذات أسماء الأميرات والوزراء والشخصيات التي استطعنا جمعها من الإشارات التاريخية المتناثرة وهي : الأميرة المرينية عائشة



شكل 74

قبر الأمير أبي الكمال تميم اليفرني المكتشف بحفائرنا لسنة 1959 م



شكل 75
موقع قبرى الأميرة أم العز وزوجها يعقوب المريني بالزيادة المرينية المكتشفة بحفائرنا

بنت أبي بكر بن يعقوب وزوجة السلطان أبي الحسن، ثم الأميرة قاطمة بنت السلطان أبي بكر بن أبي زكريا الحفصي وزوجة أبي الحسن كذلك. ومن الوزراء أبو ثابث عامر بن فتح الله والوزير الجليل أبو مجاهد غازى بن الكأس، ومن العلماء الشيخ أبو قاسم بن جزى من أشياخ لسان الدين. كما كشفت حفائرنا كذلك عن قبر الوزير المريني أبي زيان عريف السويدى الذي وزر لثلاثة ملوك، وذلك في الموقع (رقم 6) من تخطيطنا العام للخلوة.

هذا هو محمل تخطيط أضرحة شالة الإسلامية وترتيب مبانيها الأثرية وتحديد أسماء وتواريخ الشخصيات التي تم لنا الكشف عنها داخل خلوة شالة.

أما ترتيب مواقع قباب شالة الأثرية داخل الخلوة فأقدمها قبة تميم اليفرنى وولده التي يمثلها الموقع (رقم 5) وقد مات تميم سنة 446 أو 448 وقتل ابنه الأمير محمد سنة 462 هجرية. وبعدها قبة أبي سعيد عثمان المريني الذي نقل من فاس إلى شالة بعد وفاته عام 731 هـ ويمثلها الموقع (رقم 4) على محور قبة أبي الحسن ثم تليها قاعدة الشهداء طريف[1] (الموقع رقم 7) التي تم توسيعها بأمر أبي الحسن لاستقبال زوجاته ووزرائه الذين استشهدوا بأرض الأندلس في أواخر النصف الأول من القرن الثامن. ثم قبة شمس الضحى التي بنيت بأمر ولدها السلطان أبي عنان في حياة والده أبي الحسن عام 750 هـ. وبعد وفاة أبي الحسن ودفنه بمراكش عام 752 هـ نقل الى القبة التي كان قد بناها لنفسه في حياته[2] (الأشكال 78أ + 78ب). وأخيرا تقع قبة الوزير أبي زيان عريف السويدي[3] الذي مات بسلا عام 755 أو 758 هـ أمام الباب الجنوبي لصومعة المسجد العتيق. وهكذا فلا يبقى أمامنا بالتخطيط سوى قاعة الدفن العامة (الموقع رقم 3) التي بدأنا عمليات الحفر بها وكشفنا عن آثار أساسات وجدران إسلامية لازالت في حاجة إلى مواصلة العمل لإتمام كشف حقيقتها، كما تبقى مشكلة البناء الاسلامي المكتشف أسفل مصلى الزاوية والذي يحتاج هو الآخر إلى عملية حفر واسعة بسعة المصلى المذكور. أما الزاوية نفسها فتصميمها ومواد بنائها كله مريني لاشك فيه. هذا هو أحدث تخطيط وترتيب تاريخي لمباني شالة الأثرية[4] وصلنا إليه بعدما قمنا به من أبحاث تاريخية طويلة وحفائر أثرية بعين المكان.

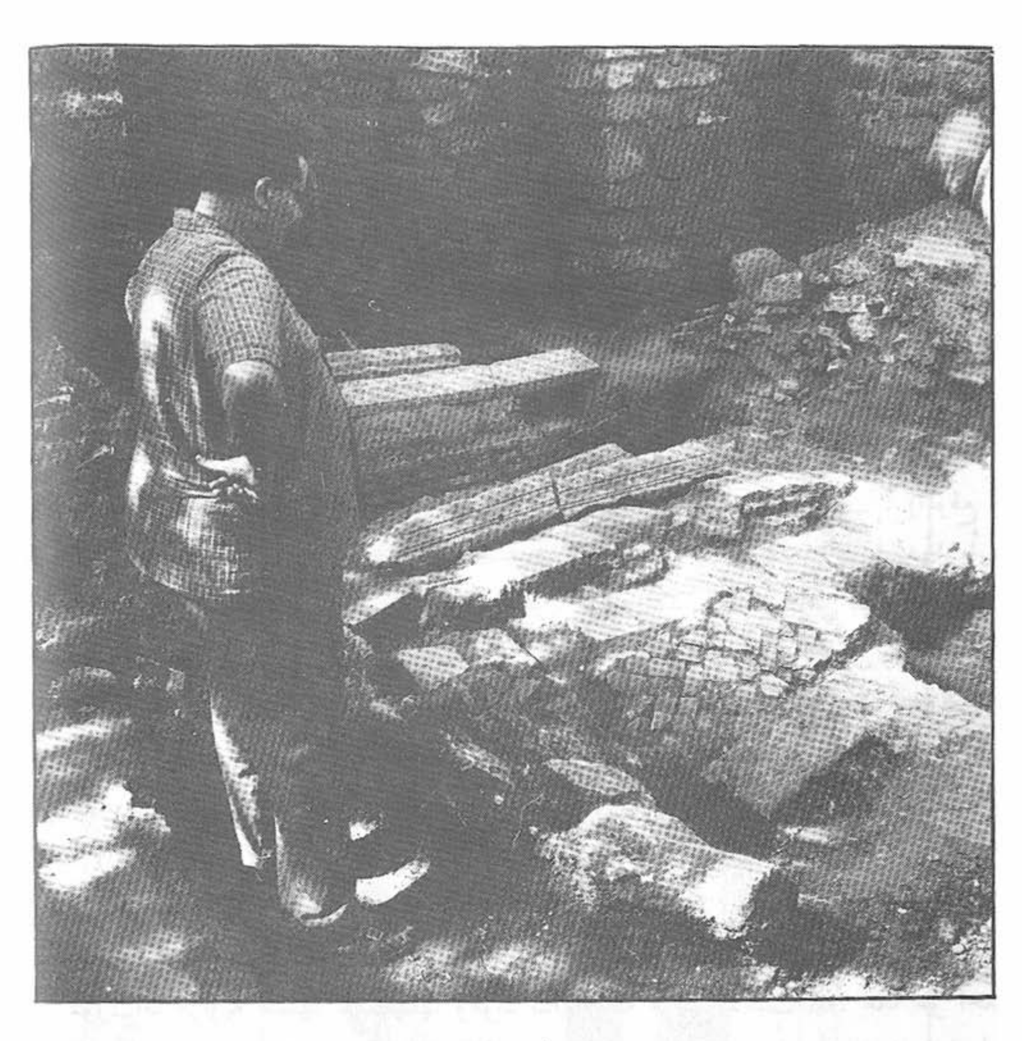
---

(1) تاريخ شالة الإسلامية ص 321 - 325.

(2) انتهى أبو الحسن من بناء أسوار شالة واضافاته بها عام 739 هـ كما ينص نقش التأسيس على المدخل الكبير. فإذا كانت القبة التي بناها لنفسه تمت مع هذا التاريخ فإنها تكون أقدم عهدا من قبة شمس الضحى زوجته بعدة سنوات.

(3) نفس المصدر ص 326.

(4) كتابنا حفائر شالة الإسلامية الفصل الخامس.



شكل 76
قبة أبي سعيد عثمان حسبما كشفت عنه أبحاثنا وحفائرنا الأثرية

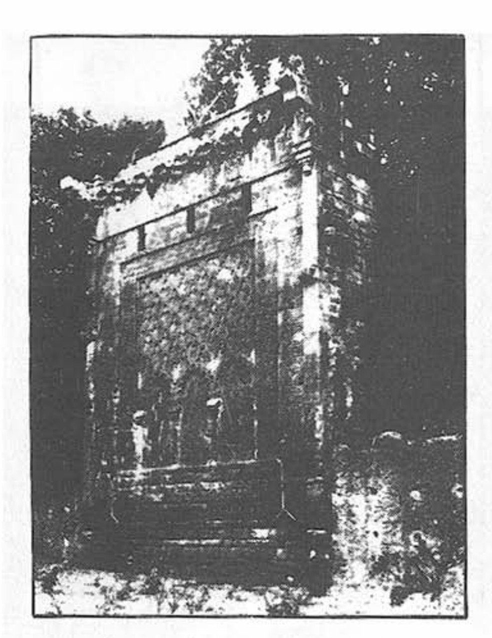


شكل 77 أ

قاعة شهداء موقعة طريف

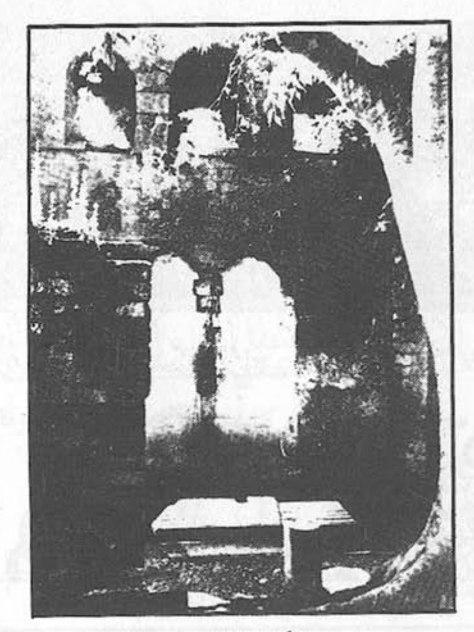
شكل 77 ب

قاعة شهداء موقعة طريف



شكل 78 أ

بقايا عمارة وزخارف قبة أبي الحسن من الخارج



شكل 78 ب

بقايا عمارة وزخارف قبة أبي الحسن من الداخل

ثانيا : جامع الجنائز بالمسجد الكبير بفاس الجديد :

وما يسمى اليوم بجامع الجنائز هو[1] في الحقيقة بناء ملتصق بنهاية الواجهة الجنوبية الغربية للمسجد من ناحية القبلة وينقسم الى قاعتين إحداهما مستطيلة نقتح على أسكوب المحراب والأخرى قاعة مربعة تغطيها قبة ينفذ اليها من باب في الحائط الشمالي الغربي للقاعة الأولى المتصلة ببيت الصلاة[2] (الأشكال 79 – 81). هذه القاعة المغطاة بقبة أرخها مارسيه على أساس أسلوب زخرفتها بمنتصف القرن الرابع عشر الميلادي[3] والثابت لدى عامة المؤرخين والأثريين أن أبا عنان دفن بهذه القاعة منذ توفي عام 1358 م (759 هـ)[4] ففي روضة النسرين «أبو عنان مولدة بالمدينة البيضاء... ودفن بجامع المدينة البيضاء...»[5].

وكذلك دفن بهذه القاعة واعظ المسجد نفسه الفقيه الخطيب محمد أبو سعد ابن العالم الوزير الخطيب بن مرزوق (شكل 82) وذلك تبركا به، وقد مات أبو سعد عام 760 هـ (1359 م) [6].

ثالثا : قبيبات بني مرين بفاس :

وتعرف بمقابر القلة (الأشكال 83 – 87)، فقد بدأ ضعف شالة كمقبرة لملوك المرينيين بتحول الدفن عنها إلى مقابر القلة بفاس، إذ بعد نقل السلطان أبي الحسن من مراكش إلى شالة تتحول هذه الحركة من شالة إلى فاس بقية عصر الدولة المرينية. ونستطيع الآن أن نعطي قائمة مختصرة على سبيل المثال لا على سبيل الحصر، وتبدأ هذه القائمة بدون شك بأمير المؤمنين أبي عنان بن أبي الحسن الذي دفن بالجامع الكبير بفاس الجديد سنة تسع وخمسين وسبعمائة[7] وقد دفن السلطان أبو سالم إبراهيم بن أبي الحسن بالقلة بفاس سنة اثنين وستين وسبعمائة،[8] كما دفن هناك بجامع قصره أبو زيان محمد بن يعقوب بن أبي الحسن سنة سبع وستين وسبعمائة.[9] ثم نقل من تلمسان إلى فاس السلطان أبو فارس عبد العزيز بن أبي

---

(1) تفصيل دراستنا لعمارة القاعة وتأريخها بكتابنا حفائر شالة الإسلامية الفصل السادس.

(2) للوضع العام أنظر الأشكال المنشورة بكتابنا حفائر شالة الإسلامية وانظر كذلك مساجد فاس لماسلوف ص 40 وعمارة مارسيه ص 268، بالتفصيل : الفرد بل ص 86 من الجريدة الآسيوية عدد – يوليو أغسطس – 1917.

(3) عمارة مارسيه ص 271.

(4) بل : نفس المصدر ابتداء من ص 94، وعمارة مارسيه ص 271.

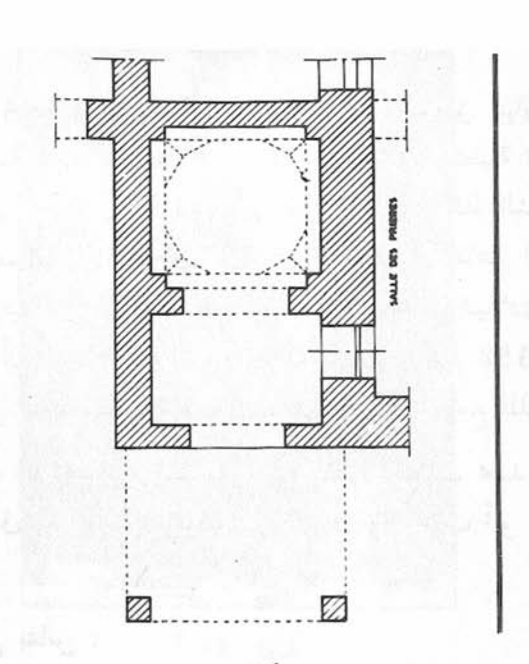
(5) روضة النسرين : ص 23.

(6) عمارة مارسيه ص 271 والفرد بل : نفس المصدر ص 100.

(7) استقصا : ج 3 ص 205.

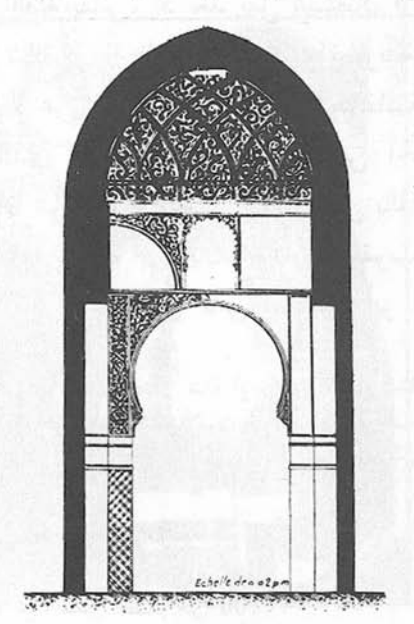
(8) روضة النسرين : ص 27، والاستقصا ج 4 ص 39.

(9) روضة النسرين : ص 29، والاستقصا ج 4 ص 52.



شكل 79

تخطيط جامع الجنائز بالجامع الكبير بفاس الجديد الذي نفذه بإشرافنا المهندس ليكارى الايطالي

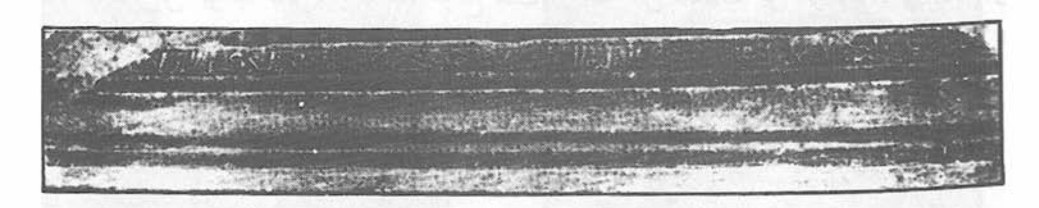


شكل 80

عقود قاعتي جامع الجنائز بالجامع الكبير بفاس الجديد



شكل 81
تفصيل عمارة وزخارف قاعتي جامع الجنائز بالجامع الكبير بفاس الجديد



شكل 82
شاهد قبر ابن الخطيب بن مرزوق بجامع الجنائز بالجامع الكبير بفاس الجديد

الحسن فدفن بجامع قصره سنة أربع وسبعين وسبعمائة[1] كما نقل السلطان أبو العباس أحمد ابن ابراهيم بن أبي الحسن من تازا الى القلة بفاس سنة ست وتسعين وسبعمائة[2]. وبعد أبي العباس دفن معه ولده السلطان عبد العزيز أبو فارس بن أبي العباس سنة تسع[3] وتسعين وسبعمائة وبعده أخوه أبو عامر بن احمد (حسب رواية المنوني في كتابه ورقات). وأخيرا فقد استقبلت مدافن القلة الاميرة آمنة بيت ابى العباس أحمد التي ينسب اليها بستان آمنة بالقصر الملكي من فاس الجديد كذلك أبا محمد عبد الحق آخر ملوك المريبيين من بني عبد الحق سنة تسع وستين وثمانمائة[4].

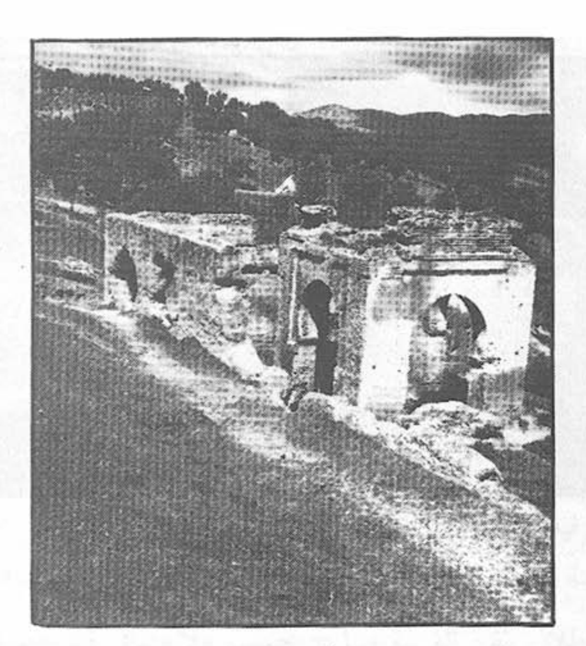
وهكذا فبعد أبي الحسن انتزعت القلة مكانه شالة[5]، وهجر ملوك المرينيين روضتهم الأولى قرنا من الزمان من عام 759 هـ وهو تاريخ دفن أبي عنان آخر عظماء دولتهم بفاس إلى عام 869 هـ وهو تاريخ وفاة عبد الحق آخر ملوكهم.

وكان ضمن من أُقبر بها من وزراء الوطاسيين على بن يوسف ويحيى بن عمر بن زيان ومحمد بوزكرى، وقد استمر الدفن بالقلة بعد انقراض دولة بني مرين كما يشير ابن القاضي في جذوة الاقتباس حيث اقبر بها من السعديين عبد الملك المعتصم شهيد غزوة وادي المخازن[6].

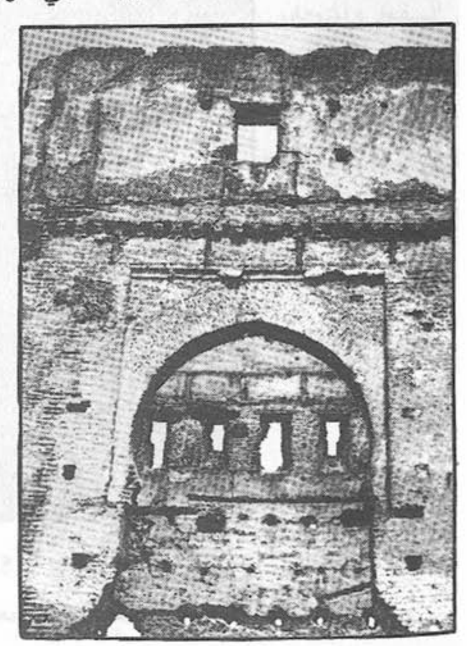
فبيات بني مرين الموقع والأهمية التاريخية :

تقع تلك المأثرة كما درستها منذ ثلاثين عاما وكما نراها اليوم ملحقة بفاس الجديد أعلى التل (المشرف على خارج باب الجيسة والمعروف قديما باسم جبل العرض ثم جبل الزعفران، وان تلك الهضبة ذات الاسماء الثلاثة تعتبر من أقدم مقبرات فاس منذ مطلع القرن الخامس حيث اقبر بها قاضي فاس ابن محسود المتوفي سنة 401 هـ كما دفن الى جوارها أبو جبل الفاسي المتوفى سنة 501 هـ حسب رواية روض القرطاس : ودفن بظاهر الرابطة التي بخارج باب أصليتن من أبواب فاس، ويتحدد موقع تلك الرابطة من تعقيب ابن الزيات : وقبره بجبل العرض، ويتأكد ذلك بنص ابن عيشون : وقبره بجبل العرض يعني جبل الزعفران[7]، وهكذا كان الموقع مختارا للذفن قبل وصول الدولة المرينية.

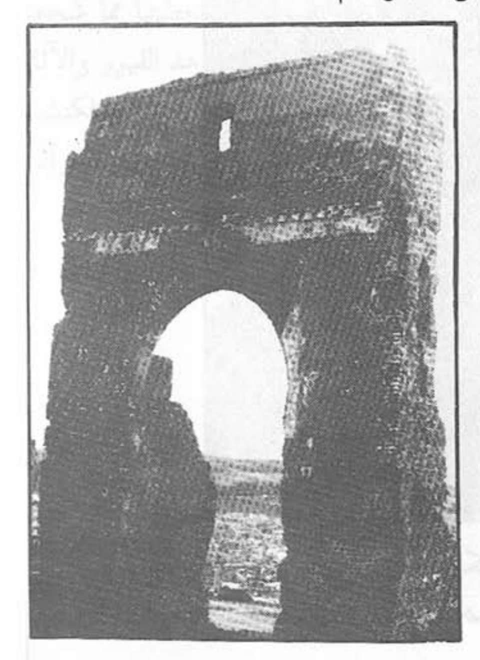
(1) استقصا ج 4 ص 59.
(2) استقصا ج 4 ص 78.
(3) نفس المرجع ص 90.
(4) المرجع السابق ص 100 وراجع مجمل ذلك بكتابنا تاريخ شالة الاسلامية ص 329 – 330.
(5) في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي أصبح المكان المعروف بالقلة ـــ حيث تشرف الآن قبور المرينيين على فاس البالي ـــ يعتبر روضة هذه الاسرة.
(6) المنوني : منشآت مرينية، مجلة المناهل الرباط ديسمبر 1979 ص 255 والمصادر المشار إليها.
(7) المنوني : منشآت مرينية، نفس المقال بالمناهل ص 253/251.



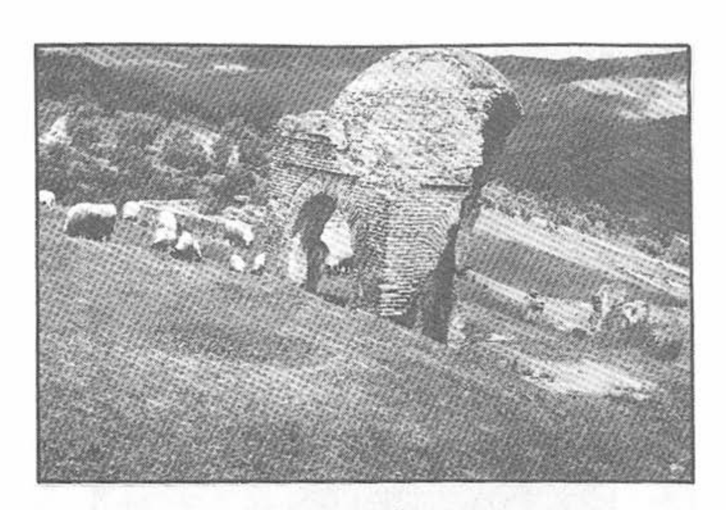
شكل 83
قبيبات بني مرين بفاس، منظر عام



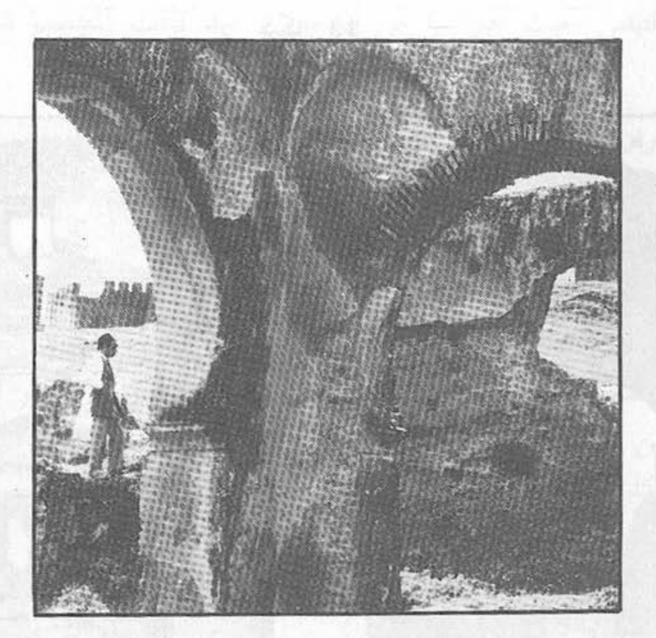
شكل 84
قبيبات بني مرين، تفصيل عمارة احدى القباب



شكل 85
قبيبات بني مرين، تفصيل عمارة قبة أخرى



شكل 86
قبيبات بني مرين، تفصيل عمارة قبة أخرى



شكل 87
قبيبات بني مرين، تفاصيل معمارية باحدى القباب

وبالإضافة إلى الأهمية الروحية فقد اكتسبت المنطقة أهمية أخرى منذ أوائل القرن السابع عندما شيدت قلعة حصينة تشرف على المدينة القديمة بنى بها محمد الناصر الموحدي أربع قباب يحيط بها سور بني خارجه جامعا وحماما وجلب الماء للجميع من وادي فاس خربت أواخر عصر الدولة الموحدية.[1] ويذكر الأستاذ المنوني وجود إشارة بنسخة فريدة لمخطوط (نصح ملوك الإسلام) لابن السكاك تحدد مواقع دفن السلطان أحمد بن أبي سالم ثم عبد العزيز ابن أحمد بن أبي سالم فأبي عامر أخي عبد العزيز الثاني.

وقد وصف الحسن الوزاني في كتابه (وصف إفريقيا) فخامة تلك القباب وزينتها وزخرفتها المنقوشة في الحجر والرخام والكتابات المنمقة بألوان زاهية وذلك قبل أن تتحول اليوم إلى إطلال نميز من بينها قبتين في مواجهة فاس العتيق مرتفعة الأسوار وقد سقطت تغطية إحداها، وتتميز الشرقية منها بزيادة ارتفاعها وبقايا كتابية محصورة داخل إطار مستطيل يحيط بعقد بابها المقابل لمدينة فاس وبقايا نقوش جصية وآثار النوافذ العليا والسقوف وبابان متقابلان.

هذا، وتدل أطلال القبة الغربية منها - حسب ملاحظاتي الشخصية بالدراسة الميدانية - التي تحتفظ ببعض الزخارف الجصية على أنها كانت أقل ارتفاع من القبة الشرقية، وتبرز في السفح والمنحدر بقايا قبة متوسطة الارتفاع في اتجاه الغرب بقيت آثار تغطيتها مما شجعنا على المبادرة بعمليات مسح أولية ومجسات أدت إلى كشف عدد كبير من شواهد القبور والآثار تستحق تخصيص مواسم متتالية للبحث والتنقيب ووضع تخطيط شامل للمآثر الباقية والمكتشفة بمقابر القلة ودراسة مواد البناء ونسبها وحجمها ووسائل التغطية وعناصرها لتيسير إنجاز الدراسة المقارنة للمباني السابقة واللاحقة.

---

(1) يشير المنوني بنفس المقال إلى تقييد مخطوط باسم (كتاب البستان) بحاجة للمقارنة لمعلومات كتاب (فاس في عصر بني مرين)، نفس المقال ص 254.

الفصل الخامس

العمارة المدنية

ابحاث هذا الفصل :

1 – المدارس المرينية :

دولة العلم وعصر بناة المدارس

التوزيع الجغرافي للمدارس المرينية المعروفة

مصدر تخطيط المدارس وتطورها المعماري ووظيفة المدرسة المرينية

عرض عام لمدارس بني مرين

القيمة العلمية للمدارس المرينية

نظرية جديدة في العمارة الأثرية

المدرسة البوعنانية بفاس

2 – المدن المرينية الجديدة :

فاس الجديد، البنية بالجزيرة الخضراء

تأسيس حصن تاوريرت وبناء مدينة وجدة

منصورة تلمسان

اسوار شالة وملحقاتها

3 – القصور المرينية ومساكن الخواص ودور السكة :

القصر الملكي بفاس الجديد وقصر راس الماء

عمارة المساكن المرينية

مساكن الخواص بفاس

دار السكة

4 – البساتين وقناطر الماء وناعورة فاس :

حديقة المصارة

دولاب ناعورة فاس الجديد

بستان للا آمنة

روض الغزلان

5 – الحمامات المرينية والسقايات

حمام وجدة وحمام العباد

حمام شالة

حمام العلو (الحمام الجديد)

حمامات الخواص

السقايات

6 – الزوايا المرينية :

زاوية ابى سعيد عثمان بخلوة شالة

زاوية سيدي عبد الله اليابوري داخل أسوار شالة

الزاوية المتوكلية بفاس

زاوية النساك خارج مدينة سلا

7 – المستشفيات (البيمارستانات)

الفصل الخامس

العـــمـــارة الـــمـــدنيـــة

1 – المـــدارس الـــمـــرينيـــة

أولا : دور العلم وعصر بناة المدارس :

دور العلم :

لازال من أبرز معالم الطراز المغربي الأندلسي في هذا العصر معماريا وفنيا تلك السلسلة الذهبية من المدارس[1] التي شيدها المرينيون وتأنقوا في زخرفتها على غير مثال سابق بالمغرب والأندلس. ذلك أن المرينيون كانوا يسلكون طريق نشر العلم كمبدأ لازم دولتهم منذ[2] البداية فاستحقوا بذلك لقب دولة العلم الذي يطلقه عليهم بعض المؤرخين[3].ولعله من المدهش حقا أن نلاحظ في فترة الازدهار السياسي والعمراني والحضاري لهذه الدولة أن ستة من الملوك العظماء ابتداء من عبد الحق المريني مؤسس الدولة الى ابى فارس عنان آخر سلاطين الفترة[4] الزاهرة يتخصصون في ظاهرة جديدة وهي ظاهرة انتشار المدارس الاسلامية، فالجديد في عهدهم أن معظم ما تخلف من مدارس المغرب الأثرية يرجع الى ذلك العصر بالذات الذي يجدر بنا حقا تسميته بعصر بناة المدارس[5].

عصر بناة المدارس :

اننا اذا استعرضنا تاريخ المدارس ودرسنا قيمتها المعمارية والفنية منذ ظهورها في بلاد المغرب الى اليوم، سوف نجد أن أول بدء لظهور هذه المدارس في المغرب كان غالبا منذ شيد أمير المسلمين أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق مدرسة الحلفائيين (أو الصفارين) بفاس (أشكال 89 – 90)، كما نجد أن أزهى وأبهى عصر لهذه المدارس التي بلغت أوج رقيها الفني

(1) من ابتداء نشأة المدارس المخصصة للتعليم العالي بالمشرق وهي مدارس نظام الملك في النصف الثاني من القرن الخامس إبان العصر السلجوقي، انظر : المدارس النظامية بقلم زاهية راغب الدجاني، مجلة العربي يونيو 1971 ابتداء من ص 166.

(2) عثمان عثمان : تاريخ شالة الاسلامية ص 274.

(3) النبوغ المغربي ج 1 ص 185.

(4) كتابنا تاريخ شالة الاسلامية ص 282 – 302 لمعرفة تفاصيل تاريخهم ومنشآتهم العمرانية والفنية.

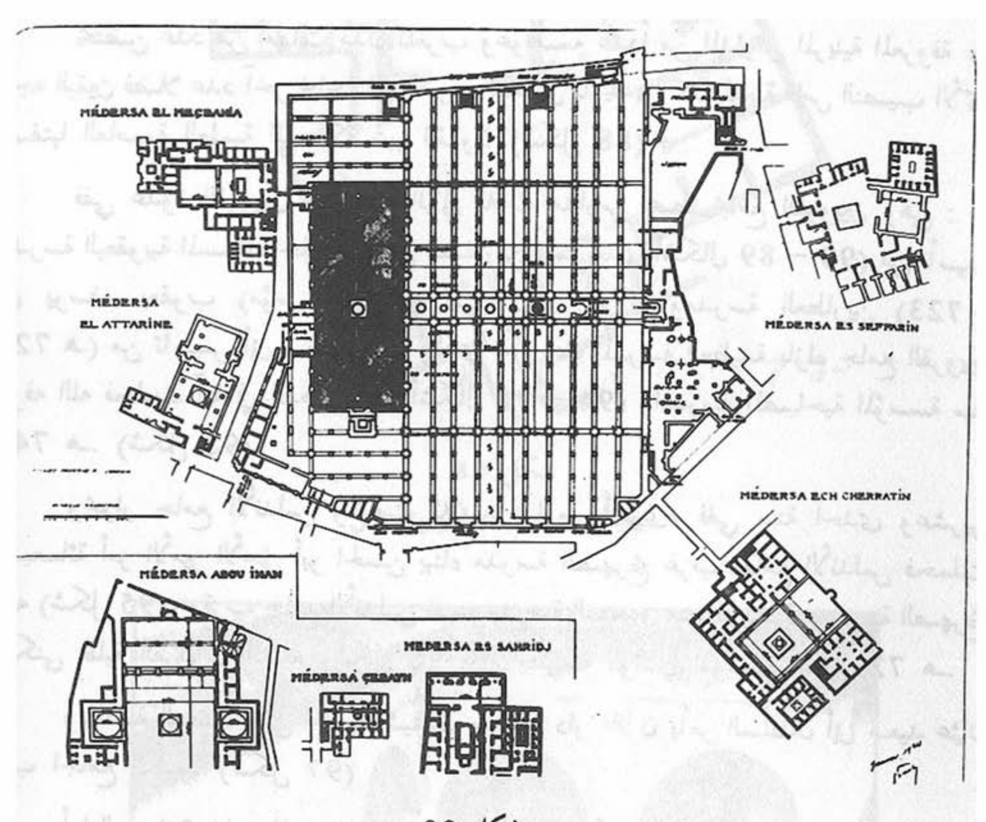
(5) وهي التسمية التي أطلقناها على تلك الفترة، انظر كتابنا تاريخ شالة الاسلامية ص 302 – 304.

والمعماري ينتهي مع وفاة أمير المؤمنين أبي عنان المريني باني البوعنانية بفاس ومكناس. هذا بالنسبة لتاريخ المغرب العام لا بالنسبة للمرينيين فقط فاذا رجعنا الى تاريخ المرينيين وجدنا ان أهم سمة ميزتهم كانت سمة البنائين، فاذا حصرنا أهم ميدان برزوا فيه وجدناه ميدان تشييد المدارس. وتفسير ذلك فيما صرح به الأستاذ الرئيس محمد الفاسي (أن المرينيين سلكوا طريق نشر العلم كمبدأ لازم دولتهم منذ نشأتها عندما قامت دولتهم على غير دعوة خاصة بخلاف الدول السابقة عليها واللاحقة لها) . وهكذا فان أهم ما يميز التاريخ المغربي من ناحية الحضارة والعمران في العصر الذي يبدأ بولاية أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق وينتهي بمهلك أبي عنان فارس بن أبي الحسن المريني هو تشييد المدارس. ولهذا فاننا سنطلق على هذا العصر منذ الآن في كل ما نتعرض له من أبحاث في تاريخ الفنون الاسلامية المغربية اسم (عصر بناة المدارس) أسوة بعصر بناة الأهرام[1] الذي استمد اسمه من أهم آثاره، خاصة وأن المدارس المغربية تتميز عن جميع مدارس المشرق الاسلامي بكونها من بناء وتشييد الملوك أنفسهم وليست من بناء وزرائهم. لقد تبنى ملوك المرينيين بأنفسهم فكرة انشاء المدارس بل وقرنوها بأسمائهم فقد كانت (أقدم مدرسة بفاس تعرف باسم اليعقوبية نسبة الى أبي يوسف يعقوب)[2] كما سميت مدرستا أبي عنان بفاس ومكناس بالبوعنانية كما تبقت بمراكش المدرسة اليوسفية[3].

(1) عصر بناة الأهرام أطلق على الدولة القديمة من التاريخ المصري القديم، التي بدأت بالأسرة الثالثة وانتهت بالأسرة السادسة وتميزت بما خلفته من أهرام.

(2) الفرد بل : النقوش العربية بفاس. الجريدة الآسيوية. عدد يوليو وأغسطي 1917 ص 147.

(3) صرح الأستاذ الرئيس محمد الفاسي ان مدرسة مراكش المعروفة بمدرسة ابن يوسف انما هي من انشاء أبي يوسف يعقوب المريني وأن التحريف قد وقع بسبب اعتقاد الناس بأن باني المدرسة هو باني المسجد جوارها كما أن المغاربة والأندلسيين حولوا شانجة الى شانجوا وحولوا أنخذه الى أنخذوا وهكذا انقلب أبو يوسف الى ابن يوسف.



شكل 88

مواقع المدارس المرينية بفاس حول جامع القرويين

ثانيا : التوزيع الجغرافي للمدارس المرينية المعروفة

يحتضن عدد من أمهات مدن المغرب وعواصمه عدداً من المدارس المرينية المعروفة على وجه اليقين فضلا عدد آخر بحاجة الى الدرس لتحقيق تاريخه، وكان لمدينة فاس النصيب الأكبر بصفتها العاصمة العلمية للمملكة عبر القرون (شكل 88)

ففي عدوة القرويين من فاس البالي ثلاث مدارس تحيط بجامع القرويين وهي : المدرسة اليعقوبية المسماة بالحلفاويين (ثم الصفارين فيما بعد) (أشكال 89 - 90) من تأسيس أبي يوسف يعقوب (مؤسس الدولة) سنة 675 هـ[1]، ومدرسة العطارين (723 - 725 هـ) من تأسيس أبي سعيد عثمان (الذي أمر ببناء المدرسة العظيمة بازاء جامع القرويين شرفه الله فجاءت آية في الدهر...)، (أشكال 91 - 94) والمدرسة المصباحية المؤسسة سنة 745 هـ. (شكل 98)

وبجوار جامع الأندلس وضعت ثلاث مدارس أخرى، ففي سنة احدى وعشرين وسبعمائة أمر الأمير الأجل أبو الحسن ببناء مدرسة الصهريج غرب جامع الأندلس فحملت اسمه (شكل 95)، وقرب جامع الأندلس نفسه مدرسة السبعيين متصلة بشرق مدرسة الصهريج لسكنى طلبة القراءات السبع (شكل 96)، ثم مدرسة الوادي المؤسسة سنة 721 هـ.

وبالمدينة البيضاء فاس الجديد شيدت مدرسة دار المخزن بأمر السلطان أبي سعيد عثمان قرب الجامع الكبير. (شكل 97)

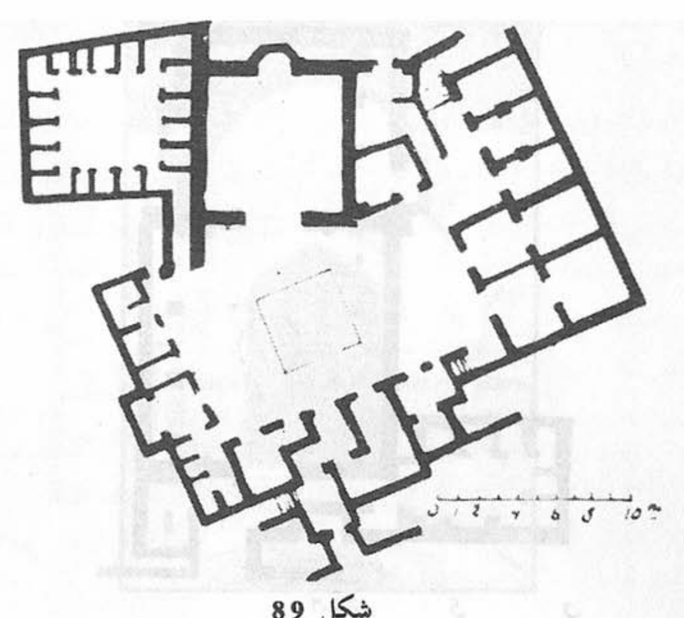
أما البوعنانية بفاس المعروفة بالمتوكلية فقد شيدها أبو عنان في الطريق الذي يربط فاس العتيق بفاس الجديد الطريق المعروف يالطالعة الكبرى (شكل 99)

وفي مدينة مكناس لازالت المدرسة الفيلالية تقع شرق الجامع الأعضم منها. وفي مراكش أطلق على المدرسة اسم مؤسس الجامع المقابل لها فعرفت باسم مدرسة ابن يوسف، وقد أعيد بناؤها أيام عبد الله الغالب السعدي 972 هـ (1564 م)،[2] وفي مدينة تازا كانت المدرسة في نفس الوضع بالنسبة للجامع وهو ما نراه في تلمسان وسلا، ففي سلا تبقت مدرسة أبي الحسن بجوار الجامع الأعضم وبها لوح التحبيس يحمل سنة 742 هـ[3] ويبقى من العصر

(1) جني زهرة الاس تحقيق الأستاذ عبد الوهاب بن منصور ص 81

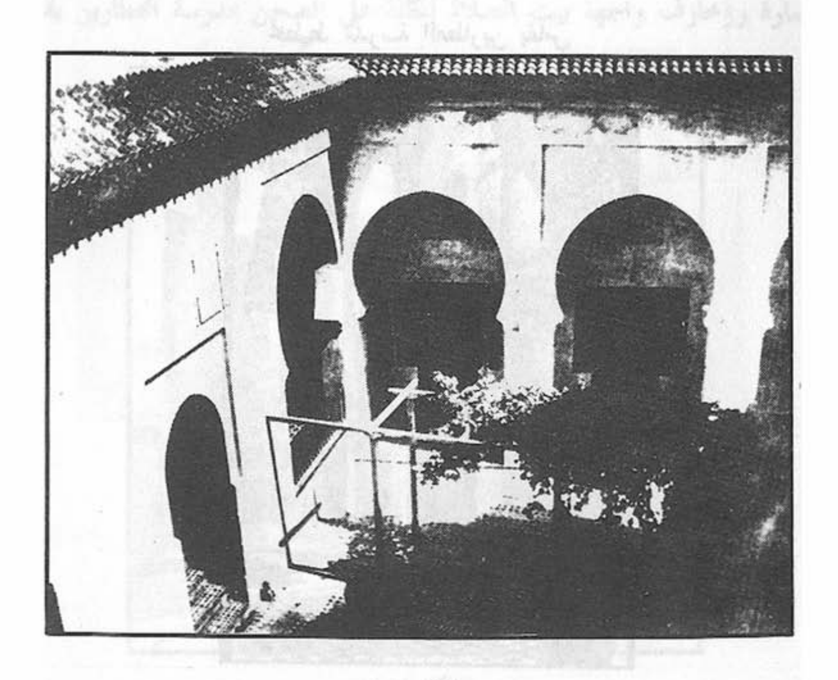
(2) حركات : المغرب عبر التاريخ 443/2

(3) كتابنا الفنون الإسلامية والنقوش ص 222



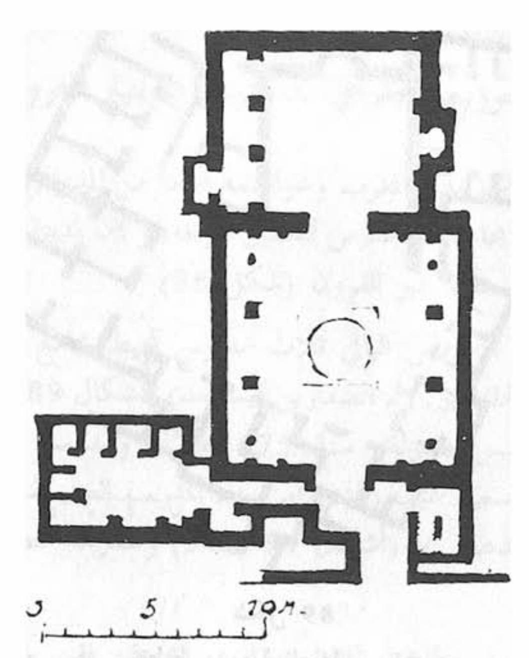
شكل 89

تخطيط مدرسة الصفارين بفاس



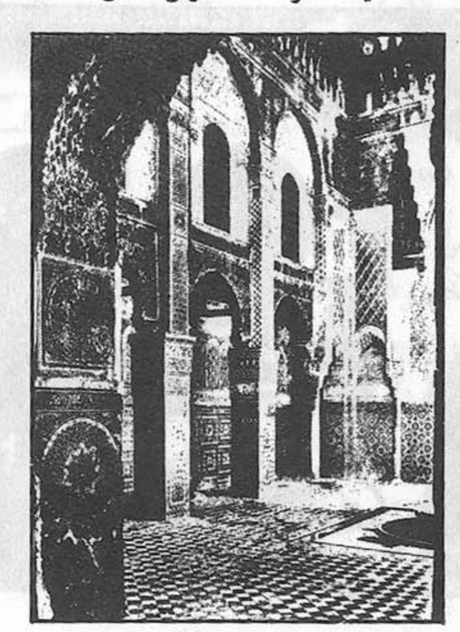
شكل 90

صحن مدرسة الصفارين بفاس



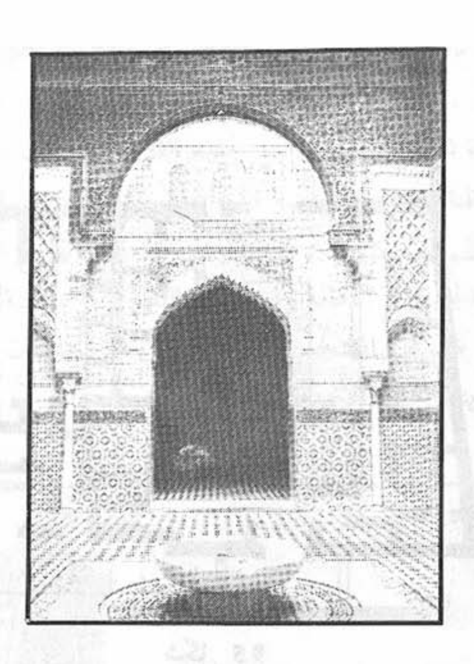
شكل 91

تخطيط مدرسة العطارين بفاس



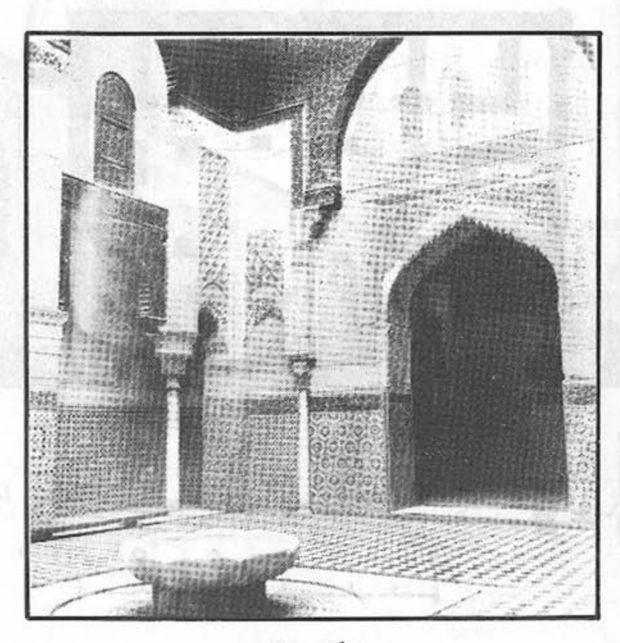
شكل 92

عمارة مدرسة العطارين المطلة على الصحن



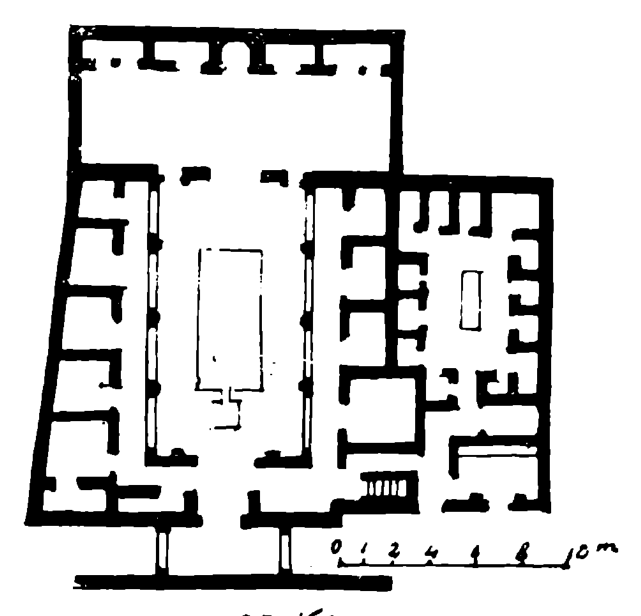
شكل 93

عمارة وزخارف واجهة بيت الصلاة المطلة على الصحن بمدرسة العطارين بفاس



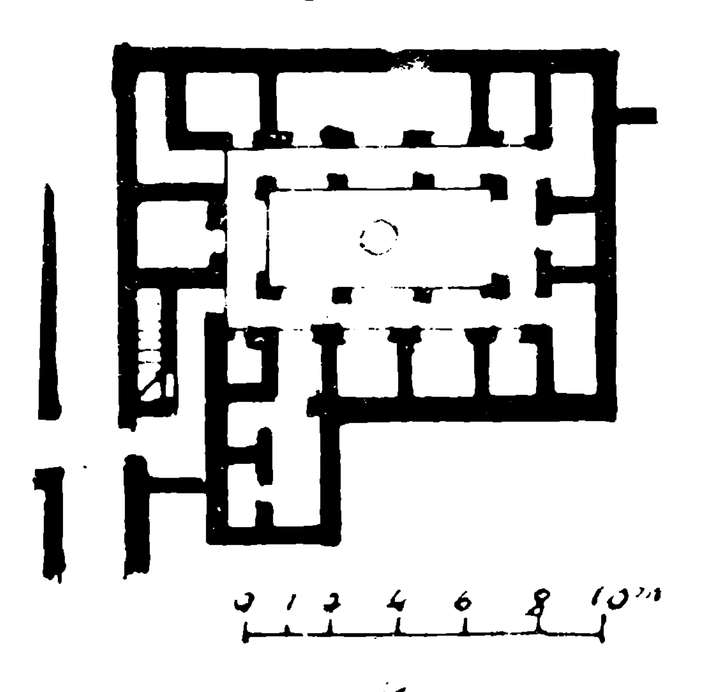
شكل 94

عمارة وزخارف واجهة بيت الصلاة بمدرسة العطارين



شكل 95

تخطيط مدرسة الصهريج بفاس

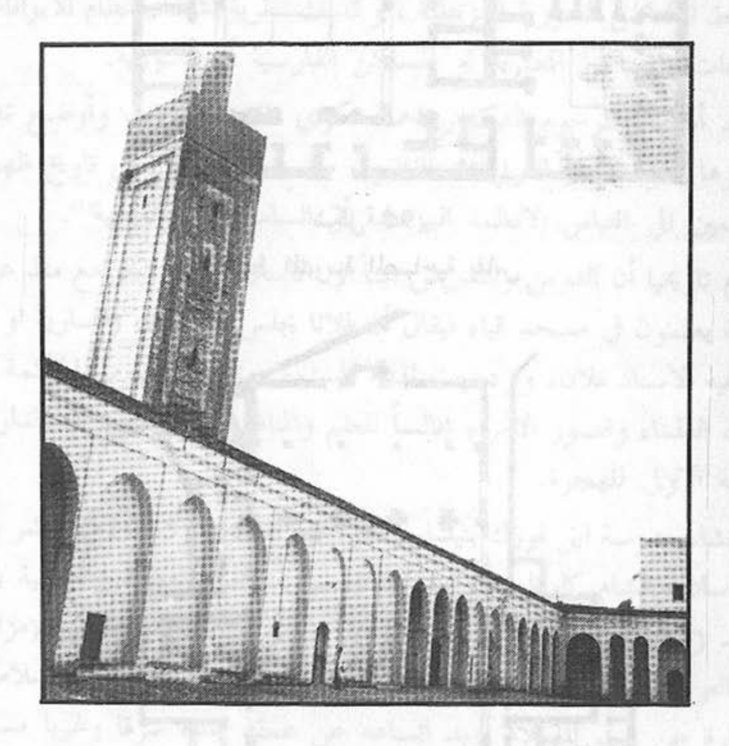


شكل 96

تخطيط مدرسة السبعين بفاس

المريني كذلك باب المدرسة العجيبة التي أسسها أبو عنان بباب احساين بسلا وقد تحولت أخيرا الى محكمة.[1]

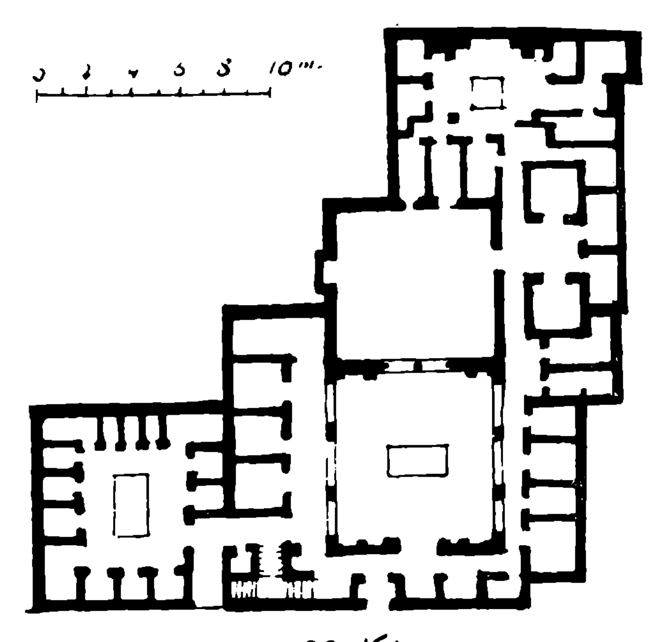
وقد رأينا مجموعة المدارس القرية من جامع القرويين تقابلها حول جامع الأندلس ثلاث مدارس أخرى كما لاحظنا تأسيس مدرسة دار المخزن قرب الجامع الكبير ومدرسة أبي الحسن بسلا لصق الجامع الأعظم، وهكذا تكون المدارس ملحقة بالجامع القريب لتيسير المهام لطلبة العلم يتلقون الدروس بالجامع ثم الاقامة واستذكار الدروس ودراسة بعض المواد التجريبية التي لا تتناسب دراستها مع ظروف المسجد بالمدرسة القرية، لقد كان التوزيع الجغرافي منسجما مع وظيفة المدرسة المرينية محققا لأهدافها.



شكل 97

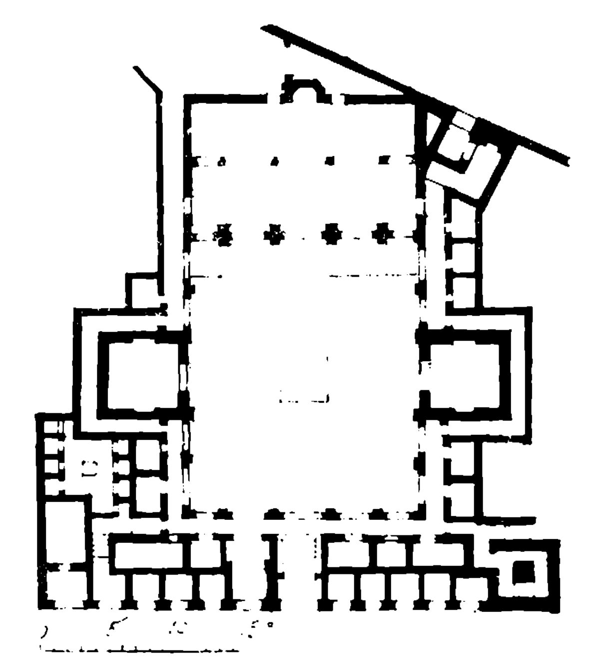
مدخل وصومعة مدرسة دار المخزن ومشور القصر الملكي بفاس الجديد

(1) كتابنا تاريخ شالة ص 298.



شكل 98

تخطيط المدرسة المصباحية بفاس



شكل 99

تخطيط المدرسة البوعنانية (المتوكلية) بفاس

ثالثا : مصدر تخطيط المدارس ووظيفة المدرسة الاسلامية

نناقش في هذا البحث بعض الآراء المتعلقة بالدراسات التاريخية والاجتماعية والمعمارية للمدارس الاسلامية على العموم ثم المدارس المغربية على الخصوص، ذلك ان مكانة المدارس في الاسلام شأنها شأن المساجد الجامعة كانت أكثر من أي أثر آخر أهمية في الدلالة على خصوصيات حضارة الاسلام الدينية والاجتماعية والمعمارية بصفتها منبع ومصدر شتى أنواع العناصر المعمارية والفنية التي أينعت في ظل حضارة الاسلام وأثرت حضارات العالم الوسيط.

وضع المستشرقون نظريات ونشروا دراسات في اصل تخطيط المدارس الاسلامية أبرزها فكرة اشتقاق تخطيط الايوانات الاربعة على محاور الصحن بمدارس القاهرة (السلطان حسن مثلا) من تخطيط الكنائس السورية البيزنطية ، وكذلك نظرية اشتقاق نظام الايوانات المتعامدة من نظام القاعات بالمساكن المصرية او المساكن الفارسية أو السورية.

لقد فند أستاذنا المرحوم الدكتور احمد فكري تلك النظريات وأوضح تضاربها فقد افترض مروجوها جمود الفكر العربي خمسة قرون منذ فجر الاسلام الى تاريخ ظهور المدارس مما دفع بالمسلمين الى اقتباس الانظمة البيزنطية أو الساسانية أو القبطية[1].

والمعلوم تاريخيا أن الدرس والتدريس نشأ في الاسلام داخل الجوامع منذ عهد الرسول فكان الصحابة يعلمون في مسجد قباء فيقال أن فلانا يجلس في الطاق (السارية او الاسطوانة) الذي يدرس فيه الاستاذ فلان، وازدهرت ثقافة المسلمين وتعددت بيوت الحكمة ودور العلم واتخذت بيوت العلماء وقصور الامراء مجالساً للعلم والمناظرة الى أن ظهرت المدارس بعد تمام القرون الاربعة الاولى للهجرة.

فبعد انشاء مدرسة ابن فورك بنيسابور قبل عام 406هـ (1015م) انتشر بناء المدارس بالعراق وخراسان والشام كما ظهرت بمصر الفاطمية مدرستا العوفية والسلفية بالاسكندرية عامي 532هـ (1138م) و546هـ (1151م)[2]، ومن المرجح أن عمارة (مزار الاربعين) في تكريت بالعراق من أواخر القرن السادس كانت أقدم مدرسة دينية اسلامية في العالم الاسلامي عبارة عن بيت للصلاة يزيد اتساعه عن عمقه يحده شرقا وغربا مستطيل يغطيه قبو نصف اسطواني بينما تغطي بيت الصلاة قبة رئيسية، وفناء البناء فسيح على جانبيه غرف مسقوفة بقبوات وبالمؤخر سقيفة أو غرف، وبالجملة تميزت بعناصر المساجد بالتوفر على بيت للصلاة وبهو ومجنبات ومؤخر وقاعات ومنافع[3].

(1) دكتور احمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها ج 2 العصر الايوبي ص 167

(2) نفس المصدر ص 99

(3) نفس المصدر ص 101 / 103

وكانت المدرسة المستنصرية ببغداد 625هـ – 631هـ (1228م – 1234م) أولى مدارس العالم الاسلامي المخصصة للمذاهب الاربعة ، بيت للصلاة من أسكوب واحد يفتح على بهو فسيح تحف به غرف من طابقين ويتوسط الجانب الجنوبي بيت الصلاة تحف به شرقا وغربا الغرف الجنوبية بينما يتوسط كل من الجانبين الشرقي والغربي ايوان كبير ، واحتلت المنافع العامة الركن الشمالي الشرقي للبناء كما شيدت قاعتان كبيرتان بالركن الجنوبي الشرقي[1].

وقد اجتمع رأي المؤرخين على اعتبار نيسابور الوطن الاول لنشأة المدارس أو انتشارها بعد الاربعمائة الاولى للهجرة ، ثم تتلخص المميزات العامة المشتركة حتى منتصف القرن السابع في وجود بيت للصلاة وبهو فسيح وبيوت للطلبة وبعض المرافق بأركان البناء ثم قاعات مراجعة الدروس واجتماع المدرسين والنظار وغالبا ما يوجد ضريح بأحد الاركان.

ويرى الدكتور فكري أن وظيفة المدرسة كانت تتركز في اعداد مكان ملحق بموضع التدريس الذي هو المسجد الجامع لتيسير السكنى المناسبة اجتماعيا واقتصاديا لنخبة مختارة من الطلبة والشيوخ والفقهاء مع ضمان المرافق العامة التي تتطلبها السكنى ، وقد نصت وقفية المدرسة المستنصرية على شروط بعينها يقوم نظام المدرسة المعماري بتحقيقها فقد اشترط الخليفة عدد الفقهاء من كل مذهب من المذاهب الاربعة ولوازم المطبخ من لحم وفاكهة وخلافه.

وعندما أورد الدكتور احمد فكري رواية المقريزي عن مدرسة السلطان حسن بالقاهرة المعاصرة لعهد بني مرين بالمغرب (أن من عجائب هذا البنيان المدارس الاربع التي بدور قاعة الجامع) قال ان المستشرقين بنوا نظريتهم على ظن خاطيء باعتبار الاواوين هي مواضع للتدريس وجعلوها عناصر رئيسية في التخطيط وزعموا باشتقاقها من نظام الكنائس المتعامدة. ان ما توهموه صليبا مشتقا من نظام الصليب الاغريقي بسبب وضع الايوانات الاربعة حول الصحن وَهْمٌ بعيد عن الحقيقة، فالايوانات ليست هي المدارس وإنما المدارس تشغل أركان المساحة العامة بمرافقها، وان اقتطاع مساحة مربعة أو مستطيلة من كل ركن من أركان المساحة الكلية لا يترك سوى شكل متعامد لكن ذلك الشكل المتعامد نتيجة قص الاركان لا علاقة له البتة بالصليب المزعوم[2].

كما ناقش الدكتور فكري نظرية اشتقاق هذا النظام (المتعامد) من القاعات المصرية التي

---

(1) نفس المصدر ص 116/115

(2) نفس المصدر ص 163/162

(3) نفي المصدر ص 175

روج لها الاستاذ كريسويل وقال بأن الدروس الاولى كانت تلقى في مساكن الشيوخ فلما ضاقت اتخذت مصدرا فيما بعد لبناء المدارس وكان الأجدر حقيقة أن يفكر الاستاذ كريسويل في الربط بين المسجد الجامع الذي كان مكان التدريس الاصلي وبين نظام المدارس فيما بعد، لقد كان تخطيط المسجد أنموذجا لتخطيط المدرسة كما هو الشأن بالنسبة لعدد كبير من المساجد التي تحولت الى مدارس بل الى جامعات فغلبت صفة الجامعة على الجامع.

خلاصة الرأي في تخطيط المدرسة الاسلامية ووظيفة المدرسة المرينية

1 ــ خلاصة تاريخ تطور المدارس :

تبين لنا صحة ووجاهة نظرية اشتقاق المدارس من تخطيط المساجد كما تطورت تاريخيا في المشرق منذ عهد السلاجقة الذين صمموا الايوانات الاربعة لتدريس المذاهب السنية الاربعة في مواجهة نفوذ الشيعة بدليل اقتصار مدارس المغرب على قاعة واحدة للصلاة تمسك المغاربة على طول عصر الاسلام بالمذهب المالكي دون سواه.

أكثر من ذلك، فإننا نرى اشتقاق نظام المسكن المغربي في الاسلام من تخطيط المسجد، وبالنسبة لملاحظة الدكتور فكري للتطور الحادث في نظام المساجد المغربية باتساع المجنبات على حساب البهو فاننا نرى أن صحون المساجد المغربية كانت صغيرة المساحة منذ عصر الاشراف الادارسة بجامع القرويين الاول اذا قورنت بصحون مساجد الشرق وتفسيرنا لذلك يأتي من ملاحظة اختلاف المناخ حيث انخفاض معدل الحرارة وزيادة معدل الامطار بالمغرب عن نظيره في المشرق مما يستلزم صغر مساحة الصحن المكشوف وقلة ارتفاع السواري الحاملة للعقود ببيت الصلاة بقصد تحقيق الدفء على عكس ما يتطلبه نظام البناء في المشرق حيث الحاجة الى الهواء لتخفيف قيظ الحرارة المرتفعة.

وردا على فكرة الدكتور فكري (ولم تدخل اليه انظمة السقف المبنية والقبوات فظلت السقوف خشبية مسطحة) نوضح ملاءمة تصميم عمارة السقوف المغربية لطبيعة البيئة وكثرة الامطار وتهاطل الثلوج – مما لا يعرفه المشرق – ببناء الاسقف الهرمية ذات الهياكل الخشبية المغطاة من الخارج بالقرمود (الزليج او الفخار المزجج) وهي التغطية المعروفة باسم (البرشلة). وتعليقا على قوله (أن المدارس بتلك البلاد قد احتفظت بأنظمة المساجد الجامعة وعناصرها الرئيسية... فمدرسة الصهريج يمتد بيت الصلاة بها في موازاة جدار القبلة مثل امتداده في المساجد الجامعة وكذلك الحال في المدرسة البوعنانية)[1]، نقول إن المدارس المغربية احتفظت فعلا بأنظمة المساجد مع ملاحظة أن بيت الصلاة الممتد بطول القبلة أكثر من العمق في المدارس المرينية يتفق فقط مع المساجد المبكرة قبل عصر بني مرين اصحاب المدارس المغربية. لقد أوضحت في دراساتي السابقة بكتابي حفائر[2] شالة تطور طول جدار القبلة بالنسبة لعمق بيت الصلاة كما فسرت ذلك بندوة الهندسة المعمارية لدول البحر المتوسط[3]

---

(1) احمد فكري : نفس المصدر ص 189/188

(2) وتفسيرنا لتطور اتجاه العقود وطول جدار القبلة

(3) الرباط اكتوبر 1980م

فابتداء من عصر المرينيين ظهرت الحاجة الى بناء مدن جديدة وكثرت المدارس واستنفذت جهدهم واضطروا لبناء مساجد صغيرة المساحة ارتأت عبقريتهم نقص طول جدار القبلة عن العمق ليشعر المصلون بزيادة عدد الصفوف فيعوض ذلك الشعور بصغر المساحة، ومن هنا نرى أن بيت الصلاة في المدرسة المرينية الذي التزم طول جدار القبلة انما كان متمشيا مع نظام المساجد المغربية الاولى قبل المرينيين.

2 ــ وظيفة المدرسة المرينية على ضوء المصادر المغربية :

ونلقي الآن نظرة على بعض المصادر المغربية لتحديد وظيفة البناء ولنرى الى أي حد كان الهدف من تشييد البناء مؤثراً على تخطيطه المعماري .

تناول الدكتور عبد الهادي التازي في كتابه (جامع القرويين) دراسة المدارس المغربية في عهد بني مرين وقال (إنهم اتجهوا أول ما اتجهوا الى بناء المدارس الداخلية لتقبل المزيد من طلاب العلم من سائر جهات المملكة[1]... وقد كان للطلبة الحق في سكنى البيوت.. وحدث... ان كان الطلاب يحصلون على البيت بالشراء) واورد هذا البيت من الشعر :

واشتر بيتاً مفرداً ذا ضوء   يقي متاعك سيول النوء

والمدارس الداخلية بطبيعة الحال تتوفر على مرافق خاصة بالحياة الداخلية على غرار الاحياء الجامعية المعاصرة، فشراء بيت داخل المدرسة كان أملا يراود الطلاب لتحقيق الاستقرار ثم ان ذكر (ذا ضوء) يدل على كثرة الحجرات واختلاف شدة الضوء فيها تبعا لموقعها من البناء وصحونه ومنافذه.

ويقول الدكتور ابراهيم حركات في كتابه المغرب عبر التاريخ ان القصد من بناء المدارس كان ايواء الطلبة، ولكن بعضها كان يستعمل في التدريس الى جانب المساجد الكبرى كالقرويين وكثير من البيوت يتوارثها الطلبة من نفس العائلة عن طريق العدول (الموثقين).

ويروي الدكتور التازي أن علماء فاس وأئمة تلمسان سئلت عن كراء العقار المحبس اذا نقص فهل يدخل النقص على العلماء والطلبة والاعوان أو يدخل على العلماء دون الطلبة، أو العكس، وكان من حجج الذين قالوا بادخال النقص على الاساتذة وحدهم ان المدارس مشتقة من الدرس والدارسون هم الطلبة فهم الاولى أصالة بالكراء وغيرهم تابع، وفي تعليق آخر قال انه ورد في كتب النوازل التنصيص على ان المدارس مشتقة من الدرس وانها من

---

(1) جامع القرويين 356/2

(2) نفس المصدر وتعليق رقم 2

أجل ذلك تكسب طلابها الاولوية في تعويض الاوقات دون الاساتذة ، كما ورد التنصيص على أن قاعات الصلاة انما بنيت بهذه المدارس دفعا لوصف الفندقية عنها[1].

ومما يؤيد تشييد المدارس لتدريس العلم ما جاء بلوحة تحبيس مدرسة دار المخزن بفاس الجديد بأمر السلطان أبي سعيد سنة 721هـ (... دخره من أفعال البر في أيامه الخالية وعلى اقراء القرآن العظيم وتدريس العلم بمدرسته بمدينته المباركة...) وقد سميت المدرسة المصباحية بفاس البالي 747هـ باسم ابي الضياء مصباح أول من تصدى للتدريس بها، وبنص تحبيس المدرسة المتوكلية (البوعنانية) بفاس 756هـ (أمر بانشاء هذه المدرسة المباركة السنية المسماة بالمتوكلية لتدريس العلم...).

غير أن نصوصا تاريخية عديدة صريحة في لوحات التحبيس تشير الى الجمع بين وظيفة الايواء والتدريس في وقت واحد، ففي نص التحبيس بمدرسة دار المخزن (وبعد، فهذا ما أمر بتخطيطه وانشائه... وعلى اقراء القرآن العظيم وتدريس العلم بمدرسته المباركة.. وكمل بناء هذه المدرسة وبدء بالاقراء فيها وسكناها في ذي القعدة عام احدى وعشرين وسبعمائة).

المدرسة مسجد جامع :

جاء في نص تحبيس المدرسة المتوكلية بفاس (أمر بانشاء.. المسماة بالمتوكلية المعدة لتدريس العلم والمفضلة بإقامة فرض الجمعة أمير المؤمنين.. أبو عنان فارس...) فهذا النص الصريح يؤيد الواقع المعماري بالدليل الاثري فقد زودت المدرسة بمنبر وصومعة، فقد كانت المدرسة متميزة على سواها بفرض الجمعة باعتبار أن ذلك المسجد المدرسة كان رابع مسجد بفاس تقوم به صلاة الجمعة بعد جوامع القرويين والاندلس وفاس الجديد. وقد نقل الدكتور التازي عن بعض كتب النوازل أن (المساجد انما بنيت في المدارس، دفعا لوصف الفندقية أو الخانية عنها).

والخلاصة على ضوء النصوص والوثائق وواقع الآثار وملاحظة تكوين وحدات البناء ونصيبها من مساحته وموقع المدرسة من العمران، أن نجمل خلاصة الهدف من تشييد المدارس المغربية، فهدف التدريس لاشك فيه بالادلة الاثرية والوثائق المتمثلة في لوحات التحبيس وأقوال المؤرخين المعاصرين مثل ابن ابي زرع صاحب روض القرطاس، كما وجدت بمعظم المدارس بيوت للصلاة تضيق او تتسع دليلا على هدف التعبد، بل ان وجود صومعة بكل من مدرستي دار المخزن والبوعنانية يدل على أن مهمة الصلاة دخلت في خطة تأسيس البناء خاصة

---

(1) الرباط اكتوبر 1980

مع وجود منبر أصلي للمدرسة البوعنانية منذ تأسيسها لازال محفوظا إلى اليوم بمتحف البطحاء بفاس. ونجد تفسير صغر بيوت الصلاة بالمدارس المرينية في توزيع تلك المدارس أصلا حول المساجد الجامعة بالعواصم المغربية فموقع المدارس من مراكز العمران الرئيسية بالمدينة ونعني بها المساجد الجامعة ليقدم التبرير المقنع المفسر لظاهرة صغر بيوت الصلاة بالمدارس.

وهكذا نخلص إلى القول بأن مدارس المغرب في عهد بني مرين إبان القرن الثامن كانت مبان متنوعة الاهداف حققت أكثر من غرض إذ كانت مراكزاً للتعليم وتكوين الاطر اللازمة للدولة الجديدة في نطاق الفلسفة التي اتخذها المرينيون ركيزة لحكمهم، وكانت مآوٍ ذات مرافق اجتماعية تدخل في اطار الحياة الدينية والمدنية الكاملة مزودة ببيوت للصلاة تكبر أو تصغر، كما تزود أحيانا بصومعة ومنبر لاقامة الجمع وبقية الصلوات الجامعة، وان اتضاح الهدف المدني والديني بالنسبة لي كان دافعا على تصنيف تلك المآثر ضمن روائع العمارة المدنية بهذه الابحاث.

رابعا : عرض عام للمدارس المرينية وتطورها المعماري

ونعرض الآن التعريف بالمدارس المرينية ومجموعاتها التاريخية وتطورها ثم نتبع ذلك بشيء من التفصيل لدراسة نماذج منها.

فمن القرن السابع الهجري بقيت لنا مدرسة واحدة شيدها المؤسس الحقيقي للدولة المرينية أبو يوسف يعقوب[1] المريني سنة 670هـ (1271م) وهي مدرسة الحلفاويين التي عرفت بالصفارين[2] فيما بعد عندما نقل سوق هذه المهنة الى جانبها.

أما مدارس القرن الثامن فيمكن تقسيمها الى ثلاث مجموعات داخلة في النطاق التاريخي لمؤسسيها.

لقد شيدت المجموعة الاولى في عهد السلطان ابي سعيد عثمان فخر الدولة المرينية[3]، وتشتمل هذه المجموعة على مدرسة فاس الجديد أو دار المخزن[4] المؤسسة سنة 720هـ (1320م) كان موقعها خارج القصر الملكي ثم أصبحت داخل الباب الخارجي بعد الاضافات المعمارية، ثم نجد مدرستين أسستا في عصر أبي سعيد عثمان بمباشرة ولي عهده أبي الحسن وهما مدرسة الصهريج سنة 721هـ ومدرسة السبعيين المعاصرة لها لسكنى طلبة القراءات السبع وتعرف في الوثائق القديمة بمدرسة الاسانيد وهي المدرسة الصغرى.

وقد كانت مدرسة تازا التي شيدها أبو سعيد عثمان سابقة على مدرسة الصهريج بقليل حيث ورد اسمها في النقش التأسيسي للمدرسة الاخيرة.

ولعل أشهر مدارس فاس والمغرب جميعا هي مدرسة العطارين التي شيدها بفاس السلطان أبو سعيد عثمان فيما بين سنتي 723هـ و725هـ (1323—1325م) بازاء جامع القرويين بنيت على يد الشيخ أبي محمد عبد الله بن قاسم المزوار.

وتم تشييد المجموعة الثانية في عهد السلطان أبي الحسن الملقب بالسلطان الاكحل وهي مدرسة الطالعة بسلا[5] لصق الجامع الأعظم منها سنة 742هـ[5] (1341م) (اشكال 100

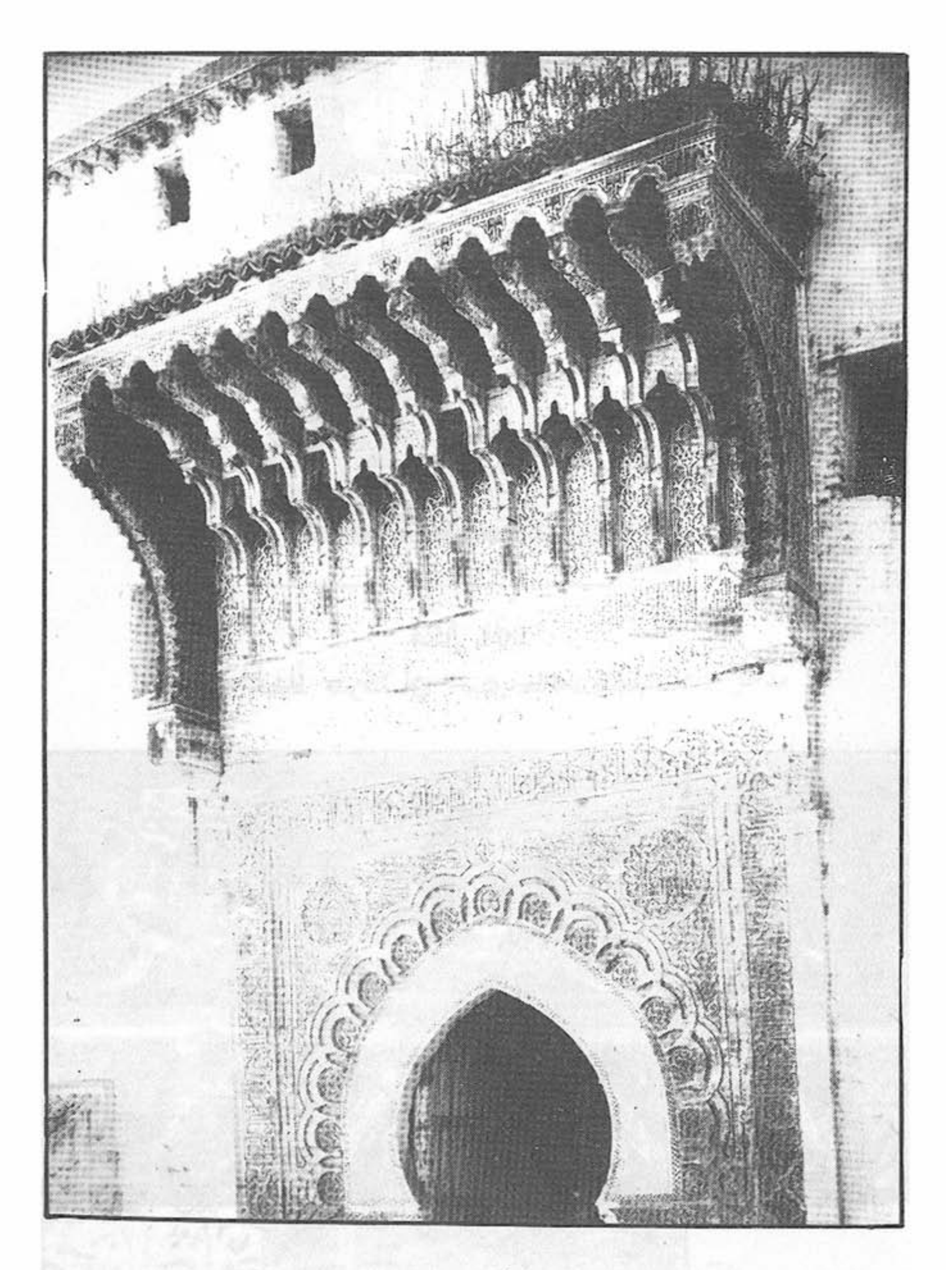
(1) كتابنا حفائر شالة درسنا فيه اكتشافنا لقبر نسبناه الى يعقوب مؤسس الدولة

(2) مارسية : العمارة الاسلامية ص 285 وما يليها وجامع القرويين للتازي 365/2—360 وفي ورقات للمنوني ص 197 بنيت سنة 675هـ (1276م)

(3) كتابنا حفائر شالة وتحقيقنا لموقع دفن أبي سعيد

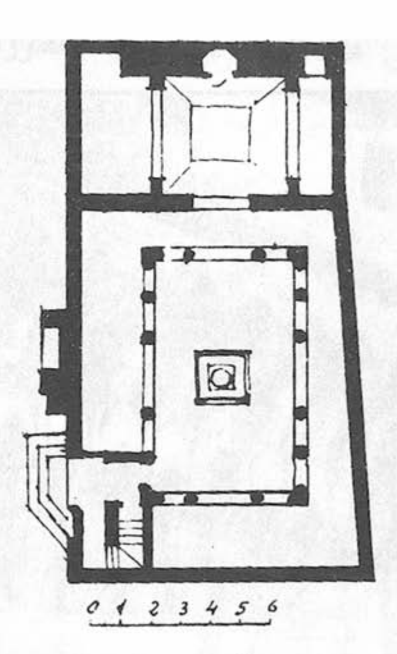
(4) دراستنا الميدانية بكتابنا حفائر شالة ص 382.

(5) بكتابنا الفنون الاسلامية والنقوش، دراسة التحبيس وانظر الاستقصا 175/3 (قبلى المسجد الاعظم من سلا على هيئة بديعة وصنعة رفيعة وأودع جوانبها من انواع النقش وضروب التخريم ما يحير البصر ويدهش الفكر ووقف عليها ما نقش برخامة عظيمة نصبت بالحائط الجوفي منها).



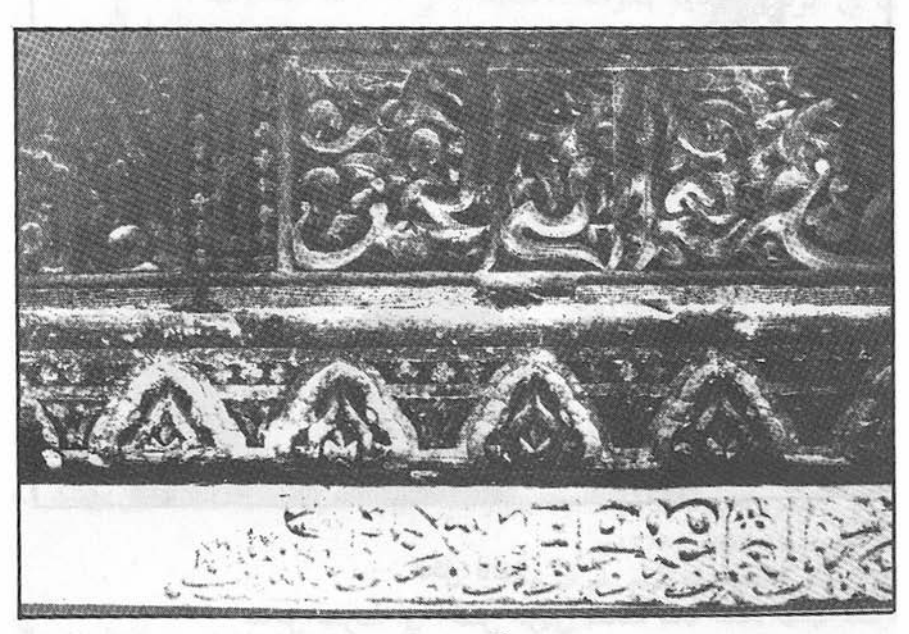
شكل 100

مدخل مدرسة أبي الحسن المريني بطالعة سلا



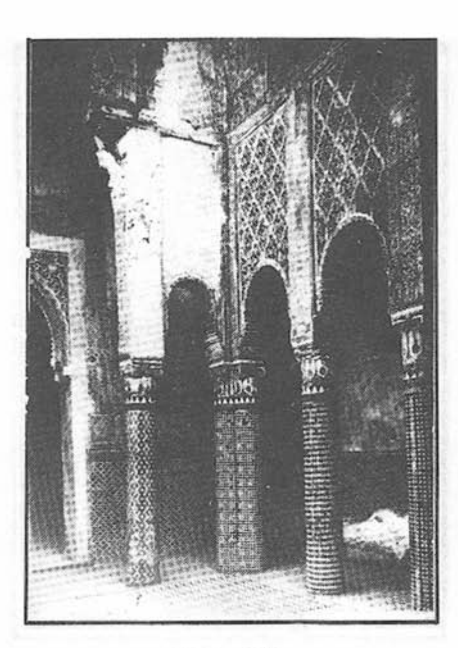
شكل 101

تخطيط مدرسة أبي الحسن بطالعة مدينة سلا



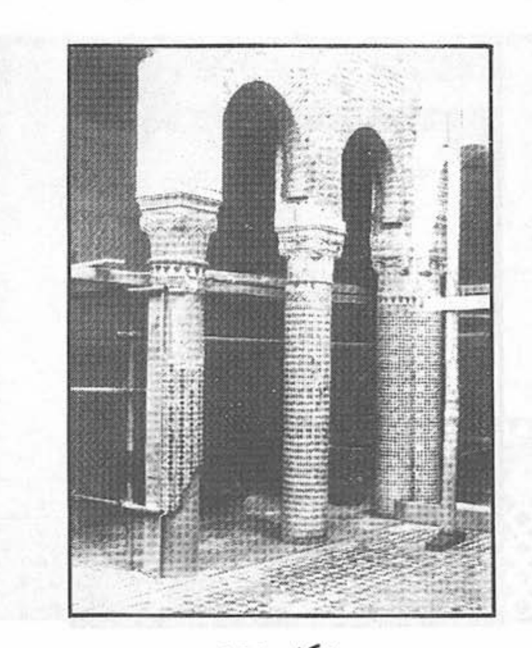
شكل 102

اسم السلطان أبي الحسن منقوشا في الخشب بمدرسة الطالعة بسلا



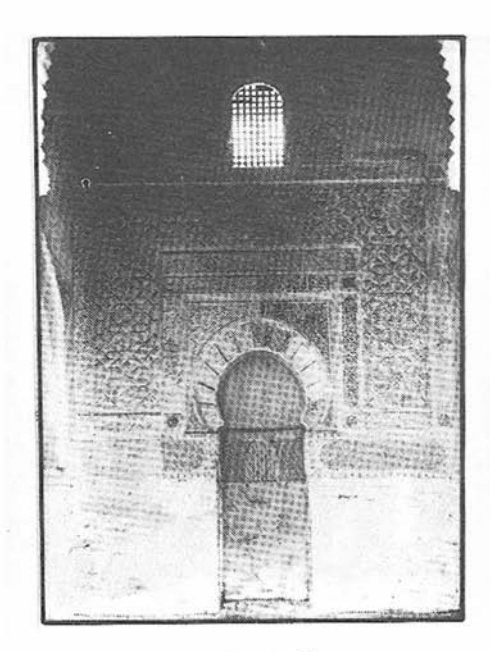
شكل 103

مدخل بيت الصلاة وجانب من صحن مدرسة أبي الحسن بسلا

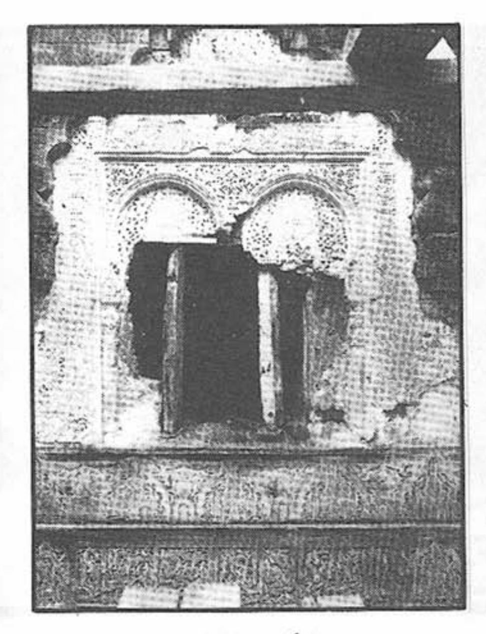


شكل 104

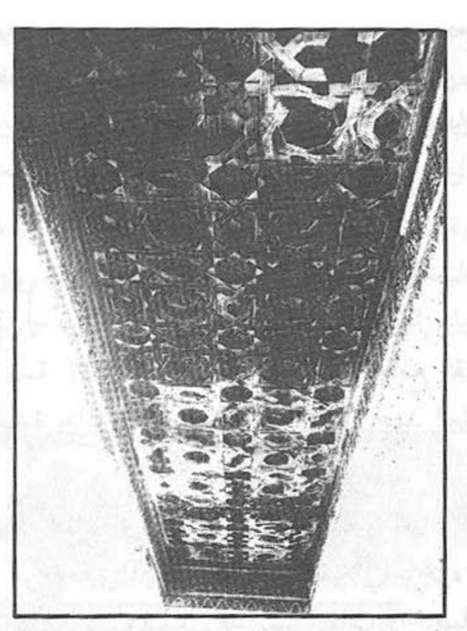
صحن مدرسة أبي الحسن بسلا قبل الاصلاح الأخير 1958 م



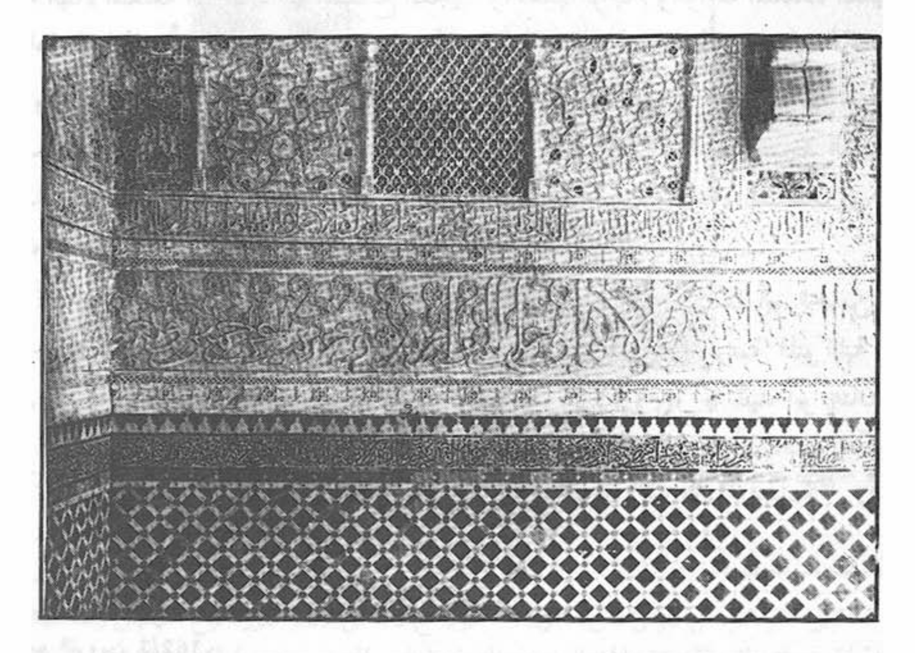
شكل 105
محراب مدرسة أبي الحسن بسلا



شكل 106
عمارة وزخارف الفتحات بمدرسة ابي الحسن بسلا



شكل 107
اسقف الطابق العلوي بعد الاصلاح بمدرسة أبي ارحسن بسلا



شكل 108
الزخارف المعمارية بصحن مدرسة أبي الحسن بسلا بعد الاصلاح

(108) والمدرسة المصباحية بفاس ولازالت لم ترممها على الطبيعة سنة (1971م).
عبارة عن صحن ونبح خلفه بيوت الطلبة، ويقع بيت الصلاة على محور المدخل وهو عبارة عن مساحة مربعة يتصدرها المحراب، وقد جعل سقف بيت الصلاة على هيئة قبة خشبية واحدة، ولازالت آثار الزخارف المرينية باقية على جدران المدرسة الداخلية، وقد بنيت المدرسة سنة 747هـ (1346م).

وفي نفس التاريخ بني أبو الحسن مدرسة العباد قرب تلمسان، كما أسس أبو الحسن مدرسة الوادي بمصمودة أسفل جامع الاندلس بناها - تبعا للجزنائي - سنة 725هـ (1324م) وقد تعود الى سنة 721هـ حسبما ورد بكتاب جامع القرويين للدكتور التازي[2] وهي المدرسة المرينية الوحيدة بفاس التي تغيرت معالمها في عهد العلويين أيام السلطان محمد الرابع.

وكان من منشآت السلطان أبي الحسن ابن أبي سعيد عثمان المدرسة التي شيدها بثغر سبتة، فقد وردت اشارة من تحقيق الاستاذ الهاشمي الفيلالي بالجزء الثاني من كتاب روض القرطاس (ص 48) تفيد أن ليفي بروفنسال قد نشر كتاب (اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سنى الآثار) من تأليف محمد بن القاسم الانصاري السبتي تشيد (بالمدرسة الجديدة العظيمة البناء المتسعة الزوايا ذات الصنائع العجيبة وأعمدة الرخام وألواحه المتعددة الغالية الثمن التي بناها السلطان أبو الحسن المريني مخلد الاثار الدالة على شماخة الملك وعلو الاقتدار...).

وجاء بمخطوط المسند الصحيح الحسن الذي وضعه الوزير الخطيب بن مرزوق في مآثر السلطان ابي الحسن ان المدرسة العظيمة بمراكش التي كانت تواجه المسجد القديم المندثر حاليا الذي أسسه الامير علي بن يوسف المرابطي، مدرسة مرينية من بناء السلطان ابي الحسن، لكنها تعرف بمدرسة ابن يوسف لمقابلتها للمسجد المذكور[3].

أما المجموعة الثالثة فتشتمل على المدرسة (البوعنانية) التي شيدها أبو الحسن بمكناس وأتمها خليفته أبو عنان سنة 751هـ (1350م) فنسبت اليه، والمدرسة المتوكلية بالطالعة الكبرى من فاس البالي المعروفة بالبوعنانية سنة 756هـ (1355م)، كما شيد أبو عنان مدرسة أخرى في سلا تعرف بالمدرسة العجيبة تبدلت معالمها وتطورت إلى أن أصبحت محكمة يبقى من آثارها مدخلها الرئيسي بعمارته وزخارفه ونقوشه التأسيسية[4] (أشكال 109 - 110).

---

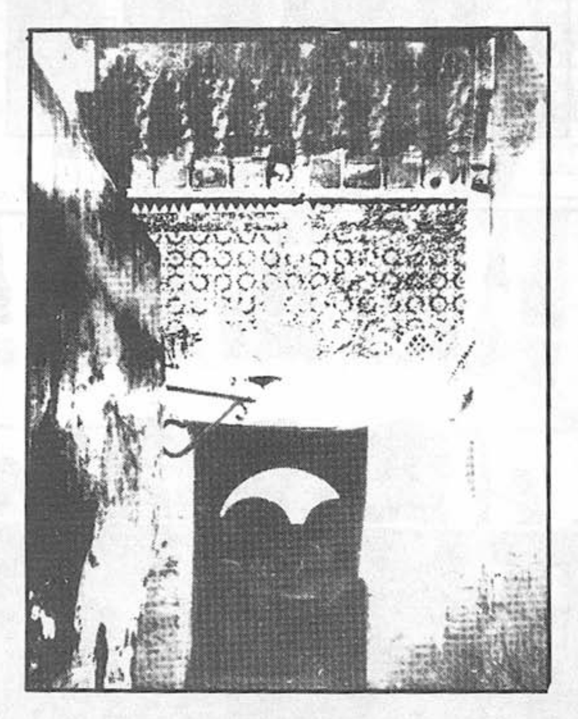
(1) متابعة الدراسة التي بدأتها سنة 1957م.

(2) جامع القرويين 362/2.

(3) تبدلت معالم المدرسة واعيد تشيدها وندرسها مع عصر السعديين بالجزء الخامس.

(4) كتابنا تاريخ شالة للوقوف على دراستها وتطورها المعماري.

وتمثل تلك المجموعة المعمارية تطور مراحل التصميم والتخطيط في المدارس المغربية من النظام الذي بدأ بسيطا متماثلا خاليا من التعقيد في مدارس فاس الجديد والصهريج الى النظام المركب[1] المعقد في بوعنانية فاس الذي يعكس عبقرية المهندس المريني وقدرته الفائقة على تغيير محاور البناء والتصرف في تصميم العمائر والمنشآت التي تبدو سهلة من الداخل بينما هي مشيدة على مساحة أرضية غير منتظمة الشكل من الخارج ومقيدة بعدة مبان مجاورة من عدة جهات لا تترك لها مساحة كافية لتخطيط الواجهات والمداخل والمرافق (اشكال 99 و111 و113 و114) الامر الذي يذكر بعبقرية مهندس مدرسة وجامع السلطان حسن بالقاهرة (شكل 112).

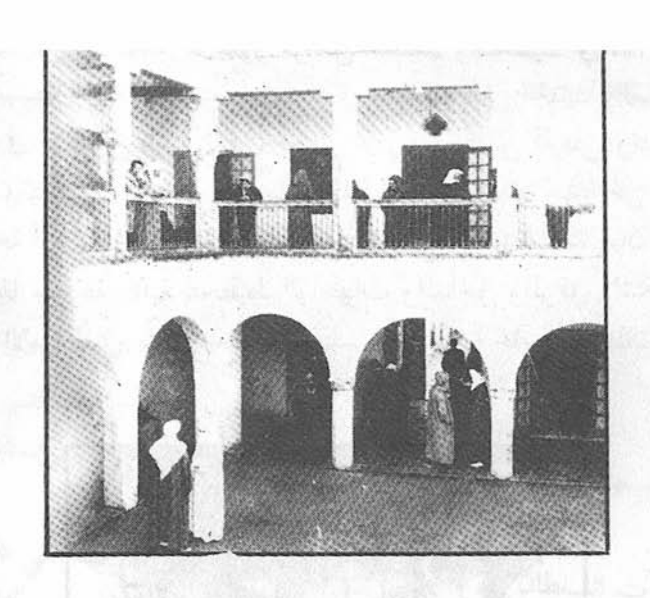


شكل 109

مدخل المدرسة العجيبة التي أسسها أبو عنان بمدينة سلا

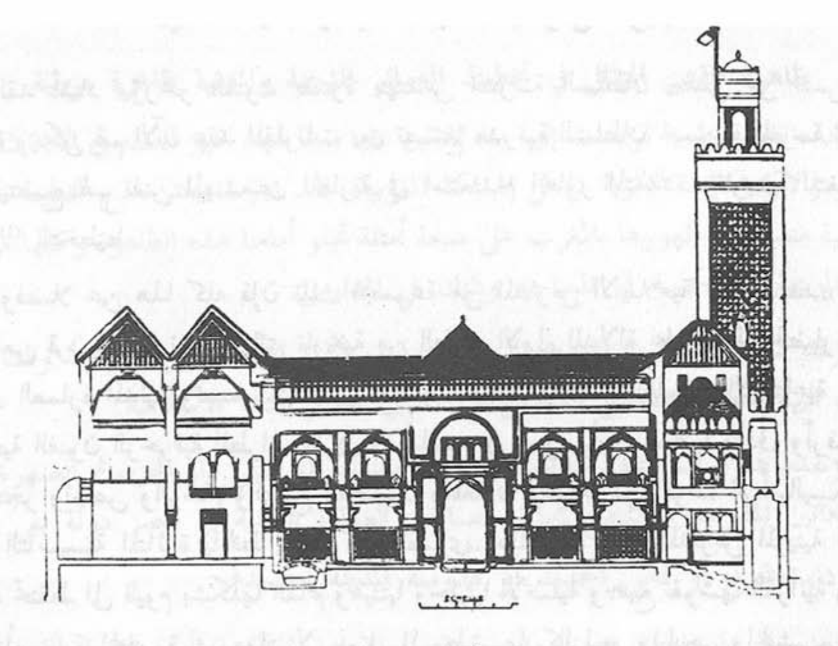
---

(1) عن العطارين انظر الفرد بل نقوش فاس، الجريدة الاسيوية ج 12 ص 189 صورة لوح التأسيس والتخطيط والقراءة العربية لنقوش التيجان والاعمدة والجدران، وعن المصباحية نفس المصدر سبتمبر / اكتوبر 1918م ص 255 لوحة التحبيس على الرخام بخط نسخي وقراءة جميع نقوش المدرسة. وعن الطالعة بسلا كتابنا دراسات جديدة في الفنون الاسلامية والنقوش العربية ص 126 والعمارة الاسلامية لمارسيه ص 289 وشكل 179.



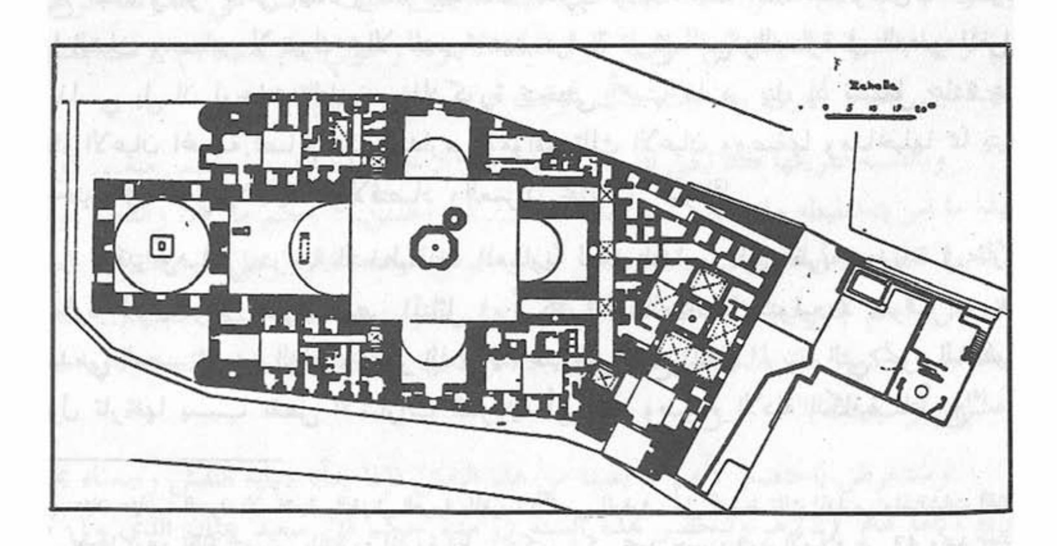


شكل 110
صحن مدرسة أبي عنان بسلا بعد أن تحولت عمارتها إلى محكمة عصرية



شكل 111

قطاع هندسي في عمارة المدرسة البوعنانية بفاس



شكل 112

تخطيط مدرسة السلطان حسن بالقاهرة يذكر بعبقرية المهندس في التخطيط

خامسا : القيمة العلمية للمدارس المرينية

لقد أشاد مؤرخو الفنون بقدرة مهندس مدرسة السلطان حسن من نفس العصر بالقاهرة ويمكن لهم الآن عقد المقارنات بين تصميم مدرسة السلطان حسن والمدرسة البوعنانية بفاس ليتضح لهم تفنن المهندسين المغاربة في استخدام المحاور المتعددة وتنويعها للتغلب على مشاكل[1] التخطيط.

وفضلا عن هذا كله فإن تلك المجموعة من المدارس الاسلامية التي شيدت بالمغرب في أقل من قرن واحد تعتبر وثائق تاريخية من الطراز الاول للدلالة على معالم الحضارة المغربية في مجال العمارة المدنية وتصميماتها التي تعكس حاجات العصر العلمية والاجتماعية بالاضافة الى نوعية الفنون الزخرفية للطراز المغربي الاندلسي في أحلى وأرق معانيها وأدق وأرفع معالمها على الحجر والجص والرخام والزليج والخشب والمعادن وغيرها من المواد، ثم أساليب النقوش العربية التأسيسية المتأثرة بالخط المملوكي المصري. ذلك أن تلك المدارس المرينية المذكورة لازالت تحتفظ الى اليوم بشكلها القائم وهيئتها وحليتها الاصلية وجميع نقوشها القرآنية والدعائية بل والتأسيسية المحفورة في مواد لا سبيل الى طمسها كالزليج والحجر والخشب. على أن اللوحات التأسيسية لتلك المدارس قد اتخذت من الرخام وحفرت حفرا عميقا لتشتمل على تاريخ البدء والفراغ من البناء واسم السلطان الذي أمر به بحيث اصبحت وثائق لا يتطرق اليها الشك ومصادر لا تترك مجالا للحيرة عند دراسة تاريخ الفن والعمارة في العصر المغربي الاندلسي بل ان لوحات التأسيس المذكورة تتخطى أهميتها ما مر بنا، إذ تشتمل عادة على أسماء الاعيان المحبسة لصالح تلك المدارس ومواقع تلك الاعيان ووصفها ومداخيلها مما يتيح للباحثين في تاريخ الاجتماع والاقتصاد والعمران مجالات كبيرة[2].

وقد أوصلتني دراسة التخطيطات المعمارية لتلك المدارس الى نظرية جديدة في تاريخ العمارة المغربية وهي نظرية القص المتماثل في أركان تلك العمائر[3] كتوقيع لا يعرف التزييف لمهندسي العصر المريني الزاهر، الامر الذي يساعد على تاريخ المباني المرينية التي تحوم الشكوك حول تاريخها بسبب نقص الاشارات التاريخية أو عدم وضوح الادلة الكافية للتأرخ[4].

---

(1) عثمان عثمان : الفنون الاسلامية والنقوش العربية بالمغرب الاقصى للوقوف على تخطيط تلك المدارس والمناقشات القائمة حولها. وعن نظام التدريس بالمدارس المغربية انظر : دكتور زكي محمد حسن، فنون الاسلام ص 43 وعبد الهادي التازي جامع القرويين ج 2.

(2) عثمان عمان: الفنون الاسلامية والنقوش العربية بالمغرب الاقصى، الفصل السادس.

(3) عثمان عثمان: حفائر شالة الاسلامية، الفصل السادس.

(4) نفس المصدر والفصل.

سادسا : نظرية جديدة في العمارة الاثرية

ظاهرة القص المتماثل في تخطيط العمائر الدينية والمدنية ظاهرة مرينية

هذه نظرية علمية توصلت إليها منذ ثلاثين عاما بعد جهد كبير انفقته في الابحاث الميدانية والحفائر والاكتشافات الاثرية داخل المملكة المغربية، فقد عثرت بعد مسح تخطيطات الآثار الاسلامية منذ بداية ظهورها بالمغرب على سبعة أمثلة تجلو أمامنا هذه الظاهرة وكلها من عصر الدولة المرينية منها خمسة في المساجد واثنان في المدارس.

وقد درست النظرية بفروضها ومعطياتها وسلسلة التجارب واستقرائها والنتائج التي توصلت اليها مفصلا بالفصل السادس من كتابي حفائر شالة الاسلامية.

ونقدم هنا دراسة لتلك الظاهرة المعمارية بالنسبة لمدرستي دار المخزن ثم الصهريج ضمن دراسة هاتين المدرستين كنماذج مميزة لخصائص العمارة الدينية في عصر دولة بني مرين.

مدرسة دار المخزن أو فاس الجديد أو مدرسة المدينة الجديدة :

ومدربة دار المخزن تعني مدرسة قصر الادارة المركزية أو مدرسة القصر الكبير بفاس[1] (شكل 97 و113) وتسمى أيضا مدرسة فاس الجديد أو مدرسة المدينة الجديدة، ويبدو أنها لم تكن تحمل اسما خاصا على عهد المرينيين حيث كانت هي المدرسة الوحيدة من نوعها بالمدينة الجديدة التي أسسها ملوك هذه الاسرة. وحوالي عام 1844م عرفت بمدرسة المهندسين عندما أجرى بها ملك ذلك الوقت دروسا في العلوم[2].

وبالنسبة لتاريخها فقد تبقى لنا نقش كتابي على الرخام بهذه المدرسة نقتبس منه... (وبعد فهذا ما أمر بتخطيطه وإنشائه... مولانا الخليفة... أبو الحسن... بحكم ما كان والدهم مولانا الامام... المرحوم أبو سعيد... ادخره من أفعال البر في أيامه الخالية وعلى اقراء القرآن العظيم وتدريس العلم بمدرسته المباركة هذه أوقفه وهي مدرستهم الكائنة بدار ملكهم.. المدينة البيضاء... وكمل بناء هذه المدرسة وبدىء بالاقراء فيها وسكناها في ذي القعدة عام احدى وعشرين وسبعمائة)[3].

وسنتعرض باختصار لأهم ما يعنينا من هذا النقش فإذا بدأنا بنهاية النقش وجدناه يحدد تاريخ اكمالها عام 721هـ وتنحصر هذه السنة في مدة حكم أبي سعيد عثمان الذي ولى من

---

(1) الفرد بل : النقوش العربية بفاس، نشر بالجريدة الآسيوية عدد يوليو واغسطس 1917 ص 151.

(2) بل نفس المصدر ص 152.

(3) النص الكامل وشرحه عند الفرد بل بالمرجع السابق ص 158 — 170.

710 هـ إلى 731هـ. أما عبارة (المرحوم أبو سعيد) الواردة في النقش فتدلنا على أن عثمان لم يترك نقشا بالمدرسة وإنما كُتب النقشُ بعد وفاته وفي مدة حكم ابنه أبي الحسن وبأمره. ويؤيد هذا عبارة (مولانا الخليفة أبو الحسن) الواردة بالنقش لان أبا الحسن كان أميرا ومساعدا لوالده عثمان الذي كان يحكم في سنة 721هـ وهي سنة تمام بناء المدرسة. أما عبارة (أمر بتخطيطه وإنشائه مولانا أبو الحسن) فهي مبالغة لتعظيم أبي الحسن وقد أصبح سلطانا لأن الأمر الحقيقي صدر من والده عثمان وأيام سلطنته كما يفهم من عبارة (حكم ما كان والدهم مولانا الخليفة المرحوم أبو سعيد ادخره من أفعال البر وعلى اقراء القرآن وتدريس العلم بمدرسته المباركة هذه أوقفه) فتكون المدرسة اذن قد بنيت بأمر أبي سعيد عثمان وبإشراف ابنه الامير أبي الحسن. وقد صرح مؤلف روض القرطاس الذي كان معاصرا لعثمان وقال عند تأريخه له « هو الخليفة في وقتنا هذا وهي سنة ست وعشرين وسبعمائة أطال الله أيامه »... وقد صرح صاحب روض القرطاس عند ذكر هذه المدرسة بقوله : « وفي سنة عشرين وسبعمائة أمر أمير المؤمنين أبو سعيد أيده الله ببناء المدرسة بحضرة فاس الجديد فبنيت أتقن بناء ورتب فيها الطلبة لقراءة القرآن والفقهاء لتدريس العلم وأجرى عليهم المرتبات والمؤن في كل شهر وحبس عليها الرباع والمتاجر كل ذلك ابتغاء وجه الله تعالى ورجاء مغفرته »[1]... وهكذا يكون تأريخ هذه المدرسة ثابت وصريح بالادلة التاريخية والاثرية، فقد أمر بالبناء أبو سعيد عثمان عام 720هـ وباشرها ابنه الامير أبو الحسن حتى تم بناؤها وبديء التدريس بها عام 721هـ.

ولنبدأ الآن في دراسة تخطيط هذه المدرسة وهو عبارة عن صحن مستطيل على جانبيه بيوت الطلبة من طابق واحد وبوسطه صهريج (شكل 114 و115)، ويتصل من ناحية القبلة ببيت الصلاة. ويشتمل بيت الصلاة في هذه المدرسة على أسكوبين. أما أسكوب المحراب فيبلغ طوله 14،50 مترا (وهذه المسافة تمثل طول جدار القبلة). أما الأسكوب الثاني وهو المطل على صحن المدرسة فلا يزيد طوله عن 11 مترا فقط بنقص ثلاثة أمتار ونصف عن طول أسكوب المحراب. فإذا نظرنا إلى التخطيط العام للمدرسة من أعلى أو من الخارج وجدنا انه عند اتصال بيت الصلاة بالصحن يعود مرة أخرى إلى الاتساع بل وإلى نفس اتساع أسكوب المحراب، حيث يسير الحائط الشرقي والحائط الغربي للمدرسة ابتداء من بداية الصحن (من ناحية بيت الصلاة) على امتداد الحائط الشرقي والحائط الغربي لأسكوب المحراب تماما، ويستمر هذا الاتساع إلى الحائط الشمالي الغربي للمدرسة. أما من الداخل فإن الأسكوب الشمالي ببيت الصلاة والمنقوص في طوله يفتح على صحن بمثل اتساعه فقط، بحيث تكون واجهة

---

(1) القرطاس : ص 280.

بيوت الطلبة المطلة على الصحن من الشرق والغرب تسير تقريبا على امتداد الحائط الشرقي والحائط الغربي للأسكوب الأول من جهة الصحن. وبهذا يكون عمق كل بيت من بيوت الطلبة يشغل المسافة المحصورة بين الحائط الخارجي للمدرسة وبين واجهة بيوت الطلبة المطلة على الصحن، ويساوي أيضا المسافة التي قطعت من كل جانب من الجوانب الشرقية والغربية للأسكوب الشمالي ويساوي أيضا الزيادة التي زادها أسكوب المحراب عن الاسكوب المقصوص في كل جانب من جوانبه الشرقية والغربية (شكل 116).

فإذا جاز لنا التشبيه مع الفارق نقول بأن الاسكوب الشمالي المنقوص من الجانبين، يمثل هنا عنق قدر أو جرة. وعندما نعود إلى اصطلاحنا الذي اتفقنا عليه نقول بأن ظاهرة القص المتماثل في مدرسة فاس الجديد أو دار المخزن تكون طرازا فريدا من طرز القص المتماثل في العمارة الاسلامية المغربية وخاصة إذا قارنا بينها وبين أمثلة القص الاخرى التي سبق دراستها مفصلة بكتابنا حفائر شالة[1].

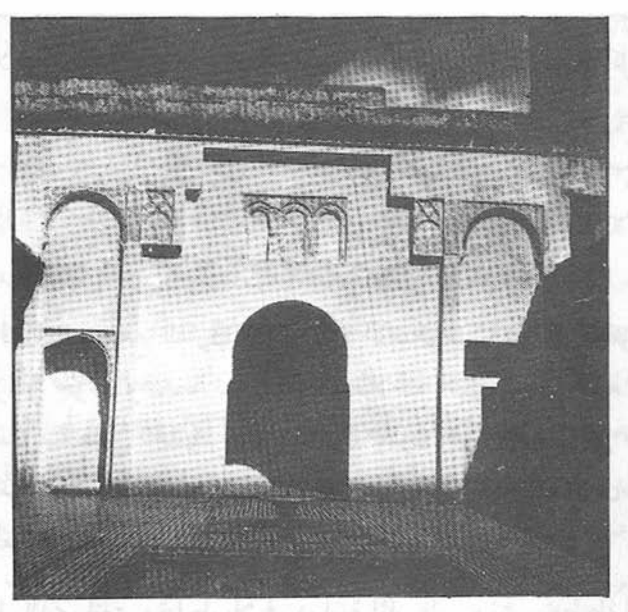
أما الفرد بل الذي أنفق وقتا طويلا في دراسة آثار فاس ونشر تخطيطا للمدرسة موضوع البحث، فإنه التزم الصمت التام أمام هذه المشكلة الظاهرة في التخطيط. وقد سبق لنا عند شرح ما سميناه بظاهرة القص المتماثل في العمارة الاسلامية المغربية أن أشرنا إلى مقارنة مارسية بين هذه الحالة التي لاحظها بمدرسة دار المخزن وبين المثال الذي درسناه بمسجد شالة وأوضحنا عدم توفيقه فيما عقد من مقارنات عندما قال بأن « خاصية تضييق الاسكوب الشمالي في بيت الصلاة بمدرسة دار المخزن عن أسكوب المحراب جعلت الاخير (شكل 117) يبدو كأنه ينشر جناحي مجاز قاطع وأن هناك شبه بين هذه الحالة وبين المصلى الرئيسي في شالة ». والحقيقة التي تظهر لنا الآن بعد وصف تخطيط المدرسة أنه ليس هناك شبه ما بينه وبين تخطيط مسجد شالة من ناحية ما سماه بالمجاز القاطع.

وقد أوضحنا سابقا أن هناك قص في تخطيط مسجد شالة[2] كما يوجد قص آخر في تخطيط مدرسة فاس الجديد. أما الاول فيختلف تماما عن الثاني فإنه حادث أي طاريء لأنه في الاضافة المرينية للمسجد العتيق وهو ما يجهله تماما مارسيه حتى الآن. ولو أن صحن مسجد شالة قد عاد فاتسع باتساع الاسكوبين الاولين من ناحية القبلة كما هو الحال في مدرسة فاس الجديد لجازت المقارنة.

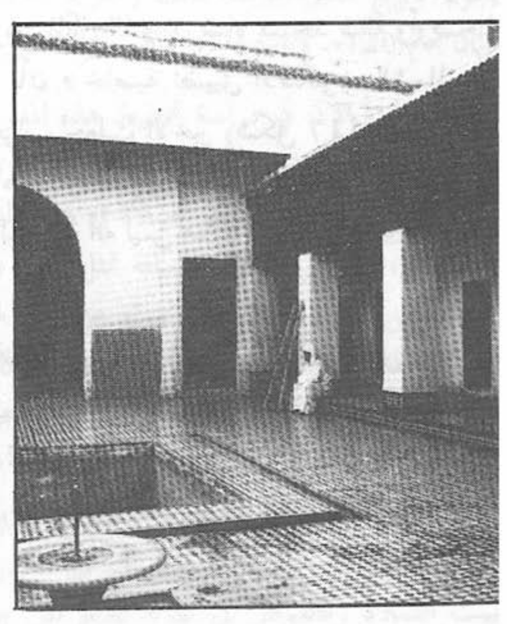
---

(1) الفصل السادس

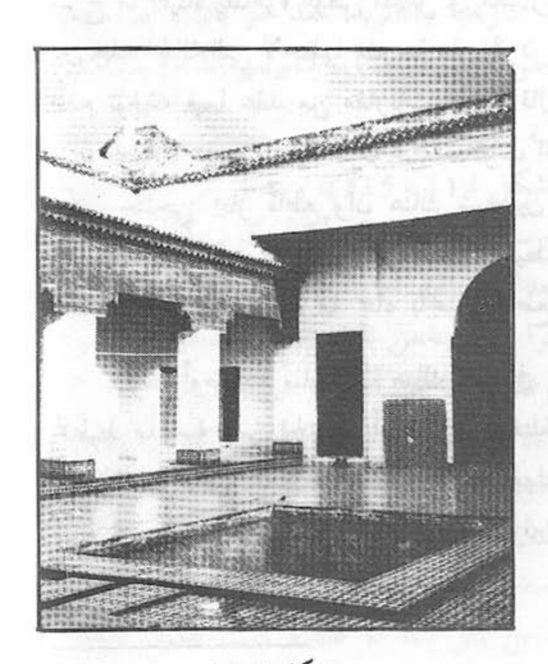
(2) الذي اكتشفنا تخطيطه الاصلي من عصر الادارسة وإضافة المرينيين لاسكوبه المقصوص.



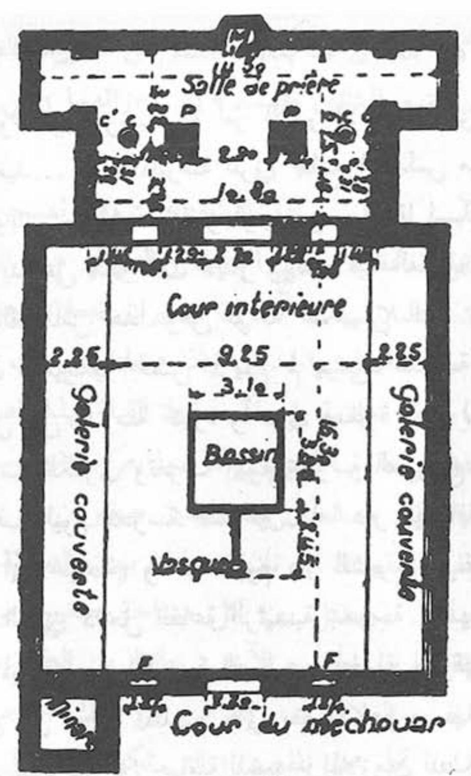
شكل 113
المدخل والصحن بمدرسة دار المخزن بفاس الجديد



شكل 114
الصحن وفتحة المدخل بمدرسة دار المخزن بفاس

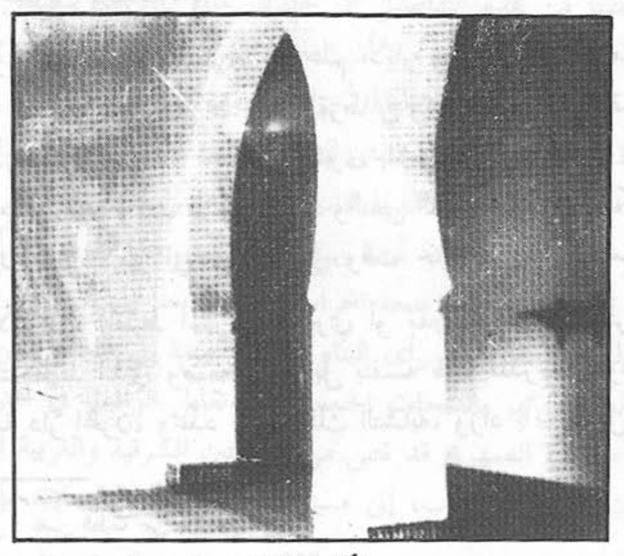


شكل 115
صحن وفتحة بيت الصلاة بمدرسة دار المخزن بفاس



شكل 116

تخطيط مدرسة دار المخزن بفاس الجديد



شكل 117

قص الاسكوب الشمالي ونقصه عن اسكوب المحراب بمدرسة دار المخزن

القص بمدرسة الصهريج بفاس :

«في سنة احدى وعشرين وسبعمائة أمر الأمير الأجل الموفق الصالح أبو الحسن علي ابن أمير المسلمين أبي سعيد... ببناء المدرسة غربي جامع الأندلس من مدينة فاس فبنيت على أتم بناء وأحسنه وأتقنه وبني حولها سقاية ودار وضوء وفندقا لسكنى طلبة العلم... وأنفق في ذلك أموالا جليلة تزيد على مائة ألف دينار ورتب فيها الفقهاء للتدريس وأسكنها بطلبة العلم[1]...» ومن نص القرطاس هذا ومن لوحة التحبيس التي حفظتها لنا جدران بيت الصلاة بالمدرسة نعلم أن الأمير أبا الحسن المريني لم ينشيء مدرسة فحسب، بل أمر بإنشاء مجموعة من المباني تشتمل على مدرسة كبيرة وأخرى صغيرة ودار للضيافة أما الاولى فكانت تعرف في عصرها بالمدرسة الكبرى وتعرف اليوم بمدرسة الصهريج، بينما كانت الثانية تعرف بالمدرسة الصغرى وتعرف اليوم بمدرسة السباعين. أما دار الضيافة فكانت تسمى كما يدل على ذلك النقش (بدار أبي حباسة) واسمها اليوم دار الشيوخ. ونقش تحبيس هذه المجموعة لازال مثبتا على الحائط الغربي داخل القاعة الرئيسية بمدرسة الصهريج[2]. ونقتبس منه (... أمر ببناء هذه المدرسة المباركة مع المدرسة الصغرى المتصلة بشرقها مولانا الأمير ولي عهد المسلمين أبو الحسن علي ابن مولانا الملك... أبي سعيد... وحبسها على طلبة العلم الشريف وتدريسه. وأمر مع ذلك ببناء دار أبي حباسة للشيوخ الملازمين للصلاة بجامع الأندلس وحبس على المدرستين المذكورتين... وكمل بناء هذه المدرسة وابتدىء الاقراء فيها شهر ربيع الاول من عام ثلاثة وعشرين وسبعمائة).

ومرة أخرى يتعاون علم التاريخ مع علم الاثار ويكمل أحدهما ما نقص في الآخر، فإذا أخذنا تاريخ البدء في البناء من صاحب القرطاس وتاريخ تمامه من النقش الأثري استطعنا أن نقول بأن مدرسة الصهريج أو المدرسة الكبرى بفاس البالي هي وبقية المجموعة الاثرية قد بدأ بناؤها في عام 721هـ وتمت سنة 723هـ والنص التاريخي والنقش الكتابي كلاهما صريح في أن بناءها كان بأمر الامير ابي الحسن وفي وقت خلافة والده أبي سعيد عثمان المريني.

وننتقل الآن الى تخطيط المدرسة الكبرى أو مدرسة الصهريج لنرى أثر القص فيه، وسنعتمد على التخطيط الذي وضعه الفرد بل بنفسه لهذه المدرسة[3] وقال بأن هناك شبه بينها وبين مدرسة دار المخزن، وعدّد أوجه ذلك التشابه، وزاد بأن العمل عندما أوشك على

(1) روض القرطاس : نفس الطبعة ص 280 — 281

(2) انظره مفصلا عند الفرد بل، المرجع نفسه ص 220

(3) الفرد بل : نفس المصدر : شكل 21 ص 238.

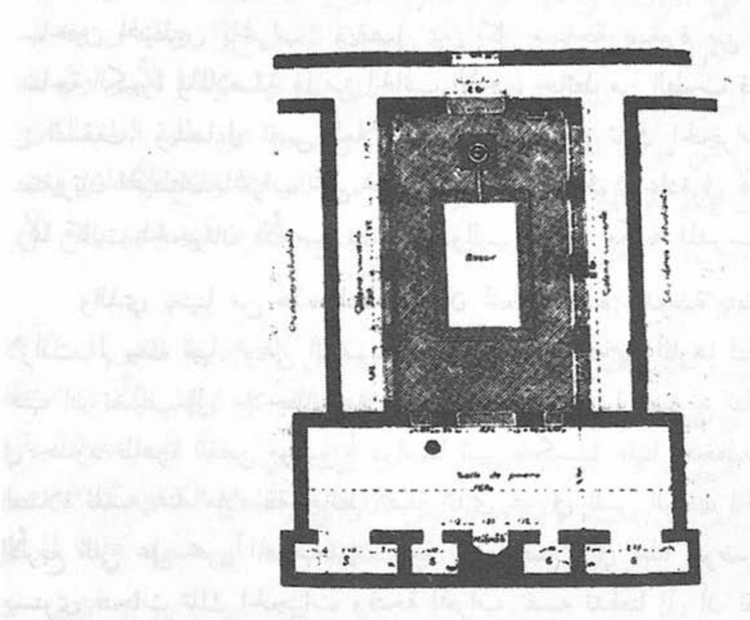
التمام في مدرسة المخزن كان العمال قد بدأوا بالعمل في مدرسة الصهريج وإنه من الجلي أن نفس المهندس هو الذي وضع للبنائين تصميم أكثر أجزائهما وهي بيت الصلاة والصحن[1] (الشكل 118).

ويفتح المدخل الرئيسي للمدرسة على الواجهة الشمالية لصحن مستطيل الشكل. ويحيط بالصحن من الشرق والغرب عقود ترتقي اكتافا. ويفتح في هذه العقود نوافذ بيوت الطلبة. وعلى جانبي مدخل بيت الصلاة بابان آخران صغيران يجعلان هذه الواجهة شديدة الشبه بواجهة بيت الصلاة في مدرسة فاس الجديد. واذا دخلنا إلى بيت الصلاة نصل إلى ما يهمنا من كل هذا التخطيط. ويقول العلامة بل بأن حائط القبلة بهذا المصلي يعطي بتفاصيله صورة لم يجد هو شبها لها في مدارس فاس الاخرى ولا فيما يعرف من مساجد. فعلى جانبي المحراب يفتح بابان صغيران يؤديان إلى مساحتين مستطيلتين صغيرتين على المحور العرض للمحراب. ويليهما من الشرق والغرب مساحتان أخرتان متصلتان ببيت الصلاة بفتحتين أوسع من فتحتي المساحتين المحيطتين بالمحراب. ويفصل بين كل مساحة صغيرة من المحيطتين بالمحراب وبين المساحة الكبيرة والملاصقة لها من الجانب الآخر، حائط من الطوب قليل الارتفاع غير واصل إلى السقف. ويتساءل نفس العلامة عن الغرض من تلك الحجرات ثم يقول ربما كانت الصغيرتان المحيطتان بالمحراب تحل محل المقصورة التي تكون عادة في هذه البلاد خلف المحراب وربما كانت الحجرتان الأوسع تضمان دواليب كتب مكتبة المدرسة.

والذي يعنينا من هذه التفاصيل أن تخطيط هذه المدرسة يتضمن عدة أمور جديدة لازالت لم يبت فيها. وعلى الرغم من أن العلامة الفرد بل أثارها لنا وربما لأول مرة فنحن نحب ان نضيف إلى ملاحظاته ملاحظة أخرى جديدة لم تسترع نظره. وتنحصر ملاحظتنا في حدود ظاهرة القص موضوع دراستنا التي يعكسها علينا التخطيط بنفسه. إن سعة بيت الصلاة نفسه عند ملاصقة حائط القبلة الذي هو في نفس الوقت الحائط الجنوبي للحجرات الأربع التي على محور المحراب، إن سعة بيت الصلاة في هذا الموضوع أكثر من سعته عند مستوى فتحات تلك الحجرات وفتحة المحراب نفسه تدفعنا إلى أن نقول بأن الحائط الشرقي والحائط الغربي لبيت الصلاة قد رأى البنّاء ان يميل بهما إلى الداخل من كلا الجانبين عند وصوله الى الخط الذي يمر بألفتحات الخمس التي تقابل الواقف في المحراب. أو نقول بأن بيت الصلاة في مدرسة الصهريج قد قص من الناحيتين الشرقية والغربية ابتداء من الخط المار بأبواب الحجرات الأربع والمحراب، إلى مستوى واجهة بيت الصلاة على الصحن.

(1) نفس المصدر : ص 238 ـــ 239.

وبهذا تقدم لنا مدرسة الصهريج أو المدرسة الكبرى بفاس البالي التي أمر بإنشائها الأمير أبو الحسن المريني عام 721هـ في حياة والده أبي سعيد عثمان وتمت عام 723هـ، مثالا آخر من أمثلة القص المتماثل في العمارة الاسلامية ببلاد المغرب. ويصح لنا أن نؤيد عبارة العلامة بل « بأنه من الواضح أن مهندسا واحدا وضع تصميم أكثر الأجزاء أهمية في مدرسة دار المخزن بفاس الجديد ومدرسة الصهريج بفاس البالي اللذين يرجعان إلى عصر واحد » ويعني بها بيت الصلاة والصحن في كل منهما، حيث أننا نرى نماذج جديدة في تخطيطات هذه المنشآت، وإن ظاهرة القص التي أوجدت العنق الضيق في بيت الصلاة بالمدرسة الاولى، وخلفت لنا الشكل الذي نراه في جانبي بيت الصلاة بالمدرسة الثانية، لا سبيل إلى تفسيرها إلا أنها طراز جديد وابتكار حديث في تصميم العمائر الاثرية التي ترجع إلى عصر الدولة المرينية.



شكل 118

تخطيط مدرسة الصهريج

سابعا : المدرسة المتوكلية (البوعنانية) بفاس

كان لأمير المؤمنين المتوكل السلطان أبي عنان فارس بن أبي الحسن آخر السلاطين العظماء في عصر الدولة المرينية اعتناء خاص بتشييد المباني الدينية والمؤسسات العلمية من مدارس وزوايا وغيرها.

وكان من أشهر منجزاته بناء المدرسة المتوكلية أو البوعنانية التي شيدها بالطالعة الكبرى بفاس البالي بين عامي 751 و756هـ (1350م و1355م).

ويبرز في تصميم البوعنانية دليل وحدة الفن المعماري في العالم الاسلامي شرقا وغربا حيث توجد أوجه للشبه بينه وبين تخطيط مدرسة أو جامع السلطان حسن من نفس العصر بالقاهرة مما نلاحظه في نظام الايوانات الجانبية حول الصحن.

وعلى مستوى تاريخ العمارة المغربية تتضح هنا سنة التطور من البساطة في مدرسة فاس الجديد الى التركيب العلمي المتحكم في خلق محاور البناء بالبوعنانية التي تمثل قمة التطور كنموذج مدهش وفريد في مميزاته المعمارية، فقد كانت بوعنانية مكناس التي بدأها أبو الحسن وأتمها أبو عنان وحملت اسمه مرحلة انتقال ذات بيت للصلاة مربع التخطيط كمدارس أبي الحسن وذات أروقة محيطة بالصحن كبوعنانية فاس التي جاءت على قمة التطور المعماري.

وعلى مستوى العمارة والفنون الاسلامية، تمثل البوعنانية روعة الطراز المغربي الاندلسي الذي أثرى فنون الغرب وتميز بالاعمدة الرقيقة والتيجان المنحوتة الدقيقة والنقوش والزخارف المنتشرة على الخشب والجص والرخام ضمن ابتكارات شتى للتركيبات الهندسية والتسطير والتوريق وازدهار فنون الزليج المنقوشة وانتشار شبكة المعينات الزخرفية على الجدران وواجهات الصومعة، تم ابداع ذلك كله في اطار خاصية الهرب من الفراغ لتعيش الانظار والمشاعر في حلم ينتقل من عرس الى عرس ضمن روائع العمارة والفن.

ومن أشهر معالم المدرسة في مقابل باب البوعنانية منجانة شهيرة وضعها أبو عنان بطيقان وطسوس من نحاس وجعل شعار كل ساعة أن تسقط صنجة في طاس وتنفتح طاق، وكانت تلك الساعة منذ انشائها سنة 758هـ تضبط ايقاع الحياة ومسيرتها بتحديد مواقيت آذان الصلاة من صومعة البوعناية الظاهرة لجميع صوامع فاس البالي والجديد. كما كان من أبرز مميزاتها اشتمالها على صومعة ومنبر للصلوات الجامعة.

موجز وصف عمارة المدرسة :

تشتمل عمارة المدرسة على طابقين ويتوسط تخطيطها صحن مكشوف حول صهريج،

وتفتح على الصحن بوائك من ثلاث جهات ويتصدره في الجهة الرابعة بيت الصلاة. وتشرف واجهة بين الصلاة على الصحن معزولة عنه بالوادي الذي يسير أسفلها وفي موازاتها، ولهذا السبب لا تنفذ بلاطات بيت الصلاة الى الصحن بينما يتصل كل من البلاطين الشرقي والغربي لبيت الصلاة بالصحن عن طريق قنطرة معدة لتخطي الوادي (اشكال 99 و111).

ومما يميز عمارة وتخطيط البوعنانية وجود قاعة على كل من جانبي الصحن، وهذه القاعة أو الايوان (الذي يذكر بعمارة مدارس القاهرة المعاصرة) الجانبي المطل على الصحن عبارة عن مساحة مربعة تغطيها قبة خشبية على مقرنصات وهي ليست مسقوفة ببرشلة كما هي العادة، وتفتح القاعة أو الايوان على الصحن بعقد ذي دلايات.

وبيت الصلاة يشتمل على اسكوبين في موازاة القبلة وينفرد بخصوصيات معمارية تميز البوعنانية عن بقية مدارس المغرب ويفتح على الصحن بخمسة عقود تربط سعته باتساع الصحن ليعكس تخطيطه مرة أخرى خصائص المساجد المرينية تبعا لدراستنا الميدانية وملاحظاتنا الشخصية.

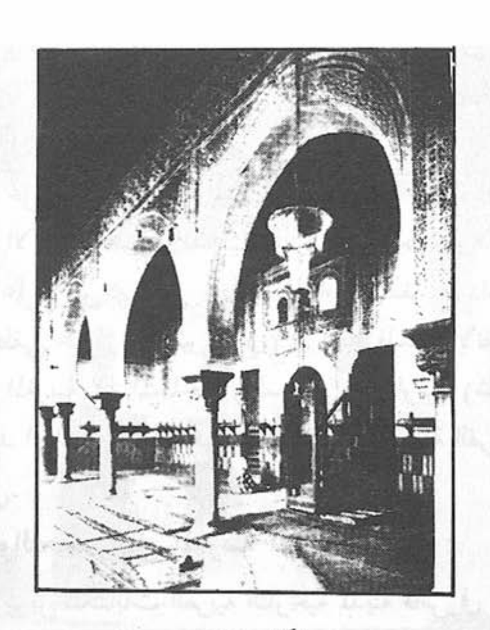
وبين الاسكوبين صف واحد من الاعمدة منها أربعة من الشرق الى الغرب وعمودان ملتصقان واحد منهما بكل نهاية من نهايتي صف الاعمدة شرقا وغربا. وسقف بيت الصلاة برشلة واحدة من الشرق الى الغرب ولا توجد قبة أمام اسطوانة المحراب.

والمحراب خماسي التخطيط تغطيه قبة جص مقرنصة وبكل من جانبيه عمود رخام أسود مجزع فوقه تاج منقوش تعلوه رجل عقد فتحة المحراب.

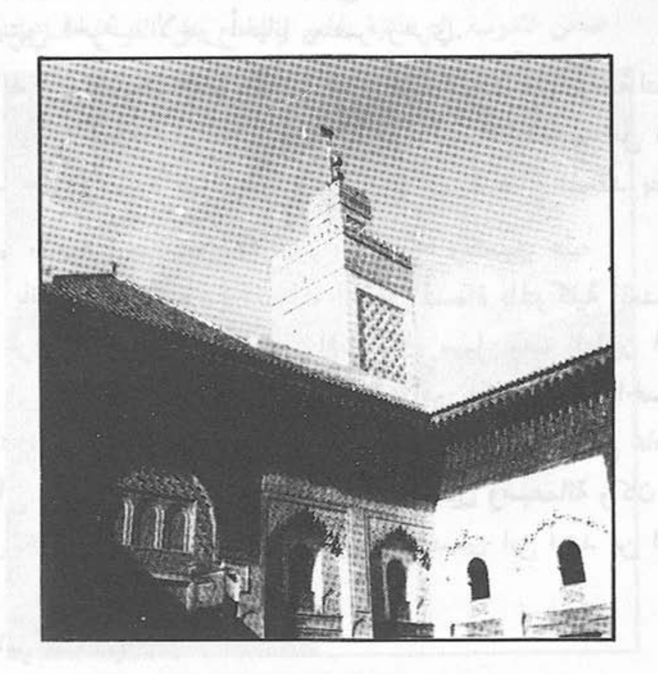
وفوق الباب المفتوح بالحائط الشرقي لبيت الصلاة لوح التحبيس، بينما الباب المفتوح بالجانب الاخر يتصل بدروج تؤدي الى الطريق المتصل بالطالعة الصغرى.

والمنبر الحالي كما شاهدته من سبع درجات وجلسة للخطيب ويحمل نقشا نصه (اتقن صنعي احمد تاريخه شكري لمن) وهي تساوي سنة (1350هـ)، أما المنبر الاصلي فقد انتقل الى متحف البطحاء بفاس وندرسه في فنون وصناعات بني مرين في الابحاث التالية (شكل 119).

ونوضح الان اهمية اخرى بالنسبة لتاريخ التطور المعماري، ذلك أن المدرسة تعتبر هي الوحيدة (اذا استثنينا مدرسة دار المخزن السابقة عليها) المزودة بصومعة من بين المدارس المغربية (شكل 120)، فإذا اضفنا الى ذلك وجود قاعتين على جانبي الصحن اتضح لنا من الظاهرتين تبادل التأثيرات الحضارية مع عمارة المشرق الاسلامي، وأكثر من هذا فان وجود قاعتين على جانبي الصحن بالمدرسة المغربية موضوع البحث يقف عامل هدم لنظريات المستشرقين القائلة



شكل 119
منبر المدرسة البوعنانية بفاس بموضعه الأصلي قبل نقله إلى متحف البطحاء بفاس



شكل 120
صومعة المدرسة البوعنانية بفاس

باشتقاق المدارس ذات الايوانات الاربعة المتعامدة من نظام الكنائس ذات الصليب الاغريقي لان حجة هؤلاء ان الايوانات الاربعة كانت مراكز لتدريس المذاهب الاربعة وقد رتبت على شكل صليب متعامدة الوضع.

إن وجود قاعتين على جانبي صحن المدرسة البوعنانية لم يكن لتدريس مذهبين مختلفين فالمغرب لم يغير وجهته الاولى باعتناق المذهب المالكي وحده، وبهذا يكون تخطيط المدرسة البوعنانية تطورا طبيعيا على رأس مراحل تخطيط المدارس المغربية ذات التركيب المعقد، انه في رأينا الخاص تطور منطقي محلي (ذو تأثير شرقي) في اتجاه فلسفة الانفتاح على الفراغ الداخلي للعمارة الدينية والمدنية المغربية في المساجد والمساكن والمدارس (شكل 121) ومرده الى الاقتداء بتخطيط المساجد الجامعة الاولى حيث يمثل الصحن جملة الفراغ المركزي الذي تفتح عليها كتلة. البناء الداخلي.

دراسة نقش التأسيس والتحبيس على المدرسة المتوكلية بفاس :

درس العلامة الفرد بل الكتابات العربية التاريخية لمدينة فاس في تأليفه النفيس نص نقش التأسيس والتحبيس على المدرسة (البوعنانية) التي نقشت بالخط النسخي البديع تتخلله عناصر زخرفية قوامها زهيرات ثلاثية من ثلاثة نماذج متنوعة وأوراق نخيلية مستقلة أو ضمن مجموعات، كما ينتهي الحرف الاخير أحيانا بعنصر زهري.

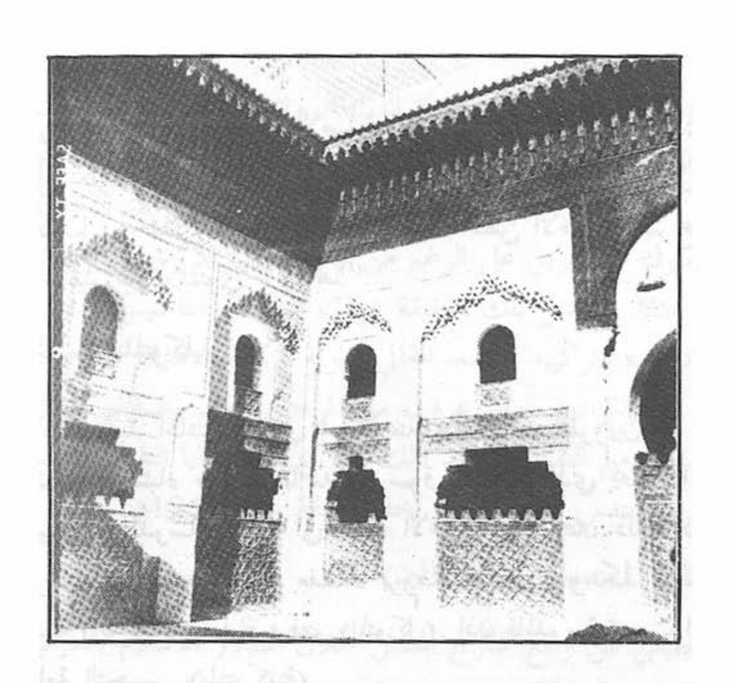
ويشتمل نص اللوحة على (35) سطرا نورد أهم ما يعنينا منها توطئة لتحليله وتصحيحا للخطأ التاريخي الوارد باللوحة الرخامية التي الصقتها البلدية حاليا بمدخل المدرسة الرئيسي كما شاهدتها عند حضور ندوة اليونسكو لانقاذ مآثر مدينة فاس المنعقد بنفس المدرسة.

وهذا أهم ما يعنينا من نقش التأسيس وتفسيره والتعليق عليه :

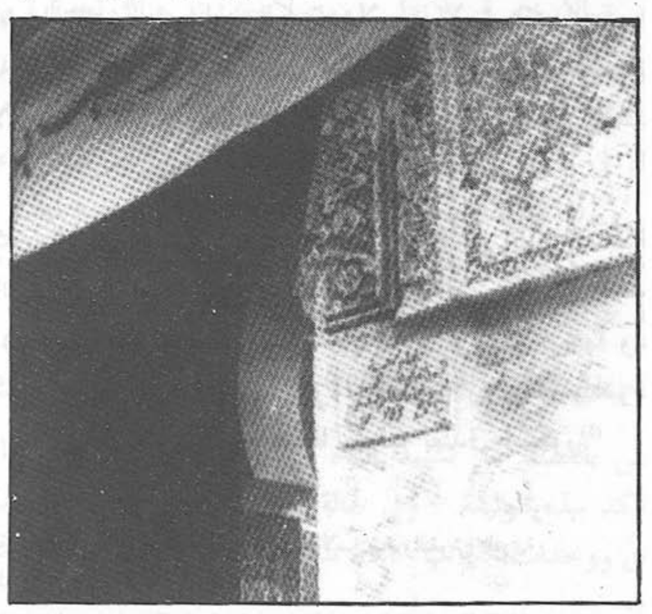
(... **أمر بانشاء** هذه **المدرسة** المباركة السنية **المسماة بالمتوكلية** المعدة **لتدريس العلم والمفضلة باقامة فرض الجمعة أمير المؤمنين المجاهد في سبيل رب العالمين المتوكل على الله** أبو عنان فارس ابن **مولانا** الامام العادل الفاضل... **أمير المسلمين أبي الحسن** ابن مولانا.. ابي سعيد.. **وكان ابتداء بنائها في الثامن والعشرين لشهر رمضان المعظم عام واحد وخمسين وسبعمائة والفراغ منه آخر شعبان المكرم عام ستة وخمسين وسبعمائة** وكان بناؤها على يدي الناظر في الحبس بحضرة فاس حرسها الله تعالى ابي الحسين ابن احمد بن الاشقر وفقه الله تعالى...).

1 - (امر بانشاء) :

يفيد هذا النص الصريح أن العملية كانت عملية انشاء مستقل عن أي أثر سابق بنفس الموقع ولم تكن إضافة أو تحويل.



شكل 121
صحن المدرسة البوعنانية بفاس والتفتح على الفراغ الداخلي



شكل 122
مدخل المدرسة البوعنانية بفاس واللوحة الحديثة بالتأريخ الخاطىء

2 ـــ (هذه المدرسة) :

تحديد صريح لمهمة البناء وصفته الاصلية منعا لكل التباس كذلك الذي حدث بالنسبة للبناء القائم داخل خلوة شالة واعتبره المؤرخون والاثريون مسجدا عتيقا الى تاريخ اكتشاف نص التأسيس الاصلي وحفائرنا وابحاثنا التي شرحت النص الاصلي الصريح من كون البناء زاوية بناها أبو سعيد عثمان المتوفي 731هـ[1].

3 – المسماة بالمتوكلية :

ذكر الدكتور عبد الهادي التازي بموسوعته عن جامع القرويين ان (السلطان العظيم ابا عنان رأى ضرورة انشاء مدرسة باسمه في سوق القصر الذي يحمل الان اسم الطالعة الكبرى)[2] وتعقيبنا ان المدرسة نسبت الى **لقب** الامير وليس اسمه، ذلك أن لكل من امراء بني مرين اسم وكنية ولقب حسبما يرد مفصلا بروضة النسرين، وهكذا فاسم الامير المؤسس هو (فارس) وكنيته (ابو عنان) اما لقبه فهو (المتوكل). اذن فالمدرسة نسبت الى لقبه (المتوكل) وعرفت في رخامة التحبيس (بالمتوكلية).

يقول الفرد بل بان هذا السلطان – يعني ابا عنان – كان كسلفه وتابعيه (تبعا للنقوش الكتابية وغيرها من الوثائق) يستعملون الكنية بدلا من الاسم فقد استمر هذا التقليد لدى كبار الشخصيات بالنسبة للملوك المرينيين وأبناء عمومتهم بني عبد الواد ملوك تلمسان، ويضيف الفرد بل اننا لا نعرف تفسيرا لذلك الا ان المسلمين يعتبرون الاشارة بالكنية أكثر احتراما[3].

لكن الدكتور التازي اضاف بانها (المدرسة الوحيدة التي بناها السلطان ابو عنان) فلزم التنبيه بان ابا عنان اكمل المدرسة التي أسسها ابوه أبو الحسن بمكناس فحملت اسم العنانية كما بنى المدرسة (العجيبة) بحومة باب حسين من سلا، درستُ تاريخها وتطور عمارتها الى أن اصبحت محكمة بعد أن كانت[4] فندقا، وذكرها السلاوي قال (المدرسة العجيبة بحومة باب حسين من سلا وقد صارت اليوم فندقا يعرف بفندق اسكور[5]

---

(1) كتابنا تاريخ شالة وكتابنا حفائر شالة وكتابنا الفنون الاسلامية والنقوش العربية

(2) جامع القرويين للتازي

(3) ALFRED (BEL), Inscriptions Arab de Fès, journal asiatique 1917/1918

(4) كتابنا تاريخ شالة ص 298

(5) الاستقصا 206/3

4 ـــ أمير المؤمنين :

يعتبر اللقب من القرائن الدالة على قوة السلطان واتساع الملك وجسامة المسؤولية، ويدل النص التأسيسي على تمسك أبي عنان باللقب واستئثاره به (امير المؤمنين ابن مولانا الامام... أمير المسلمين ابي الحسن...)، وكما أوضحتُ بدراستي للالقاب[1] ان ابو عنان انفرد بلقب أمير المؤمنين بين ملوك بني مرين على الرغم من تجاوز بعض المؤرخين ومجاملاتهم حسبما نراه في روضة النسرين مثلا. فبفضل تلك الحقيقة عرفت أن نقش التأسيس الذي عثر عليه داخل خلوة شالة وأعيد ترميمه وتركيبه بموضعه الحالي بزاوية أبي سعيد عثمان كان نقشا مزيف الترميم لاشتماله على لقب أمير المؤمنين، وقد عرفتُ من المرحوم المعلم مصطفى فبلال أمين الصنعة بدار المخزن الخطأ في ترميم النقش وتأكد ذلك بعثوري على بقايا النقش الاصلية اثناء الحفائر الاثرية التي قمت بها بنفس الموقع داخل خلوة شالة سنة 1959م.

5 - (المجاهد في سبيل رب العالمين) :

إنه لقب حقيقي من واقع التاريخ المعاش خلال عصور الاسلام بالمغرب فمنذ وصول المولى ادريس سبط الرسول الخاتم الى تراب المغرب بدأ سيل الجهاد في سبيل الله وقاده أهل البيت وأسسوا أول دولة اسلامية بالركن القصي من الشمال الافريقي، وعلى طريق الجهاد سار المرابطون لنصرة الاسلام في الاندلس ومدوا حضارته هناك اربعة قرون وسلموا علم الجهاد للموحدين الذين اتجهوا شمالا وانطلقوا شرقا وأمنوا دولة الاسلام في بحر الحضارات وجاهدوا في دفع الخطر الصليبي على دول المشرق الاسلامي. أما دولة بني مرين فقد وهبت نفسها حقا للجهاد في سبيل الله منذ جاز مؤسسها الحقيقي يعقوب بن عبد الحق[2] اربع مرات الى الاندلس وترك في صفحات التاريخ بروض القرطاس وغيره آيات على التعلق بمبدأ الجهاد حيث ظل مسلموا الاندلس تحت وصاية المغرب وحمايته اغلب ايام بني مرين و لم يتوقف جهادهم الا بهزيمة طريف ونكبة ابي الحسن واسطوله بها.

6 ـــ (لتدريس العلم والمفضلة باقامة فرض الجمعة) :

يصرح النص بالقصد من تشييد البناء كمدرسة لتدريس العلم وباعتبارها مسجدا جامعا، وهكذا يتأكد بهذه الوثيقة – وفي حالة تبدل الاحوال – ان المؤسسة كانت مدرسة بما تحتاجه من مرافق ووحدات، كما انها كانت مسجدا جامعا زود بصومعة ومنبر لبيت الصلاة

---

(1) كتابنا الفنون الاسلامية والنقوش

(2) كتابنا تاريخ شالة للوقوف على موجز كفاح وجهاد المرينيين والمصادر المشار إليها.

على النحو المعروف بالنسبة لمدرسة أو مسجد السلطان حسن من نفس العصر بالقاهرة. وفائدة النص تتضح عندما تحول منبرها الاصلي الى متحف البطحاء ثم استبدل بآخر حديث فان الاثري والباحث باطلاعه على نص التأسيس يكون على دراية بوجود منبر أصلي لبيت الصلاة.

7 ــ (وكان ابتداء بنائها في الثامن والعشرين لشهر رمضان المعظم عام أحد وخمسين وسبعمائة)

وقع تاريخ البدء في البناء سنة 751هـ في عهد أمير المؤمنين أبي عنان، لكن ذلك التاريخ يدخل ضمن حياة والده ابي الحسن أمير المسلمين الذي ظل على قيد الحياة إلى تاريخ ربيع الثاني سنة 752هـ. وتفسير ذلك أن أبا عنان ثار على والده أبي الحسن وتابعه إلى نواحي وادي أم الربيع حيث تراجع أبو الحسن إلى جبل هنتاتة،[1] وبويع أبو عنان (منسلخ ربيع الاول سنة تسع وأربعين وسبعمائة)[2] فباشر مسؤولياته كأمير للمؤمنين في حياة أبيه الذي توفي 23 ربيع الثاني 752هـ ثم نقل فيما بعد إلى ضريحه[3] بشالة.

8 ــ (والفراغ منه آخر شعبان المكرم عام ستة وخمسين وسبعمائة)

وهكذا كمل البناء ووقع الفراغ منه في حياة أمير المؤمنين أبي عنان آخر السلاطين العظام في تاريخ الدولة المرينية الذي توفي عام 759هـ ، ورغم وضوح النص فقد وقع الخلط في الجزء الثاني من (جامع القرويين) حيث ذكر الدكتور التازي أولا تاريخ 756هـ ثم عاد الى القول بأن الفراغ منها كان سنة 755هـ[4] . ولهذا لزم التنبيه والاشارة إلى قراءة (الفرد بل)[5] الذي قام بعمل قالب جبص لدراسة النص المذكور وأكد أن (الفراغ منه آخر شعبان المكرم عام ستة وخمسين وسبعمائة)[6].

---

(1) دراستنا (القاهرة المغربية)، مجلة التربية الوطنية الرباط يونيو 1960م عن تلك الاحداث.

(2) كتابنا تاريخ شالة لمعرفة مكان دفنه الاول ثم تحويله إلى شالة، وكتابنا الفنون الاسلامية والنقوش العربية لدراسة شاهد قبر أبي الحسن وكتابنا حفائر شالة لدراسة قبة ضريحه.

(3) الاستقصا 182/3

(4) جامع القرويين 363/2 و364.

(5) الفرد بل : الجريدة الاسيوية ج 12 نوفمبر ديسمبر 1918 ص 342 نقوش فاس العربية.

(6) دراستنا الكاملة للنص (على هامش نداء اليونسكو لانقاذ آثار مدينة فاس : تصويبات لبعض أخطاء بالمدرسة البوعنانية ومتحف البطحاء بفاس)، فقد لفت نظرنا لوح رخام ثبتته البلدية بمدخل المدرسة هذا نصه : مدرسة البوعنانية أسسها أبو عنان المريني بتاريخ 759 هجرية.

وكانت جملة الاخطاء الواردة برخامة البلدية سبب تقييد ذلك البحث ونشره بمجلة دعوة الحق بالرباط (شكل 122).

(2) المدن المرينية الجديدة

وكانت الظاهرة الثانية في حضارة المرينيين[1] تنعكس من شعورهم بالحاجة إلى إقامة مدن جديدة[2] فقد أنشأ يعقوب بن عبد الحق فاس الجديد ثم البنية بالجزيرة الخضراء، وجاء خلفه أبو يعقوب يوسف فبنى معسكرا حربيا بازاء تلمسان أثناء حصارها الطويل الشهير سنة 700 وظل يتسع ويزداد بالمرافق والمنشآت حتى تحول إلى مدينة عرفت بمنصورة تلمسان، ثم بنى أبو سعيد عثمان مدينة افراك على سبتة كما بنى أبو الحسن منصورة سبتة وأسس سنة 739 هجرية أسوار شالة الحالية[3] ومداخلها المحصنة وعددا من القبات والملحقات.

وقد بلغ شوق أبي عنان إلى استطلاع أحوال جبل طارق وعمارة والده أبي الحسن بها حدا كبيرا يقوم دليلا على عناية المرينيين الفائقة بالمدن الجديدة. فمما رواه ابن بطوطة عن سيرة أبي عنان قوله (وبلغ من اهتمامه أيده الله بأمر الجبل، أن أمر ببناء شكل يشبه شكل الجبل المذكور يمثل فيه شكل أسواره وأبراجه وحصونه وأبوابه ودار صنعته – التي أنشأها والده أبو الحسن – ومساجده ومخازن عدده وأهرية زروعه وصورة الجبل وما اتصل به من التربة الحمراء، فصنع ذلك بالمشور السعيد بفاس وكان شكلا عجيبا أتقنه الصناع اتقانا لا يعرف قدره إلا من شاهد الجبل وشاهد هذا المثال، وما ذلك الا لتشوقه إلى استطلاع أحواله واهتمامه بتحصينه واعداده[4]...) وهكذا يكشف لنا ابن بطوطة عن اشتمال البلاط المغربي بفاس على قسم خاص بصنع نماذج المنشآت المجسمة للمدن والحصون وما يحتاجه ذلك العمل الهندسي والعلمي من آلات وأدوات وخرائط وعلماء وصناع بلغ اتقانهم تلك الاعمال حدا يثير الاعجاب.

أولا : بناء المدينة البيضاء فاس الجديد وملحقاتها

جاء في وصف المغرب أيام أبي الحسن، وهو المقتبس من الباب الثالث عشر من كتاب مسالك الابصار في ممالك الامصار[5] ان المرينيين نقلوا عاصمة ملك المغرب من مراكش الى فاس التي بنوا في موازاتها ثلاث مدن، مع وصف دقيق لمواقع تلك المدن الجديدة، وهكذا

---

(1) كانت الظاهرة الاولى بناء المدارس

(2) عثمان عثمان : تاريخ شالة الاسلامية، الفصل الثامن.

(3) عثمان عثمان : حفائر شالة الاسلامية، الفصل الاول.

(4) انظر رحلة ابن بطوطة وما نقله المرحوم عبد الله كنون في النبوغ ج 1 ص 201.

(5) موسوعة كبرى لابن فضل الله (700 ـــ 749) لم ينشر النص العربي بالكامل، التفاصيل بكتاب المنوني ورقات ص 287.

نقرأ أن المرينيين (أبو الا أن يتخذوا لهم مدينة فاس دار ملك، فاستوطنوها وبنوا معها ثلاث مدن موازية لها على ضفة الوادي المعروف بوادي الجواهر غربا بقبليه).

1 - المدينة البيضاء :

(فأولها المدينة البيضاء وتعرف بالبلد الجديد، بناها أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق...) وقد ابتدأ تأسيس فاس الجديد ثالث شوال عام 674 لسكنى السلطان وذويه ثم بنى سنة 679 مؤسسها - أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق - الاسواق من باب القنطرة إلى باب عيون صنهاجة، وبنى بها حماما عظيما وأمر عماله ووزراءه ببناء الديار بها فبنى كل واحد منهم دارا[1].

2 - مدينة حمص :

(ثم مدينة حمص ويعرف موضعها (بالملاح) بناها ولده أبو ابو سعيد عثمان[2] بن أبي يوسف والد سلطانها القائم الان بناها إلى جانب البيضاء)[3]، ويعتقد محمد المنوني أن مدينة حمص[4] التي بناها أبو سعيد عثمان صارت نفس الحي اليهودي القديم المندثر حاليا، ثم ينقل عن الجذوة ان (دار الخلافة اليوم بفاس الجديد وبها الجند وغيرهم، وبإزائها مدينة أخرى تدعى بالملاح لسكنى يهود الذمة، وأما ملاح فاس الجديد فقد بنيت في أيام أبي يوسف يعقوب).. في اليوم الثاني من شوال عام أربعة وسبعين وستمائة وذلك أن عامة فاس مدوا أيديهم الى اليهود.

3 - ربض النصارى :

يذكر أن ابن فضل الله ثالث المدن المرينية الجديدة المشيدة برسم العاصمة أمام فاس العتيق فيقول (وربض النصارى المتخذ لسكنى الطائفة الفرنجية المختصة بخدمة السلطان) وقد اتفق صاحب الزخيرة السنية والخطيب بن مرزوق صاحب المسند المؤرخان المعاصران على أن يعقوب المريني خص النصارى الخدام بمسكن يميزون به عمن سواهم، وهكذا أخرج السلطان يعقوب أجناد الروم الذين يسكنون مدينة فاس عنها وبنى لهم حظيرة بخارج المدينة وأسكنهم فيها ورفع أذاهم عن الناس.

---

(1) ورقات للمنوني ص 25/22 وما نقله عن الزخيرة السنية وغيرها وتعليقات 39، 42 ص 37.
(2) كتابنا تاريخ شالة 290/289، توفي أبو سعيد بن يعقوب سنة 731هـ.
(3) ورقات عن الحضارة للمنوني ص 293.
(4) نفس المصدر ص 27/26 عن أصل الاسم وسبب اطلاقه هنا، وعن المدينة البيضاء انظر دكتور حركات : المغرب عبر التاريخ 154/2.

ويعتقد الاستاذ المنوني (تبعاً لماسبنيون) أن موقع الربض هو المدينة الجديدة الحالية دار الدبيبغ حيث بناية مدينة حمص التي يذكر العمري أنها كانت آخذة الى ربض النصارى ويرى أن المدينة المعروفة بربض النصارى كانت معدة لسكنى فرقة من الروم القشتاليين المحاربين ضمن صفوف الجيش المريني.

ونعود إلى نص العمري لمعرفة مواقع تلك المدن حيث يقول (ويطلق على هذه الثلاث المتخذات اسم فاس الجديد، وهذه المتخذات كلها على ضفة الوادي الغربية.. فربض النصارى[1] يقع قبالة فاس القديمة.. من غير مسامته.. والبيضاء وهي المسماة بفاس الجديد آخذة من شمال ربض النصارى إلى ضفة النهر، وتقع أول عمارة فاس الجديد قبالة آخر عمارة فاس العتيقة، وحمص راكبة على النهر بشمال على جانبي فاس الجديدة آخذة إلى ربض النصارى... وبنيت حمص على ضفته وهي فوق الجميع لان الوادي منها ينحدر على ما نبينه.. وهناك فاس العتيقة على الضفة الشمالية، والقصبة بها في غربيها... وتلك المتخذات كلها على الضفة الغربية، ويبقى النهر مستديرا بفاس الجديد من جانب الشمال على المجرى المركب عليه حمص ومن الشرق حيث انعطف النهر حيث فاس العتيقة)[2].

ويقارن العمري بين مدينتي فاس العتيقة والجديدة المحدثة بأقسامها الثلاثة فيقول (وتزيد فاس الجديد على فاس العتيقة في الحصانة والمنعة، والعتيقة بسور واحد من الحجارة والجديدة بسورين من الطين المفرغ بالقالب من التراب والكلس المضروب وهو أشد من الحجر.. وعمائر القديمة كما قدمنا... بالآجر واما المتخذات فغالبها بالقالب.. وسقوفها بالاخشاب).

ويخلص العمري إلى القول أن (جملة فاس الان ما نذكره : مدينة الاندلسيين ومدينة القرويين ومدينة البيضاء ومدينة حمص، وربض النصارى، والقصبة وفاس القديمة لجميع الاندلسيين والقرويين، وفاس الجديدة لجميع البقية وهي البيضاء وحمص والربض ويطلق على الجميع اسم فاس[3].

---

(1) كان هذا الربض يسمى بالملاح عند ابن الخطيب وابن خلدون، ولعل التسمية جاءت من المكان الواقع به الربض حيث كان موضع مدينة حمص (وهو مجاور للربض) يسمى بالملاح وسرى الاسم للدلالة على البنائين المحدثين به : الربض مع مدينة حمص، ورقات للمنوني ص 27.
وينبه المنوني إلى أن ربض النصارى غير الشكنة التي بناها يعقوب لسكنى الفرقة المسيحية، فالربض موقعه بالمدينة الجديدة أما الشكنة فكانت بالمرسى القديم خارج باب الشريعة، والشكنة بناها يعقوب 659هـ قبل تأسيس فاس الجديد 674هـ، أما الربض فقد بني بعد انتقال مقر الدولة من قصبة النوار الى المدينة البيضاء، نفس المصدر ص 27.

(2) ورقات ص 294/293.

(3) نفس المصدر ص 296.

ثانيا : تأسيس حصن تاوريرت وبناء مدينة وجدة

ذكر السلاوي في الاستقصا وابن أبي زرع في القرطاس خبر تأسيس السلطان يوسف ابن يعقوب بن عبد الحق لحصن تاوريرت وخلاصته أن السلطان أبا يعقوب يوسف خرج عام 694 هجرية لغزو تلمسان فوصل تاوريرت وكانت تخما لعمل بني مرين وبنى عبد الواد فطرد عامل عثمان بن يغمراسن وشرع في بناء الحصن فأدار سوره وشيد وركب أبوابه مصفحة من الحديد وفرغ منه في رمضان وعقد عليه لاخيه ابي بكر بن يعقوب(1).

وفي سنة 697 هجرية (الاستقصا) أو سنة 696هـ (القرطاس) خرج السلطان يوسف من فاس غازيا تلمسان ومر في طريقه بوجدة فأمر ببنائها (وكان أبوه يعقوب قد هدمها) وحصن أسوارها وبنى بها قصبةً وداراً لكسناه وحماماً ومسجداً ثم سار إلى تلمسان(2).

ثالثا : منصورة تلمسان الجديد

سبق لنا بالفصل الثالث من هذا الكتاب دراسة بناء وتأسيس منشآت تلمسان الجديد في عصر السلطان أبي يعقوب يوسف المريني والظروف السياسية التي أدت إلى البناء والتأسيس. لقد بقي من آثار العمارة والفنون الشيء الكثير بنفس الموقع فلازالت الصومعة بجلالها ونقوشها وأبعادها الهائلة والاسوار والابواب عمارتها ونقوشها شاهدة على وجود الفن المريني بكافة أوجه نشاطاته بالموقع الاثري.

ونضيف الان بحثا حول انسحاب السلطة المرينية من تلمسان الجديد، فقد درست بكتابي الفنون الاسلامية والنقوش العربية بالمغرب الاقصى رخامة أثرية وجدتها بشالة تحمل تاريخ وفاة السلطان يوسف بن يعقوب. هذه الرخامة عبارة عن شاهد قبر تعرف (بالروسية) لأنها رخامة مستطيلة تنتصب واقفة عند رأس المتوفى بينما شاهد القبر المنشوري الشكل يجلس بطوله على الارض فوق القبر. نشرت بالفصل الخامس من كتابي المذكور دراسة بعنوان (كتابات ومشاكل) بها قراءة النص الذي لم يعثر عليه العالمان باسيه وليفي بروفنسال عند وضع دراستهما الموسعة حول شالة(3).

وتشير الأسطر الثلاثة الأخيرة أرقام 15،16،17، إلى أنه استشهد أي مات مقتولا :

---

(1) الاستقصا 76/3 والقرطاس ص 266.

(2) كتابنا تاريخ شالة ص 288.

(3) شالة روضة مرينية (بالفرنسية) هسبريس 1922 ج1 و2 ص 40 (الرخامة مفقودة وكان بالمتحف البريطاني نسخة منها على الورق نقلها مساعد القنصل الانجليزي وترجمها تيسو).

(روحه وشرفه وضريحه تو في شهيداً، في يوم الاربعاء السابع لشهر ذي القعدة ستة وسبعمائة)، وذلك دون أن يذكر النقش مكان القتل أو الدفن.

لقد أوضحت مفصلا الظروف السياسية والعسكرية التي أملت على النقاش إغفال ذلك لان بقاء المدينة بيد المرينيين في تلك الظروف كان أمراً محفوفاً بالمخاطر بعد اغتيال السلطان، وعندما تمت البيعة لابي ثابت عامر حفيد يوسف استشار الحاشية في أمر حصار تلمسان فأشاروا بالرحيل فصالح أبا زيان محمد بن عثمان بن يغمراسن وصرف اليه جميع البلاد التي أخذها جده يوسف وارتحل في غرة ذي الحجة 706هـ[1]. ولهذا لم يكن ممكنا ترك جثمان سلفه هناك فحمله وحمل معه شاهد القبر الذي نقش بعد القتل بتلمسان ولم يتضمن الاشارة الى المكان، لكن اسم منصورة تلمسان ورد على جزء من شاهد قبر منشورى بطرفه الأيسر (... في سبيل رب العالمين أبو الحسن ابن الخلفاء الراشدين بقصرهما المبارك بمنصورة تلمسان الجديدة)[2].

رابعا : أسوار ومنشآت شالة المرينية[3]

كان لموقع شالة الاستراتيجي وطبوغرافيتها المتميزة الأثر الكبير في عمران الموقع منذ القدم، وأثناء الفترة التاريخية باستقرار الفينيقيين، وكمركز هام للقرطاجنيين الغربيين، كما بلغت كمستعمرة رومانية أوج ازدهارها في النصف الاول من القرن الثالث للميلاد وعادت إلى مجدها طول العصر البيزنطي حتى ظهور الاسلام.

افتتحها سيدي عقبة بن نافع سنة 62هـ ثم المولى ادريس الاكبر سنة 172 للهجرة وأصبحت مركزا اداريا إلى أن استأثرت بكرسي الحكم ومقر الرئاسة أيام بني يفرن من زناتة.

فكما كانت الرباط العاصمة الثانية للموحدين بعد مراكش، كانت سلا عاصمة المرينيين الثانية بعد فاس فالتفت نظرهم لأهمية المنطقة بالنسبة للجهاد المقدس بالاندلس، فبدأ يعقوب ابن عبد الحق اتخاذ موقع شالة حرما لاستقبال الشهداء من المجاهدين ودفن بها زوجته ثم تبعها هو فأقبر بها، فبعد أن كانت شالة مدينة للأحياء بنشاطها السياسي والعسكري والتجاري[4] منذ قرون تحولت إلى مدينة كاملة للأموات فقد ادار أبو الحسن السور سنة 739هـ وتتابع تأسيس المنشآت بعد أن شيدت زاوية أبي سعيد داخل الخلوة وتم توسيع المسجد العتيق،

---

(1) روض القرطاس ص 269.
(2) كتابنا الفنون الاسلامية والنقوش، به الدراسة المفصلة.
(3) سبق دراستها بالفصل الثالث من هذا الكتاب.
(4) كتابنا تاريخ شالة الاسلامية بحث مفصل لتاريخ شالة الحي النشيط بعد أن درسها ليفي بروفنسل وباسيه كروضة مرينية فقط.

وازدهرت زاوية سيدي عبد الله اليابوري الوافد من يابورة بالاندلس وتنوعت الانشطة الدينية بالزوايا والقباب داخل وخارج الخلوة ضمن حدود شالة وأسوارها تعج بالأحياء من القراء والحفظة والشيوخ والمريدين.

وقد قلت أهميتها بتحويل الدفن إلى مدافن القلة بفاس بعد استقبال فاس لجثمان أبي عنان، لقد انتهت الحرب المقدسة بعد هزيمة أبي الحسن في واقعة طريف[1] فاهملت شالة نحو قرن من الزمان إلى أن خربها أحمد اللحياني[2] الثائر على عبد الحق آخر ملوك بني مرين أواخر القرن التاسع فقد نهبت خزائن كتبها وحمل ما فيها من نفائس وتحف محبسة وتفرق جمع الطلبة القائمين بتلاوة الذكر فهجرت شالة وجفاها سكانها وتحولت إلى حرم آمن للخلوة احترم بها لسان الدين بن الخطيب وسيدي عبد الله اليابوري وتلميذه سيدي بن عاشر دفين سلا.

(1) كتابنا حفائر شالة لدراسة قاعة اسميناها قاعة شهداء طريف.

(2) كتابنا تاريخ شالة بالخاتمة موجز تاريخ شالة.

(3) القصور المرينية والمساكن ودار السكة

القصور المرينية

في مجال العمارة المدنية شيد المرينيون عدة قصور بالقرن السابع والثامن لم يحفظها التاريخ سالمة بحيث يصعب معرفة ما يحتفظ به القصر الحالي بفاس الجديد من آثار العمارة القديمة، فنحن نعرف فقط موقع المساحة المسماة (أمينة المرينية) الذي يشير بدون شك إلى حدائق (للأمينة) المحاطة بسور المرينيين[1].

لقد كان لملوك بني مرين ذوق فني واحساس مرهف في تشييد القصور، ودراية بالتصميم والزخرفة، نقف عليها من مراجعة المسند الصحيح الحسن الذي وضعه الخطيب ابن مرزوق في ذكر مآثر السلطان أبي الحسن المريني فهو يروي قصة بناء أبي الحسن لقصر تلمسان في مدة أسبوع[2] لاستقبال زوجته الأميرة الحفصية. لقد وضع تصميمه بنفسه ووقف على العمال والصناع والفعلة والقائمين على البناء يوجههم ويشرف على التنفيذ إلى أن تم البناء واستقبل بالقصر الجديد زوجته التي أبى أن ينزلها أثناء قدومها من افريقية (تونس) إلى المغرب بقصر سبق لأميرة أخرى النزول فيه.

ويروي ابن خلدون أن السلطان أبا الربيع المريني (708—710هـ) اشترى عدة منازل بفاس وحولها إلى قصور ووصف ابن خلدون تلك القصور، ودرس الفرد بل مساكن بني مرين ووصفها وجمع بقاياها بمتحف البطحاء بفاس[3].

أولا : القصر الملكي بفاس الجديد

أمدنا العمري في مسالك الابصار[4] بمعلومات أثرية تتعلق بعمارة القصر الملكي الذي شيده المرينيون بفاس الجديد، فوصف البناء وارتفاعه وضخامة قبابه ومجالسه السلطانية والبركة الممتدة أمام قبة الرضا تسبح فيها المركب، وبستان القصر ومغروساته وقنوات المياه وقناطرها، يقول العمري :

---

(1) مارسيه : العمارة الاسلامية ص 310.

(2) المسند لابن مرزوق (مخطوط بالخزانة العامة بالرباط) للوقوف على جميع منشآت ابي الحسن المريني ووصفها الدقيق من شاهد عيان لازم السلطان في كل اعماله.

(3) مارسيه : نفس المصدر، القصر المريني بالمنصورة ص 310، قصر العباد الصغير ودار الفتح التي بناها أبو الحسن ص 311، مساكن فاس ص 313، فنادق فاس ص 314، فندق التوفيقية بفاس ص 315، ومن المفيد الرجوع الى كتابات الفرد بل في الجريدة الاسيوية منذ عام 1917م حول آثار فاس ونقوشها دراسة تطبيقية.

(4) نقل النص بكتاب المنوني ورقات عن الحضارة ص 290، وانظر ص 16 بنفس المصدر.

(... وكان السلطان في بر العدوة، وهو بفاس الجديد المسماة بالبيضاء، في دار لا يختص فيها بزيادة رفعة على بشر ولا ربوة..

والقصر وهو على البناء ذو قباب علية ضخمة لائقة بالملوك، وغرف مرتفعة، وزخارف ومجالس سلطانية.

وبداخله القبة المعروفة بقبة الرضا وهي قبة عظيمة الارتفاع، خارقة الاتساع، وقدامها بركة ممتدة، بها مركب لاتساعها وكبرها، وخلفها بركة أخرى مثلها، بها مركب آخر لاتساعها وكبرها، ومساحة المركبين واحدة، والقبة العظمى بينهما، وفي جميع جدر القباب[1] شبابيك مطلة، والبستان حاف بالجميع وهو بستان جليل منوع بصنوف الأشجار والغراس على اختلافها ويجري الماء إلى قصر السلطان من مكان يعرف بأسايس[2] على بعد نصف نهار وأقل مرفوعا في قناة على قناطر مبنية.

واسطبلاته الى جوانب قصره، لا يسكن معه في قصوره الا حريمه وفتيانه.. ويبيت حوله في ظاهر قصره طائفة من الفرنج وأناس يعرفون بالعدويين بمنزلة النقباء ووصفان السلطان، ولا ينازله في قصره أحد من الأشياخ ولا الجند ولا الغرباء...).

الدار البيضاء وقصر رأس الماء :

الدار البيضاء : ذكر صاحب روض القرطاس بناء الدار البيضاء من البلد الجديد عام 686 هجرية (1288/1287م)، ويذكر العلامة المنوني أن قطعة من روض القرطاس بها زيادات على المطبوع تشير إلى أن هذه هي دار الدبيبغ التي يقال لها الدار البيضاء، كما يذكر رواية ابن خلدون في العبر بأن السلطان أبا سعيد أنزل ابنه أبا الحسن بالدار البيضاء من قصوره.

هذا وقد استمر الاسم معروفا إلى عهد السعديين، وجاء السلطان عبد الله العلوي فشيد قصراً بدار الدبيبغ سنة 1154 هجرية[3] (1742/1741م) ، وتبعا لابن زيدان في (الدرر الفاخرة) فان بقايا القصر العلوي كانت مقراً لادارتي المالية والمدفعية بفاس سنة 1336هجرية (1937م).

---

(1) القبة في الاصطلاح المغربي تعني الحجرة الكبيرة كيفما كان نوع تغطيتها فليست بالضرورة مغطاة ببناء نصف كروي حسب المفهوم المشرقي للقبة.

(2) يشرحها المنوني بالبسيط الفسيح بين مكناس وفاس حيث ينبع هذا الماء من الموضع المعروف باسم (رأس الماء)، انظر ص 290.

(3) المنوني : بحثه بمجلة المناهل، الرباط ديسمبر 1979 ص 242 وما بعدها.

قصر رأس الماء :

أما قصر رأس الماء فإنه تبعا لاشارات الجزنائي وابن الاحمر كان من بناء ابي سعيد الاول، غربي فاس مشرفا على منابع وادي الجواهر، ويرجح العلامة المنوني اعتبار الاطلال القائمة على تلك الربوة من بقايا القصر المذكور وربما كان الباب الكبير المتبقي بالاطلال هو نفس المدخل الرئيسي لتلك البناية التاريخية[1].

وعن قصور فاس ورياضها جاء بروضة النسرين ذكر عناية يعقوب مؤسس الدولة المرينية هو وبنيه بقصور فاس الجديد (وكلفت همم الملوك من بنيه بها فشيدوا القصور الضخمة الرائعة المنظر المختلفة الاسماء)، وورد بنفاضة الجراب قصة الحريق الذي التهم تلك القصور (الا ان النار... عدت على هذه المدينة فاصطلمت القصر المعروف بابي فبر مطرح الأموال المجموعة... المشتملة دوره وزواياه على الكثير من عدد الملك، وآلات الحركات، واجرام المنشآت، وثمين السلع من اللك.. والعاج والابنوس والصندل وشبهه.

ثم تعدت الى دار الصنعة وبها ما لا يأخذه الوصف من السروج والمهندات ونقر الذهب والفضة، الى الموازين وآلات الخيل.

ثم اتصلت بدار الديباج فالتهمت الحرير والاثواب وآلات النسيج ضخام المناول...)[2] ويعتقد العلامة المنوني أن السعديين جددوا عمارة قصر أبي فبر بالبلد الجديد وان الاسم تحريف عن أبي فهر الذي أطلق على روض ملكي فاخر في كل من تونس وتلمسان.

وكان من عمائر المرينيين مجالس يتخذها عظماؤهم للنظر في تسيير القضايا الهامة تختلف اسماؤها تبعا لنوع القضايا، فمجلس الفصل قبة عظيمة بمشور القصر الملكي بفاس الجديد للفصل في القضايا الكبرى ومجلس أهل الشورى بالمشور يشاور فيه الملك رجال الدولة، ومجلس العرض ببرج الذهب ببستان المسرة خارج فاس الجديد وقبة العدل التي أسسها أبو الحسن بسبتة وتلمسان لسماع الشكايات[3].

ثانيا : عمارة المساكن المرينية

يصف أبو فضل الله العمري المعاصر لدولة المرينيين بناء وزخارف المساكن المرينية فيقول في مسالك الابصار (وعمائر العتيقة.. بالآجر واما المتخذات فغالبها بالقالب.. وسقوفها

---

(1) نفس المصدر.

(2) المنوني : ورقات ص 32/31

(3) نفس المصدر ص 61/60.

بالاخشاب وربما قرنصت بعض السقوف بالقصدير والاصباغ الملونة)، وفكرة السقوف المقرنصة ليست جديدة على العمارة المغربية فالحجرات أو القاعات الفسيحة تغطي بالبرشلة وهي هياكل هرمية من الخشب تغطى بالقصدير وتصمم بأركانها الداخلية المقرنصات الخشبية الملونة بالأصباغ.

ونعود إلى وصف مسالك الابصار (وتفرش دياراتهم بالزليج، وهو نوع من الآجر كالقاشاني بأنواع الالوان... وغالبه من الأزرق الكحلي، ومنه ما يتخذ منه وزرات حيطان الدور، أما دور هؤلاء ــ يقصد غير الرؤساء ــ فتفرش بآجر يسمى المزهري)[1].

ويلفت النظر هنا استعمال أبي فضل الله العمري للمصطلح المشرقي (القاشاني) وهو نوع من الفخار المزجج، أو ذي البريق المعدني أحيانا، نسب إلى مدينة قاشان لشهرتها التاريخية في صناعته ولازال المشارقة الى اليوم يستعملون هذا الاصطلاح للاشارة إلى أنواع الخزف المعدة لتغطية الجدران وخاصة أجزاءها السفلى المسماة وزرات، أما المزهري فهو نوع من أنواع الزليج المغربي مربع الشكل طول ضلعه عشرة سنتيمترات غير مطلي يوجد منه مثال مكتشف ضمن نتائج حفائرنا الأثرية حول قبر أبي سعيد عثمان بشالة[2].

ويعود العمري إلى وصف العمارة فيقول (ولأهل فاس ولع ببناء القباب فلا تخلو دار كبيرة في الغالب من قبة أو أزيد).

ثم يفصح العمري عن تخطيط المسكن أيام المرينيين ويقول (وصورة أبنية دورهم : مجالس متقابلة على عمد من حجر أو آخر، ورفاف مطلة على صحن الدار، وقدامها طيافير يجري الماء اليها، ثم يخرج بركة في وسط الصحن..)، فهذه فكرة التخطيط الاساسية في الطوابق السفلى للمساكن المرينية... صحن فسيح يتوسطه صهريج تنحدر إليه الأمواه[3]، وتحيط بالصحن بوائك ترتكز عقودها على سوارٍ (أعمدة) من الحجر أو الآجر، وكثيرا ما تكون أعمدة من الرخام الرقيق منحوتة تيجانها، وخلف البوائك سقيفة في كل جانب تغطيها أسقف منحدرة تعلوها قوالب القرمود الأخضر، وتحتل جانبي البناء الطويلين قبتان متناظرتان فسيحتان، وتقع على الجانبين الضيقين قبتان أخرتان أصغر مساحة.

---

(1) نقل المنوني النص في كتابه ورقات ص 297/295.

(2) كتابنا دراسات جديدة في الفنون الاسلامية والنقوش العربية بالمغرب الاقصى : ص 113 وكتابنا حفائر شالة الاسلامية شكل 74.

(3) يحب المغاربة التكثير (الماء يصبح امواه) ويحبون التصغير فالكأس يصبح (كويس).

ثالثا : مساكن الخواص بفاس

وقد درس الفرد بل أحد مساكن فاس من القرن الثامن الهجري[1] كمثال لعمارة المساكن المرينية. وخلاصة دراسته دارت حول منزل من منازل الخواص فيما يعرف بسويقة الدبان (EDEBBAN) قرب سوق العشابين علماً بأنه ربما وقع تعديل في ذلك البناء. وتخطيط الطابق الأرضي عبارة عن أربعة قاعات فسيحة مستطيلة تفتح على صحن أو ساحة الدار (ATRIUM) التي يجب أن تكون مبلطة مثل الحجرات برخام أو تربيعات الزليج التي ضاعت آثارها حاليا.

ويمكن الوصول الى ساحة الدار عن طريق باب مستطيل بالواجهة الخارجية تجاه الجنوب يؤدي إلى ممر مظلم ذي لوية تجاه اليمين، ولاشك أن البنّاء تعمد ذلك حماية لحرمة أهل الدار، والصحن ذو تخطيط مربع تتوسطه خصة أو حوض تلاشى حاليا بسبب تراكم المخلفات وكسرات البناء فوق الصحن مع مرور الزمن.

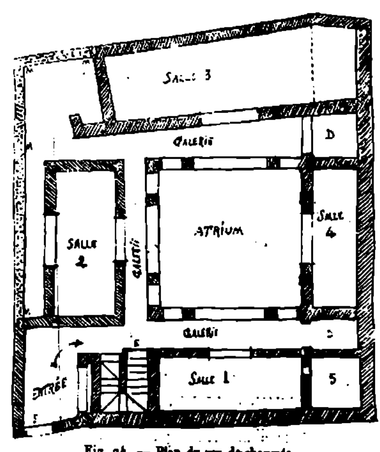
وحول الصحن أروقة (GALERIES) مغطاة تتقدم الحجرات من ثلاث جهات فقط (شكل 123) وترتفع أسقف الأروقة فوق عشرة أعمدة أربعة منها للاركان وستة أخرى مستقلة (ISOLÉS) وقد عثر على جزء من زخارف اطار من الجص (Panneau de plâtre) داخل القاعة الشرقية تظهر به الزخارف الهندسية المضفرة (entrelaces géometriques) التي تصنع نجمات ذات ثمانية أركان وسطها كلمة (البركة) رسمت بالاسلوب الاندلسي (شكل 124).

وقد تبقت من زخارف الدار المرينية حشوة (Panneau) من الخزف ذات اطار كتابي نقرأ فيها (الحمد لله على نعمه) بأسلوب أندلسي جميل بلون مائل إلى السواد فوق فرع نباتي، ويتوج الشريط الكتابي كما هي العادة شرفات (Merlons) متبادلة بالتناوب من لون بني مائل للسواد وتحت تلك الحشوة يوجد تعشيق من النجارة.

ومن الكتابات الأخرى نقرأ في موضع آخر عبارة (اليمن والاقبال وبلوغ الامال...) (شكل 125) وفي نص مماثل نقرأ (والعافية الدائمة...) كما حفر في الخشب (الغبطة المتصلة والبركة الكاملة)، وتوجد حشوة من الزليج نقرأ باطار كتابي يتوجها (اليمن والاقبال وبلوغ الامال) بالدفة اليمنى لباب الدخول وبعدة مواقع توجد زخارف محورة عن الكتابة الكوفية (شكل 126).

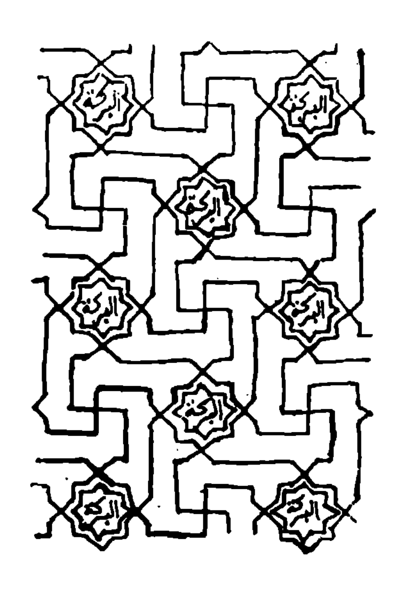
---

(1) الفرد بل : دراسته المفصلة الميدانية المنشورة بالجريدة الاسيوية يناير / فبراير 1919 والتخطيطات والرسوم المحلقة بها.



شكل 123

تخطيط الطابق السفلي بأحد مساكن فاس من القرن الثامن

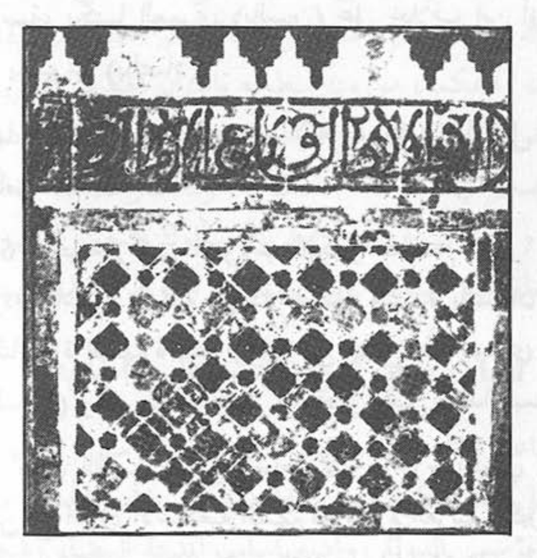


شكل 124

زخارف جصية بالقاعة الشرقية وكلمة (البركة) داخل نجمة بمسكن عربي من القرن الثامن

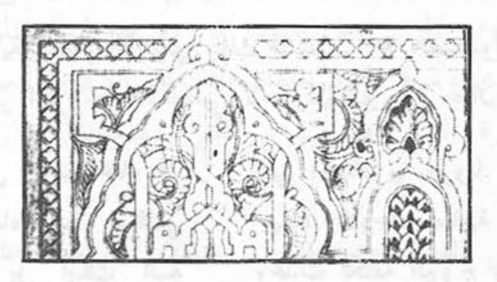
رابعا : دار السكة

وهي دار ضرب العملة المرينية، أسسها يعقوب بن عبد الحق[1] المؤسس الحقيقي للدولة بالبلد الجديد الدار البيضاء أو فاس الجديد، عبارة عن ساحة متوسطة حولها مساكن للعمال ويوسطها مكان الناظر والعدول والكتّاب، وقد نقلت من قصبة فاس القديم إلى موقعها بالمدينة الجديدة قرب دكاكين الصاغة والأمين.



شكل 125

كتابة نسخية في الزليج (اليمن والاقبال وبلوغ الآمال) بالمسكن العربي من القرن الثامن



شكل 126

زخارف محورة عن الخط الكوفي بمنزل عربي بفاس من القرن الثامن

(1) وانظر (فاس الجديد مقر الحكم المريني) للمنوني بمجلة البحث العلمي عدد مزدوج 11 و12.

(4) البساتين وقناطر الماء وناغورة فاس الجديد

أولا : حديقة المصارة

تعنى كلمة (المصارة) بضم الميم، الموقع الذي تمصر فيه الخيل، وقد عرفت منذ صدر الدولة المرينية وتعنى الحديقة والبستان، وتعني بالاندلس الفضاء الواسع خارج المدينة لعرض الجيوش وألعاب الفروسية، يكتبها العمري (بالسين) على خلاف ابن أبي زرع والنميري وابن الخطيب وابن الاحمر يكتبونها (بالصاد)[1].

ويحتمل وقوعها قرب الملعب المخصص لالعاب الفروسية على ضفة وادي الجواهر بالضاحية الشمالية لفاس الجديد.

ومنذ عام 685 هجرية ركب الدولاب الكبير المنفسح المدار على وادي الجواهر ثم غرست المصارة، ووردت اشارة تاريخية إلى دار فخمة مشيدة بالبستان من عصر أبي الحسن المريني حيث كانت الناعورة الشهيرة تبعا لرواية ابن فضل الله العمري (ترفع الماء إلى بستان السلطان المعروف (بالمسارة) وهو بستان جليل فيه قصر جميل وهذا البستان خارج المدينة..).

وقد ورد ذكر ذلك القصر بفيض العباب لابن الحاج النميري وقد صنفه منذ عصر أبي عنان ابن أبي الحسن مع المباني الاسلامية الشهيرة والمعالم العربية الكبرى كالخورنق والسدير والجعفرية. ويزيد النميري فيذكر خبر الدولابين القديمين بالحديقة المرينية وهما الناعورة الكبرى والناعورة الصغرى المتصلين بسور المدينة البيضاء بالاضافة إلى خمسة دواليب جديدة لأبي عنان شيدت على مرتفع المصارة لتنظيم سير المياه بالدولابين الكبيرين.

وقد بلغ من عناية النظام الاداري بتلك المنشآت ان خصصوا ناظراً لروض المصارة، ووصف المصارة الشاعر الخزرجي المكناسي لأمير المؤمنين أبي عنان فقال :

أحسن بها من روضة غناء قد	غنى الحمام بها طروبا أو شدا
بجانب البيضاء منها مرتقى	جبارة الأرجاء سامية الذرى
ناعورة، لا بل أبثك انه	وغدت تكنفه البروج وقد رقا
فقضى برفع الماء الا انه	قد خفض الادواح عيشا والربى

القناطر وسور الاقواس :

---

(1) المنوني : منشآت مرينية بضاحية فاس الجديد، مجلة المناهل عدد 16 ديسمبر 1979.

شيد المرينيون عشرات القناطر كقنطرة وادي النجا وقنطرة ماريج في عهد يوسف ابن يعقوب الذي ركب الناعورة الكبرى على وادي فاس، كما انشأ أبو الحسن قناطر وادي ردات وقنطرة وادي بسيل، وقنطرة الوادي داخل فاس وغيرها[1].

ووصف السلاوي في كتابه الاستقصا سور الاقواس بسلا قال :[2]

(اعلم أن هذا السور من الهياكل العظيمة التي تدل على فخامة الدولة وكمال قوتها.. مسوق من عيون البركة خارج مدينة سلا على أميال كثيرة ممتدا من القبلة الى الجوف (شكل 127) على أضخم بناء وأحكمه، موزون سطحه بالميزان الهندسي ليأتي جريان الماء فوقه على استواء، ولذلك ينخفض إلى الارض متى ارتفعت ويعلو عنها اذا انخفضت، ويجري على متنه من الماء مقدار النهر الصغير في ساقيه قد اتخذت له، ولما شارف البلد عظم ارتفاعه جداً لأجل انخفاض الأرض عنه، وكلما مر في سيره بطريق مسلوك فتحت له فيه أقواس فسمي لذلك سور الأقواس، وبالجملة فهو شاهد لبانيه بضخامة الدولة وعظم الهمة) (شكل 128).

ثانيا : ناعورة (دولاب) فاس الجديد :

زرت موقع الناعورة الشهيرة وعاينتها للدراسة والرسم والتصوير بين عامي 1957 و1981 حيث هي على بعد خطوات من الجامع الكبير بفاس الجديد منذ شيدها أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق مؤسس الدولة وواضع أساس المدينة البيضاء (شكل 129 — 130).

وهذه الناعورة أو الدولاب المعروف بالمشرق باسم (الساقية) لسقي الزرع، كانت من صنع محمد بن علي بن عبد الله بن محمد ابن الحاج اشبيلي الأصل توفي بفاس الجديد صنعها بأمر سلطان العصر يعقوب المريني على صفتها الواردة على لسان المؤرخين (دولاب يتميز بانفساح القطر وبعد المدى وسعة المحيط المتعدد الأكواب) ذكرها العمري في المسالك بقوله (وهذه الناعورة مشهورة الذكر يضرب بها المثل ويتحدث بها الرفاق) ووصفها ابن الخطيب[3] قال :

وقوراء من قوس الغمام ابتغوا لها	**مثالا أداروها عليه بلاشك**
تصوغ لجين الماء في النهر دائما	**دراهم نور قد خلصن من السبك**

---

(1) حركات : المغرب عبر التاريخ 161/2.

(2) الاستقصا 176/3 ، وكتابنا حفائر شالة الاسلامية اشكال 169/164.

(3) المنوني : فاس الجديد مقر الحكم المريني، مجلة البحث العلمي الرباط عدد مزدوج 11 و12.

ثالثا : بستان للا آمنة

يعرف البستان التاريخي الفسيح بالمدينة الجديدة أو المدينة البيضاء خلف القصر الملكي غربا باسم (عرصة للا مينة) (شكل 131)، والعرصة في المغرب تعنى (البستان)، و(مينة) هي (أمينة) و(للا) تعنى السيدة الشريفة الحسيبة المنحدرة من أصل الشرفاء، فيقال بستان للا آمنة أو عرصة للامينة.

وتنحدر الأميرة المذكورة من البيت المالك المريني فهي ابنة السلطان أبي العباس احمد ابن أبي سالم بن أبي الحسن المريني، ووالدها الملقب بالمستنصر بالله بويع البيعة العامة بالمدينة البيضاء للسادس من محرم سنة ست وسبعين وسبعمائة إلى أن خلع سنة ست وثمانين وسبعمائة ثم بويع مرة أخرى بدخوله فاس الجديد سنة تسع وثمانين وسبعمائة فعرف في التاريخ بذي الدولتين وهو معاصر سلطان المماليك بمصر الظاهر برقوق[1].

ذكر اكنسوس في الجيش العرموم ما حققه العلامة المنوني بمخطوط أصلي للنص بالخزانة الملكية بالرباط (... فيها ــ فاس الجديد ــ زينة تلك الدولة وضخامتها...، فيها مقاعدهم ومنازلهم العالية، ومجالسهم المشرفة على بساتين المستقي المجاورة والموالية، يشقها نهر فاس عرضا.. ويخرج من الجهة الغربية ويخرج من الناحية الشرقية، ومرادهم بالدخول التمتع بالتنزه على ضفتيه واقامة مواسم الأنس حول ضفتيه، وأما سقي العرصة فقد رفعوا له الماء بالدواليب السامية النحاسية وأجروه في القواديس والقنوات الرصاصية، وبالجملة فقد كانت تلك العرصة منية من زينة الحياة الدنيا وجنة حائزة من الابتهاج المرتبة العليا).

رابعا : روض الغزلان

وصف هذا الروض الذي كان (مأوى النعيم والترف) أحد كتاب السلطان أبي سالم ابن ابي الحسن المريني وهو أبو القاسم عبد الله يوسف النجاري من اهل مالقة وهو صاحب كتاب السياسة وذلك في نظم باذن السلطان أبي سالم نقش في طرة قبة رياض الغزلان جاء بها[2] :

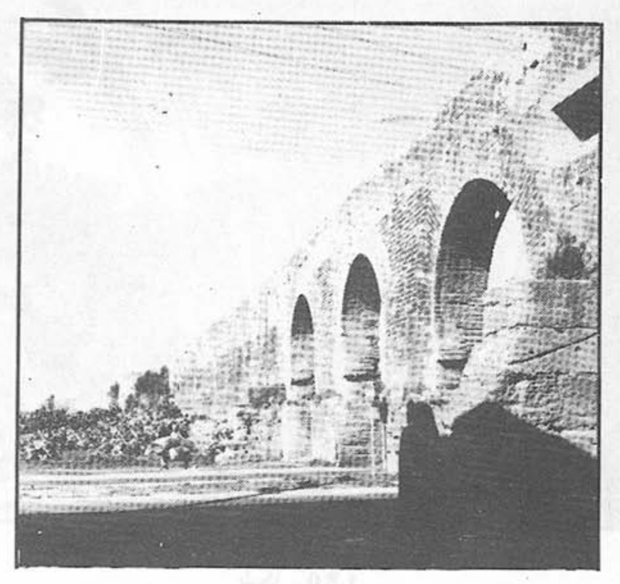
مأوى النعيم به ما شئت من ترف	تهوى محاسنه الولـدان والحور
ويطلع الروض منه مصنعا عجبا	يضاحك النور من لألائه النـور
انظر الى الروض تنظر كل معجبة	مما ارتضاه لـراى الـعين تحبير

(1) نفس المصدر.

(2) السلاوي : الاستقصا 39/4ــ40.

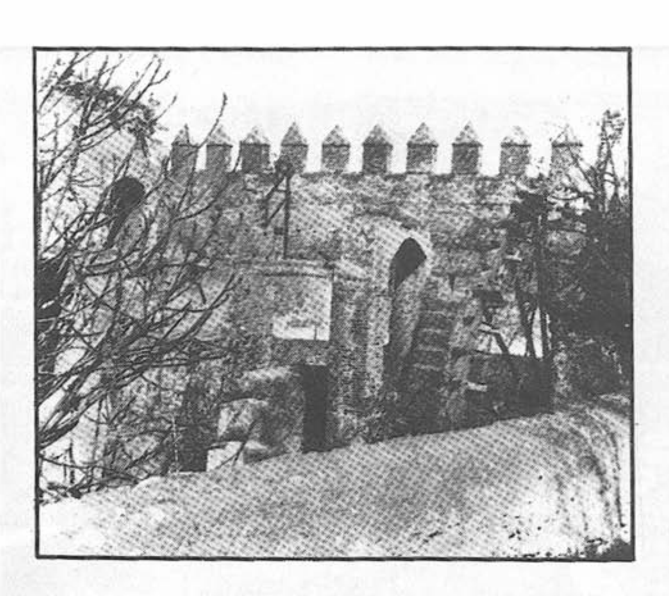
شكل 127

بداية سور الاقواس خارج مدينة سلا



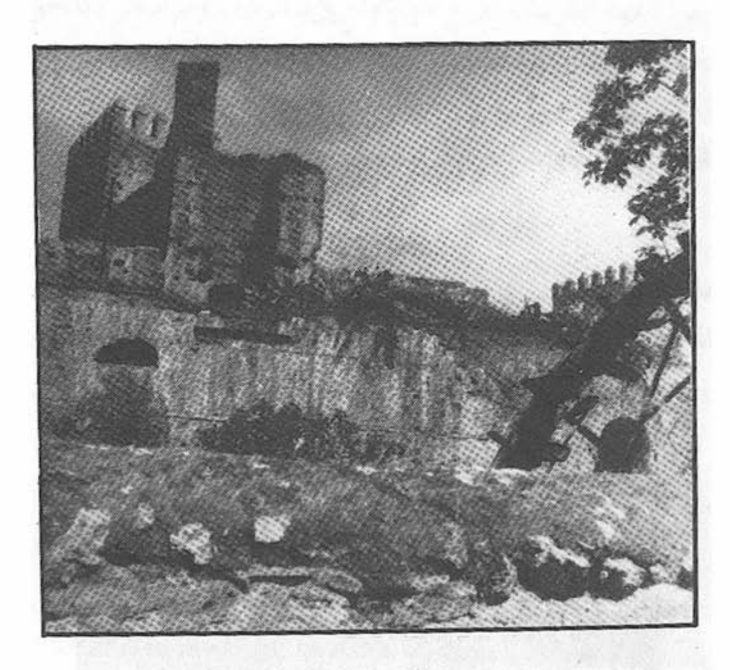
شكل 128

سور الأقواس قبيل وصوله إلى داخل مدينة سلا



شكل 129

موقع وبقايا الناعورة المرينية بفاس الجديد



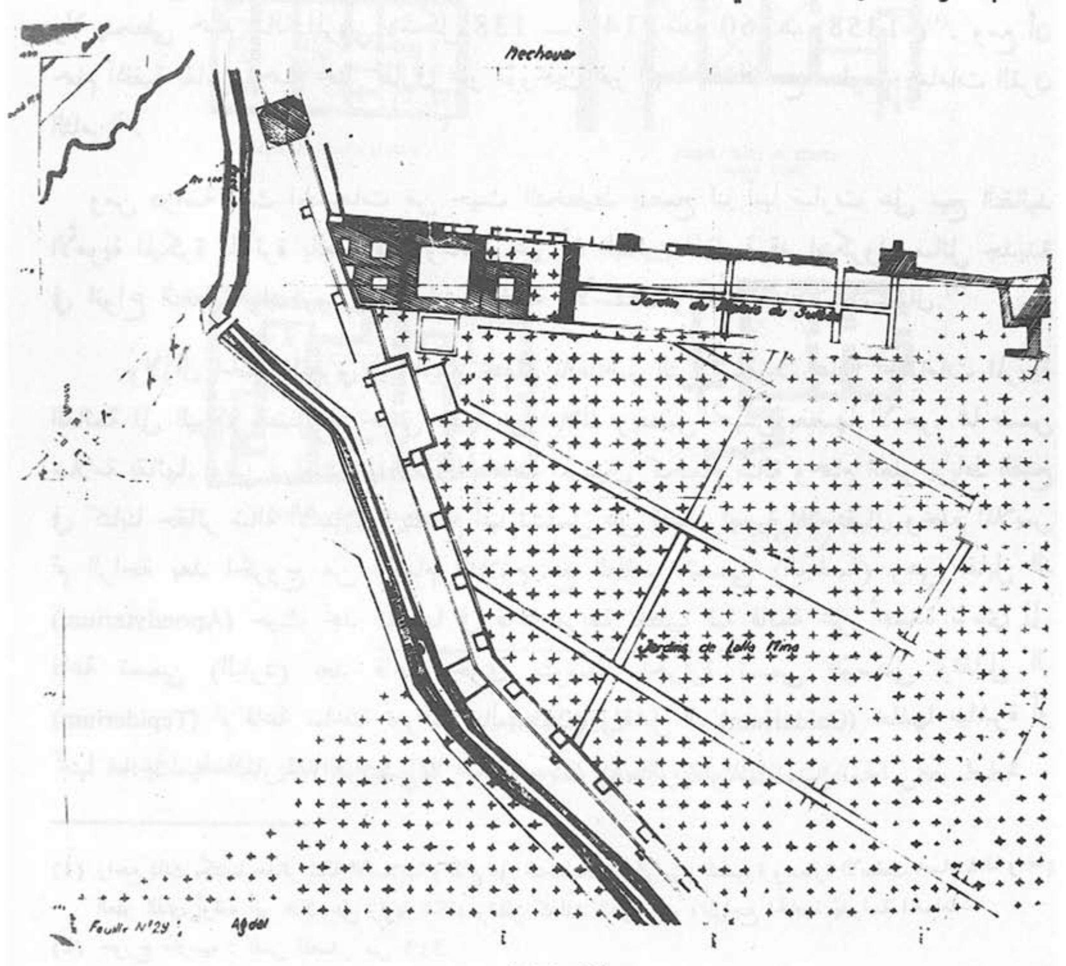
شكل 130

موقع بقايا الناعورة المرينية كما شاهدتها وصورتها في وقت دراستها

والنهر شق بساط الارض تحسبه سيفا ولكنه في السلم مشهور
هذي مصانع مولانا التي جمعت شمل السرور وأمر السعد مأمور
وهذه القبة الغراء ما نظرت لشكلها العين الأعز تنظير

ومن تلك الابيات المختارة من القصيدة الطويلة المنقوشة في طرة قبة رياض الغزلان نقف على وصف الروض وعجائبه والنهر والبساط والمباني (المصانع) والقبة الغراء والمقاصير التي احتوتها تلك العمارة بين جنبات الروض والنهر.

وفضلا عما سبقت دراسته من منشآت المرينيين المعمارية المدنية المتنوعة الأغراض تبقى ملاعب الرياضة والفرجة التي ذكرها لسان الدين ابن الخطيب في معيار الاختيار.



شكل 131
المشور وحدائق السلطان وبستان للاآمنة

(5) الحمامات المرينية

وإلى نفس العصر يرجع عدد هام من الحمامات الاسلامية (شكل 132) كحمام وجدة الذي بني في عصر بناء القصبة والمسجد الكبير على عهد أبي يعقوب يوسف المريني 696 هجرية (1296م)، وحمام العباد الصغير الملحق بضريح سيدي أبي مدين الغوث والمسجد الذي بناه أبو الحسن عام 739هـ (1339م) ويرجع حمام العلو بالرباط المعروف بالحمام الجديد (شكل 133 ــ 137) إلى حوالي سنة 755هـ (1355م) وتشهد لوحة تحبيسه الموجودة حاليا بالجامع الكبير برباط الفتح أن أبا عنان المريني كان قد حبسه على زاوية شالة المعظمة، ولا يتخطى حمام شالة المريني (شكل 138 ــ 141) سنة 760هـ (1358م)[1]. ومع أن حمام المخفية بفاس وحمام جبل طارق غير مؤرخين غير أنهما يتفقان مع أسلوب حمامات القرن الثامن[2].

ومن دراسة تلك الحمامات من حيث التخطيط يتضح لنا أنها سارت على نهج التقاليد الأموية المبكرة المتأثرة بالعمارة الرومانية، غير أن البنائين المغاربة قد ابتكروا وسائل جديدة في انواع التغطية وابتكروا تصميمات خاصة بالأسقف ونظام قاعات الاستقبال.[3]

ولازال الحمام المغربي إلى اليوم يحتفظ بالعناصر التي استقرت عليها الحمامات المرينية القائمة الى اليوم، بفضل ما حبس عليها من أملاك وبفضل تحبيس بعضها الآخر، مما ضمن سلامة بقائها. ومن دراستنا المفصلة لحمامات المرينيين كحمام شالة وحمام العلو برباط الفتح في كتابنا حفائر شالة الاسلامية يتضح أنها تشتمل على قاعة رئيسية للاستقبال وخلع الملابس ثم الراحة بعد الخروج من الحمام للتلاؤم مع الطقس تسمى (الجُلْسة) وهي تقابل الـ (Apondyterium) حيث نجد أنفسها في قاعة مربعة تغطيها قبة قائمة على أعمدة تؤدي إلى قاعة تسمى (البارد) بعد قاعة أخرى متوسطة الحرارة تسمى الوَسْطى وتقابل الـ (Tepiderium) ثم قاعة ساخنة تعرف (بالسخون) وتقابل الـ (Caldarium) خلفها مباشرة أو تحتها ما يسميه المغاربة (الفرنتشي)[4] وهو مكان إشعال النار للتسخين.

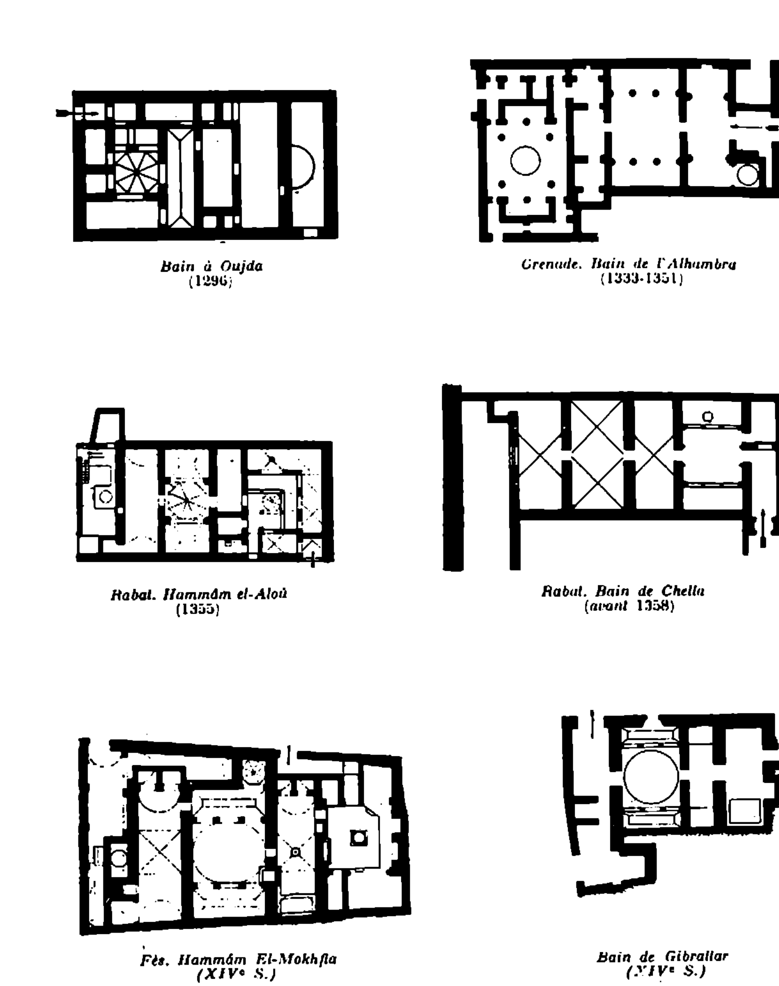
---

(1) راجع ذلك بكتابنا حفائر شالة الاسلامية واطلع على التخطيطات والرسوم المنشورة وعمارة الاسقف بحمام شالة وحمام العلو الذي أوقفه أبو عنان على زاوية شالة، وانظر كذلك الدراسات والمراجع الخاصة بدراسة الحمامات.

(2) جورج مارسيه : نفس المصدر ص 315.

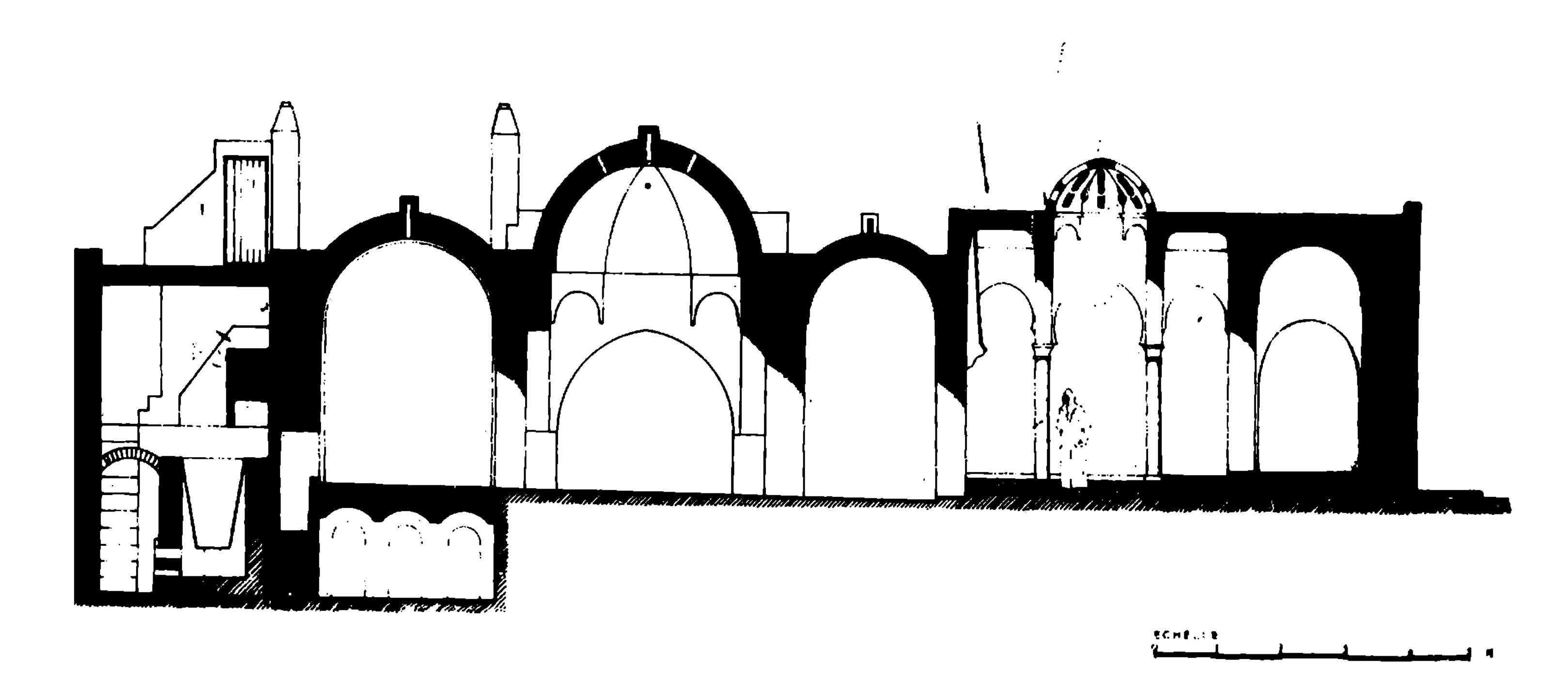
(3) زكي محمد حسن : فنون الاسلام ص 120.

(4) انظر كتابنا حفائر شالة الإسلامية، حمام شالة.



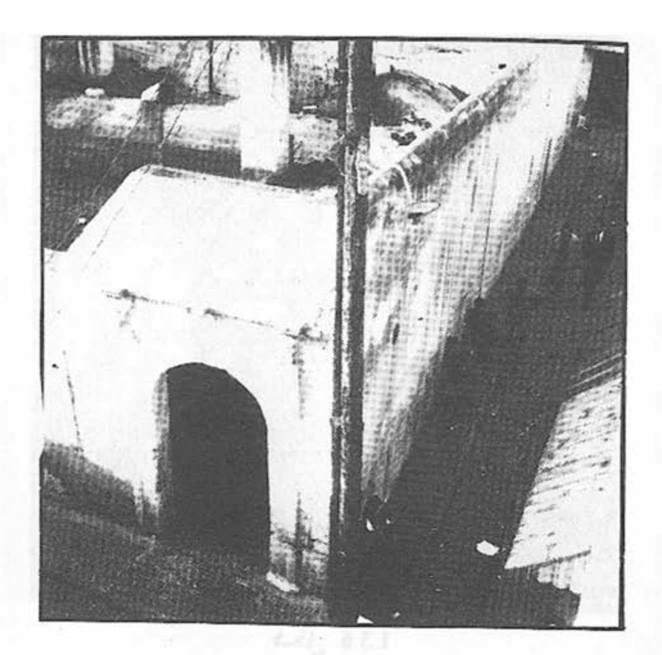
شكل 132

تخطيط بعض الحمامات الاسلامية وبالصف الأوسط حمام شالة وحمام العلو (الحمام الجديد)

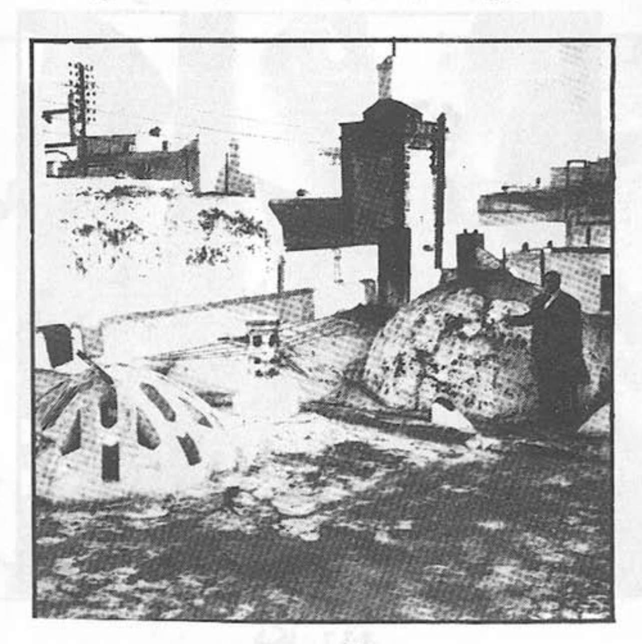


شكل 133

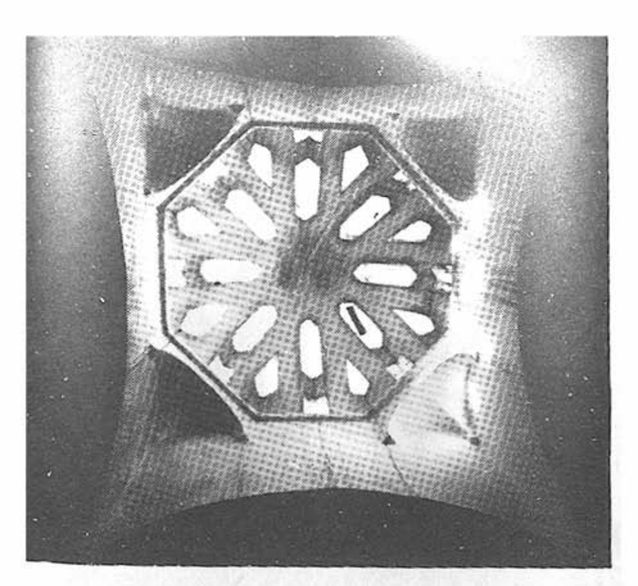
قطاع في عمارة حمام العلو (الحمام الجديد) بالرباط، والتخطيط بشكل 132



شكل 134
موقع الحمام الجديد بالمدينة من رباط الفتح



شكل 135
تغطية الحمام الجديد بالرباط، ويرى المؤلف أثناء الدراسة الميدانية



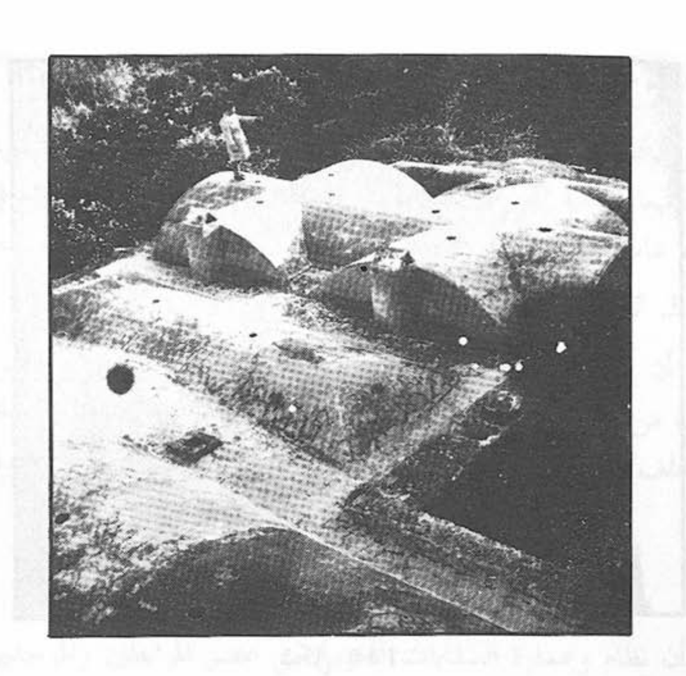
شكل 136

تغطية الحمام الجديد من الداخل



شكل 137

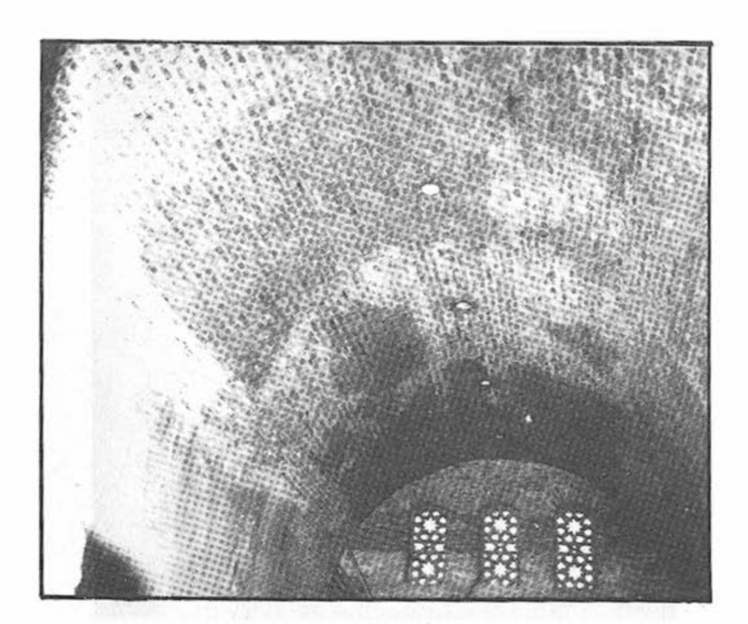
قاعة (الجلسة) بالحمام الجديد بالرباط كما هي اليوم



شكل 138
حمام شالة المريني وتغطيته من الخارج

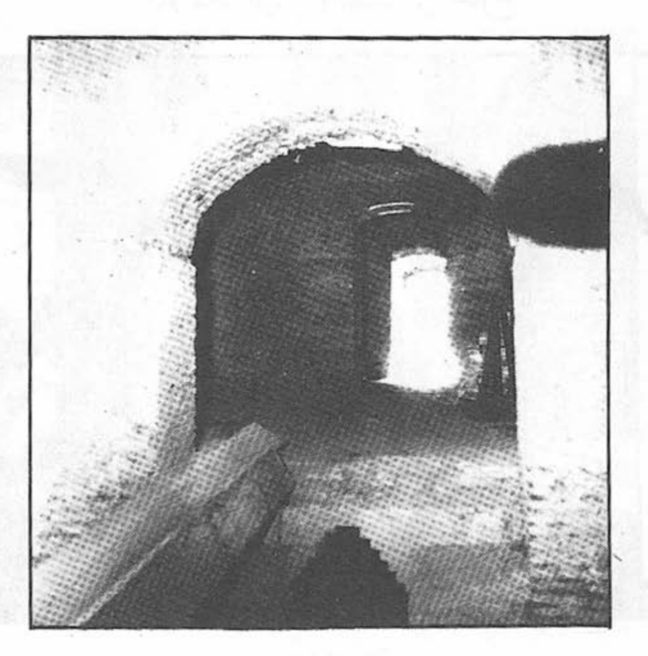


شكل 139
حمام شالة، التغطية الداخلية قبو نصف اسطواني متقاطع



شكل 140

حمام شالة، التغطية الداخلية قبو نصف اسطواني



شكل 141

حمام شالة المريني، القاعة الأخيرة (السخون والفرنتشي)

حمامات الخواص :

كان لأثرياء المغرب أيام المرينيين ووجهاء القوم منهم حمامات خاصة بالدور التي شيدوها بحواضر المغرب تبعا لرواية المؤرخين (وغالب أغنياؤهم يعملون لهم حمامات في بيوتهم، أنفة من الدخول مع عامة الناس، لان حماماتهم صحن واحد لا خلوة فيها تستر بعض الناس من بعض، ولهم تأنق في البناء وهم لا يقصر بهم عن الغاية فيه)[1].

وواضح أن ذلك يستلزم مساحة خاصة ليكون الحمام الشخصي صورة من الحمام الاسلامي بما فيه من وسائل تسخين المياه وقاعات الاستحمام والاستجمام والخلوات في تتابع معماري من خلف (الفرنتشي) القاعة المخصصة للتسخين، وذلك ما لا يتوفر في البناءات العصرية.

السقايات :

الغالب أن نظام وعمارة السقايات المغربية من عصر المرابطين والموحدين لم توضع له دراسة شافية، فإذا وصلنا إلى عصر بني مرين وجدنا مبان تتميز بهندستها وزخارفها، فهي عبارة عن صهاريج صغيرة مستطيلة قليلة العرض غطى وجهها بالزليج المتنوع الالوان ونقش سقفها بالجص والخشب ومنها السقايات المعروفة بفاس بسقاية ابن حيون بحي المخفية وسقاية سوق العطارين قرب موضع مستشفى فرج تحمل نقشا تأسيسيا من انشاء السلطان عبد الحق آخر سلاطين بني مرين على يد وزيره ابي زكريا يحيى بن زيان الوطاسي تم بناؤها سنة 840هـ وجددت سنة 1090هـ.

وكان بمكناس سقاية المستشفى العناني عن يسار مدخله في حي حمام الجديد، ثم سبيل حي السويقة المعروف بسقاية سبع عنابيب (كانت من سبع أنابيب) وسقاية الجمعة المحتفظة بأثر العمارة والزخرفة المرينية بالزليج والخشب مستطيلة التخطيط مغطاة بسقف مرتفع على أساطين خصصت لأوقافها ترجمة ضمن الحوالة الحبسية للمساجد الصغرى بمكناس[2].

والسقاية العزيزية بالرباط لصق البيمارستان في مواجهة الجامع الكبير تحولت إلى مكتبة عصرية وتحمل السقاية بالواجهة الحجرية نقشا تأسيسيا يشتمل على التاريخ والمؤسس في نظم

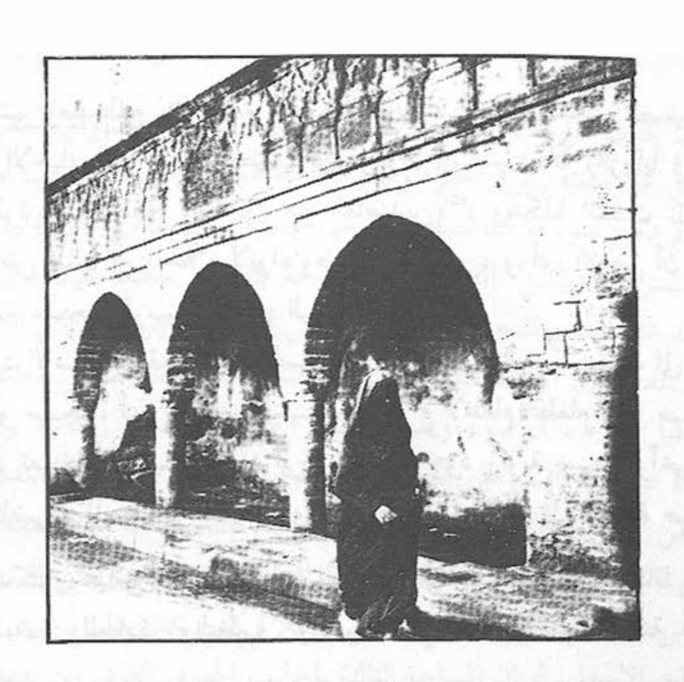
---

(1) من مسالك الابصار للعمري، مقتبس نقل بورقات للمنوني ص 296.

(2) محمد المنوني : دور الأوقاف المغربية في التكامل الاجتماعي، دعوة الحق يوليو 1983 ص 31/30.

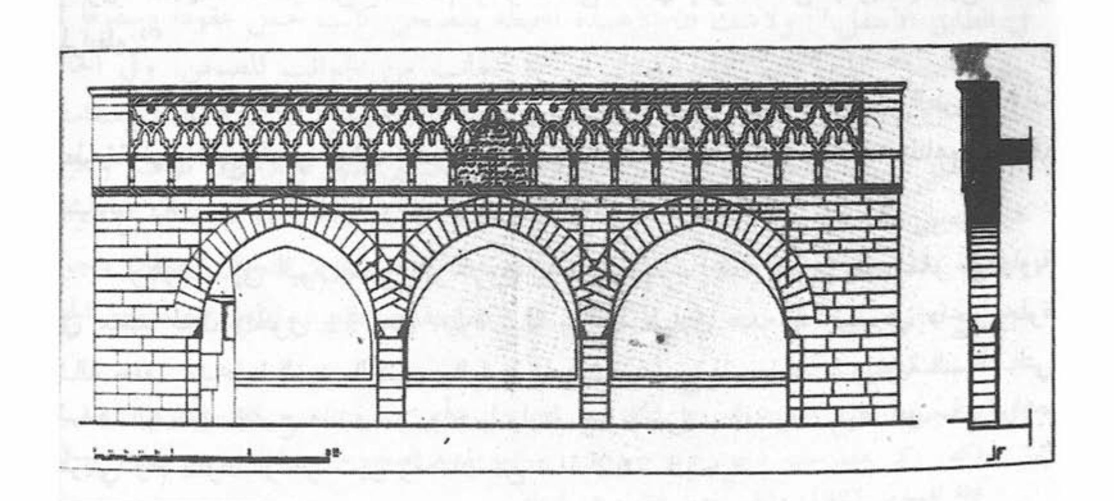
من الشعر (اشكال 142 ــ 143). وقد أثار اهتمام ابن فرحون المدني ما شاهده من سقايات بناها أبو الحسن بأنحاء المغرب وقال (ما مررت بسقاية ولا مصنع من المصانع التي يعسر فيها الماء للشرب والوضوء... الا وجدتها من انشاء السلطان أبي الحسن...) ويؤكد الخطيب ابن مرزوق ذلك بقوله (وصدق فإن أكثر السقايات المعدة للاستسقاء وشرب الدواب بفاس وبلاد المغرب معظمها من بنائه)[1].

(1) نفس المصدر والمصادر المشار إليها آخر المقال.



شكل 142

السقاية العزيزية برباط الفتح قبل التغييرات الكبيرة التي ادخلت عليها بعد عام 1963 م



شكل 143

تخطيط السقاية العزيزية الأصلي وموقع النقش التأسيسي بأعلاها

(6) الـزوايـــا المـريـنيـــة

يطلق اسم ومصطلح (الزاوية) في بلدان المشرق على المسجد الصغير أو المصلى[1] داخل حي من الاحياء، بينما يحدد الخطيب بن مرزوق في المسند أن (الزوايا في المغرب تعني أماكن ارفاق الواردين واطعام المحتاجين من القاصدين)[2]، وهكذا انشئت تلك المؤسسات الاحسانية بأرباض المدن أو بالخلاء لايواء وضيافة الواردين، ورأى البعض أن الزوايا اتخذت أولا تبركا بصفة مسجد الرسول يأوى اليها الفقراء[3].

وقد أورد الاستاذ السقاط رأي الحسن اليوسي بكون (الزاوية تهدف الى التفرغ للعبادة في ركن بيت أو مسجد، أي بزاويته فسميت زاوية، ثم لاطعام الطعام وهو صدقة)، كما أوجز الاستاذ السقاط تعريفات الاستاذ محمد بن تاويت بوجود زاوية بسيطة وأخرى ذات الولي تتحول حول الضريح إلى مركز عمراني وزاوية طرقية تنتسب إلى طريقة صوفية.

وقال الدكتور عباس الجراري (انها تعني في الشمال الافريقي مكانا لاجتماع الشيخ بأتباعه ومريديه، وللعبادة والتعليم، والايواء، والاطعام، ثم التعبئة والجهاد عند الاقتضاء...)[4].

وقد أصبحت (الزاوية) بالمغرب بديلا من مصطلح (الرباط) الذي يعني منشأة دينية وحربية للجهاد دفاعاً عن الاسلام وهو المعنى الذي عرف عن (الرباط) قبل عصر المرابطين[5].

وقد ارتبط مفهوم الزاوية بمصطلحات متعددة كالشيخ والمريد والفقير والطريقة، وأما الطريقة فهي النهج الذي يختاره المتصوفة لاداء أورادهم، وتتعدد الطرق بتعدد المناهج كطرق الشاذلية والناصرية والتيجانية والدرقاوية وغيرها.

ولازالت إلى اليوم بعض آثار الزوايا ومعالم عمارتها نقدم تعريفا لها ابتداء من زاوية أبي سعيد عثمان (المتوفى 731هـ) بخلوة شالة وزاوية سيدي عبد الله اليابوري داخل خلوة شالة خلف مدخلها الغربي الكبير، والزاوية المتوكلية خارج فاس الجديد وزاوية النساك التي شيدها أبو عنان خارج مدينة سلا وأخيرا زاوية جد الاشراف القادريين بناها أبو سالم ابراهيم المريني وتم بناؤها أواخر شهر رمضان من سنة 762 للهجرة.

---

(1) عبد الجواد السقاط : الزاوية المغربية، دعوة الحق ابريل 1987 ص 58/49.

(2) المسند الصحيح الحسن باب 42 فصل 4.

(3) اشارة السقاط بنفس المقال إلى المصدر الاصلي.

(4) السقاط : نفس المصدر ص 50.

(5) نفس المصدر ص 50 وما يليها.

أولا : زاوية أبي سعيد عثمان بخلوة شالة

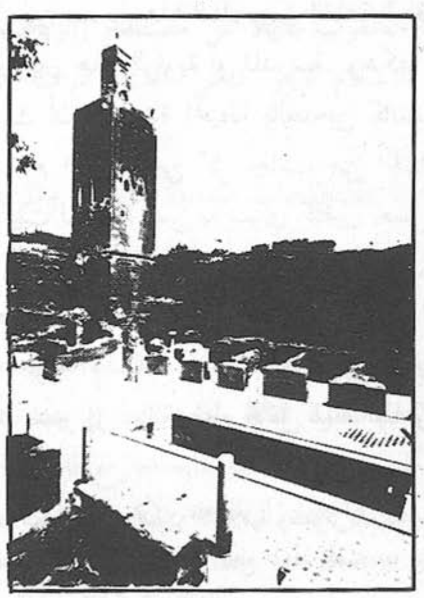
يحتل ما يقرب من ثلث مساحة الخلوة (المشتملة على مسجد وأضرحة وحمام) في جانبها الشمالي الشرقي ما نسميه زاوية الخلوة وهي ما أسماه العلماء بمسجد يعقوب أو المسجد العتيق. هذه الزاوية لم تكن معروفة التخطيط على عهد باسيه وليفي ومن قال برأيهما بل انهم جميعا لم يدرسوا النقش التأسيسي الذي يحدد بصراحة بناء أبي سعيد عثمان المتوفى سنة 731هـ لهذه الزاوية قد نشرناه مع البحث الخاص بالنقوش العربية المرينية. وشكل الزاوية الحالي عبارة عن مستطيل يمتد بطول الحائط الشمالي الشرقي للخلوة يتوسطه صحن مكشوف يمتد وسطه صهريج مستطيل به ماء الوضوء ويدور حول الصهريج أعمدة رخامية رقيقة بقي بعضها (اشكال 144 ــ 145). وعلى الجانبين الطويلين للصحن المحاط بالاعمدة ثمانية مساحات صغيرة بقي من جدرانها ما يبلغ ارتفاعه المتر تقريبا تفتح أبوابها على الصحن. وكانت هذه في الاصل بيوتا للطلبة الذين يسكنون هذه الزاوية أو المدرسة، ولكن البيت الأول من كل من الجانبين من جهة الشمال بقيت فيه آثار السلالم التي تدل على وجود طابق علوي كان يمتد فوق الطابق الاسفل. ثم ان المساحة الثالثة بالجانب الجنوبي الغربي من جهة الشمال لازالت مخصصة للسلالم التي توصل بين صحن هذا البناء وبين القاعة الواقعة بين المسجد العتيق الذي أرجعناه إلى عصر الادارسة وبين هذه الزاوية أو المدرسة. وهكذا يبقى أمامنا ثلاثة عشر بيتا في الطابق الاسفل.[1] ولاشك أن الاعمدة المحيطة بالصحن كانت تحمل عقودا وسقوفا تمتد بطول النبح[2] الذي يسير أمام البيوت من كل جانب من الجوانب للصحن. وفي الجانب الجنوبي الشرقي من الصحن بيت للصلاة ليس به سوى كتفين يحمل كل منهما عقدين متعامدين على جدار القبلة، وهكذا ينقسم بيت الصلاة إلى اسكوبين اثنين وبلاطات ثلاث. ومحراب هذه المصلى قائم بذاته على محور الباب الموصل من الصحن الى بيت الصلاة بحيث تصنع حوائطه وطاقيته بناءً مستقلا يدور حوله الإنسان دورة كاملة[3] عن طريق فتحتين يحيطان بتجويفه من كل جانب. ونستطيع أن نشير إلى مثالين على الأقل لهذه الظاهرة، الأول في المسجد الجامع

(1) عثمان عثمان : تاريخ شالة الاسلامية وكذلك الفنون الاسلامية والنقوش العربية بالمغرب الاقصى. وعن الزوايا راجع دكتور زكي محمد حسن : فنون الاسلام ص 113 وراجع المسند الصحيح، نشر مقتطفات منه ليفي بروفنسال في مجلة الهسبرس 1925، وانظر الفصل الثالث عن الزوايا.

(2) النبح بالمغرب هو الممر المسقوف أمام صف البيوت (وهي الحجرات عند المشارقة) عندما يطل على صحن أو بهو أو حديقة تحملها السواري (وهي الاعمدة عند المشارقة). ومن هذا النوع سقيفة واجهة مدخل مسجد الصالح طلائع بالقاهرة وواجهة مسجد أبي فتاتة بتونس، ويسميه الاوربيون (Portico).

(3) يقصد الناس هذا المحراب من مختلف أنحاء المغرب ويدورون حوله ويسمونه مكة.

بتلمسان الذي يرجع الى عام ثلاثين وخمسمائة وينسب إلى علي بن يوسف من ملوك المرابطيه[1]، والثاني بمسجد المنصورة بتلمسان كذلك من عصر أبي يعقوب يوسف المريني حوالي عام 702هـ. وعقود المصلى الاربعة متجاوزة منكسرة مبنية هي والاكتاف بالآجر مثل بقايا البيوت المحيطة بالصحن، بينما الجدران الرئيسية التي تحيط بالزاوية والتي تفصل بيت الصلاة عن الصحن مبنية بالتابية. ويقابل بيت الصلاة في الجهة الشمالية الغربية للصحن قاعة مستطيلة باتساع عرض الصحن تترك محلا في الزاوية الشمالية من مجموع مباني الزاوية لصومعة تحتل هذا الركن تماما داخلة بأكملها داخل سور الخلوة، ويفتح باب الصومعة على داخل الصحن. وبين الصومعة وبين المحل الذي تبقت به آثار السلالم[2] بالجانب الشمالي الشرقي من الصحن يوجد باب في نفس جدار الخلوة يوصل إلى مساحة محاطة بسور وخارجة على سور الخلوة ومتصلة به تبقت بها آثار بناء المراحيض. ويلاحظ أن مصلى الزاوية أصغر من بيت الصلاة بالمسجد الوحيد القريب وأن صحنها أوسع من صحن المسجد. وكان باسيه ومن نقل عنه يذكرون مسجدين بالخلوة، ويطلقون على الزاوية اسم المسجد العتيق، ويطلقون اسم مسجد أبي الحسن على المسجد الوحيد بالخلوة الذي اثبتنا بالحفائر الاثرية أنه مسجد ادريسي جدد أيام الزناتين ووسعه السلطان يعقوب المريني باضافة اسكوب شمالي اليه دفه به مع زوجته.



شكل 144

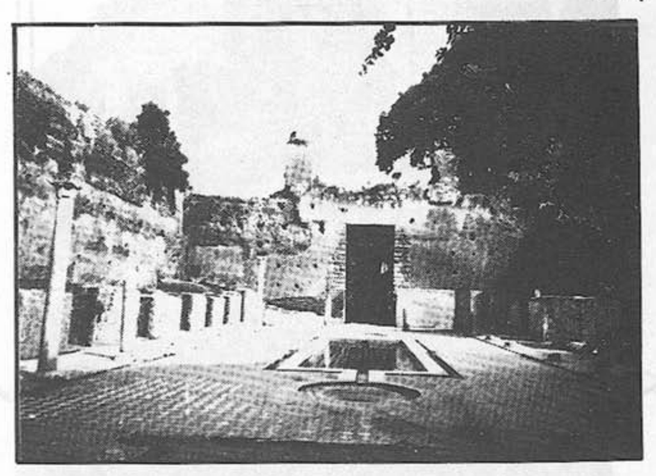
زاوية أبي سعيد عثمان بخلوة شالة، الصحن والصهريج وبيوت الطلبة والصومعة

---

(1) انظر في عمارة مارسيه ص 192 تخطيط مسجد تلمسان، وعند وصفه للمحراب ص 195 لم يتعرض للمشكلة.
(2) السلالم بالمشرق، ويقول المغاربة (الدروج).

ثانيا : زاوية سيدي عبد الله اليابوري داخل أسوار شالة

وتقع الزاوية على يسار الداخل من الباب الكبير بينه وبين الركن الغربي لاسوار شالة، وهي (عجيبة الشكل حسنة التخطيط والهيئة مستطيلة من الجوف إلى القبلة قليلة العرض. ولها بابان أحدهما يفضي إلى خارج سور شالة من ناحية الغرب والثاني يؤدي إلى داخل شالة. وقبها الكبرى عشر، وبيوتها محكمة العمل ليس في بنائها خشب أصلا خوفا من أن يصيبها حادث النار وإنما جعل بناؤها حجرا وآجورا سقوفا ومعارج وأسوارا وحيطانا وقد تهدم[1] جلها) (اشكال 146 ــ 148). وقد كسيت واجهة مدخلها الواقع خلف الباب الكبير مباشرة بالحجارة المنحوتة. ويؤدي هذا المدخل إلى ساحة مستطيلة فسيحة يحف بها من ناحية اليسار حجرتان صغيرتان وثالثة أوسع منهما يغطي كلا منها قبو من الآجر، ويلي ذلك في الظلع الطويل من المستطيل حجرتان متشابهتان بعدهما خمس حجرات أخرى يغطي كلا منها قبة محمولة على مثلثات كروية[2] وتفتح كل قبة على الساحة المستطيلة بعقد منكسر من الآجر بينما جعلت واجهة البناء من الحجر غير المنجور. ويلي الحجرات الخمس حجرتان اخرتان تشبهان الحجرتين المناظرتين في التغطية. وكان يقابل الحجرات الخمس خمس اخر بالجانب الشمالي الشرقي لم يبق منها سوى علامات اتصال العقود بالحائط. وقد نزل بهذه الزاوية العارف بالله احمد بن محمد بن عاشر الانصاري المتوفى عام 765هـ وضريحه قرب ضريح سيدي عبد الله بن حسون بسلا.



شكل 145

تفصيل العمارة تجاه بيت الصلاة بزاوية أبي سعيد عثمان بشالة

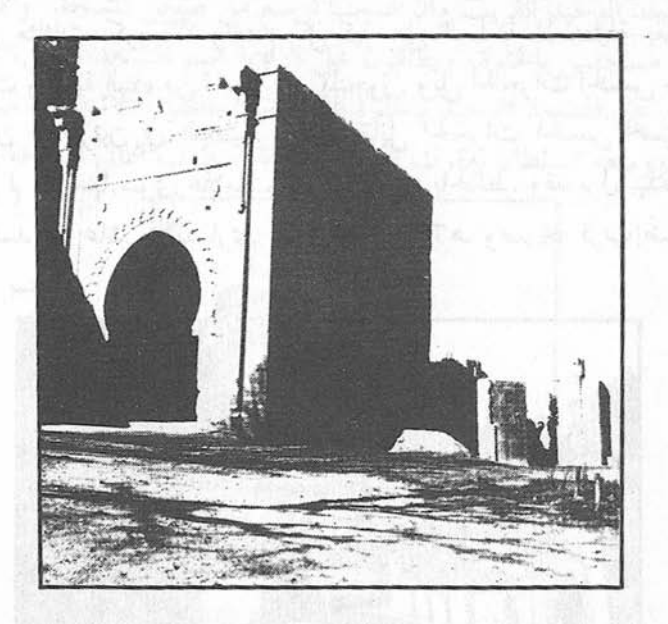
(1) الدكالي : الدرة اليتيمة ص 8 وقد نقله بوجندار في شالة وآثارها ص 34.

(2) تذكرنا بتغطية حجرتي سطح باب النصر، والقبة التي تغطي مدخل باب زويلة بالقاهرة، راجع كريسويل: العمارة الاسلامية المبكرة ج 3، كما تذكرنا بالمثلثات الكروية بتغطية باب الوادايا الموحدي بالرباط.

لعناصر الزخرفة المعمارية المميزة لعصر المرينيين، و لم يغفل المؤرخ ذكر وسائل المرينيين لتوفير الماء ورفعه وحفظه لمد المرافق بكفايتها منه.

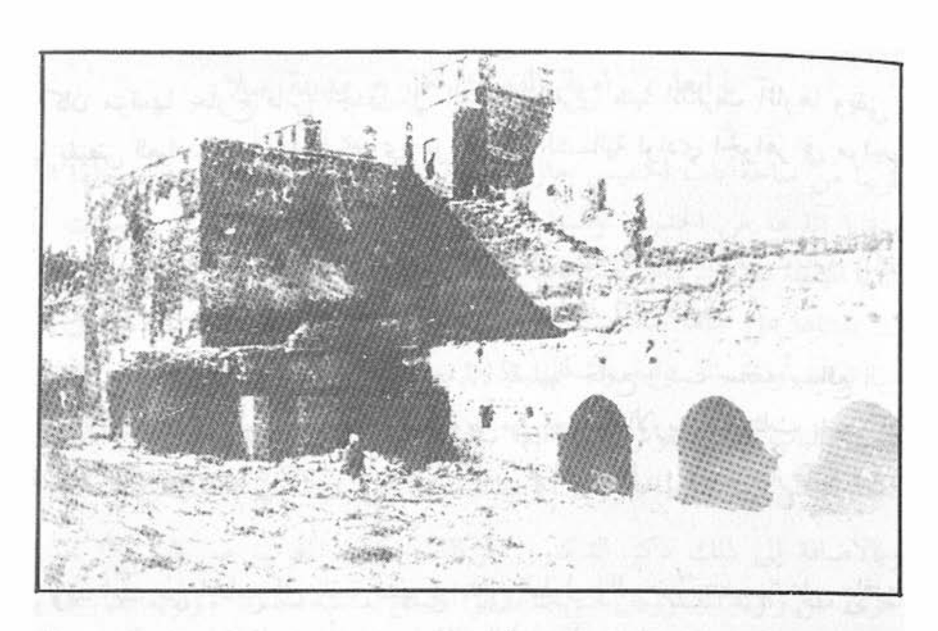
نقل السلاوي في الاستقصا[1] عن أزهار الرياض ما نقش على أحد جدرانها من شعر ابن جزي :

هذا محل الفضل والايثار والرفق بالسكان والزوار
دار على الاحسان شدت والتقى فجزاؤها الحسنى وعقبى الدار
هي ملجأ للواردين ومورد لابن السبيل وكل ركب سار
آثار مولانا الخليفة فارس اكرم بها في المجد من آثار
في عام أربعة وخمسين انقضت من بعد سبع مئين في الاعصار



شكل 146
مدخل زاوية سيدي عبد الله اليابوري خلف مدخل شالة الغربي الكبير

(1) الاستقصا 200/3.



شكل 147

صحن زاوية سيدي عبد الله اليابوري، بقايا الغرف الجانبية أسفل سور شالة المريني



شكل 148

المثلثات الكروية بالآجر لتغطية غرف زاوية سيدي عبد الله اليابوري

ثالثا : الزاوية المتوكلية زاوية الضيفان

كان موقعها خارج فاس الجديد في الشمال الغربي منها اندثرت آثارها وبقي وصف عمارتها بفيض العباب اذ شاهدها النميري على الضفة الشمالية لوادي الجواهر في مواجهة فاس الجديد.

شيدها المتوكل على الله أمير المؤمنين أبو عنان سنة 754هـ فنسبت اليه (المتوكلية)، كما عرفت بدار الضيفان تنويها بالوظيفة الانسانية للزاوية الاسلامية.

(كانت شامخة البناء، منفسحة الساحة... بقبليها جامع زينب سقفه ببدائع الزخارف. وقابله في الشمال قبة سامقة... ويدور بالزاوية من جهاتها الاربع مباحثات بديعة الاختراع متقابلة الاشكال والاوضاع قامت أساطينها كأنها عرائس تجلى وكسيت أرضها من الصنائع حللا.

وقد امتد من الجامع الى القبة صهريج بديع الطول والعرض ينتصب على حافتيه أسدان مصوران من الصفر ليقذفا من أفواههما الماء النازل للصهريج.

وفي كل ركن من أركان الزاوية باب ينفذ إلى دار بديعة البناء متناسبة الأجزاء مكتملة المنافع... الباب الواقع في الشمال الغربي يشرع إلى دار وضوء مستوفية المرافق.

والديار الثلاث أحدهما لامام الصلاة والاخرى للقائم بالآذان والثالثة للناظر في الاوقاف المتصرف في اعداد الطعام... ويتصل بالزاوية دار معدة لاستقبال الواردين... تقابلها دار للطبخ.

وللزاوية والدارين المتصلين بها باب جليل في جهة الشرق مقابل لمدينة فاس الجديد، وبمقربة منه قامت المنارة العالية وهي من أحسن الصوامع صنعة تكسوها اشغال الزليج الملون... وتتوجها تفافيح مذهبة، ويتصل بالزاوية من الغرب الشمالي روض... مغترس بالاشجار، ولتجهيز الزاوية بروافد للدورة المائية كان بغربيها صهريج عميق تتدفق المياه في جنباته... وخارجا عنها سانية بديعة الاشكال لسقي الروض وسد حاجة المرافق من الماء، ثم نصب على وادي الجواهر دولاب يضاعف كميات الماء حيث يتفرغ في قناة واصلة إلى الزاوية[1].

وبعد، فهذا وصف شاهد عيان معاصر دليل استكمال المؤسسة لجميع المرافق اللازمة للاقامة والاستجمام في حياة متكاملة للمأوى والراحة والاستجمام والعبادة بتوفر الغرف المستقلة ودور المكلفين والقومة وساحات الراحة والرياض والمسجد بصومعته العالية المستكملة

(1) منشآت مرينية، بحث المنوني بالمناهل عدد 16 ديسمبر 1979.

رابعا : زاوية النساك خارج مدينة سلا

قريبا من ساحة باب الخميس خارج مدينة سلا تظهر اطلال الزاوية بمدخلها الرئيسي الكبير وبقايا آثارها من الجدران والساحات والصهاريج وتخطيط البيوت والممرات المتقابلة والارضيات المبلطة ببقايا الزليج والساحات المغطاة بالفسيفساء العربي متنوع الالوان والاحجام، وقد ظلت بقاياها على حالها منذ أول زيارة لها عام 1957 إلى اليوم فيما عدا اشغال النظافة، لكن دون ترميم أو صيانة هامة (اشكال 149 — 151).

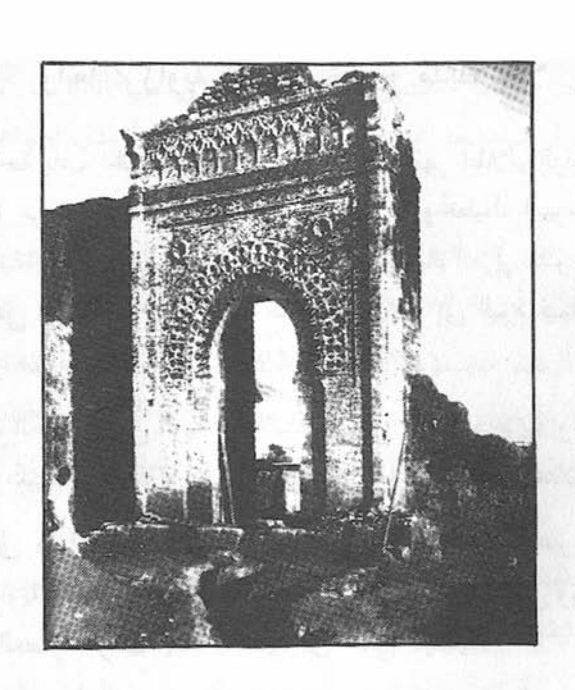
تبقت بالباب الكبير نقوش أثرية هامة تشتمل على كتابات عربية ونقش في الحجر يؤكد مكانة العمارة التي تميزت بها الزاوية وقت انشائها على عهد أبي عنان المريني.

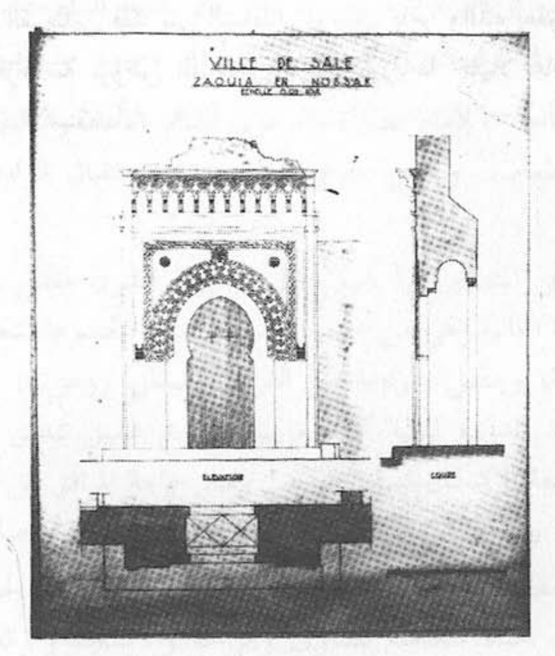
وبالاضافة إلى ذلك ذكر الدكتور حركات بكتابة المغرب عبر التاريخ[1] خبر زوايا مرينية أخرى مثل زاوية المشاوريين التي بناها أبو الحسن بقصبة مكناس وزاوية القورجة بقصبة مكناس من نفس العصر تحولت بعد الحماية الى مبنى للبلدية.

وتبعا لروض القرطاس فقد بنى السلطان يوسف بأمر والده يعقوب على قبر جده عبد الحق بتافرطاست (فرطاسة بروض القرطاس) زاوية ورباطا حفيلا عام 684 هجرية، نقله السلاوي كذلك في الاستقصا.

---

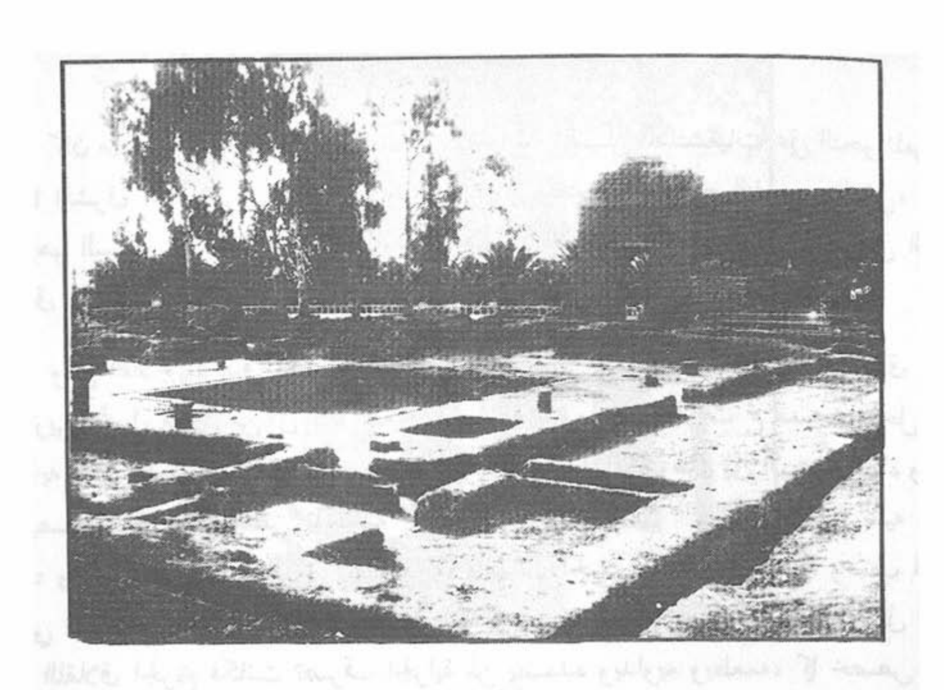
(1) المغرب عبر التاريخ 153/2.





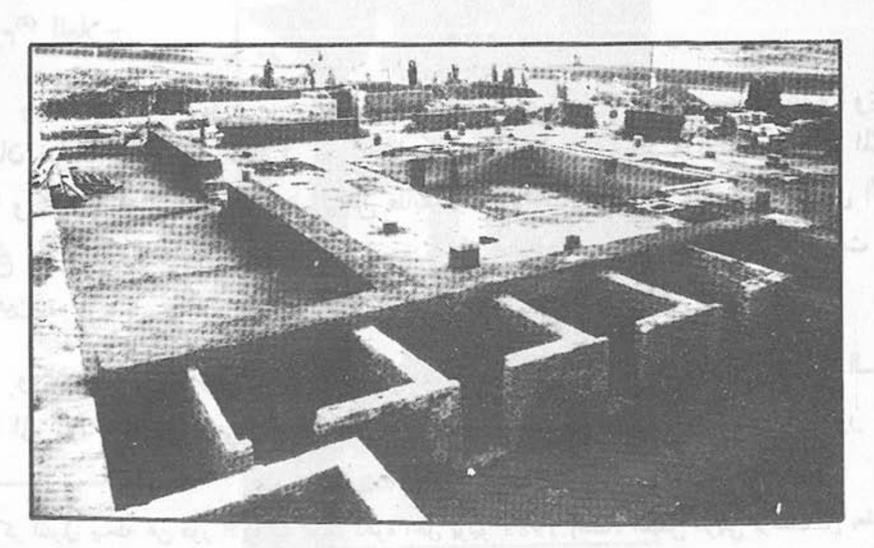
شكل 149

بقاسا عمارة وزخارف مدخل زاوية النساك خارج مدينة سلا



شكل 150

تخطيط الساحات والغرف والمرافق بزاوية النساك التي بناها أبو عنان خارج مدينة سلا



شكل 151

منظر آخر لتخطيط وعمارة زاوية النساك بسلا

(7) المستشفيات (البيمارستانات)

كان ضمن عناية المرينيين بالمؤسسات الاجتماعية تأسيس المستشفيات على النحو المعروف بعمارة المشرق الاسلامي من العلاج الطبي وايواء المعتوهين للعلاج النفسي والعقلي، ولعل ذلك هو السبب في إطلاق اسم (المارستان فارسي الاصل) على مستشفى الامراض العقلية بالمشرق الى اليوم.

ومن النماذج المرينية المعروفة مستشفى (سيدي فرج) المعروف بفاس عند سوق الحناء بالعطارين، تحول مع الزمن الى بناء صغير به حديقة تدور بها الحجرات ثم مسجد داخل سور ينفتح به باب حديدي مرتفع، وقد خصص المبنى فيما بعد للمعتوهين إلى أن تهدم البناء وتحول الى قيصارية، ويرجع البعض تأسيسه الى أبي يعقوب يوسف [1] الذي أوقف عليه أوقافا كثيرة، وأدخل عليه أبو عنان زيادات هامة، ويصف الحسن الوزاني في كتابه وصف افريقيا موظفي المستشفى والكتاب والممرضين والطباخين للعناية بنزلاء المستشفى بالاضافة إلى العناية بطائر اللقلاق الجريح فكانت تصرف الجراية لمن يضمده ويداويه ويطعمه، كما خصص وقف برسم الفرق الموسيقية التي تزور المرضى أسبوعيا للترفيه والعلاج النفسي.

وكانت مواد العطارة والطب تباع بدكاكين الصيادلة بسوق العطارين لإمداد الاطباء بما يلزم[2] للعلاج.

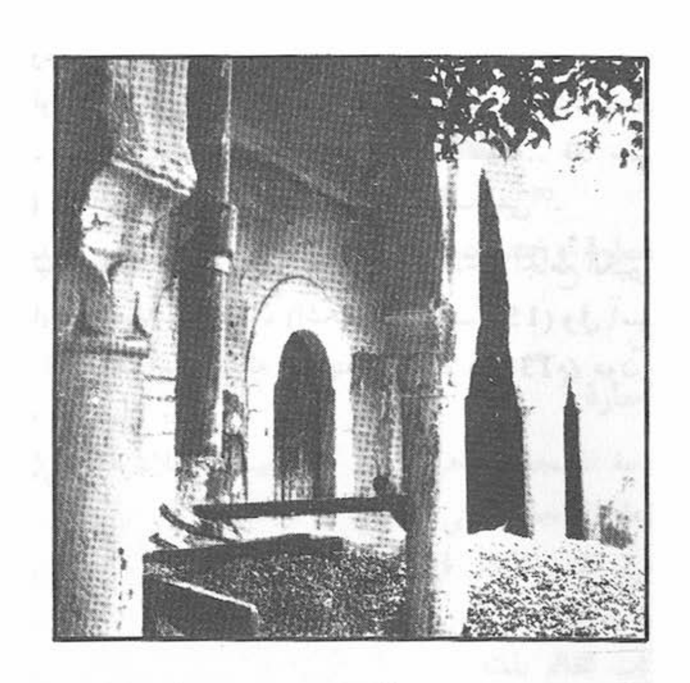
وكان بتازا مستشفى مريني حسب اللوحة الرخامية لوقف أبي عنان عليه. وبمكناس مارستان من تأسيس أبي عنان في حي حمام الجديد فوق بابه خشبة نقش بها اسم المؤسسة وبانيها وكان بها قسم لعلاج المرضى من طابقين تدور بها الحجرات ويتوسط الطابق الاسفل صهريج حوله المغروسات بالاضافة إلى قسم شرقي الاول من طابق واحد به حجرات لإيواء المعتوهين.

وكان بسلا في موقع المحكمة الحالية وأصلها (المدرسة العجيبة) التي نسب السلاوي بناءها الى أبي عنان في حي باب حسين ثم تحولت الى فندق عرف بفندق اسكور ضرب

---

(1) ذكر المنوني ببحثه عن دور الاوقاف بمجلة دعوة الحق يوليو 1983 (انشأه العاهل المريني يوسف بن يعقوب عام 680هـ، والصحيح أن يوسف ولي الحكم بعد وفاة والده يعقوب سنة 685هـ ولم يكن عاهلا للمغرب سنة 680هـ فلعله سقط قلم.

(2) محمد المنوني : دور الاوقاف المغربية في التكامل الاجتماعي عبر عصر بني مرين، دعوة الحق يوليو 1983.



شكل 152
بقايا عمارة الساحة الداخلية بالمارستان العزيزي بالرباط



شكل 153
منظر آخر لعمارة المارستان العزيزي بحي المدينة برباط الفتح

به المثل على سوء الخلق فيقال (تربية فندق أسكور)[1]، هذا البناء ذكره ابن الخطيب في معيار الاختيار ونوه به النويري في فيض العباب وينسبه إلى أبي عنان بصفته مستشفى للعلاج (فمبناه صحيح.. فما شئت من رفق.. وعلاج تتورد نظافة.. فلا سقيم الا وحديث برءه ليس بالسقيم...) كما أشار إلى الحكيم المشرف على المستشفى[2].

وبالرباط تبقى للمرينيين المارستان العزيزي امام مدخل الجامع الكبير كان ضمن المجموعة العزيزية مع السقاية الملاصقة للمارستان (اشكال 152 ــ 153) وفي آسفي أشار لسان الدين ابن الخطيب إلى المارستان أثناء زيارته للمدينة 761هـ (1360م) دون ذكر مؤسسه الذي يعتقد البعض أنه أبو عنان فارس.

(1) ذكر الدكتور حركات في المغرب عبر التاريخ 161/2 (بناه أبو عنان وسط حارة اليهود بحومة باب حسين ويذكر بن علي بمخطوط الاتحاف الوجيز انه بناء حفيل به بيوت كثيرة لاستقرار المرضى والحمقى واجرى له الماء ابو عنان على السور الذي بناه أبو الحسن ورتب له قومه واطباء وكان في القديم فندقا للزيت ثم هجر المارستان بعد ضعف الدولة وعاد فندقا كما كان، وهو يحمل اسم فندق اسكور ولكنه خرب. ودرست بكتابي تاريخ شالة تطوره بعد عصر كتابة الدكالي حيث تحول الى مبنى المحكمة حاليا.

(2) المنوني : نفس المصدر ص 29.

الفصل السادس

مميزات العمارة وخصائص الزخرفة المعمارية في عصر الدولة المرينية

أبحاث هذا الفصل :

أولا : مميزات العمارة :

1 - مساحة المسجد وظاهرة زيادة عمق بيت الصلاة عن طول جدار القبلة
2 - تخطيط المسجد المريني
3 - ظاهرة القص المتماثل في العمارة المغربية
4 - عقود المرينيين
5 - المحراب القائم بذاته
6 - وضع الصومعة في تخطيط المسجد
7 - جامع الجنائز
8 - الافراج
9 - القبة الجنائزية
10 - الزوايا

ثانيا : الخصائص العامة للزخرفة المعمارية :

1 - الخصائص العامة
2 - بعض نماذج عناصر الزخرفة المعمارية
أ - شطف برج الواجهة أو المدخل
ب - العنصر الملفوف (الثعباني)
ج - شبكة المعينات
د - الخط الكوفي المضفر
هـ - الزليج المريني

الفصل السادس

مميزات العمارة وخصائص الزخرفة المعمارية في عصر بني مرين

الآن، وبعد جولتنا السريعة في منشآت المرينيين ننتقل إلى دراسة مميزات العمارة والزخرفة المعمارية في الطراز المغربي الاندلسي في عصر دولة بني مرين.

أولا : مميزات العمارة

1 ـ مساحة المسجد وظاهرة زيادة عمق بيت الصلاة عن طول جدار القبلة

نستطيع أن نلاحظ باديء ذي بدء صغر حجم المساجد المرينية وضيق مساحتها العامة إذا ما قورنت بضخامة مساجد الموحدين ومساحتها الفسيحة. كما كانت لزياراتي المباشرة ودراساتي الميدانية لعدد كبير من مساجد المغرب الأثرية على طول ثلاثين عاما الفضل في ملاحظة ظاهرة زيادة عمق بيت الصلاة بالمسجد المريني عن طول جدار القبلة اذا قورن ذلك بنظيره في عمارة الأشراف الادارسة أو المرابطين والموحدين من بعدهم.

ذلك أننا لو تناولنا على سبيل المثال بعض المساجد المغربية من عصر ما قبل المرينيين كجامع القرويين (مرابطون) وجامع الكتبية أو القصبة بمراكش (موحدون)، ثم الجامع الكبير بفاس الجديد ومسجد الحمراء من عصر بني مرين، لاتضح لنا بدون لبس ولاشك زيادة عمق بيت الصلاة عن طول جدار القبلة في جوامع المرينيين.

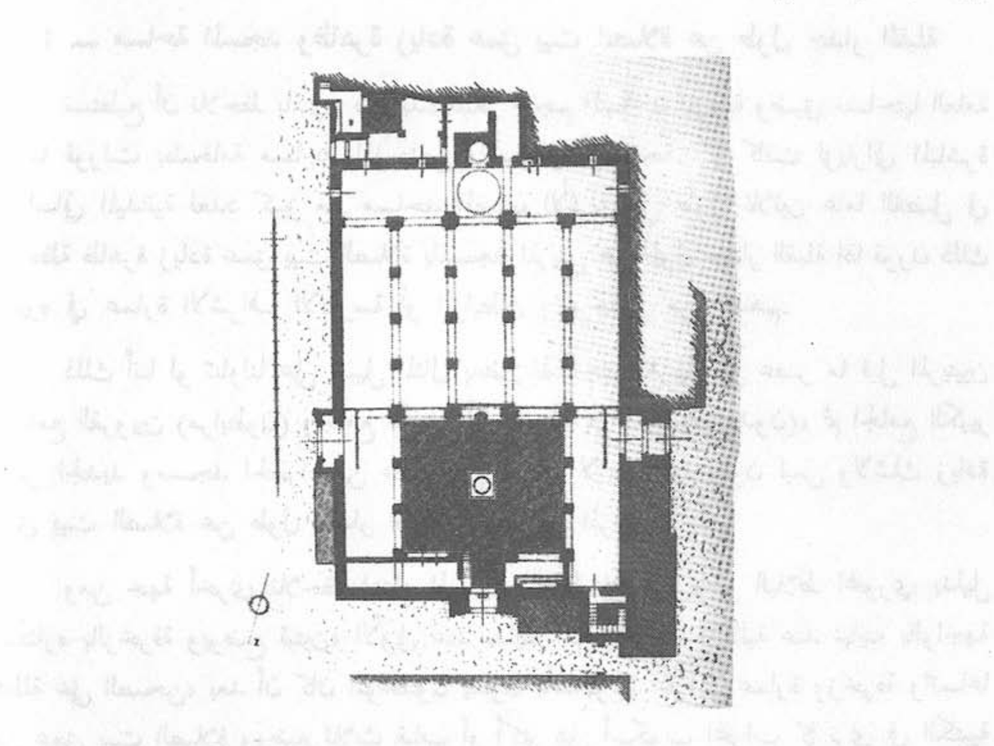
ومن جهة أخرى نلاحظ اهتمام المرينيين ببلاط المحراب وهو البلاط المحوري بدليل استئثاره بالزخرفة وبوضع قبتين، الأولى عند بدايته أمام المحراب والثانية عند نهايته بالواجهة المطلة على الصحن، بعد أن كان الموحدون يعنون بأسكوب المحراب عمارة وزخرفة واتساعا عن عمق بيت الصلاة ووضع ثلاث قباب أو أكثر على أسكوب المحراب كما نرى في الكتبية وغيره من مساجد الموحدين.

وفي رأينا أن المرينيين استجابة لفلسفتهم العامة والتزامهم بخطة التعليم كمبدأ لازم دولتهم منذ البداية[1] استنفذوا جهودهم في بناء المدارس بأنحاء المغرب لتكون عرائس المدن المغربية

(1) الاستاذ الرئيس محمد الفاسي وزير التعليم ورئيس الجامعة : محاضرات بكلية الاداب الرباط 1958.

ومراكز تخريج الأعوان بالاضافة إلى رغبتهم الملحة في بناء المدن الجديدة والقرى والحصون والقصبات والتجمعات البشرية، لعل ذلك كله عاق امكانياتهم عن تشييد مساجد كبرى جامعة بالقياس الى مساجد المرابطين والموحدين بالمغربين الاوسط والاقصى والاندلس.

ولعلهم اعتمادا على فلسفتهم الفكرية وتطور العلوم والمعارف في عصرهم أدركوا قيمة العامل النفسي وتنبهوا إلى تأثير المظهر المعماري على الحالة النفسية لجموع المصلين وقد أرادوا ألا يظهروا أقزاما بالنسبة لأسلافهم المرابطين والموحدين أصحاب المساجد الجامعة التي تتسع لآلاف المصلين، فعمد المرينيون إلى نقص طول جدار القبلة وزيادة عمق بيت الصلاة من القبلة إلى الجوف لخلق عدد أكبر من الصفوف وتحقيق إحساس المصلين بسعة المسجد[1] بين القبلة والصحن.



شكل 154

تخطيط جامع الحمراء بفاس

(1) محاضرتنا بالندوة الدولية للهندسة المعمارية الاسلامية لدول البحر المتوسط، الرباط 1980.

2 - تخطيط المسجد المريني

تتميز المساجد المرينية المبكرة بفاس الجديد وتازا منذ أواخر القرن السابع الهجري باختلافها عن الاسلوب الموحدي.

لقد شاع في مساجد المرينيين وضع محراب صغير اضافي (العنزة) على مدخل البلاط الاوسط، كما اكتسب الصحن امتداداً أكثر وجعلت الملحقات بالداخل مع قلة عدد الابواب.
والغالب يؤكد وجود باب واحد فقط بكل من الواجهتين الجانبيتين وباب واحد بالواجهة المقابلة للقبلة على محور المحراب.

ولعل بيئة المرينيين الصحراوية، شأنهم في ذلك شأن المرابطين، دون الموحدين سكان الجبال، تفسر لنا سر رجوعهم الى الاشكال القديمة، فتلك المساجد الاكثر عمقا من الاتساع والاكثر بساطة عما سبقها في عصر الموحدين تبدو أكثر ميلا إلى الاساليب القديمة في التخطيط، ومع ذلك نجد عقد مدخل البلاط الاوسط المطل على الصحن يزدان دائما بزخارف على هيئة المحراب الاضافي حيث شاعت التقاليد الفاسية في مساجد المرينيين وإن كانت أقل بهجة.

وتشترك المساجد المرينية في بناء الأكتاف بالآجر]والحوائط بالتابية (البتن المغربي)[1] التي تسعف رغبتهم المتزايدة في كثرة البناء والتشييد بالسرعة الممكنة والاقتصاد في النفقة والوقت.

ومع أن بلاط المحراب وأسكوبه كانا أكثر سعة من بقية البلاطات والاساكيب، غير أن اهتمام المرينيين كان على العكس من الموحدين مركزا ببلاط المحراب الذي تجمعت فيه أهم زخارفهم، كما أقاموا على البلاط المحوري نفسه، العمودي على القبلة، قبتين واحدة أمام المحراب والاخرى على نهاية البلاط المحوري من جهة الصحن (Nef axiale) بعد أن كان الموحدون يقيمون ثلاث قباب أو أكثر على أسكوب المحراب.

ولازال المستشرقون يصفون مساجد المرينيين منذ القرن السابع بتخطيط المساجد على شكل حرف التاء اللاتيني (Mosquée en T) حيث يلاحظ اتساع بلاط المحراب Nef axiale واسكوبه Travée de la quibla عن بقية البلاطات والاساكيب، لكن ظاهرة المجاز (Transept) المزعومة لا تظهر حقيقة لوجود قبة أمام المحراب تناظرها قبة أخرى على نهاية بلاط المحراب جهة الصحن عند مدخل بيت الصلاة، وهو رجوع بعمارة المرينيين الى تقاليد الأغالبة حيث بدأت ظاهرة قبتي البلاط المحوري، كما تذكر بالظواهر المعمارية في زيادة الحكم بالمسجد الجامع بقرطبة.

---

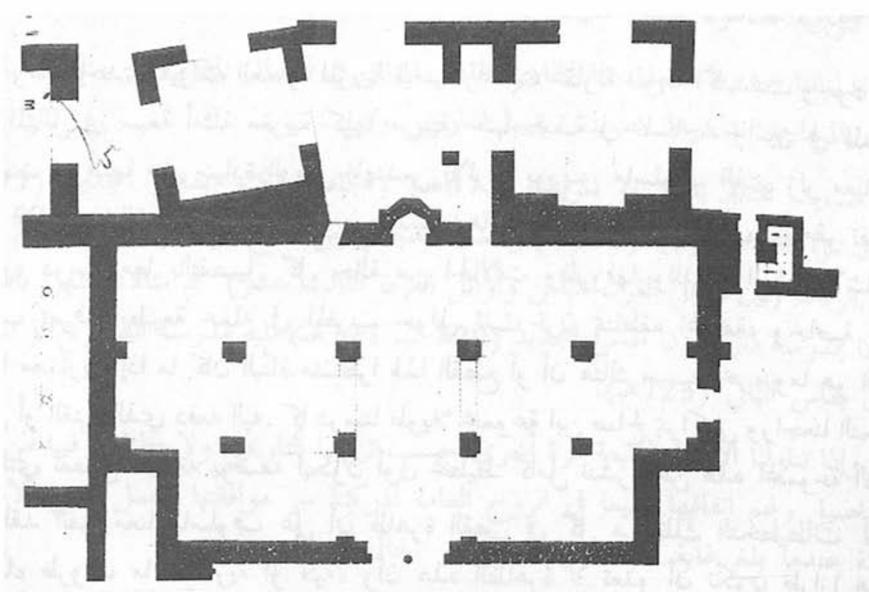
(1) تركيب التابية وتطوره بكتابنا حفائر شالة.

وكانت بمساجد الموحدين المرافق والملحقات كقاعة الوضوء ومسكن المؤذن خارج المسجد، فجاءت عمارة المرينيين بأوضاع مخالفة، فجامع الجنائز (ان وجد) يكون بموضعه خلف حائط القبلة، وبيت الوضوء (Salle d'ablution) في مكان مفضل على حافة الواجهة الشمالية قرب المدخل الرئيسي، ومساكن المؤذن والعاملين بالمسجد تدخل ضمن حوائط بيت الصلاة (Oratoire) والممرات المحيطة، وعلى مستوى الأسقف وعادة عند بداية الصومعة توجد حجرة المؤقت.

ومن المؤسف أن مساجد المرينيين لا تحتفظ بنقوش تاريخية لمؤسسيها، فبعض المنقوش المتخلفة عليها ترجع إلى عصور متأخرة عن عصر البناء الاول. وفيما عدا ذلك، فإن النظرية المعمارية التي توصلنا إليها تساعد على تأريخ تلك العمائر[1] اعتمادا على ظاهرة القص التماثل في التخطيط بالاضافة إلى بقية المميزات المعمارية والفنية الاخرى التي بسطنا القول فيها.

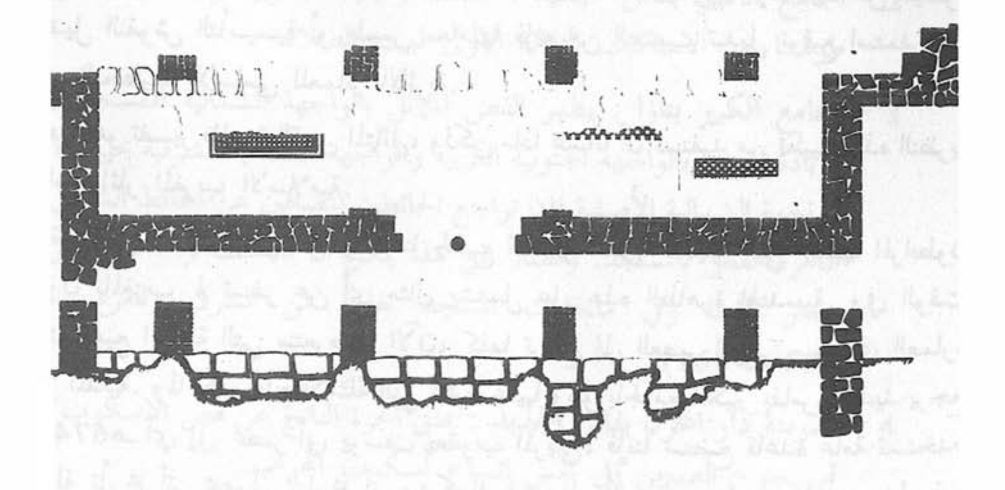
---

(1) عثمان عثمان : حفائر شالة الاسلامية، راجع نظرية القص المتماثل واستخدامها في تأريخ العمائر المغربية ص 437/345.



شكل 155

تخطيط مسجد شالة بعد الزيادة المرينية



شكل 156

اكتشافنا الزيادة المرينية التي احدثت ظاهرة القص في التخطيط بمسجد شالة

3 - ظاهرة القص المتماثل في تخطيط العمائر الدينية والمدنية المغربية ظاهرة مرينية

وهذه إحدى مميزات العمارة المرينية فبعد دراسات مقارنة طويلة اكتشفت وجود ظاهرة القص المتماثل في سبعة أمثلة مغربية كلها مرينية، منها خمسة في المساجد واثنين في المدارس. وقد قمت بعرضها على سيادة الزميل المهندس الاثري بوريس ماسلوف الذي زار معنا موقع الحفائر الاثرية بشالة ودرس المثال الموجود بمسجدها. وعندما تفضل بدعوتي إلى مقر تفتيشيته بمراكش، درسنا معا بالتفصيل كل حالة من الحالات وظروفها والدافع اليها. ولاشك أن ماسلوف يعرف بطبيعة عمله في المغرب حوالي ثلث قرن بمناطقه المختلفة، وخاصة بصفته مهندسا معماريا، إذا ما كان البنّاء مضطرا لهذا القطع أو أن هناك سبب آخر، وما هو السبب الهندسي أو الفني الذي دفعه اليه. كما درسنا طويلا مجموعة ابن صالح بمراكش وراجعنا التخطيط العام الذي تفضل سيادته بوضعه ليكون أول تخطيط كامل ننشره عن هذه المجموعة الاثرية.

لقد اتفق معنا ماسلوف على أن ظاهرة القص في كل من تلك التخطيطات لم تمليه على البنّاء ظروف ما معمارية أو فنية، وأن هذه الظاهرة لا تعدو أن تكون طرازا هندسيا جديدا في العمارة المرينية عمل بقصد التجديد وتمييز منشآت المرينيين عن غيرها من المباني السابقة واللاحقة، أو أنها كانت بمثابة توقيع البنّاء المريني على ما أنتجه من روائع العمارة والفن لا يسهل على غيره إزالته أو تزييفه كما كانت العادة في تلك العصور، فإذا كان من الميسور دائما تبديل النقوش التأسيسية أو طمس معاملها فإنه من الصعب تبديل توقيع استمد قوته من نفس التخطيط الاساسي للعمائر الاثرية.

هذا هو تفسير ظاهرة القص المتماثل، ولكن ماذا عسانا أن نستفيد من تطبيق هذه النظرية عند دراسة آثار المغرب الاسلامية.

لقد سبق أن أشرنا إلى أن مراجعتنا لجميع العمائر الاثرية الدينية التي خلفها المرابطون والموحدون بالمغرب لم تسفر عن أي مثال يشتمل على هذه الظاهرة الهندسية. وفي الوقت نفسه فإن جميع الامثلة التي سنعرضها الآن، كلها ترجع إلى العصر المريني سواء في العمارة الدينية أو المدنية. ولما كان أقدم الامثلة التي عثرنا عليها وهو بالجامع الكبير بفاس الجديد يرجع إلى عام 674هـ أي إلى عصر أبي يوسف يعقوب المريني، فإننا سنضع قاعدة عامة تستخدم عند محاولة تأريخ أثر مجهول التاريخ أو مشكوك فيه، إلى أن يظهر ما يغيرها أو يعدل فيها فيما بعد. وخلاصة هذه القاعدة، أننا إذا أصبحنا أمام أثر غير مؤرخ تتجاذبه أساليب التأريخ العامة بين جعله مرينيا أو غير مريني، ووجدنا فيه ظاهرة قص التخطيط، فإن وجود هذه الظاهرة يرجح كفة دخوله إلى العصر المريني. على أن هذا لا يمنع وجود هذه الظاهرة بعد العصر المريني وهو شيء طبيعي.

الامثلة المرينية لظاهرة القص المتماثل :

قلنا اننا حصرنا سبعة أمثلة لظاهرة القص المتماثل في العمائر المغربية من بينها خمسة أمثلة ظهرت بالمساجد نذكرها حسب ترتيبها التاريخي وهي :

مسجد شالة بالاضافة المرينية (675هـ) والجامع الكبير بفاس الجديد (677هـ) ومسجد تازا بالزيادة المرينية (690هـ) ومسجد سيدي ابن صالح بمراكش (715هـ) ثم الجامع الكبير بالرباط (بين أوائل القرن الثامن وأوائل القرن الثالث عشر). ثم مثالان ظهرا بالمدارس أقدمهما بمدرسة دار المخزن بفاس الجديد (720 ــ 721هـ) تليه مدرسة الصهريج أو المدرسة الكبرى بفاس البالي (723هـ).

وإذا تناولنا الأمثلة السبعة مرة أخرى حسب ترتيبها التاريخي ولاحظنا ما فيها من فروق في التفاصيل رغم اتفاقها جميعا في الروح العامة أدركنا سر موافقتها للعمل الفني الاسلامي وخاصة عندما بلغ غاية نضجه وكماله كما هو الحال في الفن المريني.

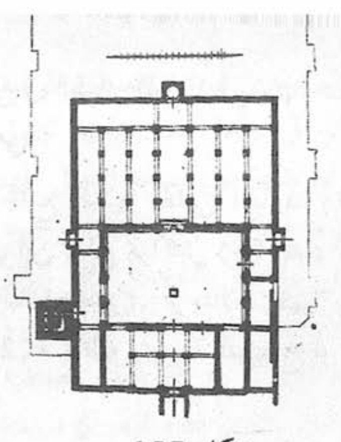
1 – **القص بمسجد شالة** : قص في البلاطتين الجانبيتين لبيت الصلاة بما يعادل عرض أسكوب واحد (اشكال 155 ــ 156).

2 – **الجامع الكبير بفاس الجديد** : قصت واجهتاه الغربية والشمالية الشرقية على طولهما بعد الاساكيب الثلاثة الاولى لبيت الصلاة.

3 – **الجامع الكبير بتازا** : يظهر القص المتماثل بالواجهة الشمالية للمسجد بعد بناء الزيادة المرينية بالواجهة الجنوبية الغربية والواجهة الشمالية الشرقية بحيث لا تبلغان الواجهة الشمالية الأصلية فإن تراجع الحائطين المضافين عن الحائط الشمالي يحدث ظاهرة القص بالمسجد. وفضلا عن هذا يمكن أن نلاحظ أثرا آخر للقص خلف جدار القبلة وفي ملحقات المسجد نفسه من الشرق والغرب (اشكال 157 ــ 158).

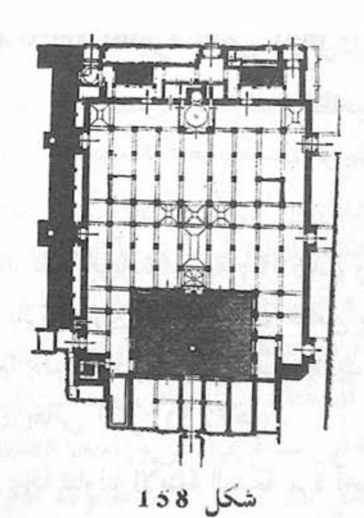
4 – **مدرسة دار المخزن بفاس الجديد** : عنق الجرة الناتج عن قص الاسكوب الشمالي ثم رجوع الصحن إلى نفس اتساع أسكوب المحراب.

5 – **مسجد سيدي ابن صالح بمراكش** : القص في البلاطتين الجانبيتين للمسجد اللتين انفردتا بتصميم خاص من عدة وجوه دون بلاطات المسجد جميعها. ويظهر القص من الداخل والخارج (شكل 159).



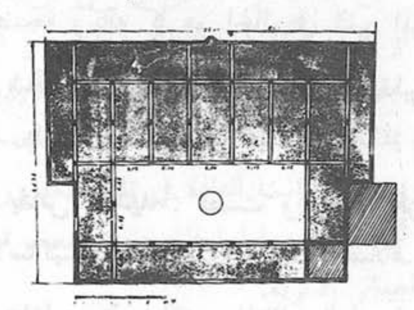
شكل 157

تخطيط مسجد تازا الموحدي



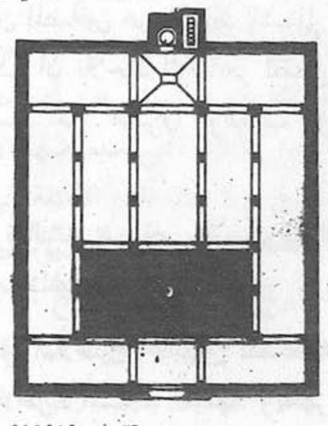
شكل 158

تخطيط مسجد تازا بعد الزيادة المرينية



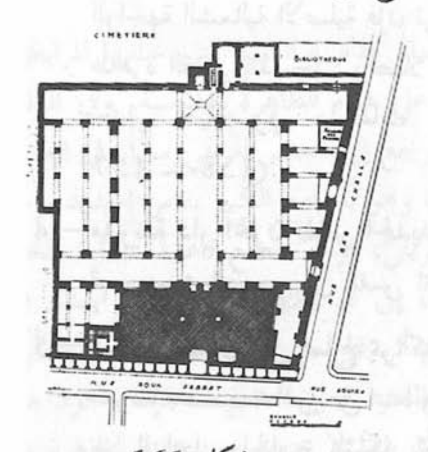
شكل 159

تخطيط مسجد ابن صالح بمراكش



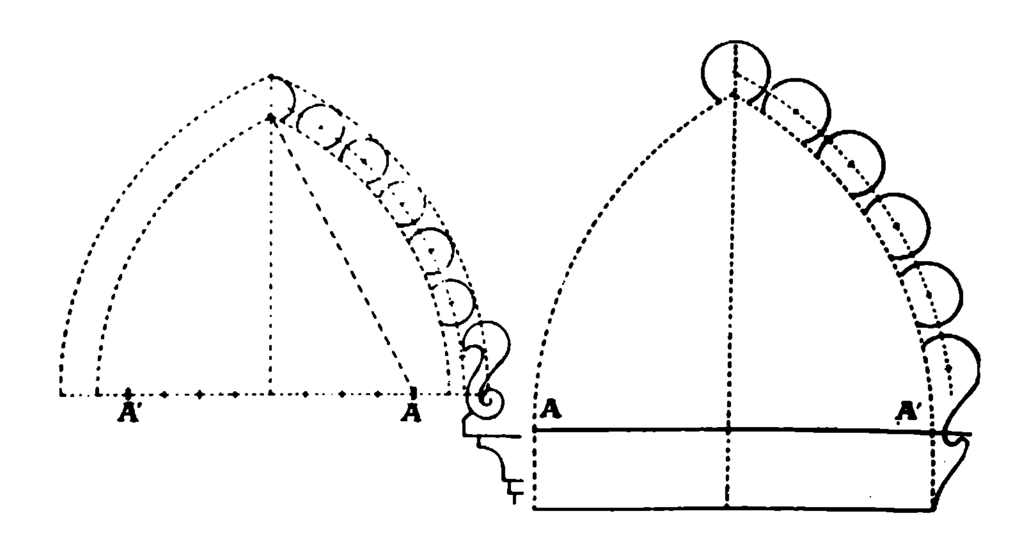
شكل 160

تخطيط المسجد الأول بموقع الجامع الكبير برباط الفتح



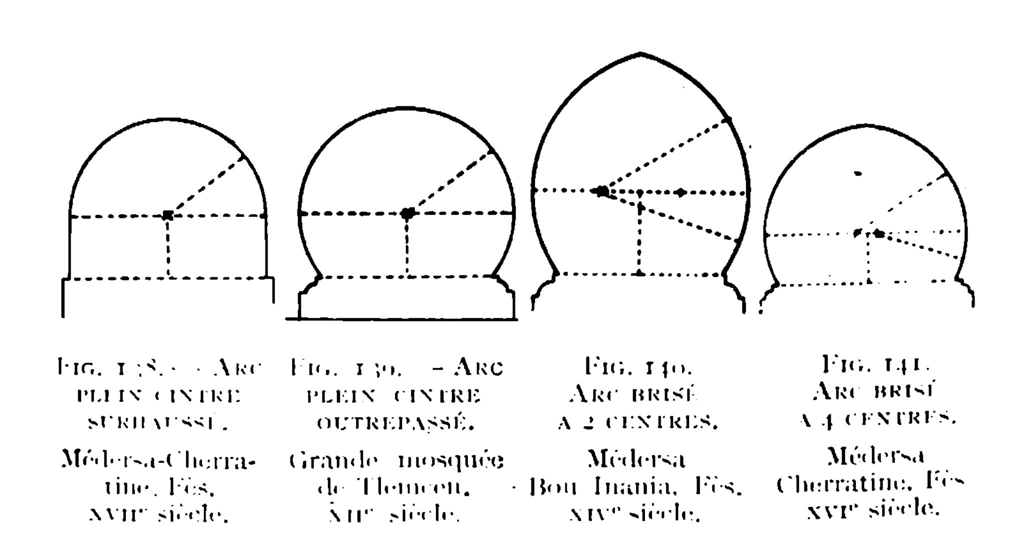
شكل 161

تخطيط الجامع الكبير برباط الفتح



شكل 162

عقد مفصص بالمسجد الأعظم بتلمسان



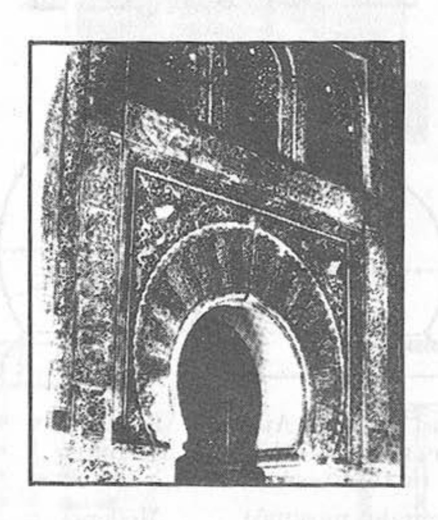
شكل 163

من اليمين عقد منكسر ذو أربعة مراكز بمدرسة الشراطين بفاس ق. 10 هـ، وعقد منكسر دو مركزين بالبوعنانية ق 8 هـ، وعقد كامل الاستدارة متجاوز بالمسجد الأعظم بتلمسان، وعقد كامل الاستدارة مشمور بمدرسة الشراطين ق 11 هـ

6 – **مدرسة الصهريج أو المدرسة الكبرى بفاس البالي** : المجموعة الواقعة مع محراب بيت الصلاة على خط واحد كلها، تصنع مساحة أوسع إلى الشرق والغرب عن بقية بيت الصلاة التي تتصل به ويظهر القص من الداخل والخارج.

7 – **الجامع الكبير برباط الفتح** : القص في البلاطة الجانبية الشرقية لبيت الصلاة وحدها دون تماثل من الجانب الاخر (للظروف السابق ذكرها) (شكل 160 – 161).

ومن هذا العرض الاخير يبدو لنا أن الأمثلة السبعة للقص المتماثل في التخطيط (باستثناء الجامع الكبير بالرباط) التي نعرفها حتى الآن، كلها منحصرة في عصر الدولة المرينة[1]، الأمر الذي يدفعنا إلى القول بأن بنّاء الدولة المرينية قد وصل إلى خلق طراز جديد في تخطيط العمائر الدينية والمدنية المغربية. وطالما لا نعرف مثالا مغربيا سابقا على عصر المرينيين، فستظل نظريتنا صالحة للاستعمال عند تأريخ الآثار التي تتجاذبها أساليب التأريخ العامة إلى أن يظهر ما يبطلها أو يعدل فيها فيما بعد.

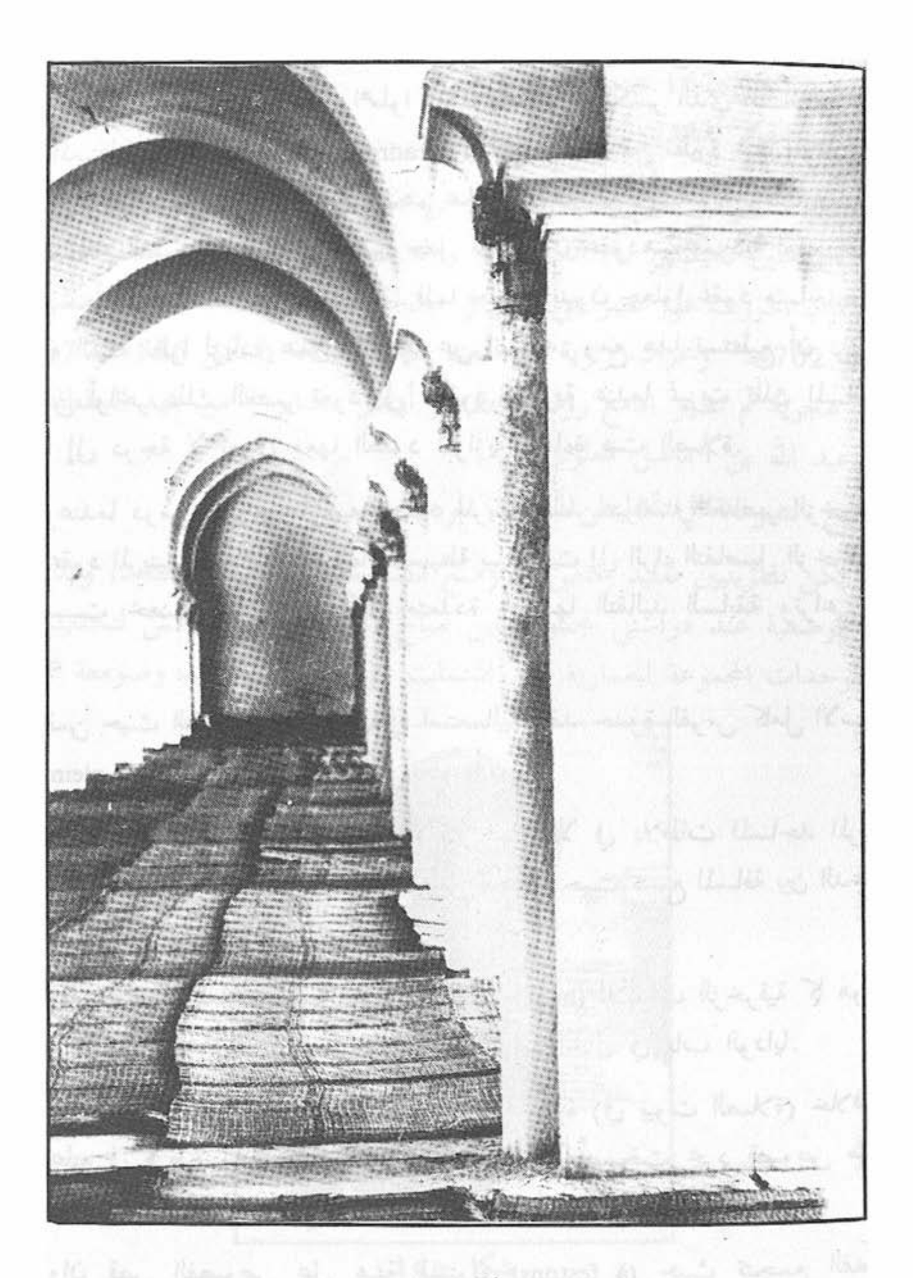


شكل 164

عقد محراب سيدي بلحسن بتلمسان 696 هـ

---

(1) ومع ما يحوم حول الجامع الكبير بالرباط من شك فهو غير سابق على عصر المرينيين.



شكل 165
عقود بيت الصلاة بمسجد ابن صالح بمراكش

4 ـــ عقود المرينيين

وكذلك عاد المرينيون إلى استخدام العقد المتجاوز كامل الاستدارة (plein cintre outrepassé) الذي عرفه المرابطون واهملوا العقد المتجاوز المنكسر الذي استخدمه الموحدون، كما كان المستطيل المحيط بالعقد (l'encadrement) أقل ارتفاعا من نظيره عند الموحدين[1]. وقد عرفنا أن المرابطين جعلوا عقود مساجدهم عمودية وموازية في نفس الوقت بعد أن عرف الادارسة نظام العقود الموازية للقبلة بينما جعل الموحدون عقودهم عمودية لعدم إعاقة الضوء متلائمين مع كبر مساحة بيوت الصلاة. فلما جاء المرينيون جعلوا عقود مساجدهم عمودية على اتجاه القبلة نظرا لزيادة عمق المسجد عن اتساعه. ومع هذا نستطيع أن نرى مساجد مرينية من أواخر ذلك العصر تعود إلى العقود الموازية عندما تميزت تلك المساجد بصغر مساحتها إلى درجة لا تعوق معها العقود الموازية إضاءة بيت الصلاة.

وعندما درس جورج مارسيه العقود المرينية ضمن دراسته للعناصر الزخرفية الكبيرة قال أن عقود المرينين بدأت هيئتها العامة بسيطة بينما مالت إلى اثراء التفاصيل الزخرفية، ويعتقد أنها اكتسبت خصوصيتها من أشكال متعددة تحكمها التقاليد السابقة وتراعي الحاجات المعمارية.

فمن حيث التقاليد يظهر ذلك في استعمال العقد حدوة الفرس كامل الاستدارة (fer à cheval plein cintre) للفتحات المغلفة بعقد أكبر.

وكان حدوة الفرس (déformé) الاكثر استعمالا في بلاطات المساجد المرينية، لكن العقد كامل الاستدارة يتأكد في تنفيذ الأقواس الكبيرة حيث تتسع المسافة بين الدعائم الحاملة للعقود.

وقد استعمل العقد حدوة الفرس المنكسر (brisé) للأبواب الزخرفية كما هو الحال في شالة، وربما بتأثير جمالي من عصر الموحدين كما هو الحال في باب الودايا.

ثم أنه قد اختفى قص العقود إلى فصوص كبيرة (في بيوت الصلاة) خلاف ما كان الشأن عليه في قرطبة والجزائر وتلمسان وتينمل، لقد أصبحت مجرد فصوص منحوتة نحتا زخرفيا.

وان قص الفصوص على هيئة فستون (à festons) حيث تتجمع الفصوص في

---

(1) ماسلوف : نفس المصدر، ص 17.
ومارسيه : العمارة الاسلامية ص 232 وما بعدها وخاصة 338. وعثمان عثمان : حفائر شالة الاسلامية.

مجموعات من ثلاثة فصوص، والعقد الرخوي (lambrequin)، والفصوص الدائرية المتناوبة مع المفاتيح المعروفة في الفن الموحدي، احتفظ بها المرينيون داخل مساجدهم لاثراء العقود القريبة من المحراب (الشكل 162 ــ 165).

5 ــ المحراب القائم بذاته

أما ظاهرة المحراب القائم بنفسه مستقلاً عن مستوى جدار القبلة (يمكن الدوران حوله عن طريق الفتحتين المحيطتين به) الذي رأينا مثاله المرابطي الأول في مسجد تلمسان سنة 530هـ ، فإنها تكررت على عصر بني مرين في مسجد المنصورة بتلمسان الذي أسسه يوسف المريني سنة 702هـ[1] ومحراب زاوية أبي سعيد عثمان[2] بشالة (شكل 166 ــ 167) قبل عام 731 هجرية ثم تظهر بجامع روا (Roua) أو أزهار بمكناس[3] من عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله بن اسماعيل العلوي.

6 ــ وضع الصومعة في تخطيط المساجد المرينية :

لم يكن للمرينيين تقليد خاص في وضع الصومعة من تخطيط المسجد، وقد توصلت إلى تلك الوضعية عند دراستي لمجموعة ابن صالح الأثرية بمدينة مراكش لتحديد الترتيب التاريخي لوحدات المجموعة المعمارية التي اشتملت على مسجد ومسيد وصومعة ثم مدرسة فيما بعد.



شكل 166

محراب زاوية ابى سعيد عثمان وفتحتان حول المحراب للالتفاف حوله من داخل بيت الصلاة

(1) جورج مارسيه : نفس المصدر ص 274.
(2) عثمان عثمان : حفائر شالة الاسلامية، حيث نلقي أضواء جديدة على تاريخ الزاوية وعمارتها.
(3) ماسلوف : نفس المصدر، المقدمة ص 17.

لقد كان وضع صومعة مسجد ابن صالح وتفسيره موضوع ردنا على العالمين هنري تيراس وهنري باسيه اللذين قالا أن القطع في البلاطتين الجانبيتين للمسجد يصنع الأيمن منهما محلا للصومعة بينما القطع الآخر لا يفسره الا تحقيق التماثل في التخطيط[1].

لقد ناقشنا فهم العالمين بأن القطع في التخطيط كان لصنع محل للصومعة، وهذا معناه أن البناء قد تقيد بوضع الصومعة واضطر من أجله إلى قطع تخطيط المسجد.

والحقيقة أن الصومعة لم يكن من الضروري وضعها في هذا المكان وكان في وسع البنّاء وضعها في عدة مواضع سبقه اليها بناؤون مرينيون لم يعرفوا تقليدا ثابتا لوضع الصومعة، وهذه أمثلة مرينية تبين ذلك :



شكل 167

محراب زاوية ابى سعيد عثمان وعمارته الخارجية ببروزها حول المحراب حيث يشير المؤلف

(1) كتابنا حفائر شالة الاسلامية ص 348 وما بعدها.

1 – المسجد الكبير بفاس الجديد : (يعقوب 674هـ) ، الصومعة بالركن الغربي للتخطيط وداخلة في المستطيل العام للمساحة الأرضية (عمارة مارسيه ص 268، وكتابنا حفائر شالة ص 348).

2 – مسجد تازا : (الزيادة المرينية يوسف 690هـ) الصومعة بالركن الشمالي للتخطيط وداخلة كلها في الوضع الذي خلفه القطع (مساجد فاس لماسلوف وكتابنا حفائر شالة ص 349).

3 – المسجد الكبير بوجدة : (يوسف 696هـ) الصومعة ملتصقة بالزاوية الغربية لبيت الصلاة (عمارة مارسيه ص 271).

4 – مسجد المنصورة بتلمسان : (يوسف 702هـ) الصومعة فوق المدخل الرئيسي بالواجهة الشمالية الغربية وعلى محور المحراب (عمارة مارسيه ص 274 وكتابنا حفائر شالة ص 349) (شكل 168).

5 – مسجد العباد بتلمسان : (أبو الحسن 739هـ) الصومعة في النهاية الغربية للواجهة الشمالية الغربية (عمارة مارسيه ص 276)

6 – مسجد الحمراء بفاس الجديد : (أبو الحسن 739هـ) الصومعة في النهاية الغربية للواجهة الشمالية الغربية (ماسلوف بكتابه مساجد فاس ص 56) (شكل 169).

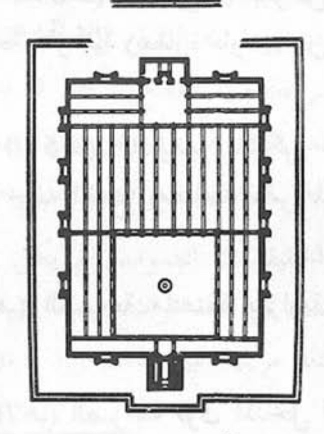
7 – مسجد ابن صالح بمراكش : (715 ــ 721هـ) الصومعة بأول النصف الشمالي للواجهة الجنوبية الغربية داخلة نصفها في قص التخطيط (كتابنا حفائر شالة ص 349) (شكل 170).

8 – مسجد أبي الحسن بفاس البالي : (742هـ) الصومعة فوق المدخل على محور المحراب (ماسلوف ص 80).

9 – مسجد سيدي الحلوي بتلمسان : (أبو عنان 754هـ) الصومعة بالنهاية الغربية للواجهة الجنوبية الغربية بارزة كلها عن التخطيط (عمارة مارسيه ص 278) (شكل 171).

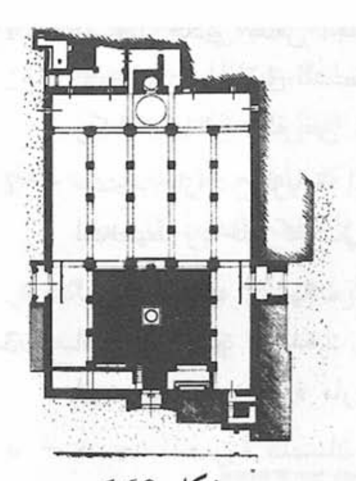
10 – مسجد أزهار بفاس الجديد : (أبو عنان 759هـ) الصومعة قبيل النهاية الجنوبية للواجهة الشمالية الشرقية بارزة كلها عن التخطيط (ماسلوف ص 66 وشكل 175) (شكل 172).

وهكذا يبدو عدم وجود تقليد ثابت لوضع الصومعة من التخطيط في عمارة المرينيين.



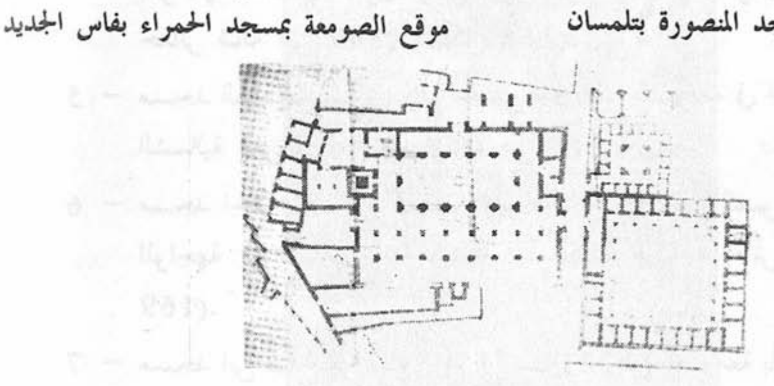
شكل 168

موقع الصومعة بمسجد المنصورة بتلمسان



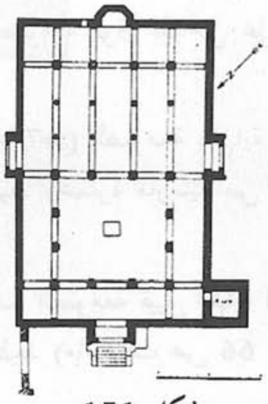
شكل 169

موقع الصومعة بمسجد الحمراء بفاس الجديد



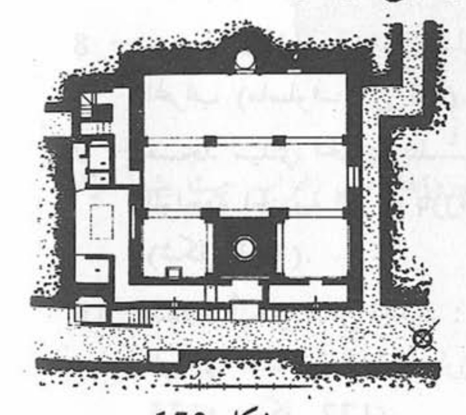
شكل 170

موقع الصومعة بمسجد ابن صالح بمراكش



شكل 171

موقع الصومعة بمسجد سيدي الحلوى



شكل 172

موقع الصومعة بمسجد ازهار بفاس

7 ـــ جامع الجنائز :

درس زميلنا المرحوم بوريس ماسلوف مساجد فاس وشمال المغرب وقال أنه توجد عمارة خاصة لجامع الموتى المعروف بجامع الجنائز تقع خلف جدار القبلة، وغالبا ما تكون عبارة عن مساحة متواضعة الأبعاد وراء المحراب، وأحيانا ما تكون واسعة المساحة كأحد المرافق البارزة كما نرى في جامع القرويين حيث توجد قبة تشير إلى مكان وضع الموتى أثناء الصلاة، وتزود مثل تلك الجوامع الجنائزية بمدخل مباشر يفتح على الطريق ويتصل في نفس الوقت بمجموع البناء.

8 ـــ الافراج :

إنها عبارة عن المساحة الواقعة أمام المحراب المحصورة بين حائط القبلة والدعيمتين (الساريتين أو العمودين) الحاملتين للعقد الواقع أمام المحراب، وتكون تلك المساحة محاطة بحاجز خشبي مقسم إلى حشوات (Panneaux) مستطيلة رأسية تنتهي من أعلى بشرفات (شرافية في المصطلح المغربي) مسننة (Merlons dentés). ان تلك المساحة المحددة من بيت الصلاة أمام المحراب هي التي تسمى (أفراج).

وهذا الوضع تماما هو ما يسمى في المصطلح المشرقي (مقصورة) ويذكر بمقصورة المعز ابن باديس بالمسجد الجامع بالقيروان.

وتفتح ثلاثة أبواب بتلك (الأفراج)، باب في مقابل المحراب وباب بكل من الجانبين من ناحية حائط القبلة.

9 ـــ القبة الجنائزية (Qoubba funéraire) :

وهذه القبة الجنائزية (Marabout) تكون في هيئتها البسيطة عبارة بناية ذات تخطيط مربع حيث تجلس القبة فوق أربعة أقواس (Arcades) تحمل نظام التغطية.

وفي حالات أخرى تكون القبة الجنائزية ذو تخطيط مربع تغطيه قبة زخرفية يحميها من الخارج سقف من أربعة جوانب (à quatre pans) تتوجه القراميد الخضراء (tuils vertes).

وتكون الاضرحة الأكثر أهمية من وحدة رئيسية يلحق بها بلاط (nef) أو أكثر وصحن وقاعة للوضوء، وعادة ما يلصق بجدار القبلة نقش جنائزي محفور في الرخام أو الزليج بالناحية الجنوبية للمحراب يشتمل عادة على اسم صاحب الضريح ومؤسس البناء.

---

(1) بوريس ماسلوف : مساجد فاس وشمال المغرب، مقدمة هنري تيراس ودراسة النقوش لليفي بروفنسال.

10 ـــ الزوايا :

تعتبر الزوايا مكان تجمع المنقطعين للعبادة من أتباع الطريقة وتشتمل عادة على ضريح شيخ الطريقة وسلالته، ويغطى موضع القبر كسوة (Sarcophage) عبارة عن تابوت خشبي منقوش ومدهون يحدد اسم الشيخ المؤسس للطريقة الذي يطلق اسمه على الزاوية.

وفي الزوايا القديمة يلاحظ تعدد شواهد القبور بالصحن وبلاط الزاوية وهو ما يميز بناء الزاوية عن بناء المسجد، حيث أن الزاوية تشتمل كذلك على مصلى وصحن وأحيانا صومعة تتوج البناء ومدخل أو أكثر وقاعة للوضوء وبيت للمؤذن.

وتظل الزاوية طوال العهود كإحدى ممتلكات الشيخ وأتباعه من بعده وتلحق بالزاوية مرافق ذات بيوت لإيواء النزلاء الذين يحجون إلى الزاوية في المناسبات الدينية من أماكن بعيدة.

ثانيا : الخصائص العامة للزخرفة المعمارية

1 – الخصائص العامة للزخرفة المعمارية :

تقدمت إحدى القبائل الكبرى من شرق المغرب رويدا رويدا إلى أن تمكن أبو يوسف يعقوب بعد صراع طويل من الاستيلاء على السلطة وتأسيس الدولة المرينية بالمغرب الاقصى، لكن تلك الدولة لم تكتسب حجم الامبراطورية الموحدية الذي كان ممتدا شمالا باسبانيا وشرقا إلى غاية الحدود الشرقية للمغرب العربي، لقد كانت الدولة المرينية وريثة لجزء من أجزاء الامبراطورية الموحدية بعد سقوطها فجاءت منشآتها متناسبة مع حجمها وتعبيرا صادقا لتاريخ الدولة.

فتبعا لضخامة وفخامة الامبراطورية الموحدية كانت مساجد وحصون الموحدين تتميز بالفخامة والضخامة والاتساع، وكان ذلك الاتساع دافعا لان تكون عناصر الزخرفة المعمارية كبيرة المساحة واضحة المعالم بسيطة الخطوط.

وفي مقابل ذلك كانت منشآت المرينيين متواضعة المساحة ضئيلة الحجم نسبيا فلزم تعويض ذلك بانتشار الزخرفة المعمارية انتشارا يغطي جميع السطوح في الحوائط والسواري والعقود والأسقف وتحققت بذلك نظرية الفن الاسلامي في (الهرب من الفراغ) وتم تقسيم المسطحات الكلية إلى حشوات (panneaux) ومناطق زخرفية وأشرطة متقابلة متناسبة ومتناظرة تحدث التوازن الدقيق في التوزيع العام لعناصر الزخرفة المعمارية.

وعلى خلاف خطوط عناصر الزخرفة الموحدية المتميزة البسيطة الواضحة (لمن يراها من بعيد) بين فراغات المساحة الزخرفية الكبيرة، أصبحت خطوط الزخرفة المرينية دقيقة رقيقة متداخلة منتشرة على جميع أرضية المساحة الزخرفية بحيث لا يمكن تمييزها وفرزها إلا عن قرب، وقد اكتسبت تنوعا في الألوان يضع انسجاما عاما لجميع العناصر والوحدات الزخرفية حيث نرَى الألوان الازرق والرمادي والاخضر والاسود وكأنها تعزف سيمفونية ناعمة على جدران مدرسة أبي الحسن بسلا ونظيراتها بفاس ومكناس وغيرها.

وكما هو شائع بمؤسسات ومدارس المرينيين جرت العادة على تغطية الأقسام السفلى من الجدران بالزليج وهي فسيفساء الخزف الملون (Mosaique de faience) وأعلاه الجص المنقوش (داخل المباني دون الواجهات الخارجية) ثم الخشب بالعقود والأبواب والاطارات العليا المنقوشة بالكتابات والألوان التي فقدت بعض بهائها بفعل الزمن وتأثير المناخ.

لقد انتشرت على الأرضيات الزخرفية تضفيرات هندسية (entrelaces géometrique)

أو زهرية بسيطة أو مركبة وظهرت الاوراق النخيلية (Palme) والتعريشات النخيلية (Palmette) وكيزان الصنوبر متنوعة ورائعة وإن لم تطرح نماذج مبتكرة كثيرة.

وعلى افاريز واطارات الجص نقشت تضفيرات النجوم متعددة الاركان (étoiles polygonales) المستوحاة من الشرق في تشكيلات متنوعة تحقق التوازن في الحركة والانسجام.

ومن دراسة بروسبير ريكار العميقة للعناصر الزخرفية نستطيع تمييز عدة أساليب مرينية، لقد كانت الاوراق النباتية متشابهة إلى حد بعيد في فنون بني نصر وبني مرين وبني زيان خاصة تلك العناصر المنقوشة في الخزف والحجر والخشب والجص كما نرى في الاشكال (173 — 176).

وكانت الزهيرات (fleurons) المرينية ذات وريقات تتجمع على شكل اندماج أو تقاطع أو التحام (الاشكال 177 — 178) ، وقد ترسم الأوراق بهيئتها العادية (شكل 179)، أو على هيئة كوز الصنوبر (pomme de pain) (شكل 180).

وقد تكون الأوراق ملساء مرنة (souple) تتنوع بتنوع مكانها من النقش (شكل 181) ، وكثيرا ما تصنع الأوراق تضفيرا نباتيا (شكل 182).

ومن الزخارف ذات الأصل الهندسي البسيطة تظهر العقد التي تدخل ضمن فنون الارابسك لما تتميز به من تناظر وتماثل (شكل 183)، ومثلها زخرفة السلسلة (شكل 184).

أما الفصوص (lobes) والفستون (feston) فقد عرفت قبل عصر المرينيين بعدة عصور ومثلها عناصر الوريدات والزخرفة المتراكبة كقشر السمك والحبائل المجدولة (شكل 185).

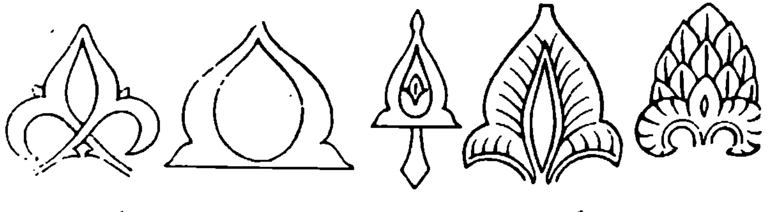
أما التضفير أو الشرشرة أو جدل أطراف الخصة (الفسقية) أو القبة بالمساجد والقصور التي انتشرت بالفن المريني فإنها تعود إلى أصول سابقة غير محددة على وجه اليقين (شكل 186).

ويمكن القول بأن الفن المريني يعتبر فنا متميزا أعطى للخطوط الزخرفية حياة مسترسلة متصلة ومنح العناصر والوحدات جمالا منسجما مع الألوان إلى جانب نعومة الحس ورقة الذوق التي لا ترتقي إليها فنون القرن السادس.

وإن نعومة الحس ورقة الذوق لتتجلى في مدارس فاس الاخوات المشتركات في معظم عناصر التخطيط وأساليب الزخرفة مع استقلال كل منها بشخصيتها وجمالها، ذلك الجمال الذي لا يتجلى بكامل روعته وبهائه إلا بعد التملي منها ساعات طوال على مدى أوقات النهار



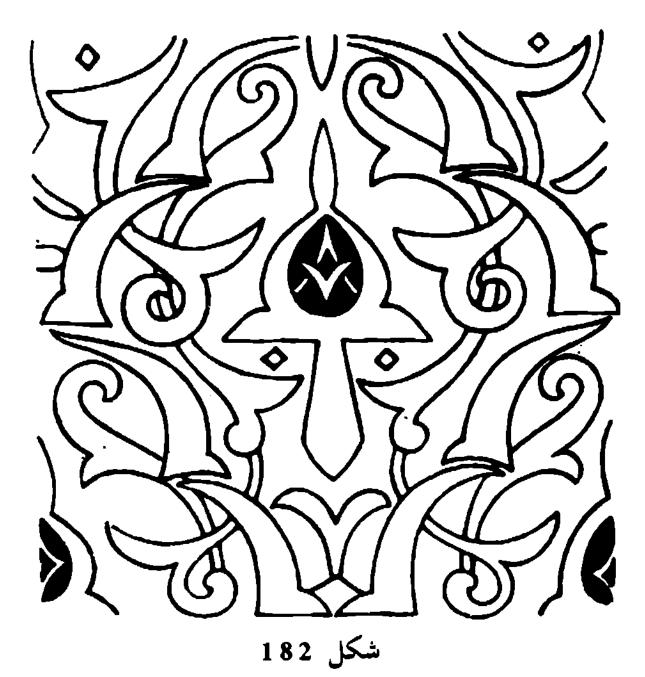
شكل 173 شكل 174 شكل 175 شكل 176



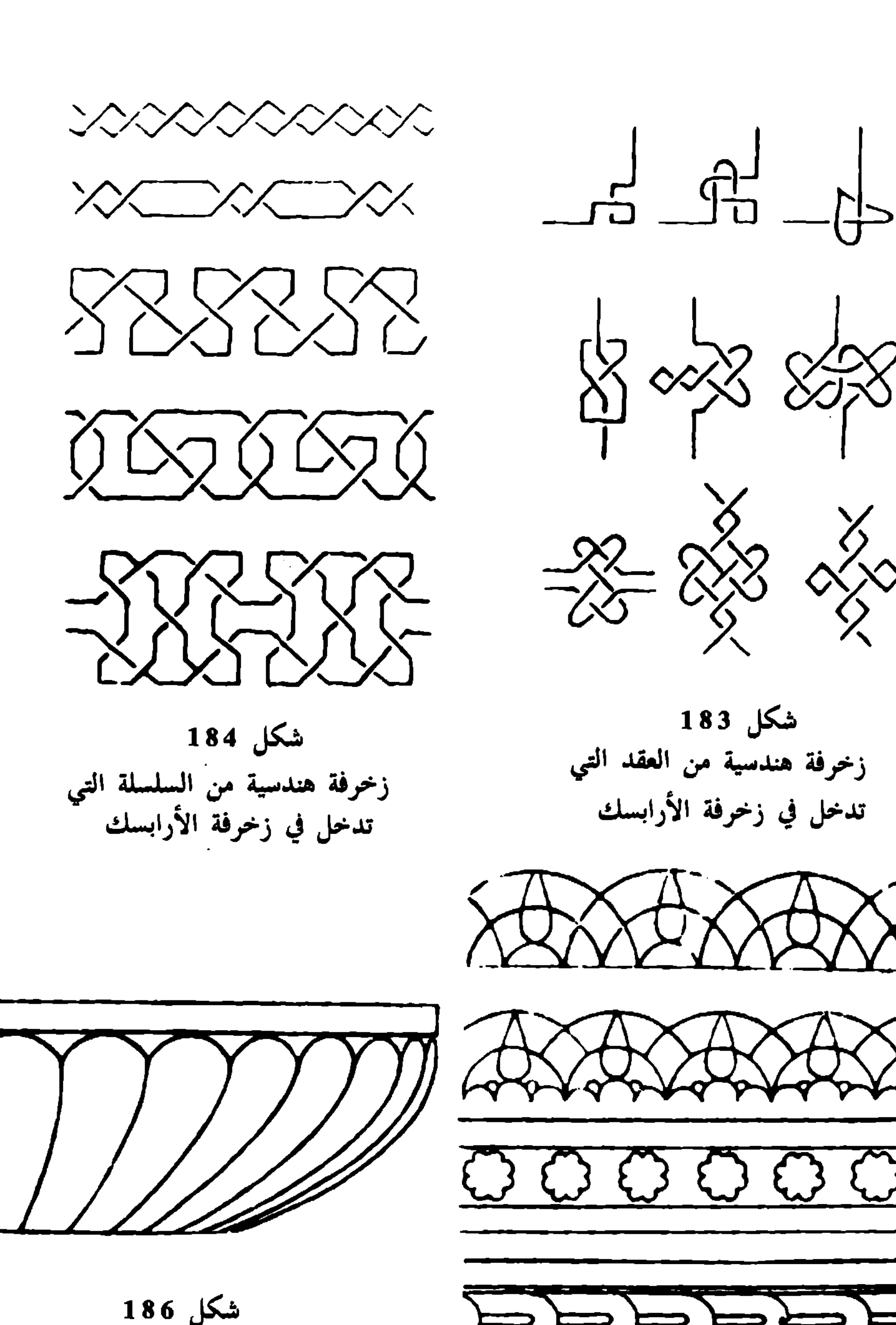
شكل 177 شكل 178 شكل 179 شكل 180



شكل 181



شكل 182



شكل 183

زخرفة هندسية من العقد التي
تدخل في زخرفة الأرابسك

شكل 184

زخرفة هندسية من السلسلة التي
تدخل في زخرفة الأرابسك

شكل 185

الفصوص التي تصنع الفستون
والوريدات والزخرفة المتراكبة

شكل 186

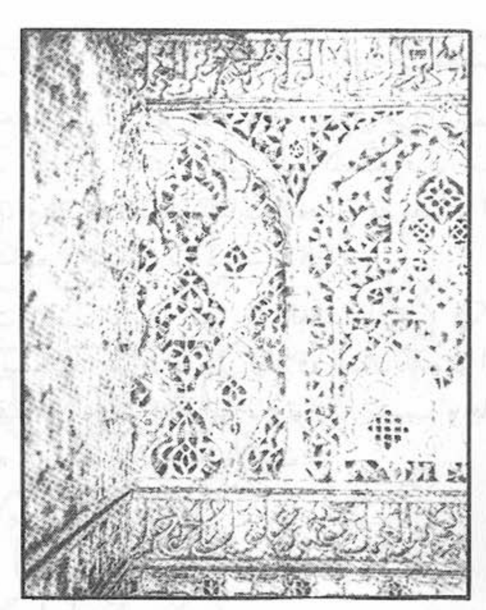
جدل أطراف الخصة في الفن المريني

حيث تتغير الابداعات حساً ومعنى طوال اليوم باختلاف مواقع الضوء والظلال[1] على عناصر الزخرفة بكل ركن من أركان العمل الفني النموذجي لعصر الدولة المرينية.

وهكذا تنبعث حلية العمائر المغربية في هذا الطراز من الأعمدة الرخامية الدقيقة ذات التيجان الرقيقة المحلات بالتوريق الذي يطلق عليه المستشرقون اسم (الارابسك)، والعقود المتخذة من الجص المخرم، والقاعات ذات القباب النجمية بمقرنصاتها الخشبية أو الجصية متعددة الأشكال متنوعة الهندسات (اشكال 187 — 188).

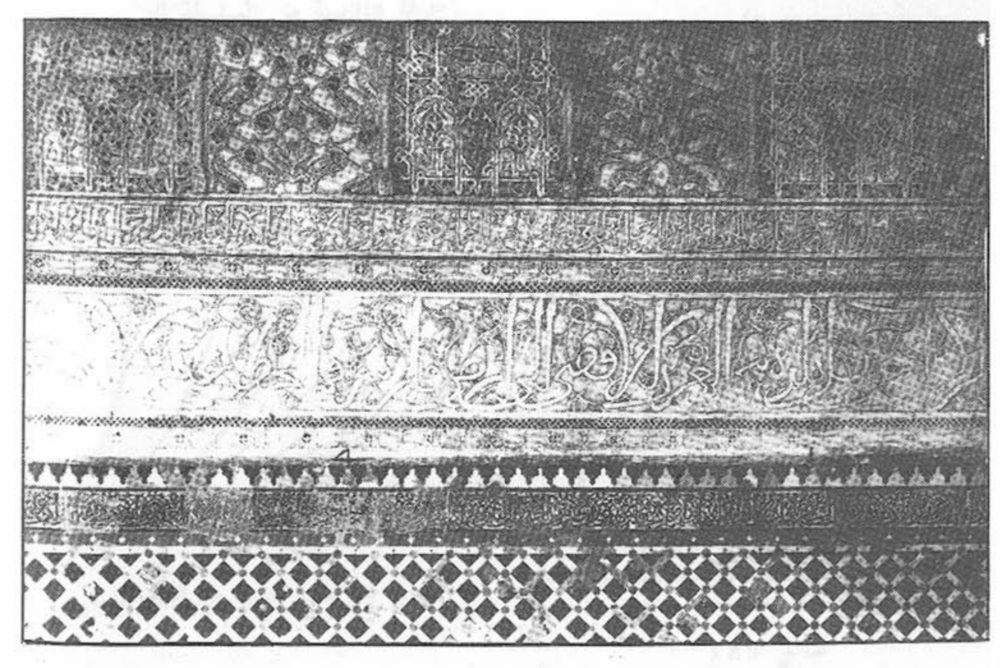
فتلك المقرنصات تلعب دورا كبيرا في العصر المريني في قباب المدارس والقصور وواجهات المنازل والمؤسسات، بالاضافة إلى اطلاق العنان لفنون التوريق والتسطير والنقش وروعة المجموعة الزخرفية من حيث دقة المعالم وتوازن النسب وتجانس النقوش تجانساً رائعاً ضمن الحيز الذي تملأه مع دقة وانسجام الألوان.

(1) H. Terrasse et J. Hainaut : les arts decoratifs au Maroc, Paris 1925 P. 73 - 82.



شكل 187

رقة النقش في الجص بمدرسة أبي الحسن بالطالعة بسلا



شكل 188

تنوع الفنون المرينية ورقتها بمدرسة أبي الحسن بسلا

2 ـــ بعض نماذج عناصر الزخرفة المعمارية

أ - **شطف برج الواجهة (مقرنص الواجهة)** : لاحظنا في مدخل شالة الغربي الكبير (739هـ) طريقة معالجة الفنان لحافتي البرجين المحيطين بالمدخل إذ شطفهما من أسفل وترك القسم العلوي بارزاً ثم وضع في المساحة المحصورة بين الشطف العلوي وبين البروز الناشيء عددا من المقرنصات (شكل 189). لقد رجحت في دراسة سابقة لفنون شالة المرينية كون تلك الظاهرة مستوحاة من تصميم واجهة مسجد الأقمر بالقاهرة (فاطمي 519هـ) وهو أقدم مثال من نوعه في مصر. غير أن هذا العنصر تطور في عمارة باب شالة المريني على نحو غير مسبوق في المغرب حيث أن المثال السابق، على تاريخ البرج المشطوف بشالة، والمتمثل في باب الاحد الموحدي بالرباط يظل عاطلا من الزخرفة المعمارية ولا يحقق جمالا فنيا على نحو ما حققه المثال المريني[1].

المجموعة الزخرفية المرينية : ظهرت في باب شالة كذلك المجموعة الزخرفية المرينية وهي مجموعة تتكون من ورقتين مزدوجتين متدابرتين من الأوراق النخيلية تنحصر بين الورقتين الطويلتين في كل منهما منطقة مستديرة يملأها كوز الصنوبر ثم يتفرع من نهاية كل ورقة طويلة ورقة مزدوجة أخرى لخلق منطقة زخرفية تعلو كوز الصنوبر، إنها مجموعة زخرفية قديمة في الفن المريني وذات قيمة عظيمة في فن شمال افريقيا[2].

ب - **العنصر الثعباني أو الملفوف** (le motif surpentiforme) : وجد هذا العنصر المعماري سابقا في جامع الحاكم بالقاهرة (فاطمي 403هـ) ثم ظهر أكثر اتقانا بمسجد تينمل (موحدي 548هـ) واحتفظ بوظيفته المعمارية بباب الرواح من عصر الموحدين، أما في المثال المريني في شالة الاسلامية فقد بلغ أقصى تطوره ففقد وظيفته المعمارية تماما واقتصر على تحقيق الهدف الجمالي فاتخذ شكل ثعبان يملأ الفراغ الناشيء بالفص الاسفل للعقد بعد أن كان هو نفسه يشكل الركيزة التي يرتكز عليها العقد من الجانبين[3] (شكل 190).

ج - **شبكة المعينات** : إنه العامل الزخرفي المعماري المشترك في مباني وتحف الطراز الاندلسي المغربي نجدها في واجهات الصوامع وبواطن العقود بالمساجد والمدارس والقصور بفاس والحمراء بغرناطة، وتتنوع بين العناصر الهندسية والنباتية كما عرفت استخدام العناصر الكتابية.

---

(1) كتابنا الفنون الإسلامية والنقوش العربية بالمغرب ص 26.

(2) H. Basset et L. Provençal : Chella une necrop. P. 62 et fig. 8

(3) كتابنا الفنون الإسلامية والنقوش العربية بالمغرب ص 465/263.

وعلى الرغم من اختلاف مؤرخي الفنون جورج مارسيه وبروسبير ريكار وهنري تيراس في الاصل الزخرفي لهذه الظاهرة، غير أنهم اتفقوا على أن موطنها الأول كان الاندلس.

لكننا تجاوزنا تلك الاراء فيما يخص الموطن الأول وكذلك الاصل الزخرفي بعد أبحاث ميدانية كشفت عن أصلها المغربي الذي استنبطه (البربر) عرب المغرب القدماء من طبيعة بيئتهم ونوع ثقافتهم وأصول معتقداتهم فعمت جميع مبانيهم ومنتجاتهم في الصوف والسجاد والخشب وكان لها معنى خاص في المعتقدات الشعبية إذ كانت تلك المعينات ترمز إلى عدد العيون اليقظة والحذرة التي يسمونها عيون الحجل (yeux de perdix). لقد كان المغرب الموطن الاصلي لتلك الزخرفة ومنه انتشرت على يد (البربر) انفسهم شرقا وشمالاً فذلك العنصر لم ينتشر بالاندلس قبل العصر المغربي الاندلسي واتصال حضارة الاندلس بالمغرب بعد واقعة الزلاقة.

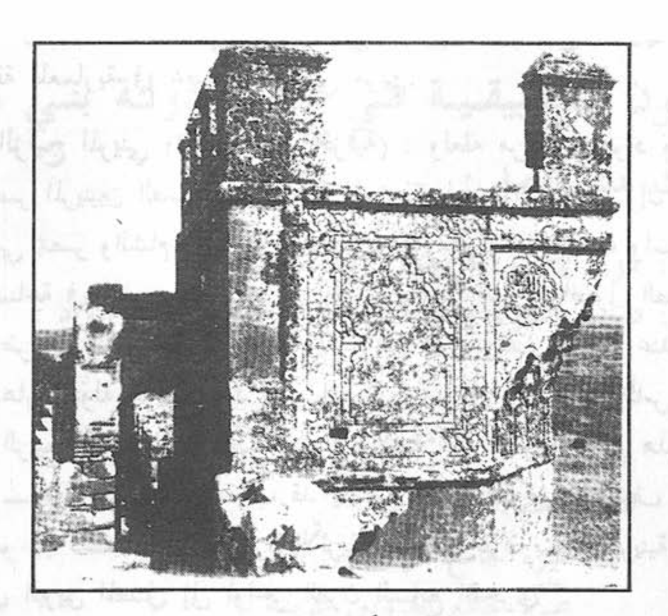
د - الخط الكوفي المضفر (coufique Tressé) : لاجدال في أن الخط العربي تجاوز الهدف البديهي للتعبير إلى الغرض الجمالي الزخرفي لاسباب عدة وحقق جمالا تشكيليا لم يبلغه خط آخر في تاريخ البشرية قاطبة.

ومن أنواع الخطوط العربية الخط الكوفي ومنه ما يعرف بالكوفي المضفر، ومن هذا الخط مثال بديع من العصر المريني نقش في الحجر بواجهة الباب الغربي الكبير بأسوار شالة المرينية يحمل تاريخ النقش من عام (739هـ).

ومعلوم أن المثال الأول المعروف من هذا النوع وجد بمقصورة المعز بن باديس بجامع القيروان وهي المقصورة المؤرخة بعام (431 هـ)، وقد انفرد بدراسة طراز الكوفي المضفر على المقصورة المذكورة العلامة فلوري المستشرق السويسري الشهير وأرجع ميلاد ذلك النوع من الكتابة إلى إيران دون تحديد، ثم أشار المرحوم زكي محمد حسن إلى مثال ايراني يرجع إلى عام (418هـ).

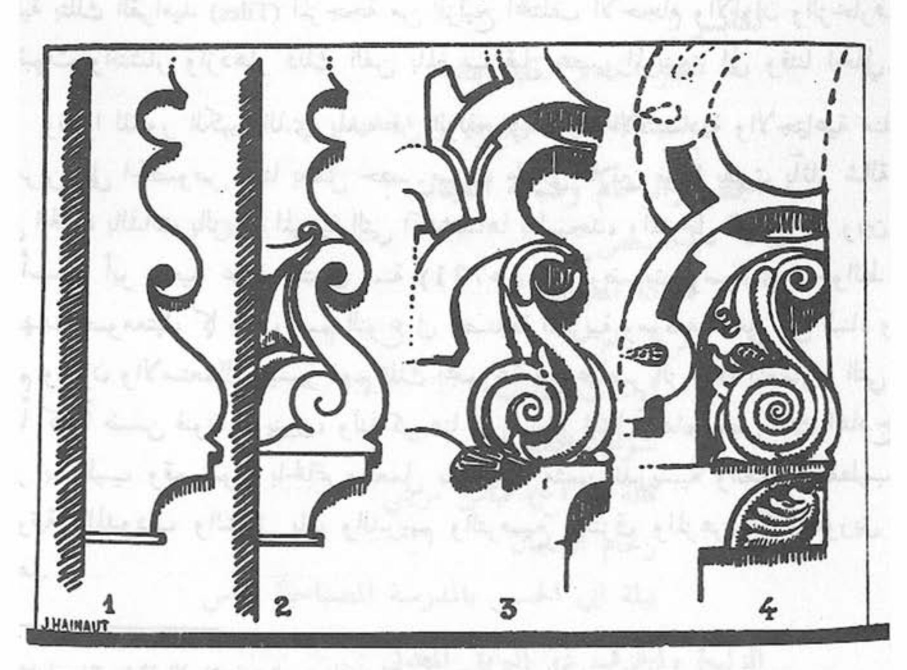
وسبق لي مناقشة الأسباب التي اعتمد عليها فلوري وزكي محمد حسن حول موطن وتاريخ ابتداع طراز الكوفي المضفر[1] وطرحت للبحث نظرية مغربية باعتبار أن تونس كانت الموطن الأول لهذا الطراز اعتماداً على ميل الخطوط المغربية عامة إلى التقعير والاستدارة والاقواس والانحناءات التي تميز بها الكوفي المضفر، بالاضافة إلى انتشار ورواج الطراز القيرواني بجميع آثار المغرب العربي من تونس إلى الجزائر وفاس ومكناس إلى قصر الجعفرية بسراقسطة وقصر الحمراء بغرناطة وما إليها من عواصم الاندلس خلف المضيق، فالعبرة دائما بانتشار ورواج

(1) كتابنا الفنون الإسلامية والنقوش العربية بالمغرب ص 265/263.



شكل 189

شطف اركان ابراج المدخل الكبير بشالة



شكل 190

تطور العنصر الثعباني (الملفوف)

الاسلوب وثباته وتأثيراته وليس بوجود مثال سابق عقيم، لقد أصبح الكوفي المضفر من أبرز أساليب الزخرفة المعمارية في عصر دولة بني مرين.

هـ - الزليج المريني (الفسيفساء الخزفية) : ولعله من أبرز مواد وعناصر الزخرفة المعمارية في عصر المرينيين الفسيفساء الخزفية المعروفة باسم (الزليج) ، وإن كانت دراسات الخزف الاسلامي بمصر والشام والعراق والاندلس قد حظيت بدراسات واسعة، فإنه بالنسبة لتاريخ تلك الصناعة في المغرب تصمت المراجع عن ذكر أنواع وأصول الصناعة المحلية قبل عصر كتابة روض القرطاس أول تاريخ عام للمغرب الذي وقف بحوادثه عند عام (726هـ) إي في فترة ازدهار الدولة المرينية. لقد أشار ابن ابي زرع في روض القرطاس إلى المكانة التي احتلتها صناعة الزليج في الحياة الاقتصادية والاجتماعية على السواء، ومع هذا ــ أي قلة أو انعدام المصادر ــ فإن البحث والتنقيب قد يعوض فقر النصوص ليكشف عن أصالة تلك الصناعة على نحو ما كشفت عنه حفائرنا الأثرية منذ ثلث قرن بشالة المرينية إذ أرجعنا مثالا من الخزف ذي البريق المعدني إلى أواخر القرن السابع الهجري[1].

لقد كانت التشكيلات الملحوظة فيما يزين أرضيات وجدران المنشآت المعمارية الدينية والمدنية بتلك القراميد (Tiles) المزججة من الزليج المختلف الاحجام والالوان والزخارف دليلا على ثبوت وانتشار وازدهار ذلك الفن بالمغرب قبل عصر المرينيين إلى وقتنا الحالي.

ونظرا للدور الكبير الذي يلعبه فن الزليج في الحياة الاقتصادية والاجتماعية منذ عصر بني مرين على الخصوص قمنا بعمل حصر مبوب لحوالي ثلاثين نوعا بقيت بآثار شالة المرينية داخل الخلوة بالذات بالزيادة المرينية التي اكتشفناها بالمسجد، والمدخل الواقع بينه وبين الزاوية التي أسسها أبو سعيد عثمان المتوفى سنة (731هـ)، ثم أرضيات وسواري وحوائط الزاوية وواجهات صومعتها، كما بينت اسم النوع في الصناعة المغربية وموقعه الفعلي من البناء ووصف الحجم واللون والاستعمال لتيسير فهم تلك المجموعة من عناصر الزخرفة المعمارية التي عرفت رواجاً كبيراً ضمن فنون المرينيين، ولنذكر هنا على سبيل المثال أسماء بعض تلك النماذج، فمنها المعشر بالقطيب وقمرشون بالخاتم والعمل بالقطيب مثمن ندريسية والعمل بالقطيب مثمن عنكبوتية والمدودب والشغل بان والدريهم والترصيع والنزق والمزهري[2] والتوريق المولف وغيرها.

---

(1) كتابنا حفائر شالة الإسلامية : النوع المكتشف بكسوة قبر بالزيادة المرينية بالمسجد.
(2) كتابنا الفنون الاسلامية والنقوش العربية بالمغرب ص 111 / 125.

الفصل السابع

الفنون التطبيقية في عصر دولة بني مرين

أبحاث هذا الفصل :

أولا : دور الفنون المغربية في الاندلس

ثانيا : دراسة الفنون والصناعات المرينية على مختلف المواد :

الخشب :

مقصورة الامير أبي حفص

العنزات :

عنزة جامع الاندلسيين بفاس القديم

عنزة جامع القرويين المرينية

عنزة الجامع الكبير بفاس الجديد

المنابر :

منبر الجامع الكبير بتازا

منبر الجامع الكبير بفاس الجديد

الجص والرخام وشبكة المعينات :

الجص

شبكة المعينات

الرخام :

لوحات التحبيس

شواهد القبور

قالة (ذراع) قياس مريني

رخام التيجان

بيلة ابي الحسن بالمدرسة المصباحية بفاس

الزليج والخزف ذو البريق المعدني :

ازدهار فن الزليج

صناعته

أهمية تلك التحف المعدنية

نماذج مرينية :

مد أبي الحسن المؤرخ رجب 734هـ

مد أبي الحسن المؤرخ جمادى الثاني 734هـ

مد أبي الحسن غير المؤرخ (731 ــ 749هـ)

النسيج والسجاد :

1 – اللباس والازياء :

لباس السلطان والعلماء

لباس العامة

لباس المشايخ وقادة الجيش

2 – القباب والاخبية

3 – الرايـات :

العلم المنصور

رايات القبائل

رايات الجيش والشرطة

علما أبي الحسن المريني بكنيسة طليطلة

4 – دار الديباج بفاس .

الفصل السابع

الفنون والصناعات التطبيقية في عصر الدولة المرينية

ونبدأ الآن في التعرف على شخصية الفنون والصناعات التطبيقية في عصر الدولة المرينية على ضوء الدراسات والابحاث التي نستعرضها لعدد من نماذج الفنون والصناعات والتحف المختلفة من هذا العصر الذي يمثل ذروة الطراز المغربي الأندلسي ابتداء من موقعة الزلاقة في عصر المرابطين إلى تاريخ سقوط مملكة غرناطة وأفول نجم دولة بني مرين.

ونقول باديء ذي بدء انه بالنسبة لدراسة التحف المنقولة في هذا الطراز، فلعل خير ما يفسرها لنا هي تلك الثروة الفنية المتمثلة في الاثاث والمفروشات الدينية والدينية المدنية المرينية، لقد كانت قداسة المساجد والمدارس الاسلامية والمباني الدينية بوجه عام من أهم أسباب سلامة تلك المنتجات والاحتفاظ بها شاهدة على حضارة ذلك العصر بحيث يمكن القول أن أهم ما يمثل نوعية ومستوى الفنون والصناعات التطبيقية في عصر الدولة المرينية ابتداء من أواخر القرن السابع الهجري يتمثل في العنزات والمنابر والمقصورات والثريات والاسطرلاب وآلات التوقيت واشغال الجص والزليج والرخام وفنون الكتاب على وجه الاجمال.

وسوف تتأكد مكانة الفنون المغربية في عصر بني مرين عندما ننظر إلى الدور الذي لعبته في الاندلس على الرغم من سقوط الامبراطورية الموحدية وتقسيم مملكتها.

أولا : دور الفنون المغربية في الأندلس

هذا وتذكرنا دراسة الفنون الزخرفية لهذا الطراز الذي ساد المغرب والأندلس على السواء، بوفاء المغرب لاشقائه في العروبة والاسلام، ذلك أن رواج هذا الطراز بالعدوتين على الرغم من سقوط امبراطورية الموحدين وتقسيمها، لازال يحكي ذكرى العلاقات الأبوية[1] والطيبة التي التزم بها المغرب تجاه بني نصر بغرناطة ونجدتهم المرة تلو الاخرى، فتحت جناح تلك الوصاية السياسية والعسكرية والعلائق الودية استمرت أساليب ذلك الطراز بالأندلس إلى جانب المغرب على الرغم من انسلاخ فنون بني عبد الواد وبني حفص عن ذلك الاتجاه.

---

(1) أوردنا ذلك الاصطلاح دون مبالغة فقد كان سلطان غرناطة يعترف في رسائله وعلى لسان سفرائه كلسان الدين بالرعاية الأبوية لسلاطين المرينيين. انظر ذلك في أخبار لسان الدين وسفاراته، بمؤلفاته، وبما نقله صاحب النفح وغيره.

ثانيا : دراسة الفنون والصناعات على مختلف المواد

الـــخـــشـــب

انطلق رواج صناعة الخشب مع مؤسس الدولة يعقوب بن عبد الحق منذ بداية اهتمامه ببناء دار صناعة السفن بمدينة سلا لحمل المجاهدين إلى الاندلس ثم اهتمام أبي سعيد عثمان بصناعة الأجفان الغزوية وتأسيس أبي الحسن دار الصنعة بجبل الفتح واستكثاره من قطع الاسطول لتحقيق وحدة الغرب الاسلامي بالمغرب العربي والاندلس، ورغم نكبة الاسطول وكارثة طريف التي محص الله بها المسلمين، فقد واصل أبو عنان رعاية الأسطول الاسلامي الذي وصلت قطعه إلى شواطيء الاسكندرية شرقا وموانيء الاندلس شمالا.

وكانت صناعة الاساطيل اذن احدى نوعيات صناعة فن الخشب على المستوى الاداري وقد تنوعت أحجام وأشكال قطع الاسطول تبعا للغرض من استخدامها فمن أنواعها القرقورة وهي كبيرة الحجم قد تكون ذات طبقات ثلاث لحمل المؤن ولوازم الجهاد والمجاهدين، والشيني مركب طويل بأبراج وقلاع ومائة مجداف، والغراب مقدمتها كرأس الغراب تسير بالقلع والمجداف لحمل الغزاة، والطريدة صغيرة الحجم سريعة مفتوحة المواخر بأبواب تفتح وتغلق لحمل خيول الحرب، والغارب سفينة صغيرة للتنقل بين السفن الكبيرة والشاطيء، والشيطي سفينة استطلاعية لكشف الموانيء[1].

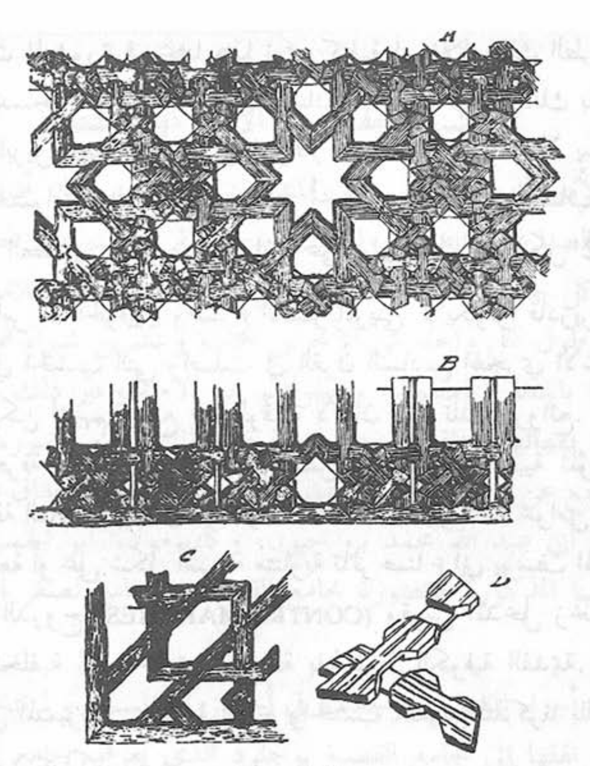
أما ما يتعلق بالصناعات المدنية من تحف وأثاث فقد كان لعاصمة بني مرين (على حد قول فضل الله العمري) في المائة الثامنة اليد الطولى في صناعة المخروطات من الخشب والنحاس.

ولا بأس من الاشارة هنا إلى ابتكار الفنان المسلم لصناعة الحشوات الخشبية بمنتجاته المتنوعة التي نعرض لدراستها مثل أعتاب المباني والأسقف والمقصورات والعنزات والمنابر وغيرها.

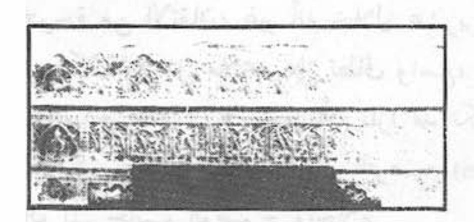
ويرجع ذلك الابتكار أصلا إلى عامل المناخ وقلة الأخشاب الثمينة أو ندرتها أحيانا، فلاشك أن الخشب كغيره من المواد يتأثر بالحرارة صيفا والبرودة شتاء وكذلك بالرطوبة، ونظرا للرغبة في سرعة الانجاز إبان عصر ازدهار الحضارة المغربية بحيث يصعب ترك الخشب للجفاف الوقت الكافي، فكانت طريقة الحشوات بما يترك معها من فراغات بين الجزئيات تساعد على التغلب على مشكلة المناخ، بالاضافة إلى أن استخدام الحشوات والفواصل كان يساعد على مزيد من الاقتصاد في أنواع الخشب الثمينة اللازمة للتحف والأثاث رفيع المستوى، كما أنه في نفس الوقت يعمل على الاستفادة من كل جزء من الخشب الثمين مهما صغر حجمه.

---

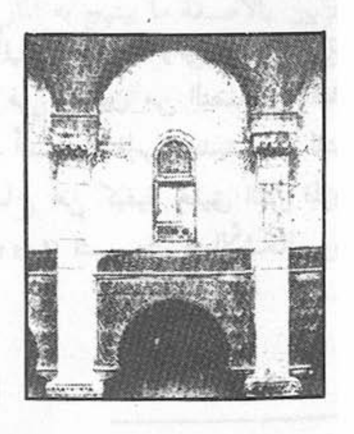
(1) دراسة المنوني للنظام العسكري المريني بمجلة البحث العلمي عدد 2.



شكل 191
صناعة الخشب بمسجد سيدي الحلوى بتلمسان



شكل 193
نماذج من صناعة الخشب المرينية
بأعتاب مدرسة الصهريج بفاس



شكل 192
نماذج من صناعة الخشب المرينية
بمدرسة العطارين بفاس

ومن اللوحات المنشورة في بحثنا هذا نرى كيفية استغلال تلك الطريقة في مواقع عدة من صناعة الخشب بمسجد سيدي الحلوي بتلمسان (شكل 191) وذلك باقسام من الاسقف الخشبية وبداية الدرابزين (Rampe) والزوايا والأركان المعشقة. وقد لا يستغني الصانع عن الاستفادة بطريقة الحشوات والتعشيق في تنفيذ أخشاب الأوتار والأعتاب والعقود كما نرى في عمارة مدرستي العطارين والصهريج بفاس على سبيل المثال (شكل 192 و193).

ويرى م. تيراس أن الحرفيين وصناع العصر المريني لم يكونوا قادرين على إبداع روائع الحشوات المنقوشة في الخشب التي واصلت في القرن السادس الهجري الاساليب الفنية للعاج الأموي أو أنهم لم يكن لديهم متسع من الوقت لاتقان مثل تلك الروائع. هذا وتمنحنا المنابر المرابطية مفتاح الزخرفة المرينية حيث تحمل بعض الحشوات الخشبية المؤرخة بعام 1279 ميلادية ملامح الزخرفة الفاسية كما تدل الزخارف المحددة بعناصر ذات عوامل هندسية مرصوصة الى جوار بعضها مربعة أو على شكل أشرطة متناوبة تأثر صناع أبي يوسف المريني بمنبر القرويين حيث تعكس قوائم الدروج (CONTRE MARCHES) وقوس المدخل زخارف منقطة شبيهة بتلك التي نجدها كخلفية للمساحات المنقوشة بالخطوط الكوفية القديمة. ومن جهة أخرى فإن بعض الخصائص المتميزة في صناعة العاج والخشب النفيس لتذكرنا بالعناصر البسيطة في المنبر القرطبي الموجود بمراكش.

وكما رأينا في القباب المرينية المشكلة من تقاطع العقود (Coupoles Nervées) بفاس الجديد وتازا فإن المنابر استلهمت جميع أشكالها المرابطية.

وإذا ما كانت المصانع المرينية ومنتجاتها على عهد أبي يوسف يعقوب المريني لم تبلغ بعد درجة من الاتقان، غير أنه خلال عشرين سنة تمكن فن المرينيين من النضج والانتشار في كل مكان وفرض ملامحه على نطاق واسع، ولا غرو فقد أصبحت فاس الجديد منبعا لفنون القرن السابع الهجري في حين أن تازا قد تكفلت بالافصاح عن كيفية تحقيق الفن المريني لتفوقه الكبير، حيث بدت أشغال الترصيع (Les marquetteries) تتسم بتنوع الأشكال ورقة الألوان إلى جانب الوضوح والجلاء.

(الخشب) مقصورة الأمير أبي حفص

وقد أراد الأمير أبو حفص بن أمير المسلمين أبي سعيد عثمان أن يجعل على المحراب[1] مقصورة وشرع الصناع في عملها وانشئت من ثلاثة اجناب من خشب الأرز بصناعة التقاشير، ارتفاع كل جانب منها تسعة أشبار، وطول الأوسط منها ثلاثون شبرا وهو الذي صنع فيه الباب، وطول كل واحد من الآخرين خمسة وعشرين شبرا، ثم إن الناس ظهر لهم أن في ذلك مضرة بانقطاع الصفوف وحيلولتهم عن الامام وغير ذلك من الوجوه، ورفعوا الأمر في ذلك الى فقهائهم، فلقوه وبينوا له ما ظهر للناس من الضرر، وقالوا له مع ذلك أمورا مصلحية فرجع عن عمله سنة اثنتي عشرة وسبعمائة، وكان الانفاق فيه من مال الاحباس على يد الناظر فيها أبي عبد الله محمد بن حيون، وكان مولانا أبو الحسن رحمه الله أراد أن يجعل بهذه الاجناب المذكورة مقصورة بجامع القصبة من فاس لصغر التي به فأنسي ذلك والله أعلم[2].

ولهذا فكت أجزاء المقصورة وجعلت في أحد زوايا المسجد و لم تتحقق رغبة أبي الحسن أخ أبي حفص في نقلها إلى جامع القصبة بوجلود الذي يعرف بجامع النصر[3] (وأما زاوية القراء البهية التي أمر بها مولانا المستعين عن يسار قبلة هذا الجامع ــ القرويين ــ الناطقة بالخير الجامع... فانه أقامها على ساباط هناك وجعل بقبليها وبجوفيها من صناعة الخرط والتقاشير والتزيين بالأصبغة ما يبتهج به المار والسالك... وتم عملها في أواخر شهر رمضان سنة اثنتين وستين وسبعمائة[4].

---

(1) محراب جامع القرويين.

(2) زهرة الآس ص 74 - 75.

(3) وعن جامع بوجلود أو جامع النصر أنظر جامع القرويين ج 2 ص 321 وهامش 22 ص 344.

(4) زهرة الآس ص 76 ــ 77.

(الخشب) العنـــزات :

إننا لا نعرف في الواقع مصير العنزة المرينية التي كانت بالجامع الكبير بتازا، حيث لا يتوفر الجامع حاليا على غير عنزة حديثة لا تحمل علامات أو مميزات القرن السابع الهجري لعلها حلت محل عنزة مرينية سابقة.

كما أننا لا نعرف على وجه اليقين إذا ما كان صحن مسجد المنصورة (منصورة تلمسان) التي شيدها المرينيون أثناء الحصار التاريخي الطويل بأمر يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المقتول هناك عام (706هـ) اذا ما كان يشتمل وقت تأسيسه على عنزة أم لا، إننا لا نستطيع التأكد في حدود معلوماتنا الحالية بأنه كانت هناك عنزة على الرغم من أن الحفائر التي عاينت آثارها شخصيا قد كشفت عن تقوير في عتبة بيت الصلاة المؤدية إلى الصحن، وحتى العنزات الشهيرة المتبقية بجوامع الاندلسيين بفاس القديم وجامع القرويين بنفس المدينة ثم عنزة الجامع الكبير بفاس الجديد لازالت بحاجة إلى مزيد من الدرس والتحقيق رغم ما توفر لها من أبحاث ودراسات.

عنزة جامع الاندلسيين بفاس القديم :

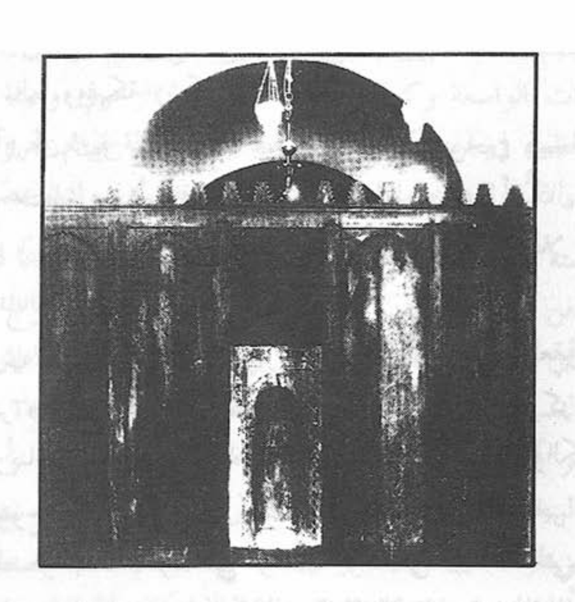
والعنزة عبارة عن محراب إضافي يوضع بالصحن عند مدخل البلاط المحوري المتجه صوب المحراب الأصلي ببيت الصلاة، وعادة ما تتم زخرفة العنزة بشتى الزخارف المحفورة والمدهونة نباتية وهندسية وكتابية، لكن ذلك لا يبلغ غالبا مبلغ المنافسة لزخارف المحراب الرئيسي للمسجد.

وكانت عنزة جامع الاندلسيين موضوع دراسة متخصصة للاستاذ هنري تيراس بكتابه (جامع الاندلسيين بفاس)، وخلاصة تلك الدراسة أن عنزة جامع الاندلسيين تعتبر أقدم مثال لعنزة خشب منحوت مؤرخ حيث تحمل كتابة تأسيسية ترجعها ترجعها إلى عام (1307م) أي سنة (707هـ) ، يقول هنري تيراس أن تلك التحفة تتمثل في جوفة العنزة (La niche) واطارها (encadrement) والاقواس الاربعة التي تحيط بها، زوج من كل جانب. وأن الحشوة الكبيرة بالخط الكوفي قائم الزوايا (Koufique rectangulaire) التي تعلوها ترجع إلى عصر قريب[1] (شكل 194).

لقد عانى ذلك المحراب الخشبي الصغير كما هو الحال بالنسبة لخشب المنبر وباب خزانة

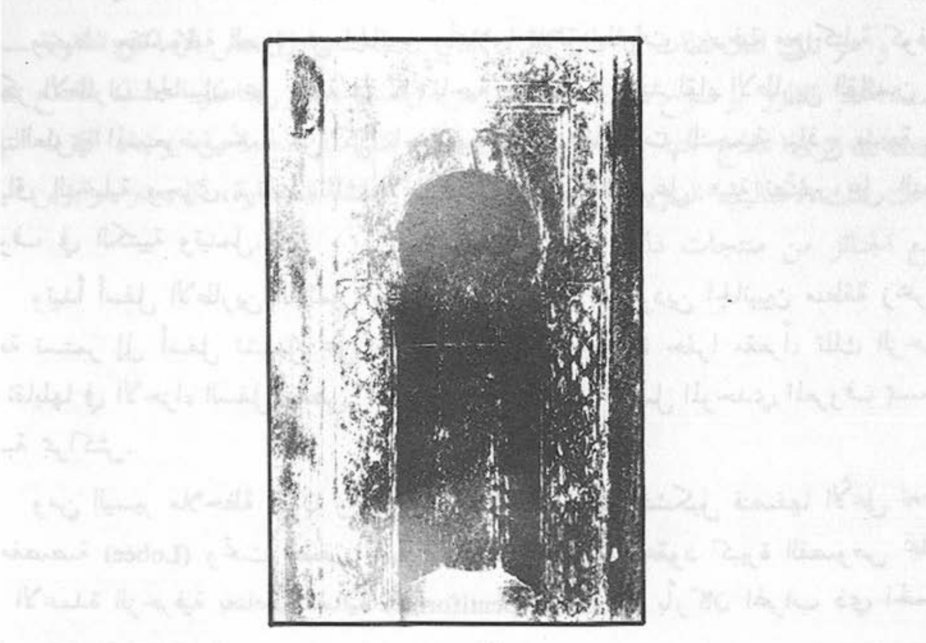
---

(1) Henri Terrasse : la Mosquée des Andalous à Fès P. 27/28.



شكل 194

عنزة جامع الأندلسيين بفاس، أربعة اقسام يتوسطها المحراب ومؤرخة بنقش تأسيس (707)



شكل 195

عنزة جامع الأندلسيين بفاس، تفصيل الزخارف المنقوشة في الخشب

الكتب من وجود طبقة كثيفة من الصباغة الخضراء، ورغم عمليات التنظيف فإن الزخارف الأصلية تبدو غالبا بالية ومنهكة (شكل 195).

ونستطيع الآن أن نتبين فوق قمة عمودين دقيقين متوجين بتيجان مشكلة من نقش ناتىء مفتول لصف منتظم من أوراق الاكانتس الملساء (lisse) وأشكال تكاد تكون مكعبة مركبة من الأوراق النخيلية (Palme) يجلس عليها من الجانبين رجلا عقد متجاوز كامل الاستدارة (en plein cintre outre passé).

ويضيف هنري تيراس أن ذلك الشكل القديم قد ظل تقليديا لعقود المحاريب بالمغرب، وإن هناك عقد آخر متجاوز منكسر (outre passé et brisé) يبعد عن مركز العقد الأول ويحيط بعقد العنزة سبق رأيناه في محاريب مساجد عبد المؤمن في تينمل والكتبية.

إنه عقد متموج بقصد زخرفي لكنه غير مزدوج بعقد آخر يصنع معه التضفير (entrelace) وذلك لصغر أبعاد العنزة التي فرضت نوعا من البساطة التي نراها في الاطارات، وهكذا كانت البنيقات (les écoinçons) كذلك قليلة الارتفاع مغطاة بأوراق نخيلية صغيرة. ويحيط بذلك كله اطار مستطيل مزدوج (يحتضن البنيقات) يجري فوقه شريط من الكتابة النسخية (يُخَمَّن أنها بقايا اشارة الى التأسيس بأنها تمت شهر جمادى الثانية لسنة 604هـ)[1].

ويحيط بعقد وقبة العنزة من الجانبين وأعلاها ثلاثة اطارات زخرفية مع كتابة كوفية، ويرتكز الاطاران الجانبيان على نجمة في كل ناحية كما ينحصر عند لقاء الاطارين القائمين مع القائم العلوي المستعرض نجمة من كل ناحية وقد زينت المربعات النجمية بنماذج بديعة من الأوراق النخيلية وجرى ترتيب تلك الاطارات مع النجمات على هيئة تضفير على النحو المعروف في الكتبية وتينمل.

وتبدأ أسفل الاطارين القائمين وفي مستوى تيجان العمودين الجانبيين منطقة زخرفية واسعة تستمر إلى أسفل تشتمل على مساحات مضفرة محفورة حفرا مقعراً، تلك الزخرفة التي نقابلها في الاجزاء السفلى ببعض المحاريب السعدية ذات الأصل الموحدي المعروف بمسجد القصبة بمراكش.

ومن اليسير ملاحظة كون زخرفة جوفة العنزة غريبة التشكيل فنصفها الأعلى تغطيه قبة مفصصة (Lobée) وتحت نصف القبة منطقة زخرفية من عقود كبيرة الفصوص تجلس فوق الاعمدة الزخرفية بعناصر ثعبانية (motifs surpentiforme) بأركان المحراب ذي الخمس جوانب (à cinque pans).

---

(1) نفس المصدرس 29 وهذا يستدعي تحقيقيا، فربما تحكي العنزة قصة تطور تاريخي.

إن التركيب العام بالاضافة إلى بعض التفاصيل مثل تنظيم قوسين منعقدين تحت عقد ناتىء وتضفير الاطارات الواسعة وكبر وحدات التركيب الزخرفي وهيئة العقود المفصصة، إن ذلك كله يذكر بنظيره في فن الكتبية وتينمل، لكن استطالة قوائم حروف الكتابة الكوفية مع دقة ورقة زخارف الأوراق النخيلية، فإن ذلك كله ينبىء ببوادر عصر جديد في الفن.

وفي ختام دراسته لعنزة جامع الأندلسيين يعطي هنري تيراس شرحا لفن صناعة الخشب المريني[1] ويقول بأن فن صناعة الخشب بغرفة الامام وعقد مدخل دروج جامع الجنائز يبدو أنها ترجع إلى عصر أبي سعيد عثمان الثالث ابن أبي سالم حيث زود اطار باب غرفة الامام بنقش كتابي بالخط النسخي محاط بافريزين من خشب الخرط (Bois Tourné) المعروف في صناعة المشربيات بحفر أقل بروزاً من نظيره بالخزانة كما أنه أكثر أناقة وجمالا ويشتمل على عناصر زهرية، إن البنيقات المحيطة بالعقد المنكسر (Brisé) التي تصنع اطارا لباب ذي مقرعتين قد غطيت بزخرفة نخيلية رقيقة وطويلة نسبيا لبعضها حافات مسننة (dentelé)، كما أن المناطق الزخرفية المستديرة (médaillons) ذات الأشكال المختلفة من الاوراق النخيلية التقليدية نجدها شائعة ومألوفة في الفن المريني، وجميع تلك الزخارف قد نفذت قليلة العمق عند حفرها.

وآخر تلك الملاحظات أن فنانو القرن الثامن استخدموا في بعض الاماكن الثانوية ــ إلى جانب الحفر البارز بوضوح ــ منحوتات زهرية بنفس مظهر عناصر خشب القطع (Bois de coupé) نرى نماذج منها في أعتاب (linteaux) المدرسة المصباحية، وجاء القرن التاسع فشاعت تلك الأساليب السريعة الاقتصادية واحتلت مكانة الصدارة، كما يعتبر درابزين سلالم جامع الجنائز من منتجات ذلك العصر الرائعة.

---

(1) نفس المصدر ص 30.

عنزة جامع القرويين المرينية :

نحدد الدراسة هنا للعنزة المرينية حيث كان بجامع القرويين عنزة مرابطية ترجع الى عام (524هـ) 1119م حلت محلها العنزة المرينية القائمة بموضعها من القرويين اليوم.

جاء في دراسة الدكتور عبد الهادي التازي لجامع القرويين تأريخ للعنزة المرينية قال : (التفت الى العنزة قاضي الجماعة وخطيب القرويين أبو عبد الله ابن أبي الصبر سنة 687 أيام يعقوب بن عبد الحق.. وابتداء العمل فيها عام سبعة وثمانين وست مائة وكان الفراغ عام تسعة وثمانين وست مائة)[1].

لكن المعلوم أن يعقوب بن عبد الحق المؤسس الحقيقي للدولة المرينية توفي سنة (685هـ) ودفن بشالة[2] كما درست ذلك مفصلا بكتابي تاريخ شالة ثم كتابي حفائر شالة الاسلامية الذي نشرت به نتائج اكتشافي لقبر أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب المذكور. ولهذا لزمت الاشارة إلى عبارة الدكتور التازي (التفت إلى العنزة قاضي الجماعة... سنة 687هـ أيام يعقوب...) لقد توفي عام 685 وكان أصدر أوامره بصنع العنزة التي صنعت وتم صنعها وتركيبها بعد وفاته، يؤكد ذلك نص ورد على لسان الجزنائي بروضة الاس (وهو مؤرخ معاصر لدولة بني مرين وصل بحوادثه إلى سنة 766هـ إذ يقول : (وأما العنزة التي بها الآن فانها صنعت حين كان الفقيه أبو عبد الله محمد بن أبي الصبر ناظرا في أحباس جامع القرويين، ومن فوائدها أنفق فيها، وذلك سنة ست وثمانين وستمائة، وفيها من غرابة الصنعة ونفاسة الصبغة واتقان الالصاق ودقة الخرط والنقش وجلالة الاحكام ما يقضي بالعجب ويصرح بالاعجاز...)[3].

إذن يكون أمير المسلمين أبو يوسف يعقوب قد أمر بصنع العنزة قبل وفاته في المحرم من سنة خمس وثمانين وستمائة وانتهى العمل فيها سنة ست وثمانين وستمائة على يد الفقيه أبي عبد الله محمد بن أبي الصبر الذي أنفق عليها من مال الاحباس وتميزت بجمال الصنعة التي وردت بنص الجزنائي.

إنها العنزة المرينية القائمة حاليا بموضعها من جامع القرويين على نهاية بلاط المحراب

---

(1) جامع القرويين 320/2

(2) كتابنا تاريخ شالة ص 312/310 تاريخ يعقوب ووفاته وكتابنا حفائر شالة للتعرف على اكتشافنا لقبره وقبر زوجته أم العز.

(3) جني زهرة الاس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية الرباط سنة 1967 ص73

المشرفة على الصحن قمت بدراستها دراسة ميدانية شهري فبراير ومارس سنة (1980م) (شكل 196).

هذه العنزة التي أمر بصنعها أمير المسلمين أبو يوسف يعقوب المريني وتمت بعد وفاته فركبت بموضعها سنة (686هـ) جددها المولى اسماعيل العلوي فيما بعد، ويبدو أن التحف الموقرة مثل المنبر والعنزة كانت موضع اهتمام ملوك المغرب عبر تاريخ الاسلام فتكررت العناية بصيانتها وترميمها مما أوجب ضرورة البحث في تاريخها السياسي الذي يكشف كثيرا من الامور الحضارية.

ولننظر الآن في الدراسة الوصفية لتلك التحفة، فقد أشار الاستاذ ميشيل تيراس[1] في دراسة نشرها بالنشرة الآثارية المغربية إلى أن عنزة المرينيين القائمة إلى اليوم بصحن جامع القرويين تعتبر أقل جمالا من نظيرتها بالجامع الكبير بفاس الجديد، وأن الدراسة تعتمد على وجهها الداخلي بسبب التلف الكبير الذي أصاب الوجه الخارجي ولازالت الواجهة الداخلية غنية المظهر مزخرفة بأناقة وإتقان من مستوى صناعة الجامع الكبير بفاس الجديد.

وعلى الرغم من هذا فقد رأيت من دراستي المباشرة أن القيمة الراهنة لوجهي عنزة القرويين تسمح لنا بدراسة وحدتها الزخرفية وتركيبها المعماري وأقسامها الهندسية وعناصرها الرئيسية وتنوع فنون صناعة الخشب في ذلك العصر.

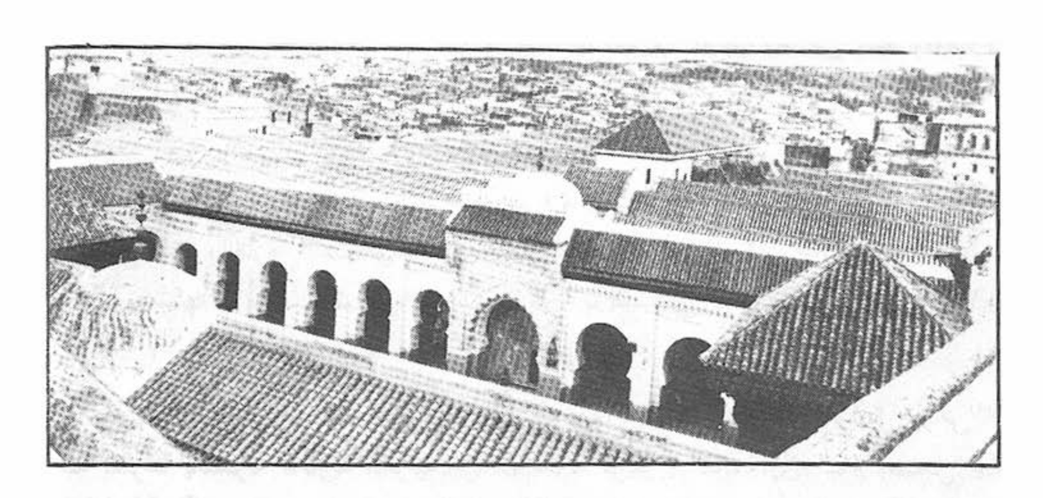
ويتضح لنا من الدراسة والصور التي انجزناها أن العنزة قد صممت على هيئة وحدتين أساسيتين، وحدة سفلى أساسية قوامها ثلاث حشوات رئيسية مستطيلة الشكل تضم كل منها منطقة زخرفية عقد أعلاها بقوس، ويتماثل طراز القوسين المتجاوزين الجانبيين بينما توج الحشوة الوسطى عقد كامل الاستدارة (plein cintre).

هذا، وقد خصص لب الحشوة الوسطى لنقش نص نسخي تأسيسي يتوجه من أعلى العقد كامل الاستدارة المذكور آنفا، ويحف بالحشوة المركزية ذات النقش التأسيسي افريز زخرفي من جهاتها الأربع، ويحف بهذا الافريز اطار آخر أكثر اتساعا يشتمل على عبارات نقشت بالخط الكوفي المربع، وتعتبر الحشوتان الجانبيتان ذات العقود المتجاوزة مدخلين صغيرين يفتحان عند اللزوم للولوج إلى بلاط المحراب.

وينقسم الجزء الأعلى من العنزة إلى ثلاث وحدات، وحدة وسطى مركزية أكثر اتساعا وارتفاعا يتوجهان من أعلى عقد نصف دائري يحف بها من كل جانب حشوة أخرى مربعة

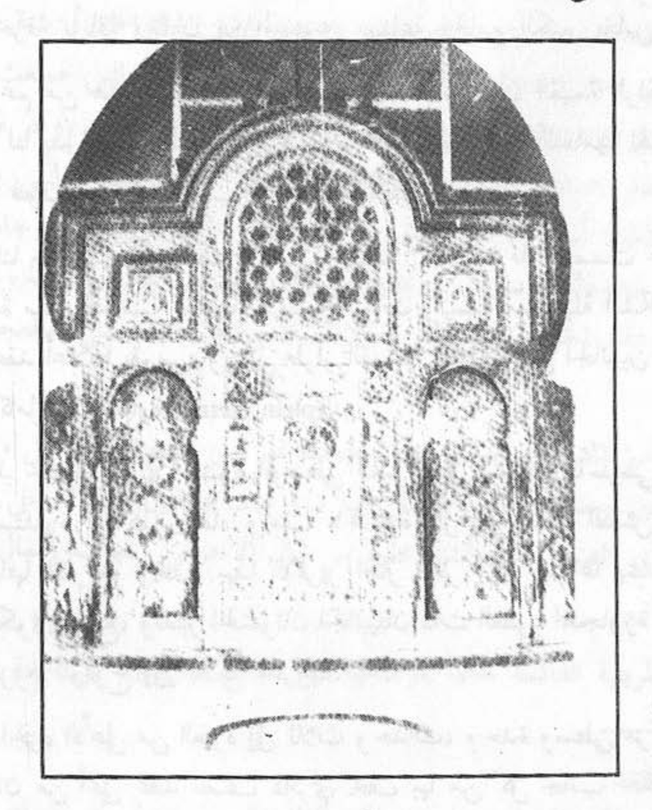
---

(1) M.Terrasse : Le mobilier leturgique Merinide, B.A.M.T.X 1976.



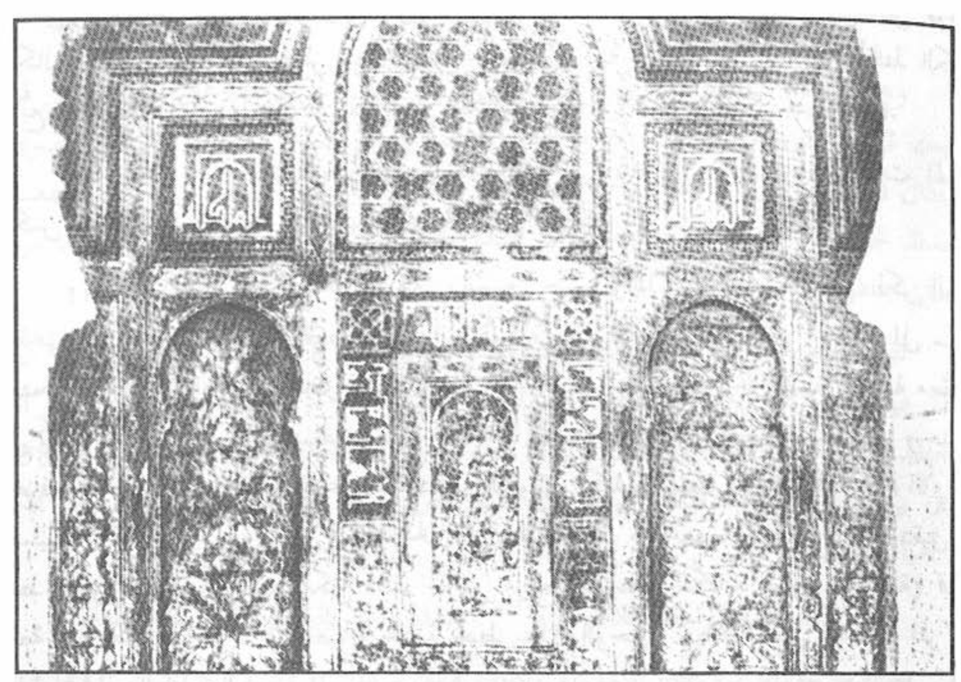
شكل 196

موقع عنزة القرويين على فتحة البلاط المحوري جهة الصحن



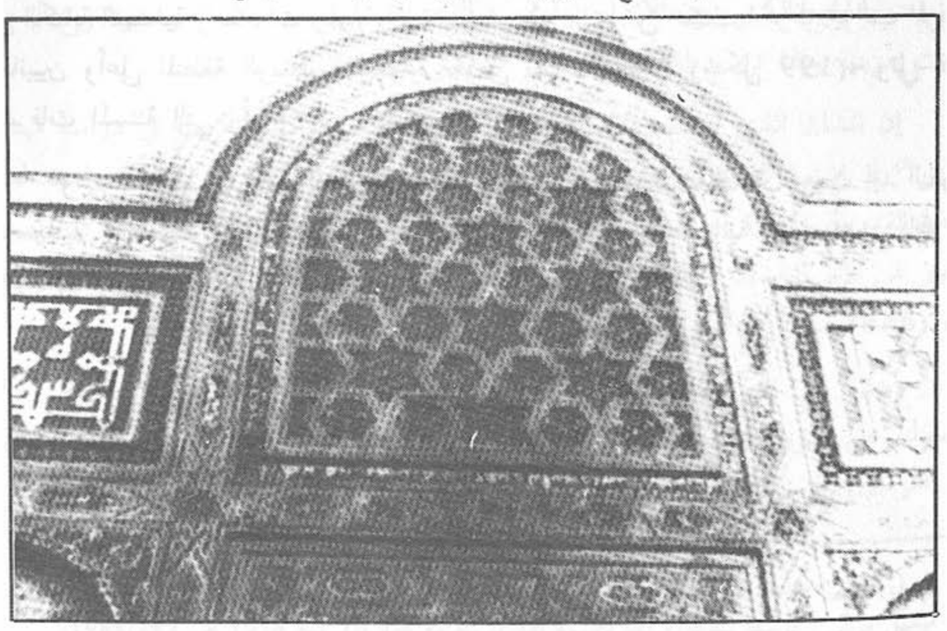
شكل 197

عنزة جامع القرويين، الوجه الخارجي



شكل 198

عنزة جامع القرويين، تفصيل من الوجه الخارجي



شكل 199

عنزة جامع القرويين، تفصيل الوجه الداخلي

الشكل. وتنقسم الحشوة الوسطى الرئيسية إلى مساحات زخرفية هندسية الشكل قوامها أشكال نجمية ذات ستة رؤوس بينما تزدان الحشوة الجانبية بزخرفة مركزية من الخط الكوفي المربع (الملك لله) حولها نماذج دقيقة من خشب الخرط (شكل 197 ــ 198).

هذا ويدور بالنهايات العليا من الوجه الخارجي والداخلي نوع من الشرفات المسننة تعكس تنوعا في الصناعة التي تتوفر عليها تلك العنزة.

ويشتمل الوجه الداخلي على قسمين رئيسيين حسبما رأينا في الوجه الخارجي، لكن الوجه الداخلي يشتمل على حشوتين فقط جانبيتين معقودتين تمثلان في الواقع فتحتي الولوج الى ساحة الصحن. أما الجزء الاوسط الذي رأيناه في الوجه الخارجي يشتمل على حشوة رئيسية معقودة على نقش التأسيس بالخط النسخي، فإننا نجده هنا حشوة مستطيلة واسعة قسمت إلى وحدات زخرفية هندسية. وفي القسم الأعلى هنا تتركز النقوش الكتابية حيث نلاحظ أن الجزء الأوسط بتقسيماته الهندسية (على غرار الوجه الخارجي) قد أحيط هنا بعصابة ذات نموذج دقيق من الخط الكوفي المربع، ويدور بكل قسم جانبي مربع (تتوسطه الكتابة الكوفية المربعة) نماذج رائعة من خشب الخرط في عصابة مخرمة تحيط بتلك الوحدة. ويفصل بين الوحدة المركزية العليا المحاطة بالكتابة الكوفية المورقة وبين الوحدتين المربعتين الجانبيتين (المشتملتين على كتابة كوفية مربعة مضفرة) عصابات عريضة ذات جدائل من معينات هندسية داخلها طراز آخر من الكتابة النسخية وحشوات زهرية، ثم تدور صنعة أخرى من خشب الخرط بجوانب المربعين الجانبيين وأعلى المنطقة الوسطى المعقودة بقوس نصف دائري (شكل 199)، وتلي ذلك الشرفات المسننة التي رأيناها من الخارج.

ومن الملاحظ أن الخط العربي يلعب دورا بارزا في مثل تلك التحف حيث نجد النقوش التأسيسية والنصوص الدعائية مثل (العافية الدائمة) والآيات القرآنية مثل (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم عنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو...).

العنزة القائمة بالجامع الكبير بفاس الجديد :

وهذه العنزة القائمة فعلا بالجامع المذكور تحفة نفيسة تبسم لها الحظ بعد العبوس فوقع ترميمها ترميما أعاد إليها روعتها وجمالها الاول حسبما رأيته وقت دراستي لها ورسمها وتصويرها (اشكال 200 ـــ 202)، غير أنها كانت موضوع دراسة أوجدت الشك في تأريخها، ففضلت التحفظ لحين ظهور مزيد من التحقيقات والدراسات الأثرية حولها، وإن كنت أراها مرينية الأصل ابتداء.

لقد أوجد صديقنا المحقق المغربي الاستاذ المنوني الشك في تاريخها الأول بمقاله الذي تمسك فيه بنص التاريخ الوارد بلغة الاسطرلاب بقصيدة شعرية منقوشة على العنزة (من أجل ذا خطفت تاريخ انشاء) ان خطفت الواردة تساوي (600 + 9 + 80 + 400 = 1089) فهوى يرى أن القصيدة قبلت في مدرسة الشراطين بفاس ولم تنظم برسم المسجد الكبير على أساس البيت :

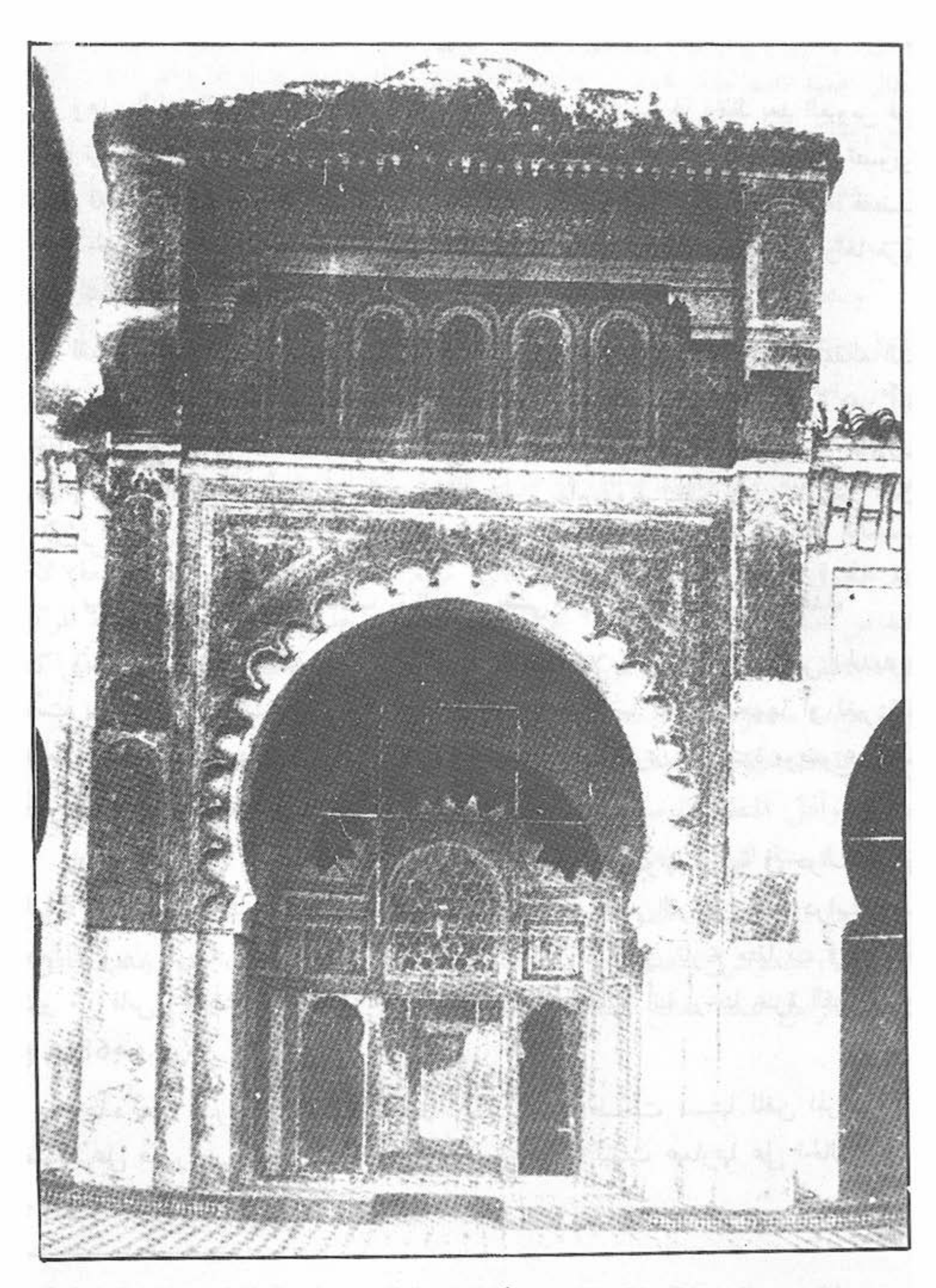
بيت الصلاة وإيواء الطلاب وما يغشى من البر او يرى من اهداء

وبناء عليه يرى الاستاذ المنوني أن العنزة القائمة فعلا بالجامع الكبير بفاس الجديد قد صنعت برسم مدرسة الشراطين أولا ثم عدل عن تركيبها بها لكبر حجمها أو لغير ذلك فوضعت بالجامع الكبير دون الانتباه إلى مفهوم القصيدة عليها ويرى أن العنزة موضوع البحث ليست مرينية وإنما ترجع إلى عصر المولى اسماعيل العلوي[1].

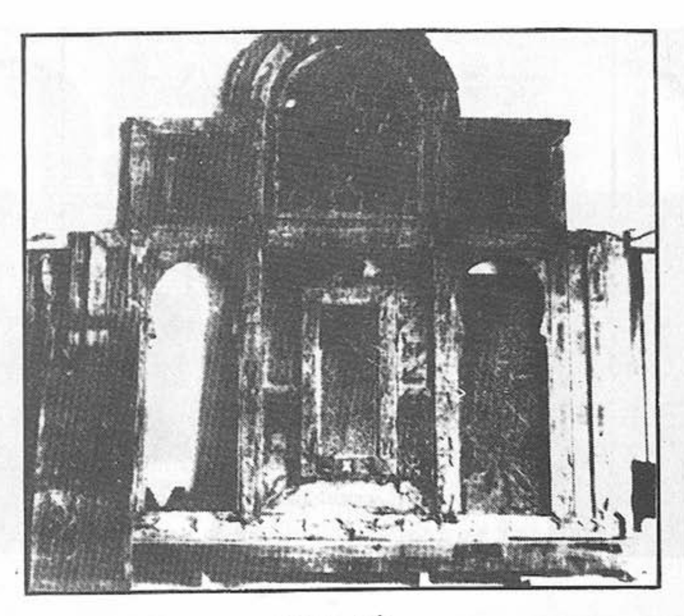
إن الشك الذي أوجده الاستاذ المنوني يقابله النقيض بكونها مرينية في دراسة ميشيل تيراس[2] ثم إشارة الدكتور عبد الهادي التازي في كتابه جامع القرويين عند دراسته لعنزة جامع القرويين المرينية حيث قال (وتوجد عنزة تحاكيها صنعة في تاريخ متقارب في المسجد الكبير من فاس الجديد وكذلك في جامع الاندلس)[3] ومعلوم أننا أرخنا عنزة القرويين من عام (686هـ).

وهذه هي الدراسة الوصفية للتحفة (المرينية) إن صحت نسبتها للفن المريني ذلك لحصولنا على صورتين لعمارة العنزة قبل الترميم توضحان ثبوت عمارتها على الحالة الجديدة بعد الترميم.

(1) المنوني : فاس الجديد مقر الحكم المريني، مجلة البحث العلمي عدد 11 و12 وكتابه ورقات ص 19.
(2) ميشيل تيراس : دراسته المذكورة آنفا بالنشرة الاثارية المغربية عدد 10 سنة 1976 ص 1988/187.
(3) جامع القرويين 320/2.

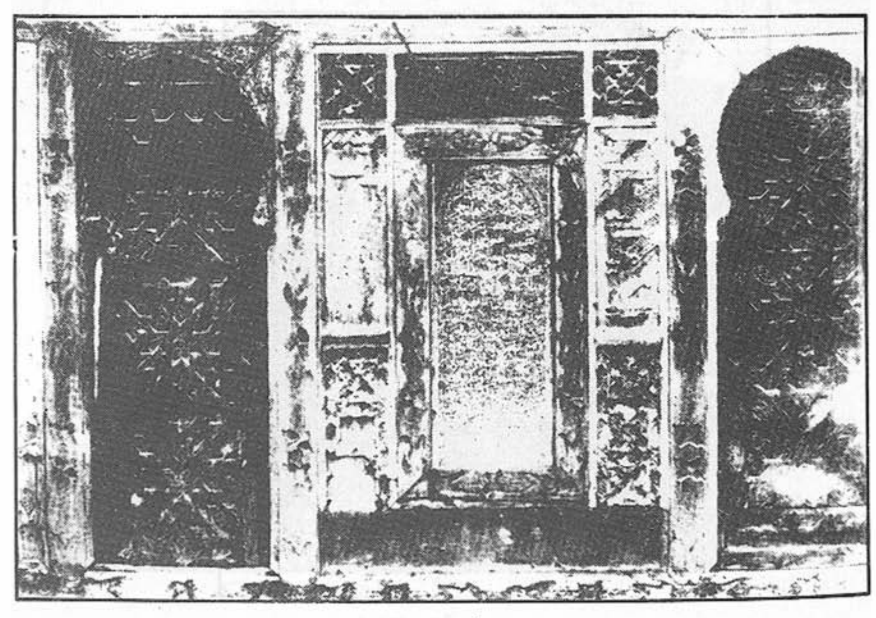


شكل 200
صورة قديمة لعنزة الجامع الكبير بفاس الجديد



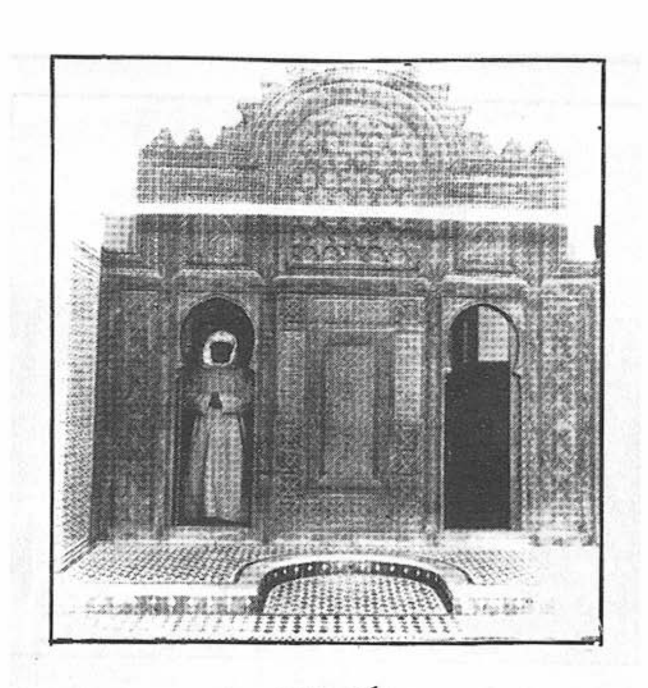
شكل 201

عنزة الجامع الكبير بفاس الجديد، حالتها القديمة قبل الترميم

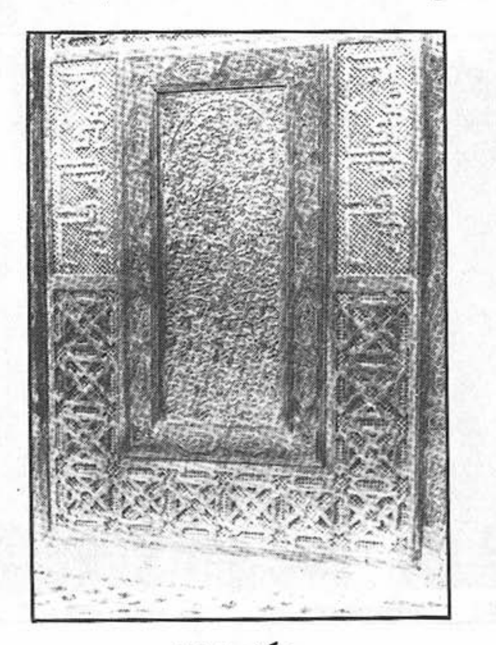


شكل 202

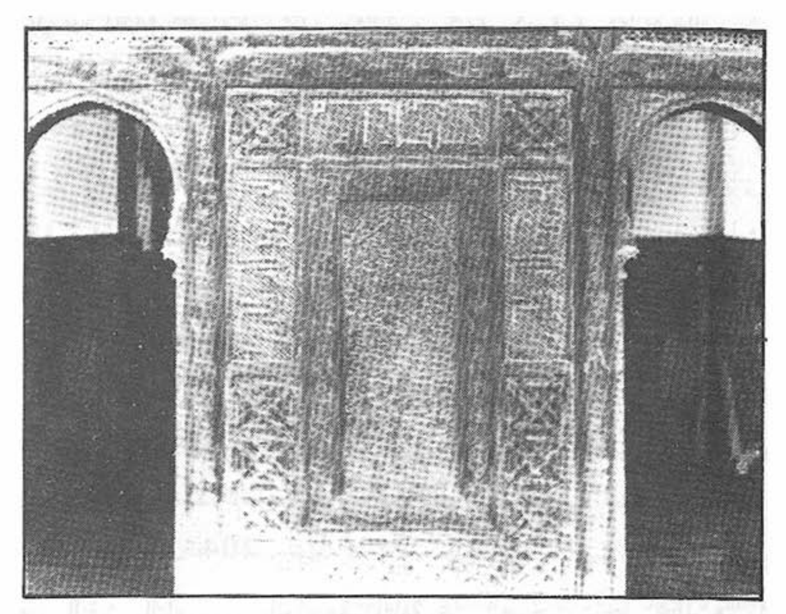
عنزة الجامع الكبير بفاس الجديد، تفصيل من حالتها القديمة



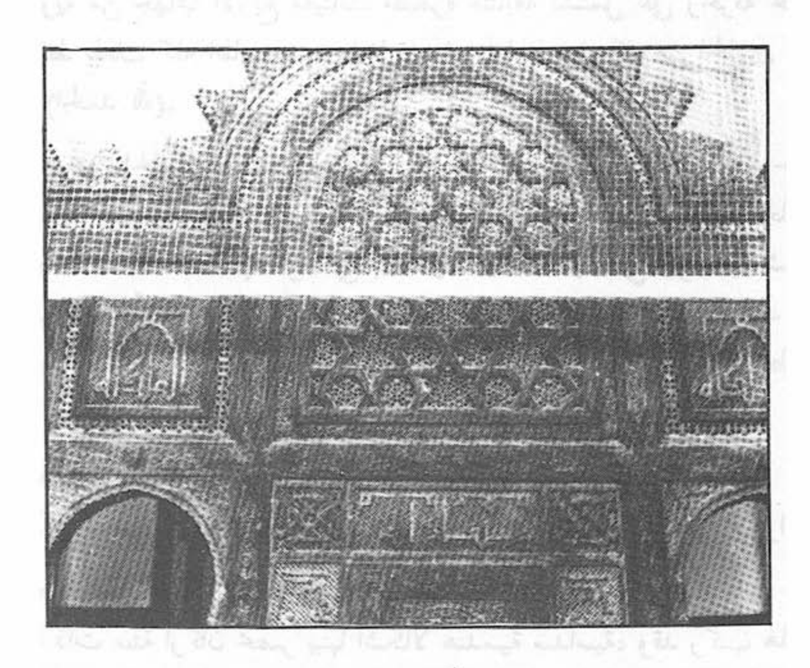
شكل 203
عنزة الجامع الكبير بفاس الجديد، منظر عام للوجه الخارجي



شكل 204
عنزة الجامع الكبير بفاس الجديد، تفصيل من النقش التأسيسي



شكل 205
عنزة الجامع الكبير بفاس الجديد، تفصيل من الوجه الخارجي



شكل 206
عنزة الجامع الكبير بفاس الجديد، تفصيل أعلى العنزة وزخارفها

وبدأ بالوجه المقابل للصحن نجد حشوة مركزية كبيرة مستطيلة بالقسم الاسفل من العنزة تشتمل على النقش التأسيسي، ويحف بكل من جانبيها مدخل ذو عقد متجاوز منكسر يرتكز من الناحيتين على شبه عمود خشبي يتصل ببدن العنزة، ثم يلي كل من الفتحتين يمينا ويسارا حشوة أخرى بارتفاع الحشوة الرئيسية المحورية (شكل 203).

بعد ذلك يبدأ القسم العلوي للعنزة يتوسطه تكوين زخرفي باتساع الحشوة الرئيسية وقد انحصرت نهايته داخل عقد نصف دائري على جانبيه حشوة مربعة أقل ارتفاعا من الحشوة المركزية، ثم يُتوج القسم العلوي كله باطارات متتالية يعلوها شرفات مدرجة مسننة.

وقد كسيت جميع حشوات واطارات العنزة بأساليب متنوعة من صنعة المشربيات المعروف بالخرط وبزخارف الأوراق النخيلية والتوريق والنقوش الكتابية نسخية وكوفية ومربعة بالاضافة إلى التضفيرات متعددة الاضلاع والزوايا التي تقترب من تلك التي تزين منابر القرن السادس الهجري[1] (أشكال 204 ــ 206).

وينحصر النقش التأسيسي بالواجهة المطلة على الصحن داخل عقد من اطار مجدول مفصص يترك للبنيقات مكاناً ملحوظا لنماذج بديعة من الأرابسك بتوريق نخيلي أو سعفي ويحف بالحشوة المحورية من جهاتها الأربع معينات مضفرة متتابعة تشتمل على زخرفة محفورة دقيقة الصنع، ثم يحيط بذلك كله اطار متسع يشغل نصفه العلوي من كل من الجانبين نقش كوفي مربع بعبارة (الحمد لله).

أما الفتحتين الجانبيتين فقد حفر فوق كل منها اطار معين الشكل من وحدتين نقش داخل كل منها بالخط النسخي (العزة لله وحده) ، وتأتي بعد ذلك الحشوة الجانبية في كل من النهايتين وقد شغلت مساحتها الوسطى بالتقسيمات الهندسية التي يتوسطها شكل النجمة ذات ست شوكات (أركان) الناتجة تباعا من تضفير المعينات الجانبية المتتابعة، وقد ملئت تلك التقسيمات الهندسية بأشكال تقليدية من الأوراق النخيلية المصبعة التي تذكر بطراز الزهراء الاندلسي.

ويلي ذلك شريط من المعينات المضفرة الطويلة والقصيرة بالتتابع نقرأ في الكبيرة منها (الملك لله) مكررة بالكوفي بينما ملئت المعينات الصغيرة بمجموعة زخرفية من الأوراق النخيلية.

ونلاحظ بالحشوة المركزية بالقسم العلوي تجاه الصحن وجود تقسيمات هندسية من أشكال نجمية ذات ستة أركان تحصر بينها أشكالا هندسية سداسية، وقد ركب هذا كله فوق

---

(1) ميشيل تيراس : نفس المصدر ص 188/187.

أرضية من خشب الخرط تسمح بعبور قدر من الضوء إلى بلاط المحراب. ويدور حول تلك الوحدة الرئيسية شريط كتابة نسخية بنص قرآني الآية (60) من سورة الانعام الملكية ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل... الآية﴾.

وبالنسبة للمناطق الزخرفية الرئيسية بالوجه الداخلي يلعب الخط دورا كبيرا إلى جانب التسطير والتوريق فيوجد الكوفي البسيط (الملك لله) فوق عقد الحشوة الرئيسية السفلى، وفي البنيقات التي يحصرها العقد مع الاطار العام توريقات من الأوراق النخيلية المتناظرة، ونقرأ عبارة (الملك لله) بالاطارين المحيطين بالحشوتين الجانبيتين، ويحيط الخط النسخي بالحشوة الرئيسية، ونقرأ بالخط النسخي على أرضية نباتية من الأوراق النخيلية ابتداء من الآية (33) من سورة آل عمران المكية ﴿وسارعوا إلى مغفرة...الآية﴾.

هذا وقد وضع بجانبي الوحدة الرئيسية مربع داخله كتابة كوفية مربعة ينتهي من الجانب الخارجي بأنواع من أخشاب الخرط والمعينات والتوريق والأشرطة المضفرة ثم الشرفات التي تدور بذروة العنزة وقد ركبت من ست طبقات.

على الرغم من أن المنابر المعاصرة بالمغرب ليست على جانب كبير من الجمال والروعة، فإن الزخرفة البديعة وتطور فنون صناعة الخشب تتجلى ابتداء من القرن السادس لتجعل من المنابر والعنزات نموذجا رائعا لقطع الاثاث وفن النجارة ضمن فنون المغرب الاسلامية كما هو الشأن بالنسبة لمنبر المدرسة البوعنانية المحفوظ حاليا بمتحف البطحاء بفاس ثم منبري الجامع الكبير بفاس الجديد والجامع الكبير بتازا.

إن منبري الجامع الكبير بفاس الجديد والجامع الكبير بتازا اللذين يمكن ارجاعهما باطمئنان إلى أواخر القرن السابع الهجري بصدر الدولة المرينية يوجدان في حالة تشويه حيث أن منبر فاس الجديد قد استبدل جانبه الذي يقع ناحية المحراب بخشب مدهون حديث العهد دون مستوى القيمة الفنية الاصلية التي كان عليها المنبر وقت تأسيسه، بل إن الجانب الاخر للمنبر مع درجاته توجد الآن في حالة تلف، كما أن ظهر المنبر ليس هو الظهر الاصلي لتلك التحفة وقت ابداعها.

وبالنسبة لمنبر تازا الذي يبدو من النظرة الأولى في حالة أفضل قد استبدل قسمه العلوي بخشب منقوش ومدهون لا يمكن ارجاعه إلى ما قبل القرن الثامن أو التاسع حيث يختلف تماما عن أسلوب المنبر الأصلي[1].

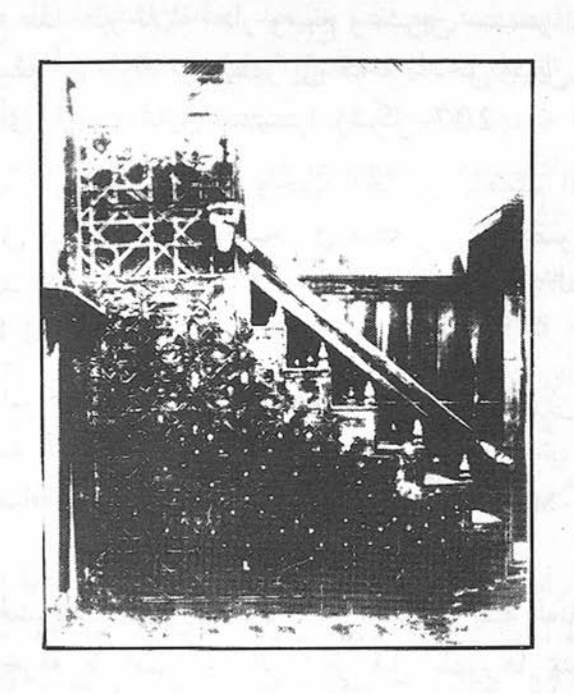
وقد سبق أن أوضحت في أبحاثي المتعلقة بنظرية القص المتماثل في العمائر الدينية والمدنية المغربية رأيي الخاص فيما يتعلق بتأريخ الجامع الكبير بفاس[2] الجديد وكذلك تأريخ الاضافة المرينية بالجامع الكبير بتازا[3]، ويهمنا الآن ملاحظة ان البقايا الاصلية المتبقية من كل من المنبرين بالجامعين المذكورين تكاد أن تعطينا صورة محدودة المعالم عن فن صناعة الخشب ابان

(1) م. تيراس نفس المصدر ص 189.

(2) عثمان عثمان : حفائر شالة الاسلامية ص 362/348 حيث أرخنا تمام انشاء المسجد 677هـ.

(3) نفس المصدر ص 349 ـــ 379 ثم قارن ذلك بما قاله م. تيراس بالبحث المشار اليه الذي نشره بالعدد العاشر 1976 بالنشرة الاثارية المغربية بالفرنسية ص 189 وها هو يقول (ان تشييد الجامع الكبير بفاس الجديد يؤرخ بعام 1276م ويمكننا قبول تأريخ روض القرطاس 1279م اما منبر تازا فهو متأخر بطبيعة الحال عدة أعوام بالنسبة لتاريخ أعمال البناء بنفس المسجد المؤرخة كما نعلم بعام 1192م. ومن الواضح أن م. تيراس لم يطلع بعد على رأينا المشار إليه بكتابي حفائر شالة فقد أوضحت ان اصل المسجد الكبير بتازا من بناء عبد المؤمن الموحدي وقد أرخه جورج مارسيه بعام 1135م وأرجعه ليفي بروفنسال لما بعد عام 1142م وأرجعه بوريس ماسلوف إلى عصر عبد المؤمن 1152 – 1163م وقد أرخنا نحن الاضافة المرينية التي باشرها أبو يعقوب يوسف بن أبي يوسف يعقوب المريني عام 690 (1291م).

انطلاقته على يد الفنانين المغاربة في عصر المرينيين نظرا لما تعرض له المنبران من ترميم وإصلاح استلزما كثيرا من التبديل في الحالة الاصلية.



شكل 207
منبر الجامع الكبير بتازا

منبر الجامع الكبير بتازا

يبلغ ارتفاع هذا المنبر ثلاثة أمتار وسبع وعشرين سنتيمترا ويشتمل على ثمانية درجات، ويبلغ عمقه أي طوله من الظهر إلى فتحة المدخل مترين وتسعة سنتيمرات بينما يبلغ اتساعه أي عرضه ثمانين سنتيمترا (شكل 207).

ويحتفظ منبر تازا على كل من وجهيه الجانبيين بالقسم الاكبر من زخارفه الاصلية غير أنه عانى من التغيرات الواضحة في هيئته وتركيبه بصورة أكبر مما تعرض له منبر فاس الجديد الامر الذي يدعو الى الحذر عند استعمال الدلالات الفنية لهذا المنبر أثناء الدراسة المقارنة.

ولعله من المؤكد أن المنبر الأكثر قدما من هذين المنبرين يمكن أن يفصح لنا استنادا إلى جانبه الاصلي عن الهيئة الأولى لتركيب المنبر الذي لم يبتر منه سوى القاعدة فقط بالاضافة إلى زخارف قوائم الدروج (CONTRE - MARCHES) المعادة الصنع.

وتشتمل الحشوة الدنيا على زخرفة أكثر قدما من بقية العناصر العلوية حيث تنكشف أمامنا زخرفة لا تظهر في أثر آخر قبل ظهورها بمنبر (LA CHAIRE) الاشراف السعديين بمسجد المواسين بمراكش الا نادرا[1].

إن هيئة وتركيب منبر تازا قبل التغيير الذي أصابه تطابق نظيرتها في منبر فاس الجديد وتعطينا عن طريق جانبيها وثيقة لا تنازع تسمح لنا برسم مقارنة بين التحفتين. وإذا ما كان من الصعب أن نعثر بمنبر تازا على الخطوط الاصلية، فإن الاقتراب من التفاصيل يظهر لنا أن تحديد (TRACÉ) التضفيرات بجوانب المنبر شبيهة بنظيره في منبر فاس الجديد، بل إن النقش الكتابي الكوفي الذي يحيط بها شبيهة بالخطوط الفاسية. غير أنه يلاحظ وجود فراغ بزخرفة درجات منبر تازا لا يوجد بمثال آخر وأن الدراسة الدقيقة لهذا الجزء من المنبر تكشف عن أن تحديدا (TRACÉ) رسم بواسطة خط أبيض خلفي أضيف الى التلبيس[2] (MARQUEETTERIE).

---

(1) م. تيراس : نفس المصدر ص 190.

(2) ما صنع من خشب أو رخام ملون أو خلافه ولُبِّس بمادة أخرى مثل تلبيس الخشب بالصدف أو العاج أو غيره.

منبر الجامع الكبير بفاس الجديد

يعطينا المنبر المريني الأول دلالة كافية على تأثره بالمنابر السابقة من عصر المرابطين والموحدين، وأنه عن طريق مجموعتي العقود التي نلاحظها بجانبي المدخل (arcades latérales) وبأعلى الدرج (escalier) يسترجع ضم وتوحيد العناصر الشائعة بالمغرب منذ ظهورها بمنبر الكتبية وثبوتها بمنبر القرويين[1] حيث واصل الفنان على الخصوص ابداع تلك المجموعة الفنية المشتقة من النجمة متعددة الاضلاع (polygonale) ذات الثمانية أركان المنتشرة على أوجهه الجانبية مع اقتصار التلبيس (marquetterie) على الشريط المضفر والحشوات (les panneaux) التي يطوقها ذلك الشريط.

هذا ويوجد منبر الجاكع الكبير بفاس الجديد حاليا بمتحف البطحاء بفاس، ومن دراستي المباشرة له منذ عام 1975م نقف على أوصافه ومقاييسه[2] فهو يبلغ في أقصى طول له من الامام إلى الخلف أي من بداية العتبة إلى الظهر حوالي ثلاثة أمتار (3.17 مترا)، في حين يبلغ أقصى ارتفاع له من قمة مسند الخطيب إلى الأرض حوالي ثلاثة أمتار (3.18 مترا)، وكان للمنبر درابزين مزدوج فقد منه القائم الاعلى على يسار الخطيب المعتلى للمنبر (أشكال 208 — 209).

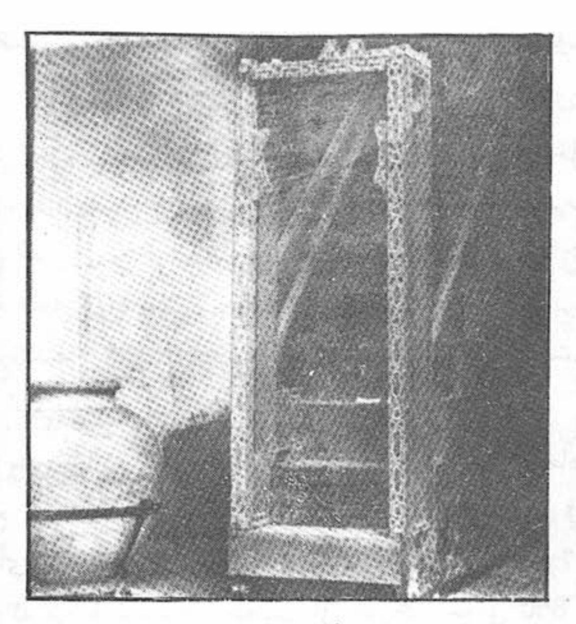
وللمنبر كما نراه اليوم ثمان درجات بما فيها العتبة التي هي بمثابة الدرجة الأولى، وذلك بالاضافة إلى جلسة الخطيب العليا. ويبلغ عمق (النائم) بالدرجة 28 سنتيمترا وارتفاع القائم (contre marche) 27 سنتيمترا وعمق جلسة الخطيب (المقعد) 75 سنتيمترا (أشكال 210 — 211).

ويبلغ اتساع المنبر وهو عرضه من الداخل 67 سنتيمترا ومن الخارج 85 سنتيمترا. ونلاحظ بمدخل المنبر آثار عقد قديم فوقه قائم مستعرض وبقايا شرفات مسننة، وبجانبي المدخل عقد من كل ناحية ثم عقد آخر بالمرحلة العليا قبل جلسة الخطيب بحيث نلاحظ بكل من جانبي الدرجة الاخيرة عقدا محصورا داخل مستطيل.

---

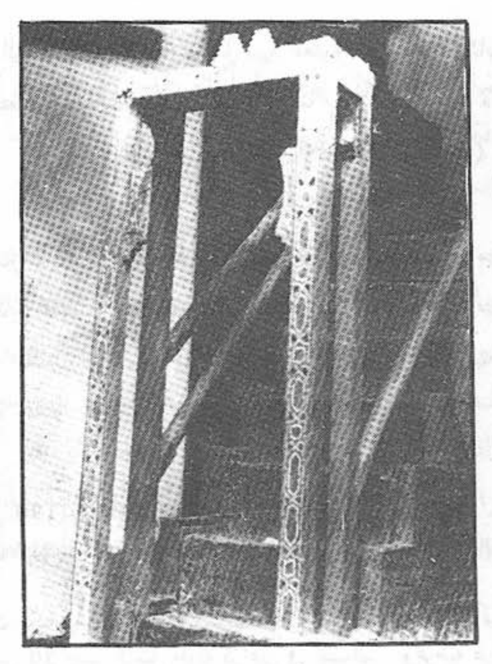
(1) تيراس : نفس المصدر ص 190 وقد أشار إلى بحث هنري تيراس :
MINBARS ANCIENS du MAROC P. 160 - 161 (dans Mélanger d'histoire et archiologie de l'occident Musulman) 11, P. 167 ALGER 1958.

(2) وهذه المقاييس كما وردت بكتاب (التعريف بما آنست الهجرة من معالم الهجرة) تأليف محمد بن أحمد المطري تحقيق محمد بن عبد المحسن الخيال ص 30 (منبر الرسل طوله ذراعين في السماء... وعرضه ذراع... وطول صدره وهو مستند النبي ذراع وطول رمانتي المنبر اللتين كان يمسكهما ﷺ إذا جلس شبرا... وعرضه ذراع في ذراع... وعدد درجاته ثلاث بالمقعد وفيه خمسة أعواد من جوانبه الثلاث... هذا ما كان عليه في حياة رسول الله والخلفاء...)



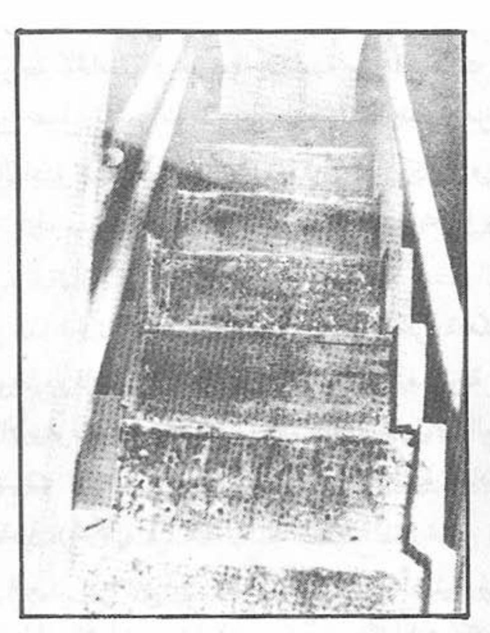
شكل 208

منبر الجامع الكبير بفاس الجديد (الموجود حاليا بمتحف البطحاء بفاس)



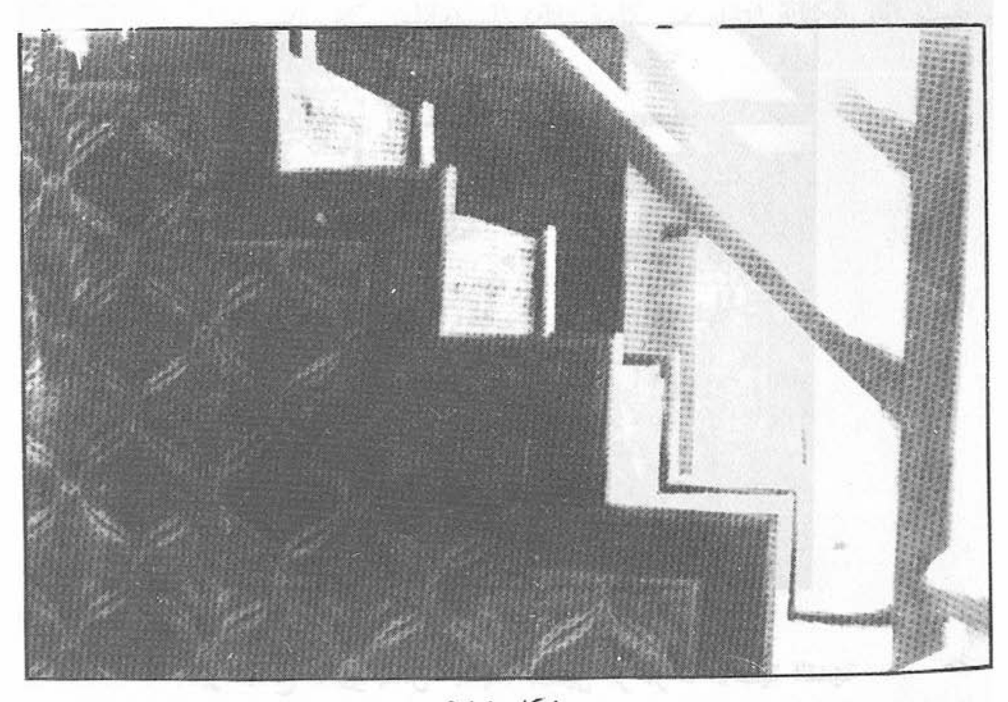
شكل 209

منبر الجامع الكبير بفاس الجديد



شكل 210

منبر الجامع الكبير بفاس الجديد، دروج المنبر



شكل 211

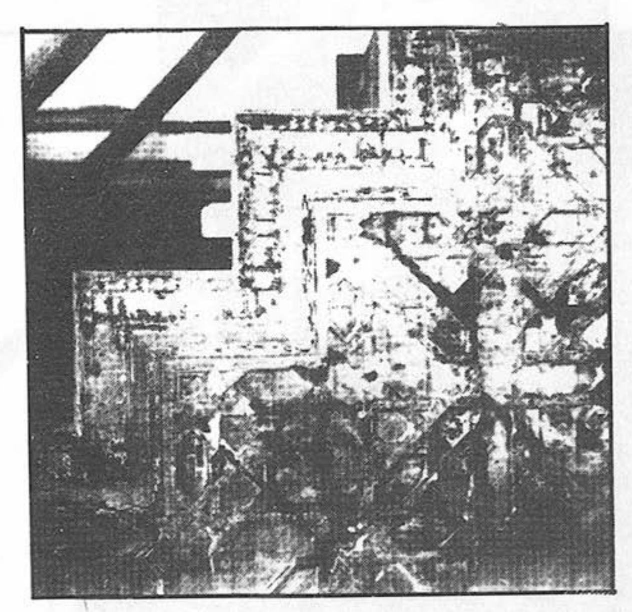
منبر الجامع الكبير بفاس الجديد، جانب المنبر والدرابزين

وفيما يخص الزخارف نلاحظ بقائم الدرجة الأولى بعد العتبة زخارف سوداء على أرضية بيضاء، ولازال بقائم الدرجة الخامسة زخارف هندسية من الصدف الأسود والأبيض داخل مناطق هندسية تمكن من عمل ترميم شامل على أساس ما تبقى من تلك الزخارف.

والمنبر في حالته الراهنة التي هو عليها اليوم قد عانى كثيرا من الاهمال والتلف وفقد جميع الزخارف الأصلية بالجانب القريب من المحراب وحلت محلها زخارف حديثة مدهونة بأصباغ ملونة.

وابتداء من أسفل هذا الجانب نجد صفا من مجموعة زخرفية مدهونة تتكون من نباتات رسمت باللون الاصفر حولها ورقات نباتية باللون الأبيض تحدد مساحة الوحدة الزخرفية، ويعلو ذلك صف آخر بنفس الأسلوب مع تغيير اللون الاصفر للاوراق الوسطى باللون الأحمر في الصف العلوي. وقد انتشرت تلك الوحدات جميعها فوق أرضية رماضية اللون دون أن يتبقى أي أثر من الزخرفة القديمة (شكل 211).

وبالجانب الآخر البعيد عن المحراب تبقت آثار قديمة أصلية من صنعة التسطير عانت كثيرا من التلف بقيت منها علامات زخارف مرصعة وكتابات كوفية باللون الاسود وقد غطت معظم الآثار الباقية طبقة من الصباغة الحمراء حديثة العهد (شكل 212). هذا ويمكن



شكل 212

منبر الجامع الكبير بفاس الجديد، تفصيل الزخارف الأصلية القديمة

انقاذ هذا الجانب من المنبر على أساس ما تبقى به من آثار الزخرفة الهندسية والترصيع والنقوش العربية الأصلية وهيئة الوحدات المتبقية من تصميم الزخارف الأول، ويمكن إعادة الحياة إلى النص الكتابي الذي عرفنا مضمونه.

وإن المتأمل في هذا الجانب وآثاره القديمة يلاحظ أنه ابتداء من مستوى هذا الجانب من الدرجة السابعة وما يليها ارتفاعا يكاد يضيع منه كل أثر للزخرفة، كما أن ثلث هذا الجانب ابتداء من ظهر المنبر يكاد يفتقد كل أثر قديم. لهذا فإن البقية الباقية من الآثار الاصلية لازال بالامكان توليد صنعتها لاعادة الترميم.

وابتداء من مستوى الدرجة السابعة وبنفس هذا الجانب القديم تتضح آثار النقش الكتابي الذي ضاع جزؤه العلوي بالاضافة إلى أجزاء من نهايته السفلى. لقد كان ذلك الاطار يسير بجانب المنبر بمحاذاة درجاته مشتملا على نص قرآني من الكتابة الكوفية المتقنة النقش حيث تبدو الحروف أنيقة رشيقة رائعة القطع زاهية بلونها الأسود فوق أرضية مرصعة بالعاج الأبيض.

لقد قرأت النص ابتداء من مستوى الدرجة السابعة للمنبر من بداية الآية الكريمة رقم (257) من سورة البقر ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾، لقد بقيت آثار الكتابة ابتداء من كلمة (الله) الى (والذين كفروا).

منبر المدرسة المتوكلية (البوعنانية) بفاس

نعلم أن المدرسة (والجامع) البوعنانية بفاس باشتعمالها (دون سائر المدارس المرينية) على صومعة للآذان ومنبر للصلوات الجامعة قد احتلت مكانة خاصة بين مدارس المغرب. وقد أوضحت دراسة المدرسة المذكورة من خلال دراسة العمائر الدينية والمدنية المرينية أن الصومعة كانت ضمن التخطيط والتنفيذ الأصلي للمدرسة[1] كما كان بيت الصلاة يشتمل منذ تاريخ بنائه الأول على منبر خاص لخطب الأعياد والجمع (شكل 213).

وقد قمت بدراسة ذلك المنبر الأصلي بداخل متحف البطحاء بفاس بعد نقله من موضعه الأساسي بالمدرسة المذكورة إلى متحف مدينة فاس.

والمنبر كما درسته في عين المكان يشتمل على سبع درجات للصعود بالاضافة إلى جلسة الخطيب، ويبلغ طول المنبر من المقدمة إلى الظهر (2.93م) مترين وثلاث وتسعين سنتيمترا ويبلغ أقصى ارتفاع لمدخله (2.50م) مترين ونصف المتر بينما يصل أقصى ارتفاع للمنبر ناحية الظهر الخلفي (3.95م) ثلاث امتار وخمس وتسعين سنتيمترا وبالنسبة للاتساع فإنه يبلغ عند المدخل 82.5 سنتيمترا من الخارج و66 سنتيمترا من الداخل وهو نفس اتساعه من الداخل عند جلسة الخطيب. أما عمق جلسة الخطيب فإنه 111.5 سنتيمترا وعمق كل درجة من درجات المنبر بالنسبة للجانب (النائم) 22 سنتيمترا بينما يبلغ ارتفاع (القائم) 22.5 سنتيمترا.

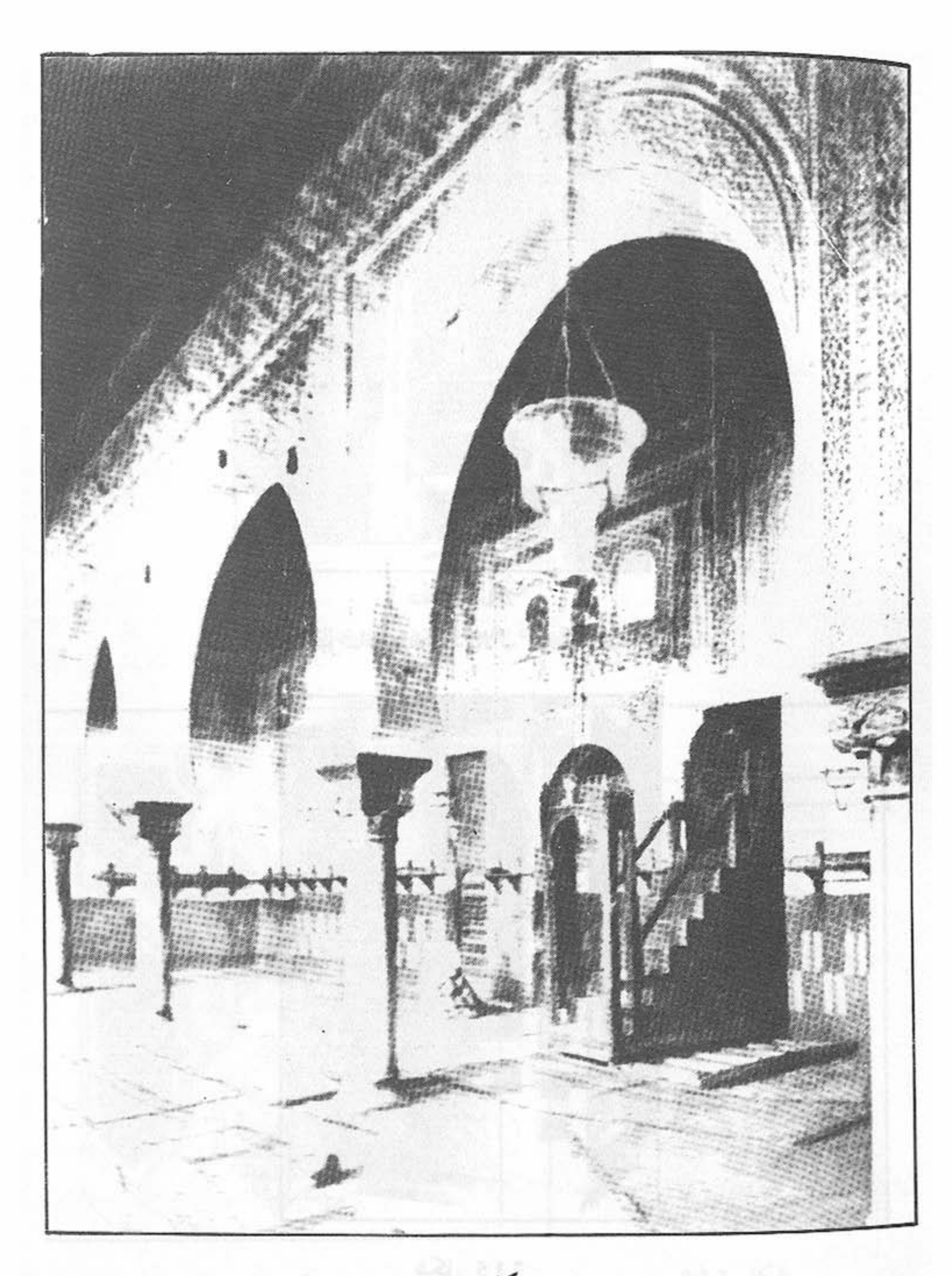
وعقد المدخل من النوع المتجاوز كامل الاستدارة (plein cintre) ويتكىء من كل جانب على عمود رقيق صنع بترصيع ظاهر من اللونين الأبيض والأسود (شكل 214)، ويحف بالعقد اطار كتابي محصور بين شريطين من الزخرفة المطعمة ذات النقط البيضاء المتابعة (شكل 213)، ونستطيع أن نقرأ من بقايا النقش الكتابي المذكور أربع كلمات هي (أمير المسلمين أبي سعيد) جاءت فوق مفتاح عقد المدخل وكتبت بالخط النسخي المغربي بطريقة التطعيم حيث نقشت حروف النص بالعاج الأسود فوق أرضية بيضاء. ويتوج ذروة المدخل صف من الشرفات المسننة ذات خمس درجات.

وتبدو عمليات الترميم الحديثة واضحة بجانبي المنبر خاصة تجاه الظهر بينما يعكس القسم المتجه نحو المدخل بكل من الجانبين نوعية الزخرفية الأصلية وآثار الترصيع الأول.

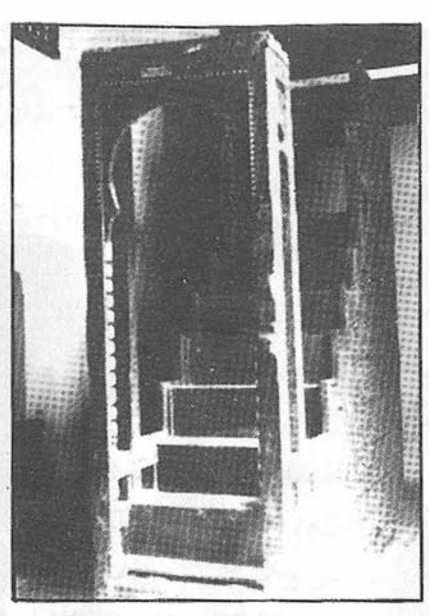
وعلى الرغم من عدم وجود (درابزين) وهو الدربوز في نطق المغاربة، بجانبي المدخل حاليا، غير أن آثار موضع ذلك الدربوز أو الدرابزين الأصلي لازالت واضحة عند مكان متكأ يد الخطيب (شكل 215) وما يقابله خلف مدخل المنبر.

---

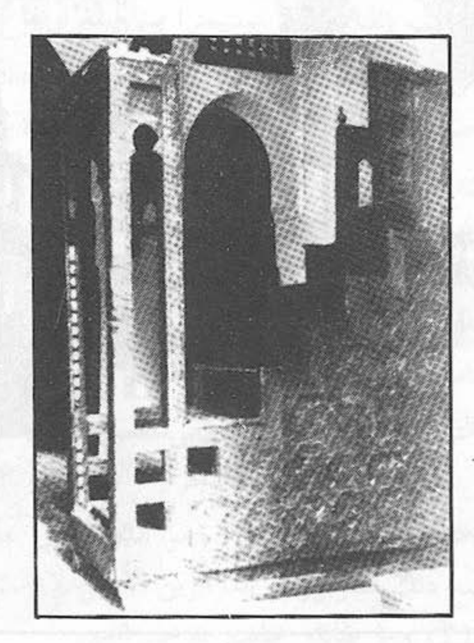
(1) كتابنا حفائر شالة ص 350.



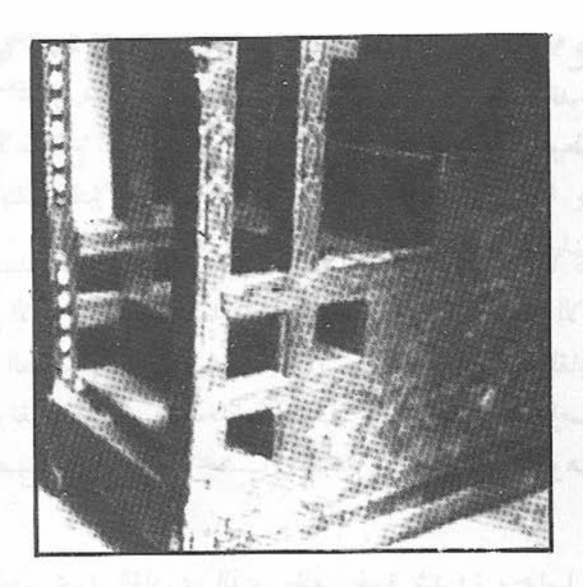
شكل 213
منبر المدرسة البوعنانية بموضعه الأصلي من بيت الصلاة بالمدرسة قبل انتقاله إلى متحف البطحاء بفاس



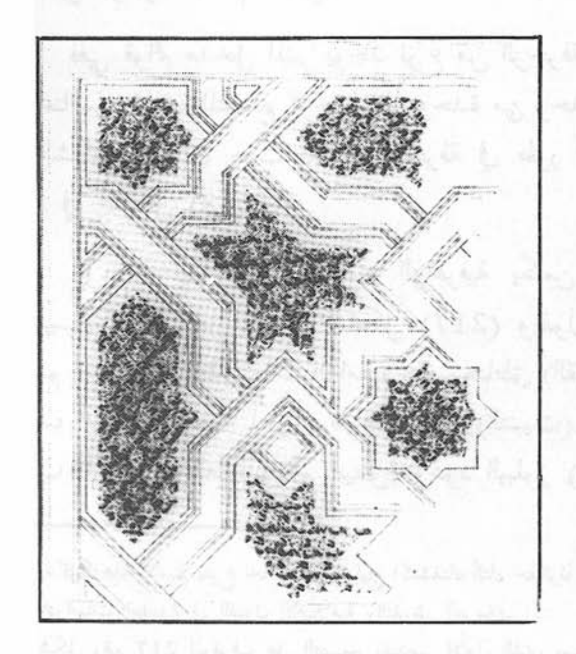
شكل 214
عمارة منبر البوعنانية المحفوظ الآن بمتحف البطحاء بفاس



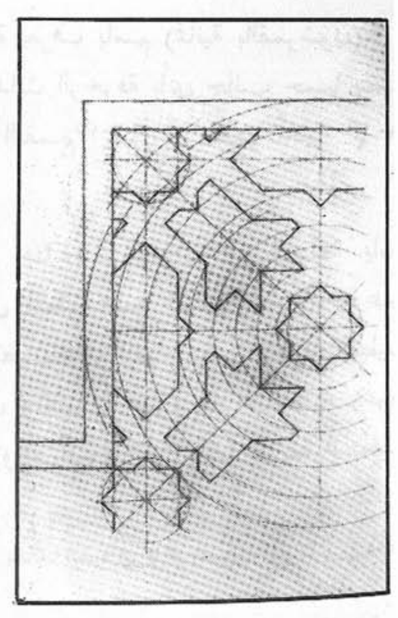
شكل 215
تفصيل عمارة منبر المدرسة البوعنانية



شكل 216
تفصيل عمارة منبر المدرسة البوعنانية



شكل 218
تفاصيل الزخرفة الأصلية لمنبر البوعنانية



شكل 217
التخطيط الهندسي للزخارف الأصلية

ومن دراسة فنون الصناعات المتنوعة دراسة تطبيقية في عين المكان مع المعلم محمد القادري المتخصص في صنعة النقش على (العود) أي الخشب وبعد الاطلاع على جميع الوثائق الممكن الوصول اليها حول مصير المنبر في العصر الاخير تبين لنا انه قد وقعت محاولة من جانب السيد فيكير لاصلاح المنبر حوالي عام 1939 للميلاد ولكن الوطنيون رفضوا ذلك الاصلاح خشية أن ينقل المنبر ويهرب إلى الخارج.

ويفيد المعلم محمد القادري أن المرحوم العلامة المختار السوسي عندما كان وزيرا للاحباس أمر بترميم المنبر ووكل الامر إلى المعلم محمد القادري الذي قام فعلا ببعض الاصلاحات وخاصة بالنسبة لما يعرف في الصنعة باسم (ثمانية بالقنادل) وذلك في الجانب المقابل للمحراب (أي على يمين الخطيب المرتقى للمنبر) باستخدام خشب الارز (المعروف بإصطلاح البرداع في الصنعة المغربية) والترصيع بالعاج وعود(خشب) المشمش وعود (البيلوز) وهو نوع من الخشب الاسود.

ويوضح لنا المعلم محمد القادري الذي يظهر غيرة شديدة وحماسا كبيرا لانقاذ ذلك التراث ان كل أنواع الزخرفة تعرف باصطلاح (التسطير) في حين تعرف كل (حرفة) أي نوع من الزخرفة باسم خاص.

ففي قوائم مدخل المنبر يوجد نوع من الزخرفة يعرف باسم (ثمانية بالقمرشون)[1] ثم نجد عناصر رئيسية للتقسيم الزخرفي في وحدة من وحدات الزخرفة بأي جانب حسبما يتضح من الشكل (217) حيث تكون الزخرفة في طور التقسيم[2] قبل أن تظهر أخيرا كما هو الحال في الشكل (218).

على أن أساس التقسيمات الزخرفية يكمن هنا فيما يعرف في الصنعة باسم (القطيب)[3] وهو ما نراه في الشكل (217) ويقول المعلم محمد القادري أن أول عمل للمعلم بعد تحديد التقسيمات العامة وحصر مناطق (القطيب) هو القيام بتعمير (ملء) القطيب بالجلد، ثم تأتي مرحلة أخرى تعرف باسم (التنبيت)، والتنبيت عبارة عن استخدام (عود) خشب المشمش والعاج (وهو أبيض) وعود البيلوز (وهو أسود اللون) أما طريقة استخدام

---

(1) يذكرنا هذا الاسم بنوع خاص من الزليج اكتشفناه أثناء حفائرنا بشالة، انظره في قوائم وصور زليج المرينيين بكتابنا (دراسات جديدة في الفنون الاسلامية والنقوش العربية).

(2) شكل رقم 217 للوقوف على التصميم الهندسي الأول الذي يسبق مرحلة الزخرفة التي تظهر في مرحلة تالية.

(3) هناك عدة أساليب للتقسيمات الهندسية في زخارف الخشب والزليج منها ما هو بالقطيب ومنها ما هو بدون قطيب، انظر تفصيل ذلك بكتابنا المذكور بالتعليق السابق.

الجلد في هذه الصنعة فتبدأ بأخذ جلد الماعز النبىء دون دباغة واستعماله بعد إزالة الشعر منه في تعمير (ملىء) مساحة (القطيب)، وإن تلك الطريقة نفسها هي التي تستعمل في صناعة جميع الآلات الطرب كالتعريجة والطبلة وغيرها من الأدوات التي يستعمل فيها جلد الماعز. بالإضافة إلى (القطيب) تتضح لنا عناصر أخرى مثل القنديل الواضخ داخل شكل (217) والصفط والثمانية أو المثمن بالقطيب (داخل شكل 217) وهو العنصر المشهور الذي نراه كثيرا في صناعة الزليج.

فـــــن الجــــــص

كان من تقاليد ذلك الفن تغطية الجدران الداخلية أعلى الزليج بالجص الذي نقشت فيه شتى أنواع الزخارف الهندسية والكتابية ذات التضفير التي يغلب عليها التوريق المتقابل داخل عقود قائمة على أعمدة دقيقة من الجص كذلك. وقد لعب فن الجص المغربي دورا حاسما في فن الجمال الزخرفي بحسن تقسيمه (شكل 219) وتنوع أساليبه وما اشتمل عليه من عبارات أدبية وأبيات الشعر الرقيق، بالاضافة إلى النصوص الدعائية والقرآنية وكذلك النصوص التأسيسية، كما هو الحال في نقوش مدرسة سلا التي تدور على الجدران والأعمدة في شكل قصيدة كاملة من الشعر العربي، بينما خصصت مناطق الجدران العليا لاسم مؤسس المدرسة السلطان أبي الحسن المريني.

وذلك بالاضافة إلى أعمال الجص الفنية في العقود والدلايات وفي القباب والمقرنصات المنتشرة بجميع انتاجاتهم المعمارية وعلى رأسها قبة تازا التي أضافها المرينيون إلى المسجد الموحدي الأول بعد توسعته.

وبعد أن فتح الأمير أبو مالك جبل طارق وجلب الناقوس الكبير المعلق بالبلاط الأوسط المقابل لباب الكتبيين بجامع القرويين بفاس، بادر السلطان أبو الحسن (فعمل له هناك قبة من الجص متقنة العمل علق بها في منتصف شوال سنة سبع وثلاثين وسبعمائة، وكان الانفاق في ذلك كله سبعون دينارا من الذهب من مال الأحباس على يد الناظر فيها أحمد بن محمد بن الأشقر الصنهاجي[1].

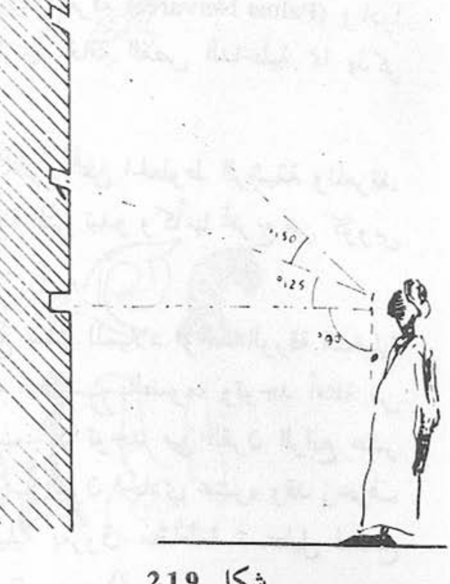
وقد أشار الدكتور زكي محمد حسن إلى انتشار العقد المزين باطنه بمقرنصات الجص (INTRADOS) في عمائر المرينيين وخاصة مدارس فاس.

على أن طريقة الحفر العميق في الحجر والجص وحتى الخشب كانت مألوفة قبل الاسلام، غير أنه ابتداء من ظهور طرز سامرا في الحفر على الجص منذ القرن الثالث بدأت مرحلة جديدة من الحفر المائل الذي استعمل الى جانب الحفر العميق بمنحوتات المرينيين الجصية، وقد تبقت زخرفة قديمة على الجص بمسجد الأندلسيين بفاس نجدها في غطاء سقاية الصحن (NICHE de la fontaine) (شكل 220). كما توجد بأحد الأبواب الشرقية للمسجد زخارف جصية بأسلوب فني متقن يرجعها هنري تيراس[2] إلى عصر الدولة المرينية وبالذات من عصر السلطان أبي ثابت عامر.

---

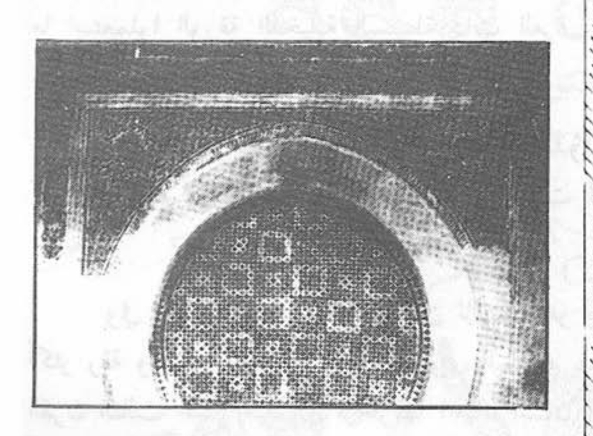
(1) زهرة الاس ص 76

(2) هنري تيراس : جامع الاندلسيين ص 28.



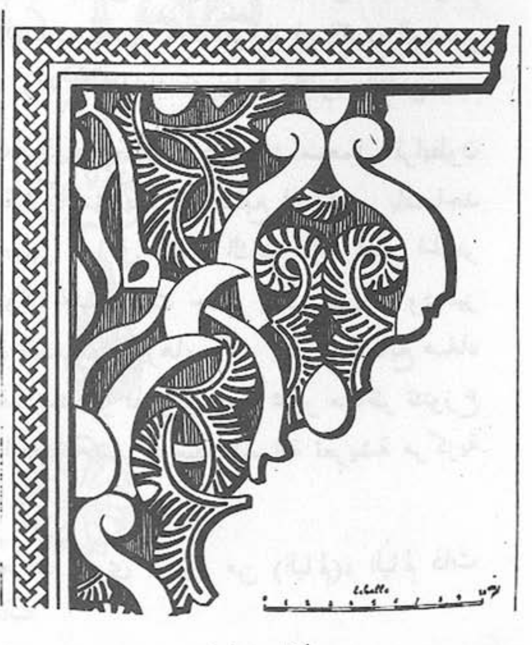
شكل 219

هندسة تنوع المقاطع في حفر زخارف الجص



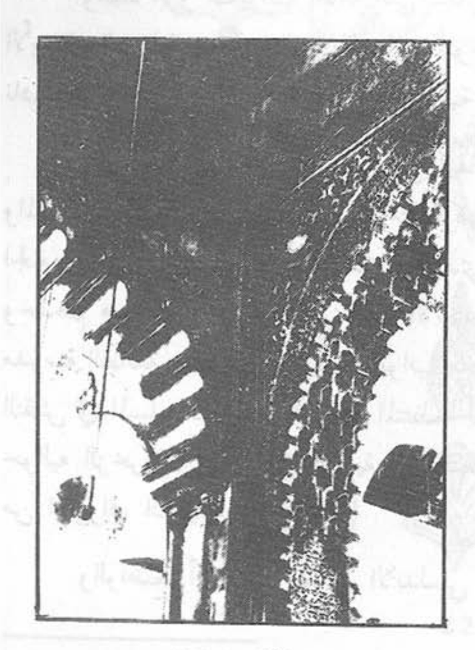
شكل 220

جص محفور بجامع الأندلسيين بفاس من عصر بني مرين



شكل 221

بقايا زخارف الجص بخلوة شالة المرينية



شكل 222

زخارف جصية، مقرنصات ودلايات وتوريق

وعندما درس جايو (GAYOT) الزخارف الزهرية في الفن الاسلامي قال أن المرابطين استعملوا منذ القرن الحادي عشر الميلادي الورقة النخيلية المعرقة (Palme Nervurée) ونادرا ما استعملوا الورقة النخيلية البسيطة ذات العرق الموازي لحافة الفص الداخلية مما يذكر بالكأس.

وفي القرن الثاني عشر للميلاد كان الموحدون يبحثون عن الخطوط الرشيقة والمعرقة، كما عرف فنهم الورقة النخيلية الناعمة مع الانحناءات الغليظة التي تبدو وكأنها تخرج من كؤوس متتابعة.

وفي عصر بني مرين في القرنين ثالث عشر ورابع عشر للميلاد توجد الورقة النخيلية أكثر رقة وملساء تماما مع تغيير مستوى السطح بقصد التلاعب بالضوء، وتوجد أمثلة من القرن الثالث عشر ميلادي تزخرفها احيانا أسنان الذئب، كما توجد من القرن الرابع عشر أمثلة معرقة بكثرة (أشكال 221 ــ 223) تذكر بأسلوب القرن الحادي عشر، وقد زخرف بنو نصر بغرناطة منذ القرن الثالث عشر الورقة النخيلية بعروق متقاطعة تستطيل لتصنع التصبيع[1].

وهذه أبرز المميزات الهامة التي تتعلق بفن الحفر على الجص (Gypse) من حيث رسم الأوراق النخيلية (Palmes)، إن الساق المتوسط الصلب الذي كان معروفا في القرن السادس نادرا ما يظهر في القرن السابع كما في قبة تازا، وقد لا نقابله تقريبا في القرن الثامن.

وفي المساحات غير المنتظمة مثل بنيقات العقود (écoinçons des arcs) استعمل المرابطون والموحدون عنوق (rinceau) متتالية متناظرة، كما نقش العنق بالقرن السابع في الجص بالمساجد الجامعة بفاس الجديد ووجدة وتازا وسيدي بلحسن، أما في القرن الثامن فإن نحاتو الحجر وحدهم هم الذين داوموا على ذلك الاستعمال ولا نجد بنيقات جص بباب المريسة ودهليز مدرسة الطالعة بسلا وباب شالة وأبواب منصورة تلمسان وغيرها، وكثر بالقرن السابع صفاء النقش في المساحات المنتظمة وغير المنتظمة بالتضفير المتناظر الموزع حول محور متناظر تتنوزع حواليه الزخرفة ويمر بركن الزاوية إلى منتصف العقد حيث يتوسط المسافة تعريشة مركزية من الأوراق النخيلية.

والواضح أن الفن المغربي الاندلسي لا يعرف سوى نوعين من (البالم)، البالم ذات

---

(1) H.Gayot : Le décor floral dans l'art de l'ISLAM Occidental
وكتابنا الفنون الاسلامية والنقوش ص 4 8/ 85



شكل 223

ورقة نخيلية مزدوجة بالتصبيع والعوينات

شكل 224

اوراق نباتية في الجص المريني

فصين مثلثين وممتدة طليقة (كسير الجلد) (شكل 224 — 1) ، ثم بالم من فص واحد مثلثة لينة يدخل أسفلها في قمع أو عقب (culot) (شكل 224 — 2) وتنتهي عادة من طرفها العلوي بفصين جديدين، كما يلاحظ تحوير الورقة عن الاكانتس (l'acanthe) ذات حشو داخلي متنوع، والحشو التقليدي عبارة عن التقسيم إلى أصابع (digitations) وذلك بقص وتجزئة الحافة، وتكون تلك الاصابع مستعرضة مع وجود دوائر صغيرة أو عيون (oeillets) ورقة الاكانتس (شكل 224 — 2) وهذه الطريقة تمنح الورقة قيمة منذ وجودها في القرن الثامن، بينما لا يعدو اختفاء الحلقات أن يكون نوعا من التبسيط.

وقد استعملت البالم المصقولة (Palme lisse) بشكلها المنفرد في المساحات الواضحة التي يراد بقاؤها واضحة كما هو الحال في شبكة المعينات القائمة على ذلك النوع من البالم، وبين النوعين أسلوب آخر من تعريش متعاكس (شكل 224 — 3و4) يذكر بالبالم الكبيرة في العصر الموحدي كما يستدير عنق الوريقة على هيئة الورقة الثلاثية، وهناك نوع آخر ينتج من تمنين الحواف[1].

شبكات المعينات المتجاورة :

أما شبكة المعينات التي أثبتنا أصلها الوطني بالمغرب بكتابنا الفنون الاسلامية والنقوش العربية بالمغرب، فقد بلغت الذروة في التنوع والانتشار على جميع ما أنتجه ذلك التراث من مواد، فنراها في الخشب والجص والحجر داخل العمائر وخارجها وبالمساجد والمدارس والقصور.

G.Marçais : l'archit. Mus d'occid. P. 325/354. (1)

فـــن الـحفـــر علـى الـرخـــام

كان من الضروري أن يلعب الرخام دورا كبيرا في منشآت المرينيين ومعظمها المتبقى لنا اليوم يتمثل في المدارس وبعض المساجد. ففي المساجد والمدارس صحون فرشت بالرخام والزليج وأحواض للوضوء وخصات متعددة نحتت كلها في الرخام الرقيق نقشا دقيقا، كما زودت بأعمدة رقيقة ذات أعمدة دقيقة تظهر بجلاء المآخاة التاريخية لفنون المغرب والأندلس في ذلك العصر. كما نقشت أفاريز وأطر رخامية بالعمائر المختلفة (شكل 225).

لوحات التحبيس :

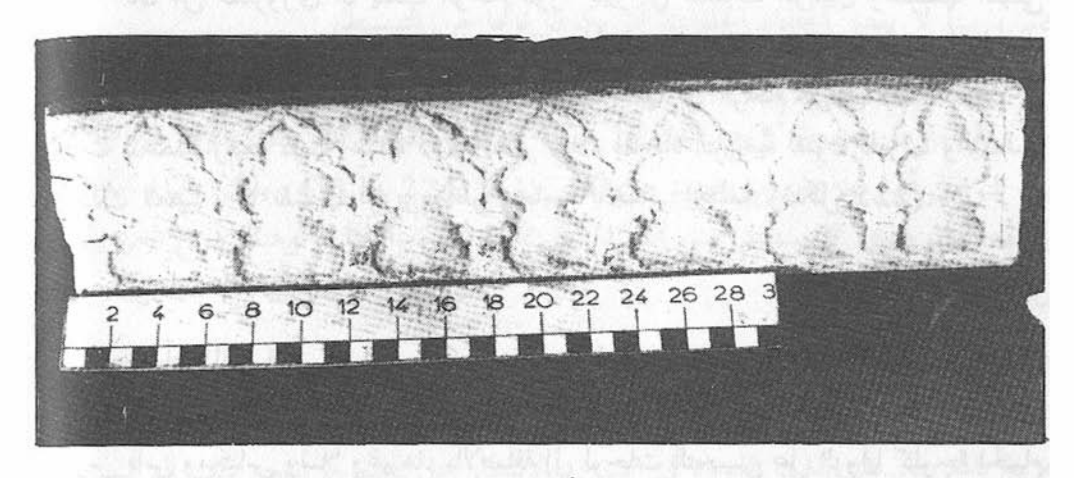
غير أن المادة الرئيسية التي تعكس تاريخ الرخام وصناعته وزخارفه المتنوعة تتمثل في لوحات التحبيس الرخامية التي لم تغب عن مدارس المرينيين بوجه خاص كما هو الشأن في مدارس فاس ومكناس وسلا وغيرها، بالاضافة إلى لوحات التحبيس على الزوايا كلوحة الحمام الجديد برباط الفتح والموجودة حاليا بالجامع الكبير برباط الفتح (اشكال 226 — 227) التي نقشت بأمر أمير المؤمنين أبي عنان للتحبيس على منشآت وزاوية شالة المرينية «دراستها المفصلة بكتابنا الفنون الاسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى».

إن نوع الرخام الذي استعمله المرينيون وتاريخ كل قطعة منه وأنواع نقوشها الكتابية التي تشغل المساحة الرئيسية ثم أنواع الزخارف النباتية والزهرية المحيطة بالنص الأصلي وزخارف الحروف الكتابية نفسها من تغصين وتشجير، كل ذلك يمكن بحثه بحثا تاريخيا محققا لما اشتملت عليه تلك اللوحات من أسماء الملوك والأمراء وتاريخ العمل واسم الصانع أحيانا، ليعكس صورة الفن الذي بلغه المرينيون في استعمال الرخام وزخرفته.

شواهد القبور :

ولا يقل قيمة عن لوحات التأسيس والتحبيس الرخامية من الناحية الفنية والتاريخية التي لا يتسرب الشك إليها مجموعة شواهد القبور الرخامية التي تعرف بالمغرب باسم المقبريات

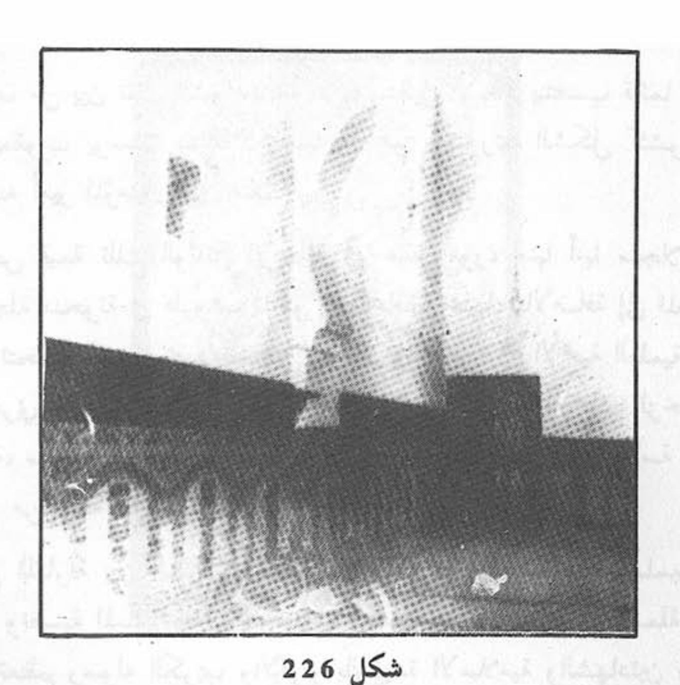
وخلّفها عصر الدولة المرينية كشاهد قبر أمير المسلمين يوسف بن يعقوب المريني وأبي الحسن وزوجته شمس الضحى[1] والدة أمير المؤمنين أبي عنان بشالة ثم شاهد قبر أبي عنان بجامع الجنائز بالجامع الكبير بفاس الجديد على سبيل المثال، والشاهد الذي كان منسوبا لأبي العباس



شكل 225

افريز رخام منحوت بالأوراق النخيلية (مريني) عثرنا عليه بحفائرنا بشالة 1959 م

(1) شاهد قبر شمس الضحى الذي أخطأ المستشرقون في قراءة نقوش وصححناه بكتابنا الفنون الاسلامية والنقوش العربية بالمغرب الاقصى.



شكل 226

نقش تحبيس على الرخام (798 هـ) بالجامع الكبير بفاس الجديد بموضعه بالبلاط الشرقي لبيت الصلاة



شكل 227

تفصيل نقش رخامة التحبيس بالجامع الكبير بفاس الجديد

أحمد[1] الموجود حاليا بشالة.

لقد كان من بين تلك الشواهد ما هو مستطيل الأبعاد ينتصب قائما عند رأس الميت كشاهد أبي يعقوب يوسف بشالة[2] ومنها ما هو منشوري الشكل كشواهد أبي الحسن وزوجته[3] وابنه أمير المؤمنين أبي عنان.

وتتلخص قيمة تلك الوثائق الأصلية في عدة أمور، منها أنها سجلات تاريخية ثابتة لأحداث مسجلة منحوتة في ظروف تدعو إلى المحافظة عليها، بالاضافة إلى المعلومات التاريخية الأخرى التي تتخطى كونها مجرد تسجيل للوفاة أو الدفن، ثم الأهمية العلمية لدراسة الأدب والأسلوب العربي وتطوره المتتابع تاريخيا. وفضلا عن ذلك كله فإن الزخارف والنقوش، هندسية ونباتية، سواء كانت متصلة بالكتابة أو منفصلة عنها فإنه يمكن دراسة تطورها التاريخي على نحو كبير من الثقة والاطمئنان.

وتكفي المقارنة بين الشواهد المسيحية قبل الاسلام وشواهد المسلمين، لمعرفة نوعية الأدب العربي ونفسية المسلم وعقيدته. إذ تبدأ النصوص الاسلامية بالبسملة شعار الاسلام، ثم ذكر الله وتعظيم رسوله الكريم، والاقرار بالعقيدة الاسلامية والشهادتين والساعة والبعث والجنة والنار، ثم اسم الشخص وتاريخ الوفاة، والتوسل الى الخالق الأعظم بغفران الذنوب ودعاء زائر القبر بطلب الرحمة من الله للميت. كما تتضمن شواهد القبور دائما آيات كريمة من المصحف الشريف وصيغا أدبية تدل على عقيدته الثابتة في الاسلام، كما تتضمن بعض الشواهد أبياتا شعرية بهذا المعنى.

شاهد قبر منشورى : مقبرية محمد بن الخطيب بن مرزوق المتوفى سنة **760**هـ :

بعد تحول الدفن من شالة إلى فاس بدفن ابي عنان بجامع الجنائز بالجامع الكبير بفاس الجديد دفن معه ابن الخطيب بن مرزوق تبركاً به.

وشاهد القبر من الرخام منشورى الشكل باسم الامام محمد بن مرزوق، وكان الخطيب الأب يتمتع بمكانة خاصة كوزير ومقرب من ملوك المرينيين، وتبلغ ابعاد الرخامة **0.50** مترا

---

(1) شاهد القبر المكسور الى عدة أقسام (ويتضمن نقشه تاريخين) أخطأ جميع المؤرخين الاجانب والعرب في قراءته وتأريخه، راجع دراستنا عنه في كتابنا الفنون الاسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى. ويعرف شاهد القبر المنشورى في المغرب باسم مقبرية واذا كان مربعا أو مستطيلا يسمى روسية لوضعه عند رأس الميت ويسمه ابن جبير التأريخ ويعرف في الانجليزة باسم Tomb stone وبالفرنسية Stèle funiraire والالمانية Grab stein.

(2) كتابنا الفنون الاسلامية والنقوش العربية بالمغرب الاقصى ص 159.

(3) نفس المصدر ص 167.



شكل 228

شاهد قبر (روسية) الأميرة زينب بنت محمد (736 هـ)



شكل 229

قالة من الرخام (ذراع لقياس الطول) باسم ابي عنان المريني

بالقاعدة الصغيرة و0.60 مترا بالقاعدة الأكبر بارتفاع 0.16 مترا يدور بها نقش كتابي بحروف من الخط النسخي بالحفر البارز يتخللها أحيانا بعض الزهيرات وارتفاع حروف الكتابة 0.025 مترا وقراءة النقش وصورته عند الفرد بل[1].

روسية : شاهد قبر مربع باسم الأميرة عائشة بتاريخ 792هـ

رخامة مربعة الشكل وجدت بجامع الجنائز أسفل المكتبة الحالية تحمل اسم الأميرة عائشة ابنة السلطان أبي فارس عبد العزيز المريني المتوفاة سنة 792هـ.

وسمك الرخامة يبلغ سنتيمترين والكتابة بحروف نسخية غليظة خالية من الزخرفة المعتادة مثل الأوراق النخيلية والزهيرات والأشرطة المضفرة، ويحيط بالنقش إطار يتفاوت اتساعه بين سنتيمترا وسنتيمترا ونصف، ويستغرق النص ثمانية أسطر تنتهي بسطر سابع من كلمة واحدة وهي (وسبعمائة)، وقد عنى الفرد بل بشرح أسباب قراءته للنقش وملاحظاته عليه مفصلا[2].

روسية الأميرة زينب بنت عمر بتاريخ 736هـ (شكل 228) :

رخامة مستطيلة فوقها نقش بالحفر البارز فوق خلقية بيضاء، ولقد عرف استخدام الشواهد المربعة أو المستطيلة بتلمسان وبعض مدن الشواطيء المغربية، بينما لا يوجد لها نظير في فاس، وهو أمر ليس بغريب حيث تختلف شواهد القبور من مدينة إلى أخرى بل من روضة إلى أخرى بالمدينة الواحدة.

وتشتمل هذه الرخامة على إطار مستطيل خارجي داخله إطار آخر يتوجه صف من الشرفات المسننة ذي ثلاث درجات. ويضم الاطار الداخلي مساحة رئيسية للنص يحيط بها عقد متجاوز مزدوج مفصص يرتكز من كل جانب على كابولي من العنصر الملفوف (الثعباني) البسيط يرتقي تاج عمود رخامي حيث خصصت تلك المساحة لنص يتكون من خمسة عشر سطرا من الخط النسخي، وتشغل البنيقات المحصورة بين كتف العقد المفصص وركن الاطار المستطيل مجموعة زخرفية من الأوراق النخيلية، والنص الكامل وارد ضمن دراسة الفرد بل المذكورة[3].

القالة أو الذراع :

القالة في المصطلح المغربي تعني الذراع وهو قياس الطول الاسلامي، وهذه قالة باسم

---

(1) A.BEL : Inscriptions Arabes de Fès, Journal Asiatique T. X 1917. P. 100 et fig 12.

(2) نفس المصدر ص 104 وشكل 13.

(3) نفس المصدر ص 317 وشكل 5.

أبي عنان المريني مؤرخة بعام (755هـ)، وهي نموذج من تلك التحف الرخامية المرينية بصفتها مثالا للذراع الملكي ولازالت محفوظة بحالة جيدة.

ويبلغ طول تلك التحفة (القالة) (51) سنتيمترا واتساعها (8) ثمانية سنتيمترا وعليها نقش كتابي محاط بإطار محفور حفرا بارزاً، أما النقش الكتابي فقد نقش في سطرين من الخط النسخي على النحو التالي[1] : (شكل 229)

1 – الحمد لله أمر بعمل هاذه القالة مولانا أمير المؤمنين أبو

2 – عنان أيده الله ونصره وذلك عام خمسة وخمسين وسبعمائة

ويلاحظ هنا الفرق في اتقان الحروف النسخية بالنسبة لنظيرها في المثال السابق، فالحروف النسخية هنا حفرت بعناية كبيرة وشكلت بوضوح لتيسير قراءتها دون تداخل أو تعقيد. ومن النظرة الأولى للنقش يتضح إهمال وسائل الزخرفة الزهرية الشائعة في النقوش المرينية، لقد استبدلها النقاش بعلامات الجزم والشدة وتحديد نقط الحروف بوضوح بالاضافة إلى حرصه على وضع النون الأخيرة التي تتميز هنا كما نراها في كلمة (عنان) بجعلها مفتوحة بشكل واضح ومطولة ومزودة دائما بالنقطة، أما حرف (الميم) فهو دائما مفتوح حسبما نرى في نماذج المخطوطات المرينية بصفة مستديمة.

(ذراع عناني) ــ قالة رخام باسم أبي عنان (755هـ) :

زودتنا دراسة الفرد بل للنقوش العربية بمدينة فاس بمثال آخر عبارة عن ذراع (قالة) مرينية من الرخام تحمل اسم أبي عنان نقرأ نصها على النحو التالي :

الحمد لله هاذا قياس ذراع قالة القيسارية (......)
وذالك عن أمر مولانا أمير المؤمنين المتوكل (على رب العالمين)
أبو عنان أيده الله ونصره وذالك عام خمسة و(خمسين وسبعمائة).

وإن قراءة الكلمتين الأخيرتين الناقصتين لمن الأمور الميسورة حيث أن أبا عنان ولي الحكم (749هـ) ثم توفي (759هـ)، وحيث أن قراءة الكلمة الأولى من التاريخ الوارد بالنقش هي (خمسة) فلابد أن يكون التاريخ محددا بالكلمتين (خمسين وسبعمائة) ففي سنة خمسة وأربعين وسبعمائة لم يكن أبو عنان قد ولى الحكم، كما أن خمسة وستين وسبعمائة مرفوضة لان أبو عنان توفي سنة (759هـ).

---

(1) الفرد بل، نفس المصدر ص 306 وشكل رقم 1.
(2) نفس المصدر ص 309/308 وشكل رقم 2.

رخام التيجان المرينية :

من الملاحظ أن التاج المريني يشتمل على وحدتين مميزتين وهما مزخرفتان بالحفر قليل العمق وتشتملان على عناصر تقليدية، والقسم الأسفل وهو اسطواني الشكل مغلف بالتموج النهري المحفور بقمته وهو العنصر الذي سار بتؤدة مع فنون الموحدين، وأما القسم العلوي فتنتشر حوله زخرفة أكثر حركة عبارة عن أشكال زهرية دون ساق أو جذع (Tige) تنتظم في شكل حشوات مستطيلة حول هذا القسم العلوي، وخلال تلك الأوراق النخيلية والزهيرات توجد عناصر زخرفية أخرى ثابتة[1].

وهكذا فالقسم العلوي للتاج يبدو كأنه مكعب ثقيل كبير الحجم يعلو اسطوانة رقيقة تجلس فوق بدن العمود الدقيق كما نرى في أعمدة شالة ومدرسة العطارين، وعلى الرغم من الثراء الزخرفي فإنها لا تبلغ جمال باقة الأوراق النخيلية التي عرفت بالقرن السادس.[2]

إن تطور التيجان خلال القرن السادس كان قد استكمل مسيرته وتحددت معالمه كما نراه في تيجان الموحدين في تينمل والكتبية، بينما تيجان مدارس فاس بالمغرب والحمراء بغرناطة تحمل زخرفة داخلية أكثر تعقيدا وأكثر تفصيلا. غير أنه بالنسبة لتيجان سيدي بلحسن بتلمسان وتلك التي بالمدرسة المصباحية بفاس فإنها وضعت قمة التاج الكبيرة واسعة الأبعاد فوق البدن الاسطواني العاري من الزخرفة تحت ثقل التاج، وفي منصورة تلمسان الأكثر توازنا وقوة، والتيجان نظيرتها بالمدرسة البوعنانية بفاس، نلاحظ وضع الكتلة ضمن مكعب أكثر انتظاما حيث نجد قمة التاج الضخمة تجلس دون تجاوز ملحوظ فوق اسطوانة العمود (أشكال 230 — 235).

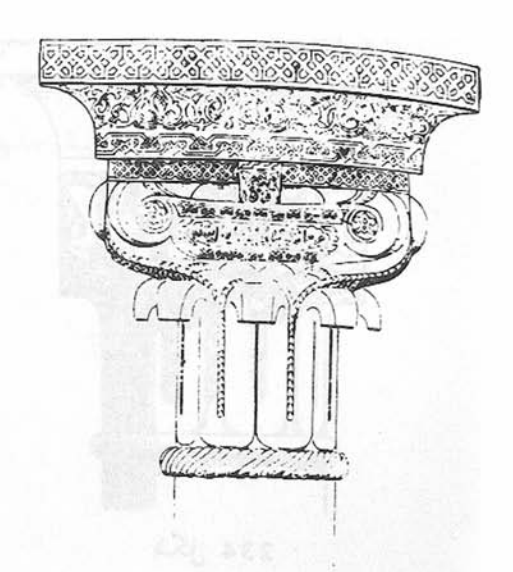
بيلة أبي الحسن الرخام بالمدرسة المصباحية بفاس :

ذكرها أبو الحسن علي الجزنائي في كتابه جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس قال : «وقد جلب لمولانا أمير المسلمين أبي الحسن برد الله ضريحه من نظر المرية بيلة من الرخام الأبيض زنتها مائة قنطار وثلاثة وأربعون قنطارا، وسقت من المرية إلى بلد العرائش إلى أن طلعت بوادي قصر عبد الكريم، وحملت منه على عجل الخشب تجرها القبائل والرؤساء إلى أن وصلت منزل اولاد محبوبة الذين على ضفة وادي سبو ووسقت منه إلى أن وصلت إلى ملقى وادي فاس، وحملت منه على عجل الخشب أيضا يجرها الناس إلى أن وصلت إلى مدرسة الصهريج التي بعدوة الاندلسيين، ثم نقلت منها بعد ذلك بأعوام إلى مدرسة الرخام التي أمر

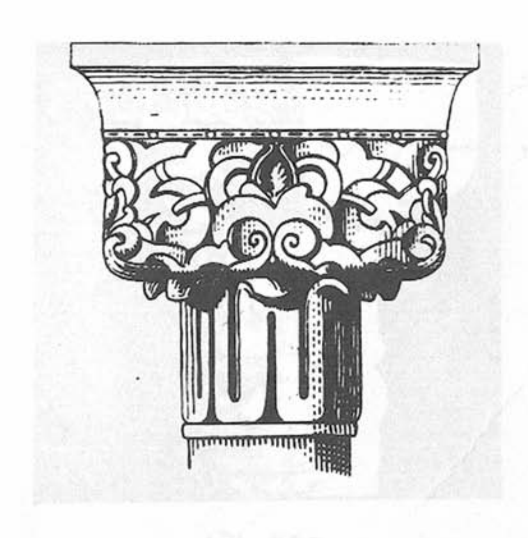
---

(1) G. Marçais : L'archit. Mus d'occid. P. 340.

(2) H.Terrasse : les arts decoratifs au Maroc. P. 77



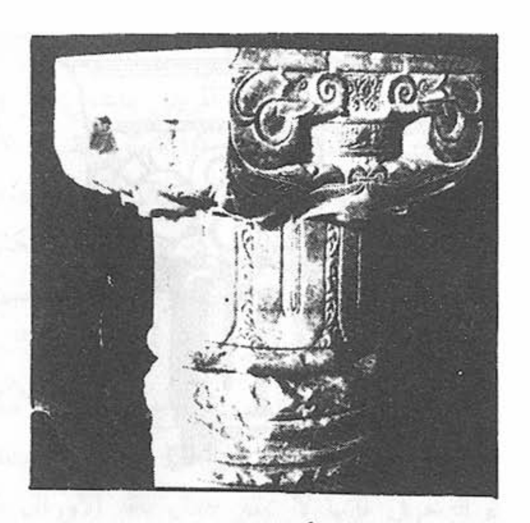
شكل 230
تاج عمود مريني من مسجد العباد بتلمسان



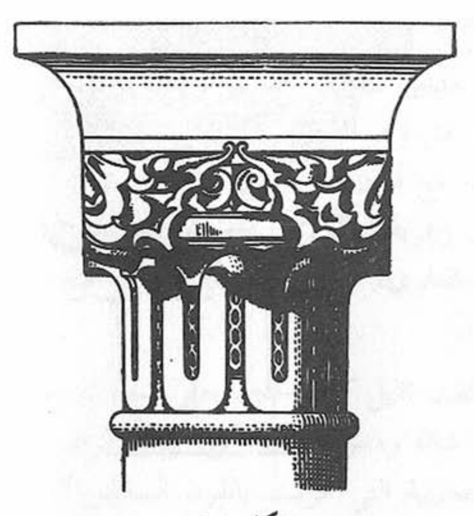
شكل 231
تاج عمود من مسجد سيدي بلحسن بتلمسان



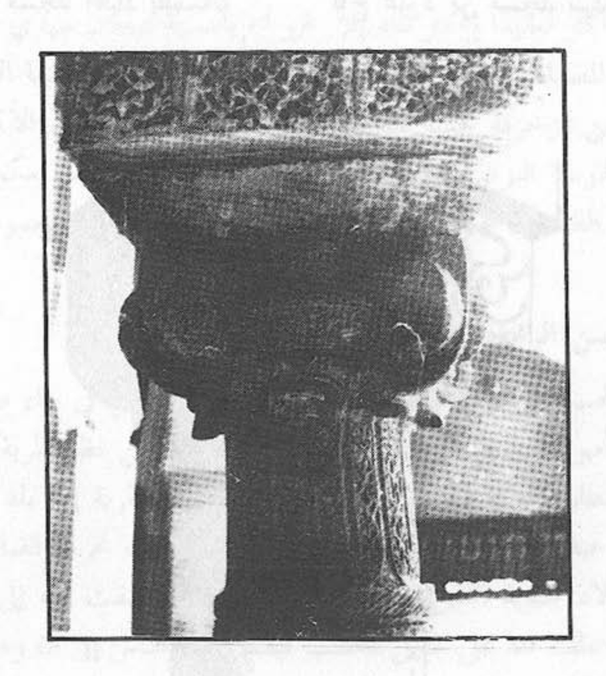
شكل 232
تاج عمود رخام من ضريح سيدي بومدين بتلمسان



شكل 233
تاج عمود مريني من منصورة تلمسان



شكل 234
تاج عمود مريني من منصورة تلمسان



شكل 235
تاج عمود مريني مزخرف بالأرابسك

بينائها مولانا أمير المسلمين أبو الحسن رحمه الله بجوف جامع القرويين وهي التي بوسط صحنها الآن وكان جلبها من المرية سنة خمس وعشرين وسبعمائة...»[1].

فهي إذن تحفة رخام مرينية جلبها أبو الحسن من المرية بالاندلس سنة (725هـ).

(1) زهرة الآس نشر مؤرخ المملكة ص 37، وانظر الاستقصا 176/3 ، وما نقله التازي بجامع القرويين 359/2، ومدرسة الرخام المذكورة تعرف اليوم بالمدرسة المصباحية.

والبيلة صهريج من رخام مستطيل ملاصق للأرض والكلمة اسبانية، تعليق بن منصور بزهرة الآس.

فنـــون الخــــزف

لقد استهوت دراسة الخزف الاسلامي عددا من المؤرخين والمشتغلين بالآثار الالمان على الخصوص وعلى رأسهم العالمان هرسفيلد وذرة اللذين وضعا دراسات تخصصية في تاريخ وتطور هذا الفن وتأثيره على فنون وصناعات الغرب وأوضح الاستاذ فيهيفاري بمحاضرته ضمن نشاط معرض الخزف الاسلامي بمدينة ميونيخ لعام 1989م التأثير المتبادل بين الحضارتين البيزنطية والاسلامية وتأثير الخزف الاسلامي وأبان عن تأثير الحضارتين العربية والاسلامية في ازدهار فن صناعة الخزف.

ازدهار فن الزليج :

وفي المغرب الأقصى وخصوصا أيام بني مرين لعب الخزف بأنواعه دورا اجتماعيا ذكره المؤرخون وحفظته الآثار، فقد أشار ميجون (G.Migeon) في كتابه عن الفنون الاسلامية إلى فخار مزلج (Terre cuite émaillée) من القرن السادس بصومعتي الكتبية والقصبة بمراكش، كما أشار الى قيام عدة مصانع للفخار بفاس منذ القرن السابع[1].

وقد نوع المرينيون طريقة صنعه وألوانه وأنواعه وتركيبه وقد ذكرتُ حوالي ثلاثين نوعاً داخل خلوة شالة الاثرية[2] (أشكال 236 ــ 241)، ونص ابن أبي زرع في روض القرطاس على الدور الذي لعبه فن الزليج في الحياة المغربية على عصر بني مرين، كما أشار الجزنائي في زهرة الآس إلى صنعة الزليج في سقاية باب المدرج بالقرويين من عصر أبي يعقوب يوسف سنة 692هـ (وصنع بأعلى الأدراج باباً عظيماً يدخل منه لقبلة الجامع، وصنع عن يمين الخارج من أسفل الادراج سقاية نمقها بالجبص والزليج والحجر المنجور وأنواع الاصبغة)[3].

صناعتـــه :

وذكر الفرد بل في كتابه عن صناعات الخزف بفاس[4] أن الزليج كان متطوراً وراقياً في المغرب أيام المرينيين، وأن فاس قد عرفت منتجات الفخار المموه مثل الأطباق والجرار والأوعية وقناديل الزيت (أشكال 242 ــ 243) شأنها شأن مصانع اسبانيا وتلمسان وقلعة

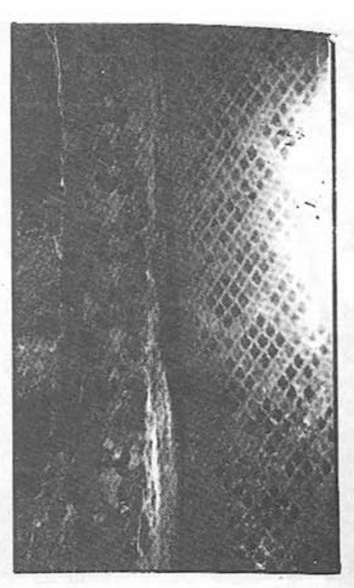
---

(1) G.Migeon : Manuel d'art Musulman V.II P. 250

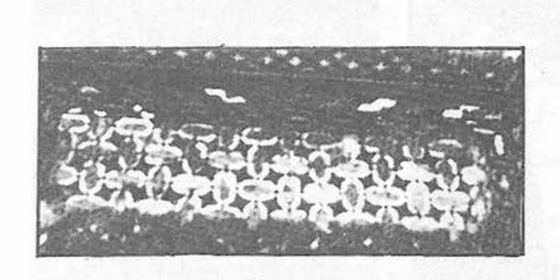
(2) كتابنا الفنون الاسلامية والنقوش العربية بالمغرب ص 111 وما يليها.

(3) زهرة الآس ص 74.

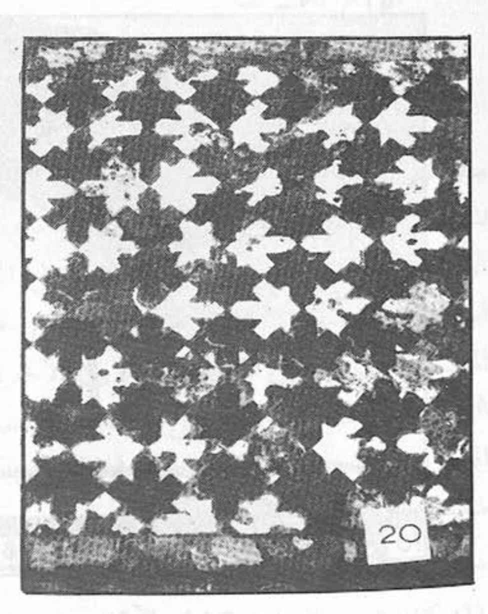
(4) A.BEL : Les industries de la céramique à Fès, Algr-Paris 1918.



شكل 236
زليج (كتف ودرج) إلى اليمين ثم (توريق مولف)
إلى اليسار بباطن عقد مدخل بخلوة شالة



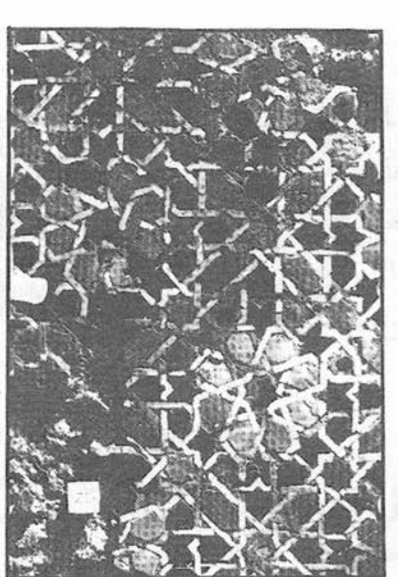
شكل 237
زليج (ليورنوبية بالقطيب) في عتبة القبة
التي نسبناها إلى أبى سعيد عثمان بشالة



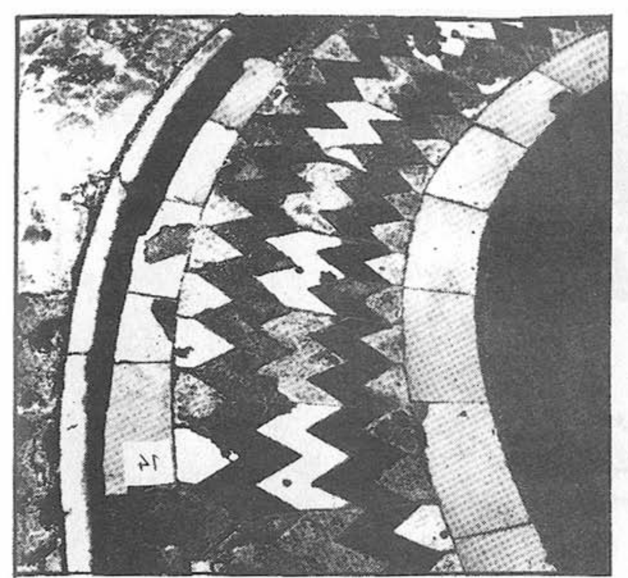
شكل 238
زليج (اوراق التين) في نبح القاعة



شكل 239
زليج (الشغل بان) بين سواري الصحن



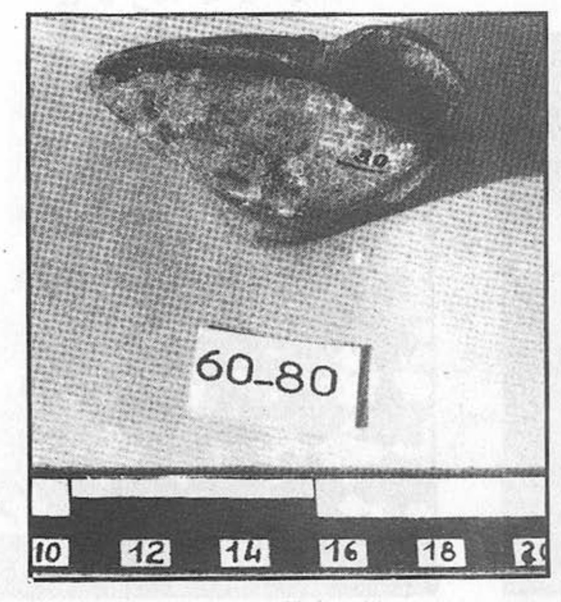
شكل 240
زليج (العمل بالقطيب مثمن مشمور مربع)



شكل 241
زليج (زجزاج مقصوص)



شكل 242
خزف مموه بمدرسة العباد بتلمسان



شكل 243
قنديل مموه من العصر المريني اكتشفناه بحفائر شالة 1959 م

بني حماد وهو أمر أكدته اكتشافاتنا بحفائر شالة المرينية[1]، وقد خصص الفرد بل الباب الأول لصناع الآجر والثاني للفخارة والثالث للخزافين وبحث المادة المستخدمة في التزجيج ثم التمويه بالألوان الأبيض والأصفر والأزرق والأخضر والبني ثم فن النار وأفرد الباب الرابع للتربيعات المزججة (carreaux émaillés) ودرس بالباب الخامس انتاج الخزف المدهون فوق الطبقة الزجاجية.

وجاء بروسبير ريكار بكتابه عن الفن الاسلامي بشمال افريقيا واسبانيا فأورد بنهاية الفصل السابع دراسة لفن الفسيفساء الخزفية بالمغرب وألوانها وطريقة عمل الحبل اليابس ثم التربيعات الخزفية المكشوفة ذات الكتابات المنقوشة بمدارس المرينيين وخص الفصل الثالث عشر بالفخار والخزف والتمويه.

وطريقة الحبل اليابس (cuerda seca) شرحها ميجون وقال انها ظهرت في القرن التاسع الهجري لسهولتها ورخصها بوضع حواجز من الشحم بالفرشاة بين المناطق الزخرفية لإمكان تزجيج كل قطعة باللون المطلوب دون اختلاط الألوان فيتكون تطعيم زخرفي بعد تمويه كل قسم بلون خاص وهو ما يسمى (cloisonner céramique) وقد عثرنا بحفائر شالة سنة 1960م على تربيعة منه نرجعها إلى القرن الثامن الهجري[2].

أنواع الخـزف :

ونعود مرة أخرى للخزف غير المموه ثم المموه وبعده أنواع الخزف المنقوش والمقشر.

فقد لعب الخزف غير المموه دوراً زخرفياً في ملىء أرضيات شبكات المعينات بالصوامع منذ ظهر بصومعتي الكتبية والقصبة بمراكش، ومنه مثال لتضفير عصابات المصلى بمنصورة تلمسان المرينية. أما الخزف المموه فهو واسع الانتشار ويعرف باسم الزليج منذ وجد بالغرب الاسلامي خلال القرن الخامس وقد دخل المغرب الأقصى عن طريق (افريقية)[3]، وقد عم استعماله منذ النصف الأول من القرن الثامن سواء تم تثبيته بين الحجر كما هو الحال في صومعة المنصورة بتلمسان أو استخدم في تزيين الآجر، كما يدخل ضمن ترصيع متعدد الألوان وتصميم الاطارات الخارجية للمداخل واطارات الصوامع وتبليط الأرضيات وكسوة المسطحات المستوية أو المنحنية والقبيبة التي تعلو العزرى كالتي نراها بصومعة زاوية أبي سعيد عثمان بخلوة شالة.

---

(1) كتابنا الفنون الاسلامية والنقوش (أشكال 17 و18).

(2) كتابنا الفنون الاسلامية والنقوش العربية بالمغرب ص 78/77 وشكل 19.

(3) جورج مارسيه : العمارة الاسلامية ص 335.

واستعمل المرينيون عدة ألوان، فضلا عن ألوان الموحدين الاخضر والابيض، استعملوا اللون البني المائل للسواد منجنيزي، والأصفر مائل للحمرة بأكسيد الحديد، ونادراً الاصفر الكروم والأزرق القاتم والأزرق الفاتح، ومعظمها نراه في الخزف المموه بخلوة شالة المرينية، وقد اقترن تنوع الألوان بالتناسب مع أشكال الزخارف الهندسية أو النباتية أو الكتابية.

وقد يحل محل الزليج المموه والملون نوع آخر يعرف بالزليج المقشر، وبهذه المناسبة نوضح أن الزليج بوجه عام ينقسم إلى نوعين : المنقوش والمقشر.

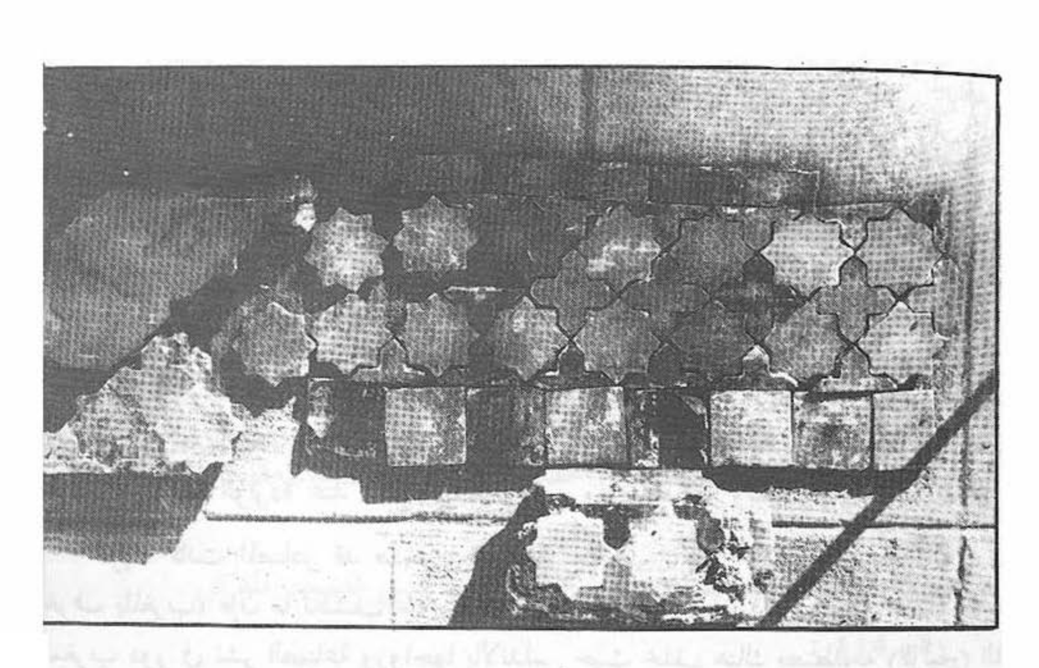
والزليج المنقوش يقطع ويقص على هيئة الزخارف المطلوبة ثم يثبت على السطح في (المرطوب) المعروف في المشرق باسم (المونة) ويسمى المعلم الذي يقطع الزليج بأشكاله الزخرفية باسم (النقاش)، أما الصانع الذي يقوم بتركيب القطع في شكلها الزخرفي فوق السطح باسم (الفراش) لانه يفرشها على السطح المراد زخرفته وكسوته بالزليج. ويأتي مصطلح (توريق مولف) للزخرفة النباتية التي تم تأليفها الى بعضها، ولعلها مصدر الاصطلاح الاسباني (ataurique)، ثم مصطلح (زليج منقوش) للعناصر الهندسية، وأخيرا (الكتابة المولفة) للزخارف الكتابية. والتوريق المولف نراه في مدخل زاوية أبي سعيد بينها وبين المسجد والكتابة المولفة في نقش نفس الزاوية المؤرخ (731هـ) مثل نقش التأسيس بصومعة سيدي ابن صالح[1] بمراكش من عصر المرينيين ويطلق اصطلاح الزليج المنقوش على التشكيلات الهندسية ككسوة قبر يعقوب المكتشف بشالة.

أما الزليج المقشر فيعد بفرش الزليج ذي اللون الواحد ورسم الزخارف الكتابية والنباتية فوق السطح ثم يزيل الصانع التمويه بمواقع الرسم والكتابة ويقشر السطح اللامع لاظهار لون الطينة الاول فيتباين مع التمويه خارج حدود الحروف الكتابية والعناصر الزخرفية، وهنا يقال (كتابة مقشرة) و(توريق مقشر) ومنه أمثلة متقنة بمدرسة الطالعة بسلا والعطارين بفاس وغيرها[2].

الخزف ذو البريق المعدني (Faïence à reffet metallique)

يعرف في المصطلح الانجليزي باسم (Lustr pattery) عثرنا على عينة داخل مسجد شالة العتيق أثناء حفائرنا الأثرية 1959م يصنع كسوة قبر أبي يوسف يعقوب المريني وزوجته الحرة أم العز (توفت 683 وتبعها زوجها 685هـ)، ومثالنا المكتشف عبارة عن تربيعات خزفية بشكل صلبان تتداخل مع نجوم ذات ثمانية أركان تعرف في الصنعة المغربية باسم (زليج نصف

(1) كتابنا حفائر شالة الفصل الثالث وكتابنا الفنون الاسلامية والنقوش ص 105/102 وشكل 26.
(2) كتابنا الفنون الاسلامية والنقوش ص 199/196.



شكل 244
خزف ذو بريق معدني اكتشفناه بحفائر شالة يصنع كسوة قبرين بالزيادة المرينية

قمرشون بالخاتم) وكلها بلون واحد (monochrome) يختلف من قطعة إلى أخرى باللون القهوي أو الأخضر أو الأبيض أو الأصفر تعكس جميعها البريق المعدني الذي ابتدعه المسلمون في العراق ثم انتقل إلى مصر وتونس وقلعة بني حماد وقرطبة والزهراء وتأكد لنا البريق بالمثال المكتشف بعد دراسة تقنيته (Technique) مع المعلم ادريس السرغيني أشهر خزافي مدينة فاس وزميلنا السيد ميلية محافظ متحف البطحاء بفاس في ذلك التاريخ.

وقد عثرنا على مثال طبق الأصل (شكل 244) نشره الاستاذ جورج مارسيه يرجع إلى القرن الخامس وجد بقلعة بني حماد، ثم تأكدت لنا صناعة المحلية بالمغرب للبريق عند عثورنا على قطعة تالفة أثناء الصنع، كما أكد المعلم ادريس السرغيني أن التراب تراب فاس، بالاضافة إلى اشارة اسكندر دلبى الى وجود مخطوط بمدينة مراكش ينص على أن بعض قطع من الفضة كانت تستخدم في أحداث البريق عند صناعة الخزف، وقد أوضحت بكتابي الفنون الاسلامية والنقوش تفاصيل صناعة البريق وخطوات ومراحل الانتاج والمواد المحلية وفن النار وهو روح صناعة الخزف.

ويؤكد راينا بقيام الصناعة بالمغرب منذ القرن السابع على الأقل (تاريخ القطع المكتشفة)، روايات المؤرخين وبقايا الآثار، بقيام الصناعة على حدود المغرب بافريقية وقلعة بني حماد ثم بالمدن الأندلسية الواردة عند الشريف الادريسي وابن بطوطة وتفاصيلها بكتابنا المذكور.

وإن كانت المصادر قد صمتت قبل عصر المرينيين عن الافصاح عن مكانة صناعة الخزف بالمغرب، فإن ما تكشف عنه الابحاث مستقبلا قد يعوض ذلك النقص خصوصا وأن للمغرب دور في نشر الصناعة ورواجها بالاندلس حيث خلف هناك مصطلحه (الزليج) الذي أصبح في الاسبانية (AZULEJOS) ومصدرها (الزليج) بالاضافة إلى امتداد تأثيره الى مصر التي تعرفه باسم (الزليزلي) ومرده دون شك إلى (الزليج) فقد ذكر المرحوم الدكتور زكي محمد حسن اسم الصانع المغربي عبد الكريم الفاسي الذي قامت على اكتافه صناعة الخزف في مصر في القرن العاشر الهجري.

نماذج مرينية :

وبمتحف مدينة وهران عدة نماذج من الخزف المغربي تضمنها كتالوج المتحف منذ عام 1932م وقد بحثت عن تلك النماذج بالمتحف المذكور وحققت أرقامها ووصفها على النحو

(1) تفاصيل الدراسة المقارنة والمصادر ومناقشة المؤرخين وطريقة الصنع والمواد بكتابنا الفنون الاسلامية والنقوش العربية بالمغرب ص 109/101.

الوارد بالكتالوج[1] كما يلي :

رقم 411 :

تربيعة (Carreau) من الخزف المموه باللون الأخضر يرجع أصلها الى مسجد منصورة تلمسان الذي أسسه السلطان أبو يعقوب يوسف المريني سنة 702هـ.

رقم 412 :

كسرة من تربيعة خزفية من مسجد منصورة تلمسان مموهة باللون الازرق وذات بريق معدني على هيئة عرق اللؤلؤ تؤكد دراستنا للخزف ذي البريق المعدني الذي اكتشفناه بحفائر شالة الاسلامية[2].

رقم 413 :

تربيعة ذات طلاء اخضر اللون يزينها نقش بارز لزهرة ذات ثمان وريقات يرجع أصلها إلى مسجد سيدي بومدين بتلمسان الذي لا يبعد بأكثر من كيلومترين جنوب شرقي المدينة المذكورة وقد شيده السلطان أبو الحسن ابن أبي سعيد عثمان المريني سنة 739هـ.

رقم 414 :

تربيعة خزفية ملساء ذات دهان أخضر اللون من مسجد بومدين بتلمسان.

رقم 115 :

تربيعة خزفية ملساء مغطاة باللون الأصفر من نفس المسجد المذكور.

رقم 116 :

تربيعة خزفية ذات دهان بني قاتم (Brun) ونقوش قليلة البروز بزخارف نباتية تحيط بها دائرتان متحدتا المركز، ومثلها القطعة رقم 417 بالمتحف المذكور والقطعة رقم 418 المماثلة للقطعتين السالفتين في المقاييس والزخرفة مع اختلاف واحد وهو دهان الخلفية باللون الأخضر ودهان الزخاف البارزة باللون الأحمر.

رقم 419 :

تربيعة خزفية مموهة باللون الاخضر وذات زخارف بارزة قوامها العناصر النباتية.

رقم 420 :

تربيعة مموهة باللون الأصفر وذات زخارف بارزة زهرية منتظمة في أربعة أشرطة.

---

(1) Catalogue Raisonnés du Musée de la ville d'ORAN P. 156-157.

(2) عثمان عثمان : حفائر شالة الاسلامية، الفصل الرابع، القطع رقم 16 مما عثرنا عليه بحفائر شالة، أنظر شكل 120.

العملة المرينية

مصادر الدراسة

لا بأس أولا من الاشارة إلى بعض المصادر التي تساعد على هذه الدراسة وأولها في نظرنا الرجوع الى الجزء الأول من كتاب (الدينار الاسلامي في المتحف العراقي) تأليف سيد احمد نقشبندي نشر بغداد 1953م للوقوف على أساس العملة الاسلامية بوجه عام فنتعرف على اسم الدينار وضرب الدينار وأول من ضرب الدينار في الاسلام وأقدم دينار اسلامي[1] ثم الدينار الأموي[2] فالعباسي[3] والدينار المضروب في افريقية والأندلس[4].

وسوف نرفق هذا البحث بخلاصة بحث بريت (J.D.Brethes) فيما يخص عملة المرينيين في كتابه لتوضيح تاريخ المغرب عن طريق الأبحاث النقدية، كما نشير إلى كتالوج العملة الاسلامية الذي وضعه لافوا (LA VOIX) باسم (catalogue des monaies Musulmanes) وكتالوج المتحف البلدي لمدينة وهران المتضمن عملة مرينية محفوظة بخزائنه وضع سنة 1957م واسمه (Guide de Musée Minicipal ORAN) ترددت عليه للدراسة بين عامي 1970م و1973م.

كذلك وردت بعض المعلومات بالقطعة المنشورة من مسالك الأبصار للعمري، ثم مخطوط الرسالة التي نشرها الدكتور حسين مؤنس بصحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد سنة 1958م واسمها (الدوحة المشتبكة في احكام دار السكة) لمؤلفها أبي الحسن علي بن يوسف الحكيم المديوني في النصف الثاني من القرن الثامن أيام أبي فارس عبد العزيز ابن ابي الحسن المريني.

دور السكة وتعددها وآثارها :

بادر أبو يوسف يعقوب الذي أرسى قواعد الدولة بتأسيس أكبر دار لسك العملة بفاس الجديد قرب القصر الملكي حيث يستقر بها الناظر والعدول والكتاب وبقربها المصاغات والامين، غير أن تعدد وجود دار السكة بأكثر من مدينة مثل فاس وسجلماسة ومراكش والمنصورة وسبتة ومكناس حسبما أورده المؤرخون كان له أثر في تنوع أشكال العملة المرينية

---

(1) الدينار الاسلامي بالمتحف العراقي ص 19.

(2) نفس المصدر ص 67.

(3) نفس المصدر ص 85.

(4) نفس المصدر ص 27.

واختلاف صنعتها وأوزانها خاصة بالنسبة للجهات البعيدة عن مركز السلطة، وبالاضافة إلى ذلك كانت بعض العملات الأخرى تعرف الرواج مثل النقود الحفصية والسبتية والحسونية مما دفع يعقوب المريني المذكور إلى منع قبول أي منها ما لم يكن على قدر السكة المحلية وجودتها[1] .

وكانت العملة المرينية مستديرة الشكل وقليل منها مربع أو مستطيل اذ كانت تضرب النقود الفضية مربعة ومستطيلة للسلطان عبد الرحمان بن أبي يفلوسن المريني[2] . وعلى الوجهين مربع وسط دائرة تحيط بها دائرة منقطة وبداخل المربعات وحواليها النصوص العربية التي نوضحها في الأمثلة المقبلة.

وكان الدينار الذهبي يعادل 56.4 جراما وأجزاؤه النصف والربع والثمن، كما يساوي 69 درهما صغيرا، وكان الدينار الفضي يساوي عشرة دراهم صغيرة، وكان الدرهم الفضي الكبير يزن 24 حبة من الشعير ويتكون من ثلاثة دراهم صغيرة يزن أحدها ثمانية حبوب، وقد سك أمير المؤمنين أبو عنان دينارا ذهبيا يزن مقدار مائة دينار ذهبي عادي جعله للاهداء.

ونعود إلى الوثيقة التاريخية المتعلقة بالعملة من عصر بني مرين وهي رسالة الدوحة المشتبكة لعلي ابن يوسف الحكيم لنعطي موجزاً مفيداً لبعض أبوابها وفصولها[3].

فيتحدث في الباب الثالث عن معادن الذهب والفضة وكيفية توليدها وتخليصها، وفي الباب السادس مقدار الدينار والدرهم وسبب ضرب الدراهم اليعقوبية بهذا الوزن بالمغرب، وفي الباب العاشر ذكر ما أحدثه المفسدون في غش السكة وعقوبة مرتكب تلك المحظورات.

أما الباب الخامس الذي أرجأناه إلى الآن فهو المعنى من وضع الرسالة تفصيلا ويشتمل على اثنى عشر فصلا، ومن هذا الباب نذكر ما يهمنا في هذا العرض.

ففي الفصل الأول نجد أول من ضرب الدينار والدرهم قبل الاسلام وبعده.

وفي الفصل الثاني أول من ضرب الدراهم المركنة وأول من أسس دار الضرب بفاس.

والفصل الثالث في شروط ومؤهلات ناظر دار السكة.

الفصل الرابع في أحوال شهودها وربط عقودها.

---

(1) دكتور حركات : المغرب عبر التاريخ 143/2.

(2) المنوني : بحثه في النظام الاقتصادي للدولة المرينية المنشور بمجلة البحث العلمي 3،2 والمعاد نشره بكتابه ورقات نشر كلية الآداب بالرباط ص 98.

(3) المنوني : نفس المصدر ص 103/100.

الفصل الخامس في وظيفة الفتاح الذي يضع رسم السكة ويكتب نصها.
الفصل السادس في النيران المستعملة في دار السكة.
الفصل السابع في عيار الذهب.
الفصل الثامن في وصف الميزان وحفظ صنجه.
الفصل التاسع في أحوال السكاكين ومراتبهم معلمين وعمالين ومتعلمين.

ولنبدأ الآن في عرض موجز لدراسة بريت حول العملة المرينية من خلال دراسته المتخصصة لاجلاء تاريخ المغرب عن طريق الابحاث الاثرية في دراسة العملة.

العملة الذهبية :

يمثل عملة المرينيين الذهبية الدينار ونصف الدينار وربع الدينار. وعلى كل من وجهي العملة الذهبية يوجد مربع محفور داخل دائرة مكونة من خطين أحدهما منقط، كما يوجد عنصر زخرفي عادة على أحد الوجهين أو كليهما.

ويتوزع النص داخل المربع أو أجزاء الدائرة مشتملا على اسم المصنع مسبوقا بعبارة (بأمر عبد الله) ثم يرد الاسم مسبوقا باللقب[1] مثل (أبو زكريا يحيى) ولكنها ليست قاعدة عامة. وأحيانا لا تحمل العملة غير اللقب مسبوقا بعبارة (عبد الله) وبعد ذلك بقية النص القرآني أو خلافه ومثل تلك العملة لم تؤرخ بعد.

لقد كان من عادة ملوك العصر المريني استعمال اللقب والكنية التي سجلت على عملتهم، فعلى جميع العملة المرينية المعروفة تقريبا نجد (عبد الله) تسبق الاسم أو اللقب. وعلى عملة أبي عنان نلاحظ تطور اللقب. فبعض القطع الذهبية التي يحتمل أنها ضربت مبكرا في فاس بإذن أبي عنان نجد عليها (عن أمر عبد الله المستنصر بالله) ثم ضربت عملة عليها (عن أمر عنان أمير المسلمين) ثم يأتي طراز ثالث ضرب في تلمسان عليه (عن أمر أبي عنان عبد الله أمير المسلمين المتوكل على رب العالمين) وأخيرا نصل إلى الطراز الرابع وعليه اللقب الكامل بعد تطوره التاريخي وهو (عبد الله المتوكل على الله فارس أمير المؤمنين)[2] وقد ضرب ذلك في العملة الذهبية بفاس وبوجدة ومراكش وتلمسان.

العملة الفضية :

أما عملة المرينيين الفضية فهي نادرة الوجود وقد أشار بريت إلى وجود قطعتين من

---

(1) J.D.Brethes : Contribution à l'histoire du Maroc par les recherches num. P.186.

(2) نفس المصدر ص 169.

الفضة بالشكل المربع عند أحد وجهاء[1] مدينة سلا تحملان اسم عبد الحق ترجع الاولى إلى عبد الحق المريني مؤسس الدولة والثانية تنسب إلى عبد الحق آخر ملوك المرينيين.

كما توجد عملة فضية تحمل عبارة (القرآن كلام الله) أو (القرآن أمامنا) وهي ليست موحدية أو حفصية وإنما تنسب إلى المرينيين.

أما العملة التي لا تحمل إسما وترجع الى مدينة تلمسان فإن بريت يرجح نسبتها إلى المرينيين[2] لانهم بنوا منصورة تلمسان ثم أعادوا ترميمها وسيطروا على تلمسان منذ حصار أبي يعقوب يوسف، كما يلاحظ بريت أن بعض القطع من هذا النوع الذي لا يحمل الاسم توجد عليه عبارة (ما أقرب فرج الله) وتذكرنا تلك العبارة ببني عبد الواد الذين ذاقوا مرارة الحصار المريني الشهير الى مهلك السلطان يوسف سنة 706هـ، وقد جاء بظهر تلك العملة (القرآن كلام الله)، وقد ضربت عملة ذهبية باسم السلطان عبد العزيز بن أبي الحسن تحمل عبارة (القرآن كلام الله) ضربت بمراكش (اشكال 195 ــ 199).

ونورد الآن نماذج من العملة المرينية المحفوظة بباريس نقلا عن كتالوج لافوا (LAVOIX) المسمى (catalogue du monnaies Musulmanes) :

أولا : قطعة مستديرة (ككل نقود الدولة تقريبا) وبداخلها مربع[3]، وقد نقش على أحد الوجهين بين المربع ومحيط القطعة ما يلي :

(باسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليمان).

ونقش بداخل المربع :

الحمد لله

والمنة لله

ولا قوة إلا بالله

وفي الوجه الثاني نقش بين المربع والمحيط :

ضرب بمدينة فاس حرسها الله بمنة عن أمر

---

(1) نفس المصدر ص 170

(2) نفس المصدر ص 171 وعن عملة المرينيين بمتحف مدينة وهران راجع :

Guide du Musée Municipal Oran 1957 P. 45-46

أما عملة ملوك بني وطاس فقد أورد بريت نماذج قليلة ونادرة منها بكتابه المذكور ص 187.

(3) الكتالوج المذكور ص 440.

عبد الله عثمـــان
أيــده الله

ثانيا : ومن عصر أبي سعيد عثمان (710 ـــ 731هـ) ومن انتاج سجلماسة قطعة مستديرة يتوسطها مربع عليها ما يلي[1] :

نقش بالوجه الأول بين المربع والمحيط :

(وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم).

ونقش بداخل المربع :

بسم الله الرحمن الرحيم
صلى الله على محمد وآله
الحمد لله وحده
لا إله إلا الله
محمد رسول الله.

ونقش بالوجه الآخر بين المربع والمحيط :

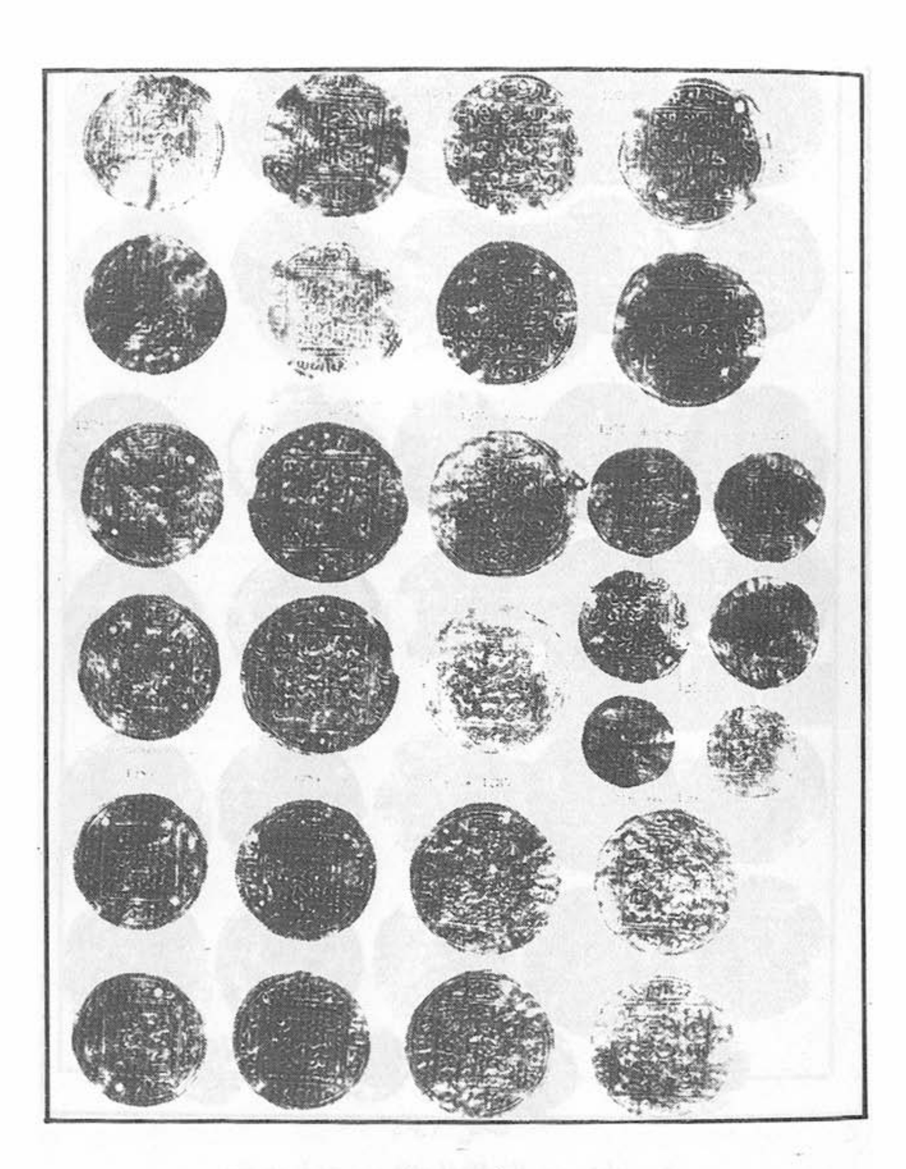
(وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم).

ونقش بداخل المربع :

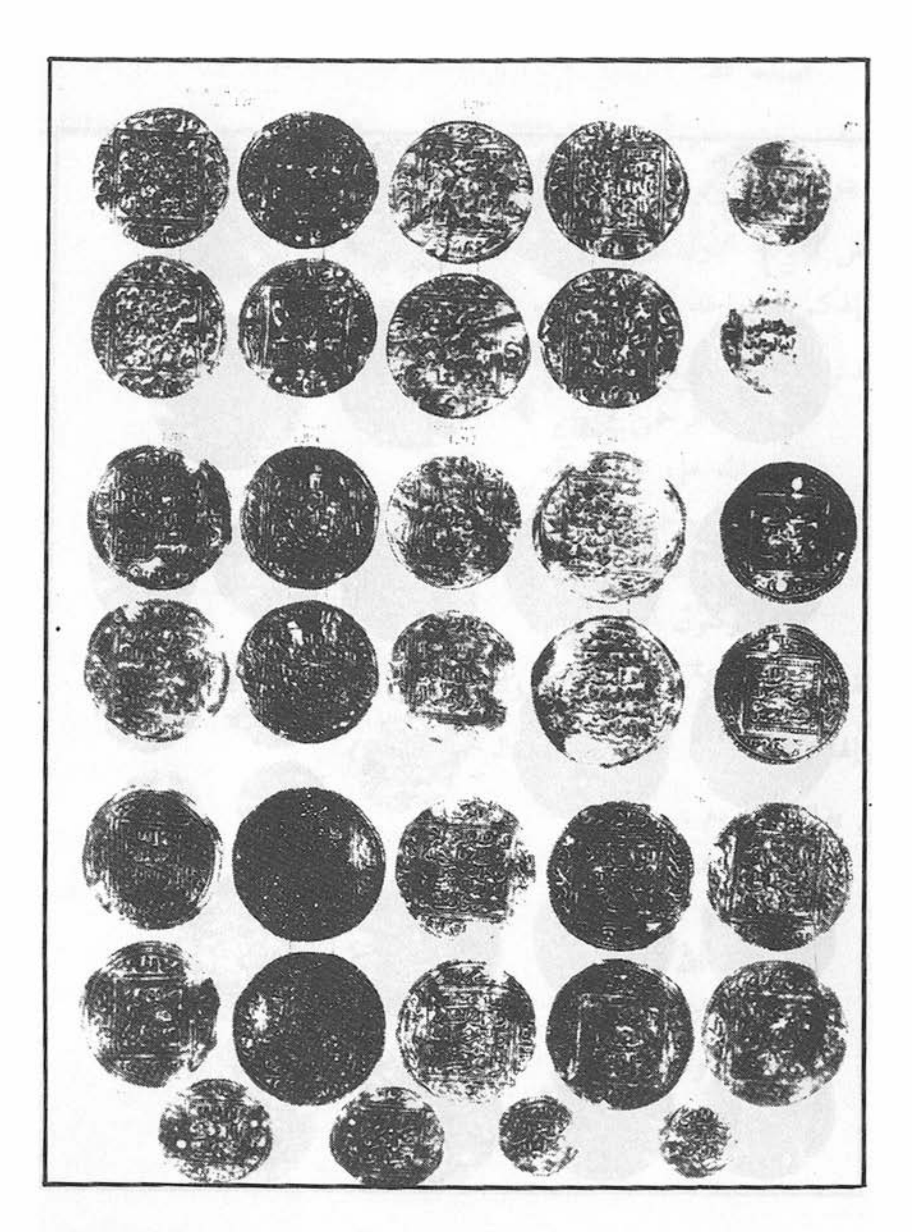
ضرب بمدينة
سجلماسة عن
أمر عبد الله أبي
سعيد عثمان
أيده الله ونصره

---

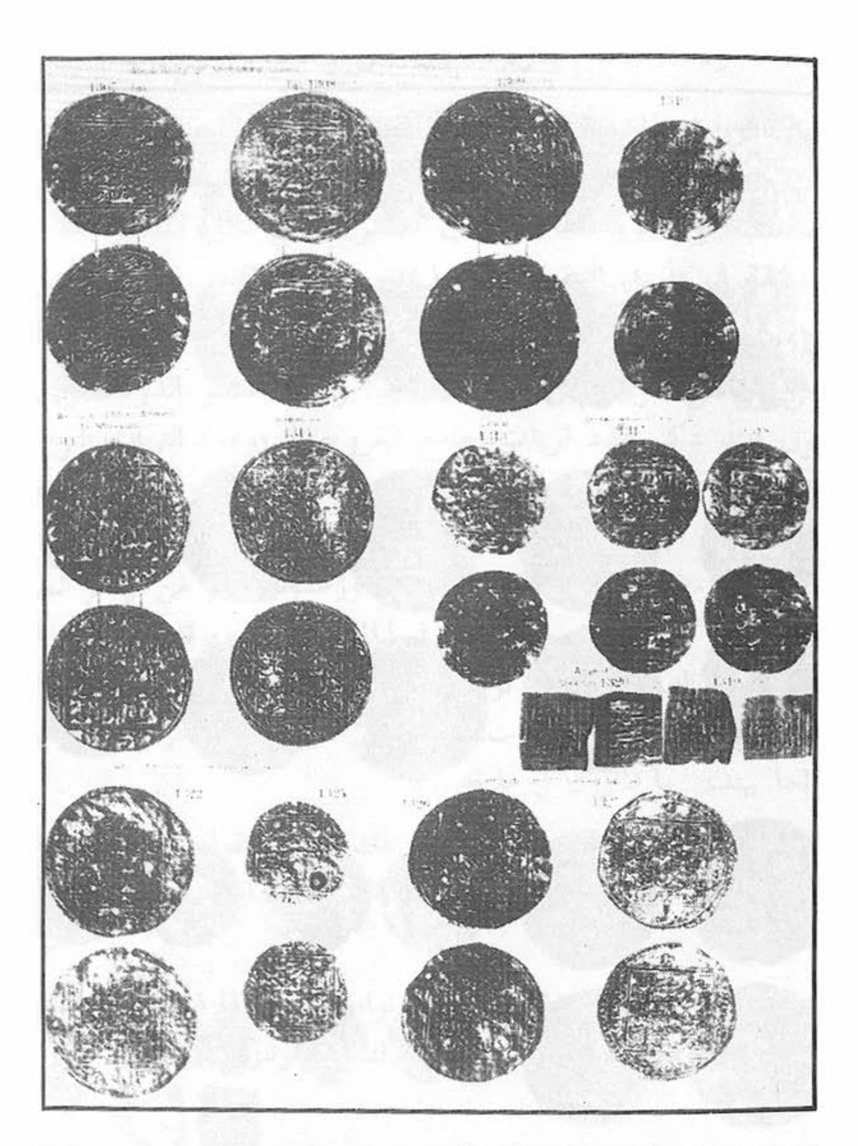
(1) نفس المصدر ص 443، نقله حركات بالمغرب عبر التاريخ.



شكل 245
مجموعات من العملة المرينية من عدة مصانع

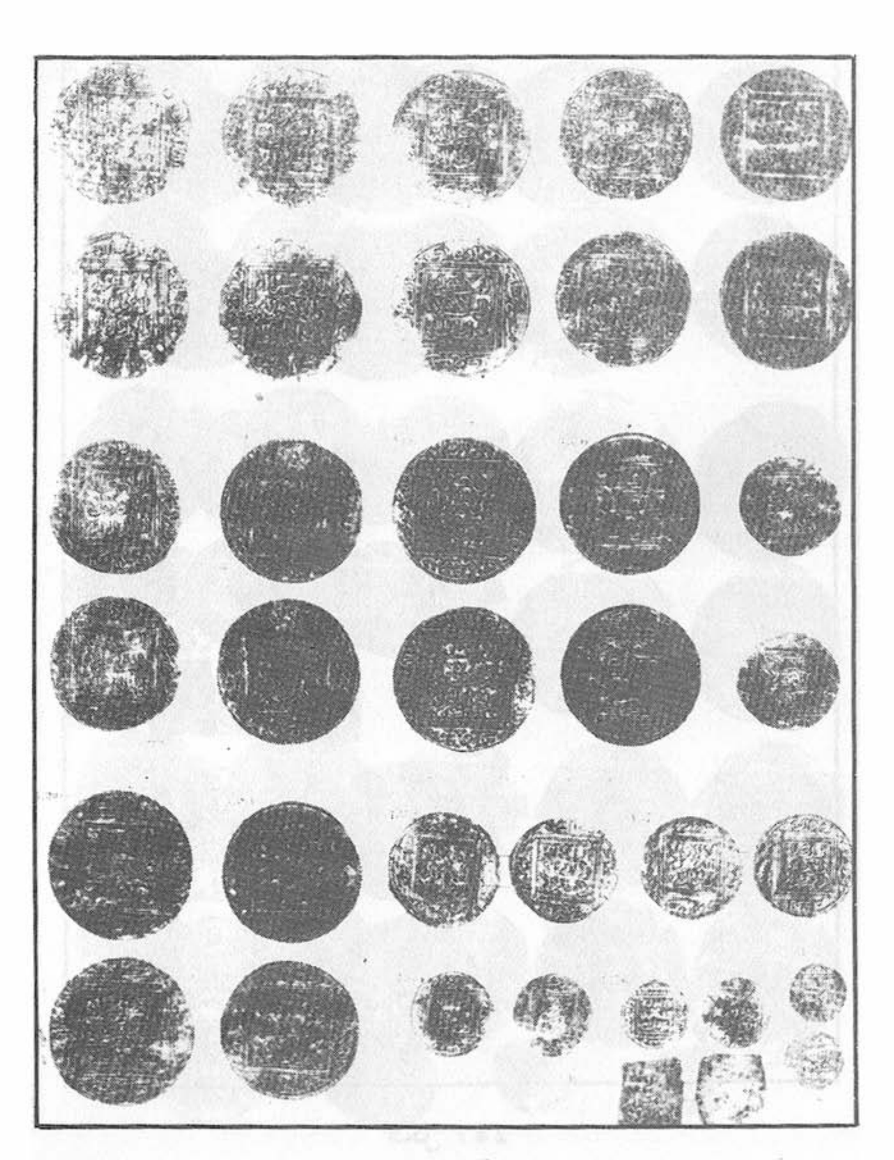


شكل 246
مجموعات من العملة المرينية من عدة مصانع



شكل 247

مجموعات من العملة المرينية من عدة مصانع



شكل 248
عملة مرينية تحمل عبارة (القرآن كلام الله)

الثريـــــات

أولا : مكانة الثريات بين فنون الاسلام بالمغرب

تعتبر الثريات المغربية تحفا ذات قيمة فريدة بالنسبة لتاريخ فن الاثاث والمفروشات (MOBILIERS) في غرب العالم الاسلامي كله وليس بالنسبة للمغرب الأقصى فحسب، ولا غرو فقد بلغت في العصر المريني ذروة التطور بعد أن قطعت خطوات سابقة في طريق النضج والابداع.

وها هو أبو الحسن علي الجزنائي مؤلف جني زهرة الآس الذي عاش في القرن الثامن ووصل بحوادثه إلى سنة 766هـ. وشهد عصر الدولة المرينية الزاهر، ها هو يقول عند ذكر عدد ثريات جامع القرويين[1] (وعدد الثريات التي تسرج فيها المصابيح مائة وثلاثون ثريا جميعها من النحاس مختلفة الصناعات والأشكال والمهمات منها عشرة كبار معلقة في البلاط الأوسط، ويندرج في هذه العشرة النواقيس المكففة بالنحاس، وباقي الثريات وذلك مائة وعشرون معلقة في سائره، وزعموا أن فيها من مراكز السرج الفان، يوقد بعضها في سائر ليالي السنة، ويكثر منها في ليالي رمضان، ويوقد جميعها في ليلة السابع والعشرين منه وعدد الصبحيات التي توقد أيضا فيه بطول ليالي السنة سبعون، العراقيات[2] منها خمسون وسائرها نابليات[3] وبلديات، وعمل في خارجه بدائر حرمه في مواضع معروفة أربعون سراجا يهتدى بها المارون في طرقه...)

ثم يذكر لنا الجزنائي طريقة ونوعية صيانة تلك الثريات بقوله : «وقد أعد لخدمة ذلك كله على الكمال وقادا يحكم ذلك وأجرى له جراية من فائدة احباسه وينبغي أن تكثر سرجه وتغلظ فتائله[4]».

أما عن أهداف تلك الصناعة وأغراضها ونواحي استعمالها فيقول : «فإن الاضاءة بها بهاء وأنسا للمجتهدين، ونفيا لمكان الريب، وهداية للسابلة، وتنزيها لبيوت الله عز وجل وجشة الظلام[5]».

كما لا يغفل الجزنائي عن ذكر مصادر الانفاق والصيانة فيقول : «ومبلغ غلات أوقافه

---

(1) زهرة الآس نفس الطبعة نشر مؤرخ المملكة المغربية الاستاذ عبد الوهاب بنمنصور ص 79.

(2) بالمغرب نوع من الزجاج الرفيع ينسب إلى العراق فيقال (الزاج العراقي)، المصدر السابق ص 79 وهامش 140.

(3) لعل تلك الثريات كانت تصنع بمدينة نابلي الايطالية فنسبت إليها، نفس المصدر والصفحة والتعليق.

(4) زهرة الآس ص 79.

(5) نفس المصدر والصفحة.

على اختلافها في بعض الأعوام عشرة آلاف دينار فضية، ومن جملتها الفندق الكبير الشهير الذي بسوق الشماعين المحبس عليه من قبل أمير المسلمين مولانا أبي يعقوب رحمه الله...»[1].

ويتأكد لنا مرة أخرى مكانة فن الثريات بين الصناعات المغربية حينما يعود صاحب زهرة الآس عند دراسته لجامع الاندلسيين بفاس إلى تخصيص الثريات بذكر عددها وأنواعها فيقول : «وعدد ثرياته الكبار والصغار إحدى وستون ثريا، الكبار منها خمس قد علقن بالبلاط الأوسط منه، وبقيتهن في سائر الجامع في مواضع معلومة منه، وفيه من الصبحيات العراقيات خمس بقرب محرابه، وثلاثون بسائره...»[2].

ثانيا : الثريات المرينية

كانت الثريات المرينية في القرن السابع تتكون كما هي العادة من عدة أطواق (COURONNES) ذات مقاييس تنازلية من القاع إلى القمة لتعطي شكل مخروط قاعدته الواسعة إلى أسفل ويبرز من قمته الضيقة ساق معدني تعلق منه الثريا. ويختلف عدد تلك الأطواق تبعا لحجم الثريا، وتوزع فوق تلك الأطواق مواقع المصابيح في حين تبدأ أسفل مستوى قاعدة المخروط قاعدة متعددة الاضلاع حيث يشتمل الفراغ الداخلي على قبة معدنية مخرمة قوامها عدد من الاضلاع المتقاطعة تحصر فيما بينها زخارف ونقوش مخرمة.

1 - ثريا الجامع الكبير بفاس الجديد : (678هـ)

ترجع تلك الثريا المعلقة حاليا بالجامع الكبير بفاس الجديد إلى عصر أبي يوسف يعقوب ابن عبد الحق المؤسس الحقيقي للدولة المرينية حيث نقش اسمه على نطاقها الأسفل مقرونا بتاريخ الفراغ من صنعها عام 678هـ (أشكال 249 ـــ 250).

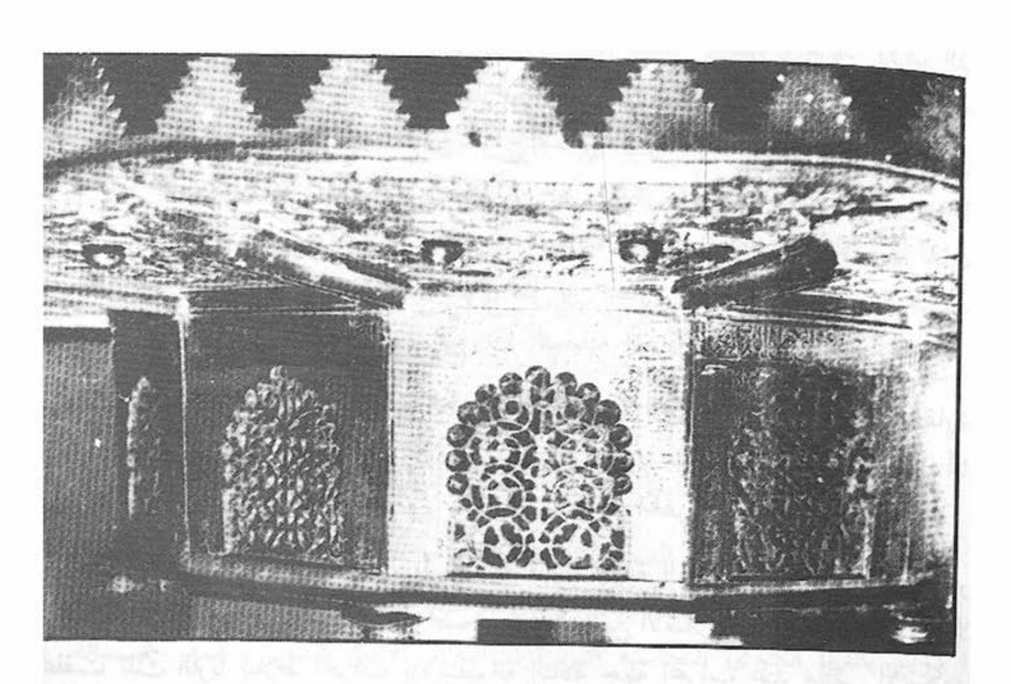
وتعتبر تلك الثريا نموذجا لصناعة الثريات المعدنية في مرحلة الانتقال بين فن الموحدين والفنون المرينية التالية لها حيث تنم صناعة هذه الثريا عن خصائص تلك الصناعة في أعقاب دولة الموحدين وصدر الدولة المرينية.

ويتكون القسم الادنى من تلك الثريا من اثني عشر ضلعا كتلك التي بجامع القرويين، وإذا كانت المصابيح متشابهة في كل من المثالين فإن الكوابيل الزهرية (FLORALES) بفاس البالي قد استبدلت هنا بمساند مسطحة تفي بحاجة مخروط لا تتعدى طبقاته ثمانية أطواق (Couronnes) لحمل المصابيح (Godets).

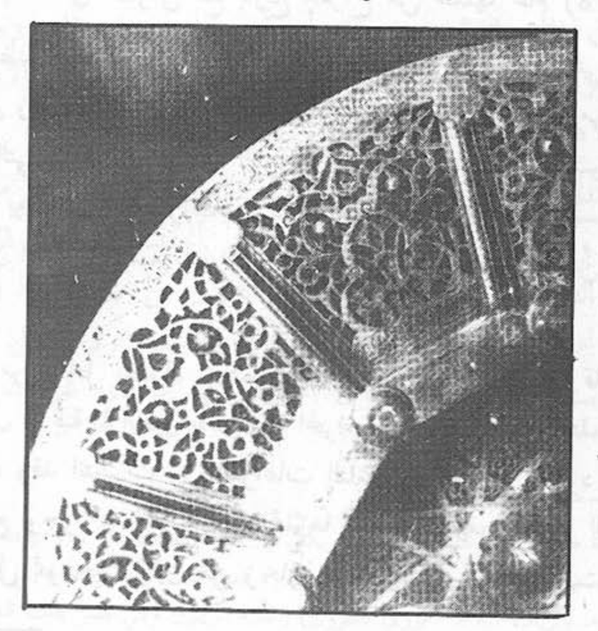
---

(1) نفس المصدر والصفحة.

(2) زهرة الآس ص 94.



شكل 249
ثريا الجامع الكبير بفاس الجديد



شكل 250
ثريا الجامع الكبير بفاس الجديد، تفصيل زخارفها

وهكذا يبدو أن فن القرن السابع يشير إلى بداية نهضة حقيقية زاهرة[1] الأمر الذي يتضح على الخصوص من دراسة تقنية الزخارف، ففي مثال القرويين نلاحظ أن الزخارف الهندسية والخطية والزهرية قد عملت من ألواح مقطوعة أو منزوعة من كتلة المعدن وأن التركيب العام للزخرفة يزدحم دون أن يوضح أي حفر ونقش تفصيل تلك الاشكال. وهكذا فقد اقتصرت الزخارف النباتية هنا على الأوراق النخيلية الملساء (Palmes lisses) بينما نلاحظ في مثال فاس الجديد أن المناطق الزخرفية بالطوق تمثل بين سطرين من الكتابة النسخية حشوات ذات تركيب موحد يتفق انسجاما مع الأوراق النخيلية المعرقة (Palmes nervées).

وإذا كانت الثريا الكبرى بالجامع الكبير بتازا المؤرخة 693هـ تعتبر تحفة ذات مقاييس تعكس العلم بالتركيب وفخامة الحشوات، فإنها لا تفوق ثريا فاس الجديد لا من حيث أناقة القطع في الأوراق النخيلية (Palmes) ولا من حيث قيمة الحفر والتفريغ.

بتاريخ (1981/3/8م) انتقلت إلى مدينة فاس لمتابعة الدراسة الميدانية والمقارنة لثريا الجامع الكبير بفاس الجديد التي تعتبر من أضخم ثريات الفن الاسلامي وأكثرها روعة وجمالا، وقد علقت تلك الثريا ببلاط المحراب بالاسطوانة الثالثة جهة المحراب عند ملتقى الاسكوب الثالث مع بلاط المحراب، وذلك يوم السبت 27 ربيع الأول عام (679هـ) وبنطاقها الأسفل اسم يعقوب بن عبد الحق منقوش مع تاريخ الفراغ من عملها عام (678هـ).

فإذا ما لاحظنا نصفها الأدنى من الداخل وجدنا أن الاطارات التي تقسم الطوق إلى مساحات أو مناطق زخرفية تنتهي تجاه المحيط الأوسع بمجموعة زخرفية من الأوراق النخيلية المزدوجة المتدابرة التي نراها تتكرر في الفن المريني وقد تناسقت الحشوات أو المساحات الزخرفية المحصورة بين تلك الإطارات وازدانت بمجموعات من الارابسك النباتية الدقيقة المفرغة انحصرت بين المحيط الأوسع للطوق والمحيط الأقل اتساعا بشريط من الكتابات النسخية الدقيقة والمفرغة.

ويطل علينا من داخل الطوق تركيب هندسي زخرفي يشكل قبة قائمة على الاضلاع المتقاطعة كما هو الحال في قبة المرابطين بأسطوانة المحراب بالمسجد الأعظم بتلمسان وقبة المرينيين بالجامع الكبير بتازا، وقد انتشرت بين الفراغات الناشئة من تقاطع العقود غلالة من النسيج الزخرفي المخرم تسمح بوجود مساحة مركزية تملؤها قبيبة اشعاعية، وتقتصر الزخارف المحصورة بين ضلوع القبة على نموذجين اثنين من زخارف الارابسك النباتية رتبت بالتناوب.

(1) ميشيل تيراس : بحثه بالنشرة الآثارية المغربية جزء 10 سنة 1976 ص 194/193.

وتبدو جوانب القسم الأدنى المضلعة (من الخارج) وقد رسم بكل منها عقد من ثلاثة عشر فصا (Lobe) يتكىء في كل من الجانبين على تاج عمود رقيق وقد شغل كل فراغ محصور بين العقد المفصوص والعمودين الجانبين حشوة رائعة من المخرمات التي نسجت على شكل ارابسك نباتية تدور حول محور رأسي يذكرنا بشجرة الحياة القديمة تفرعت عنه الأوراق النخيلية المزدوجة المصبعة التي تذكر بجص مدينة الزهراء في الطراز الأندلسي.

ويحف بتلك الحشوة الزخرفية يمينا ويسارا ومن أعلى شريط من الكتابة النسخية، ثم ينحصر بين كتف العقد الرئيسي وبين الأشرطة الكتابية بنيقات ملئت بأوراق نخيلية ملساء تذكر بفن الموحدين[1].

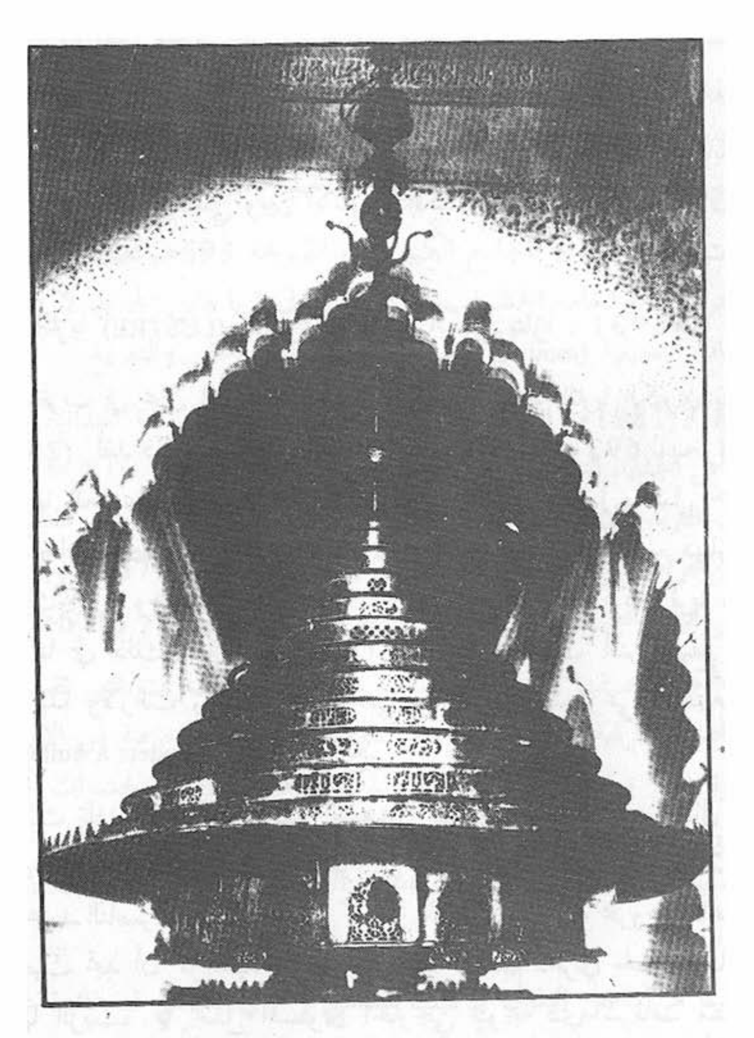
2 ـ الثريا (LUSTRE) الكبرى بالجامع الكبير بتازا : (693هـ)

يمتلك المغرب في مجال الصناعات مثالا مؤرخا ألا وهو الثريا الكبرى بالمسجد الكبير بتازا (شكل 251). لقد ذكر صاحب روض القرطاس أنه في سنة 693 للهجرة كمل مسجد تازا وزين بالثريا الكبرى النحاسية التي تزن اثنين وثلاثين قنطارا وتحمل خمسمائة كأس (calices) أو فنجان (Godets) وقد تكلفت تلك الأعمال ثمانية آلاف دينار. ويذكر م. تيراس[2] أن تلك الثريا وضعت بمكانها سنة 1294م. وأنها تعتبر أكبر ثريا في الاسلام إذ يبلغ ارتفاعها بما في ذلك القائم (Hampe) أربعة أمتار ونصف المتر ويبلغ قطرها مترين ونصف المتر. هذا ولازالت زخرفتها ذات غنى وذات قيمة تسترعي الاهتمام فقد حفظت فناجين الثريا (Godets à huile) على نحو رائع.

وإذا كانت تلك الثريا تعتبر عملا مدهشا، غير أنها انحدرت عن مثال سابق (Proto type) موحدي ألا وهو الثريا الكبرى بالقرويين التي أنجزت فيما بين 1202م و1219م بأمر السلطان محمد الناصر. ويتكون جسم كل من الثريتين من هيئة مخروط (قاعدته إلى أسفل) ذي طبقات حيث نجد أن كل طبقة أو درجة محاطة بجسم دائري لحمل القناديل (Godets) التي يسرج بها الزيت، كما يحمل المستوى الخارجي تتويجا ذي شرفات مسننة (Merlons dentés).

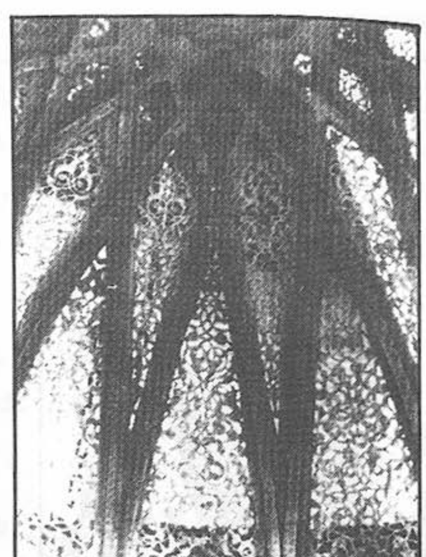
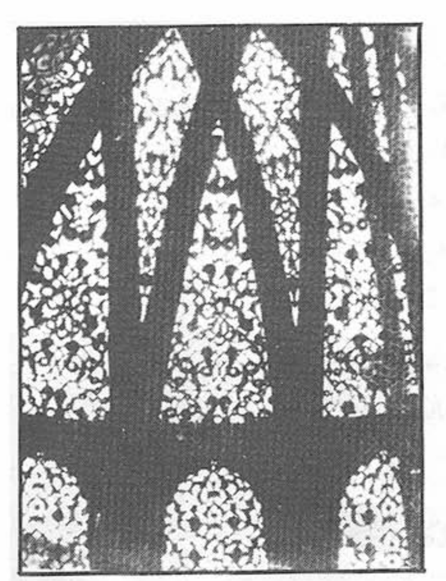
(1) وعن التحف المعدنية من البرونز والنحاس، راجع ريكار في كتابه (pour combrendre l'ar Musulman) صفحات 298 ـ 300، انتعاش تلك الصناعة منذ بداية الاسلام ودراسة تحف أثرية من قلعة بني حماد ثم آنية الماء المقدس بمدينة الزهراء ق 4هـ وثريات البلاط المحوري بالقرويين وعناية المرينيين وبني نصر بتلك النفائس ووصفها ودراستها بكتاب ريكار ودراسة الصاع والمد النبوي الذي يرجع إلى عصر المرينيين.

(2) م. تيراس : نفس البحث بالنشرة الآثارية المغربية بالفرنسية ص 193.



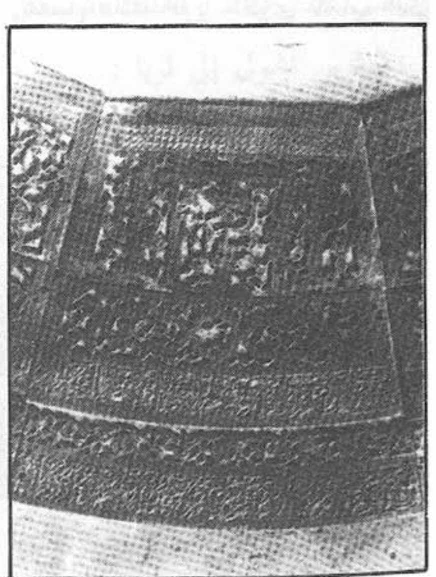
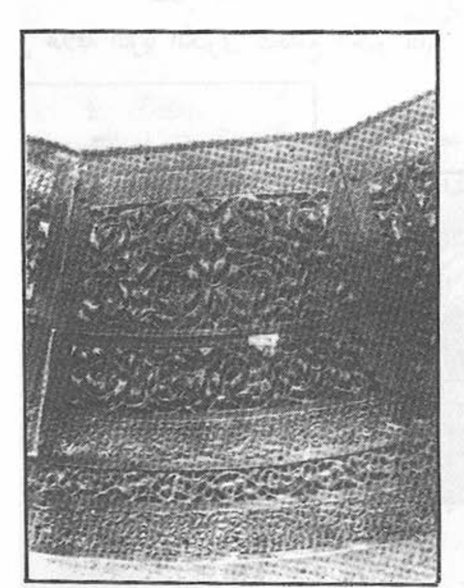
شكل 251

الثريا الكبرى بالجامع الكبير بتازا (693 هـ) بموضعها بالمسجد

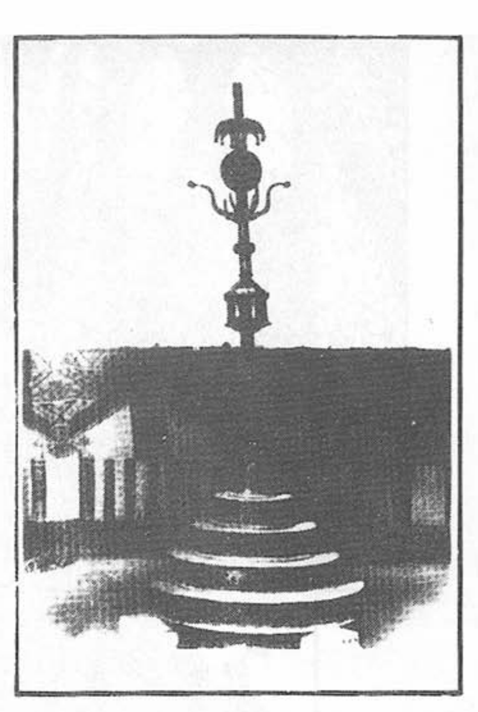
شكل 252

تفصيل عمارة الثريا الكبرى للجامع الكبير بتازا

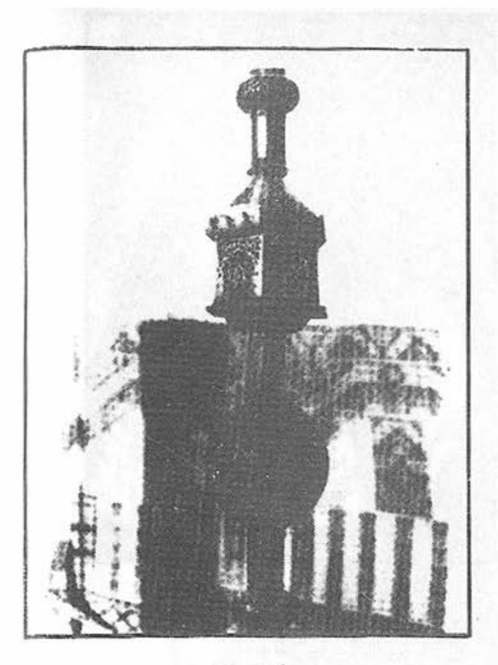
شكل 253

تفصيل زخارف الثريا الكبرى للجامع الكبير بتازا



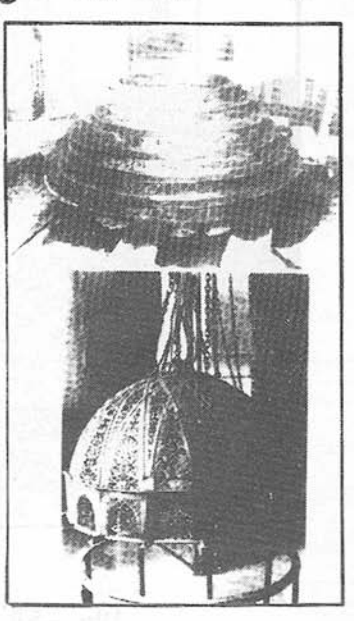
شكل 254

تفصيل علاقة الثريا الكبرى للجامع الكبير بتازا



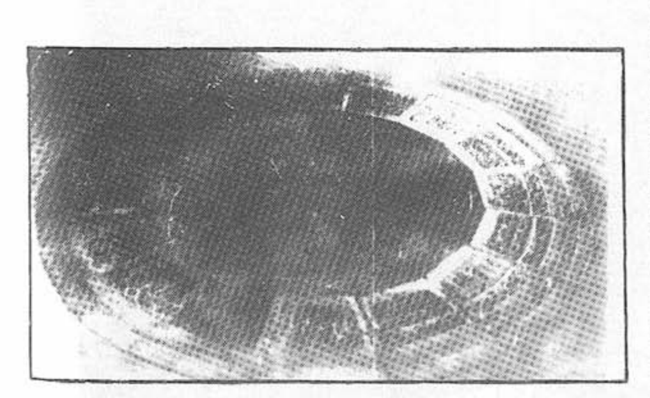
شكل 255

تفصيل علاقة الثريا الكبرى للجامع الكبير بتازا



شكل 256

الثريا الكبرى بالجامع الكبير بتازا، تفصيل عمارتها



شكل 257

الثريا الكبرى بالجامع الكبير بتازا، تفصيل زخارفها

هذا ويملأ الفراغ الداخلي قبة مضلعة (Coupole nervée) ذي ستة عشر جانبا مقابل اثنى عشر بثريا القرويين، كما يتوج كل من الثريتين قبة صغيرة ذات فصوص (Coupolette lobée) وتزدان الشبكة المعرقة (Reseau Nervé) بحشوات نباتية (Floreau) مقصوصة ومحفورة بالازميل، وتجلس تلك القبة فوق منشور متعدد الزوايا (Un prisme polygonal) حيث عملت الجوانب أيضا من حشوات نباتية الزخرفة، وقد ربطت القاعدة بالمخروط بواسطة صينية (أو صحن) دائرية تحملها كوابيل (Consoles) زهرية. ثم تشتمل الحشوة الدائرية على حشوات نباتية واطارات ذات نقوش خطية (أشكال 252 ـــ 257).

ويمكن القول بصفة عامة أن ثريا تازا تحقق انضباط[1] الأسلوب المستوحى من الطراز الموحدي الذي استمد أصولها منه بدليل تشابه الأشكال بينهما تشابها كاملا.

الثريا الصغرى بتازا :

لقد صممت الثريا الصغرى بالمسجد الكبير بتازا طبقا للتقاليد المتبعة بعد مراعاة اتفاق تلك القواعد مع مقاييسها المصغرة. وينتهي ساق تلك الثريا القصير بحلقة ذات خمسة فصوص وضعت فوق زهيرة ويتشكل جسمها من ثلاثة أجزاء منشورية الشكل مسدسة الاضلاع ذات لرتفاع تنازلي، وتقترب تلك الثريا بهيئتها من شمعدان (Lampadaire) القرويين الذي يذكر بعصر محمد الناصر الخليفة الموحدي الرابع.

الناقوس المحول إلى ثريا :

لم تكن حالة تحويل الناقوس إلى ثريا حالة فريدة في ذلك العصر فهناك بعض الأمثلة من تلك الحالة لازالت تزين مسجد قرطبة الجامع، بل إن جامع القرويين نفسه يحتضن أربعة نماذج أخرى[2]. ويعتقد م. تيراس أن عمليات المرينيين الحربية باسبانيا كانت مقصورة على بعض الغزوات دون فتح المدن الهامة[3] وأن الناقوس صغير الجرم حاليا بتازا قد أتى بدون شك من بعض كنائس الريف الاسباني لكنه لا يحمل أي نقش كتابي يسمح لنا بتحديد المقاطعة التي ورد منها.

ويتبين من دراسة ذلك الناقوس أنه يقوم فوق ساق يشابه نظيره في الثريا الصغرى. وقد ارتقت الناقوس ثلاثة أطباق (Plateaux) يشتمل كل من الطبقين الكبيرين منها على ستة

---

(1) عن الهندسة الزخرفية لثريا تازا راجع بحث م. تيراس المذكور ص 197/194.

(2) نفس المصدر ص 198 واشارته إلى كتاب هنري تيراس بالفرنسية عن القرويين ص 66.

(3) نفس المصدر ص 198. ولكننا نتحفظ بالنسبة لذلك التفسير حيث لازال بجامع القرويين ناقوسا اسبانيا كبيرا غنمه المرينيون وحولوه إلى ثريا سبقت دراستها.

عشر مقطعا من لوحات النحاس ذات الزخارف النباتية المخرمة في حين يشتمل الطبق الصغير العلوي على مقطعين فقط. ويدور بمحيط كل من تلك الأطباق نقش كتابي بالخط النسخي ويتوج ذلك إكليل صغير مكون من ثمانية أقواس زهرية وتقتصر الزخرفة البسيطة على الأوراق النخيلية الملساء دون تخريم كما لا تعكس الحشوات الزخرفية تنوعا واضحا في التركيب.

3 ـــ الثريا المرينية الكبرى بجامع القرويين : (قبل 699هـ)

عندما اندثرت الثريا القديمة بجامع القرويين صنعت ثريا أخرى مرينية من نفس الجرم (أيام الفقيه الخطيب أبي محمد عبد الله محمد بن المعلم وكان الانفاق فيها مبلغ مائة دينار وسبعة عشر ديناراً وخمس دينار من الدنانير الفضية، كان ذلك من مال أحباس الجامع، وفيها من الصنعة ما يعجز عنه الآن، وفي زنتها سبعة عشر قنطارا وربعا قنطار، وربعا ربع قنطار، في دورها اثنا وثلاثون شبراً وعدد مراكز قناديلها خمسمائة وعشرون مركزاً، والذي يملأ قوارير سرجها من الزيت خمس قلل، وكانت تارة تسرج كلها في ليالي رمضان، وتارة لا تسرج، إلى أن ولى الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن أبي الصبر قضاء المدينة... فاقتضى نظره استشارة في ذلك أمير المسلمين أبا يعقوب...) وبعد تمام الاستشارة رأى أمير المسلمين يوسف ابن يعقوب (أن يؤخذ في ذلك بالأوسط فتسرج ليلة السابع والعشرين من رمضان ويسرج بعضها في سائر ليالي العام...)[1].

وهكذا تكون الثريا صنعت وركبت في حياة أبي يعقوب يوسف المقتول بتلمسان (706هـ) ويمكن الاطمئنان إلى تاريخ صنعها قبل عام (699هـ) حيث وردت في قصيدة لوصفها من شعر ابن المرحل المتوفى بفاس عام (699هـ) ومنها :

أعيذها من سوء ما يتقي وفجأة العين برب الفلق[2]

4 ـــ ثريا مدرسة العطارين : (723هـ)

أما ثريا مدرسة العطارين فهي متوسطة الحجم مثمنة الزوايا وقد طوق نطاقها الأسفل باسم السلطان أبي سعيد عثمان المتوفى (731هـ) وهو والد السلطان أبي الحسن وقد اختلف المؤرخون والاثريون في مكان دفنه إلى أن أوضحنا بالادلة التاريخية والحفائر الأثرية دفنه داخل خلوة شالة الاسلامية[3]، وأبو سعيد عثمان هو مؤسس مدرسة العطارين سنة (723هـ).

---

(1) زهرة الآس ص 69

(2) زهرة الآس ص 70

(3) كتابنا تاريخ شالة وكتابنا حفائر شالة

وثريا مدرسة العطارين صنعت من البرونز (Bronze) لوسط بيت الصلاة، وهي معاصرة لبناء المدرسة، وكانت الثريا تحمل نقشا تأسيسيا باسم السلطان والتاريخ، حاول الاستاذ الفرد بل قراءته، وحال دون ذلك عدم امكان انزال الثريا من موضعها وكان النقش مغطى بطبقة كثيفة من الزيت، يقول الفرد بل انه شاهد بجامع القرويين والمسجد الكبير بتازا ثريات من ذلك الطراز أكبر منها حجما يمكن قراءة نقوشها وتحليل زخارفها[1].

وأما نقش التأسيس فلم يبق منه سوى كلمة سبعمائة في حين اختفى اللفظان اللذان يدلان على بقية التاريخ، إنما يعوض ذلك نقش التأسيس برخامة التحبيس بالمدرسة (... هذا ما حبس وأمر بتخطيطه وانشائه أمير المسلمين.. أبو سعيد.. برسم المدرسة التي أتم بناءها في عام خمسة وعشرين وسبعمائة.

5 ـــ الناقوس الأكبر المحول ثريا بجامع القرويين : 733 ـــ 737)

زود المرينيون جوامع فاس والمغرب بعدد وافر من الثريات والنواقس (اشكال 258 ـــ 259) المحولة إلى ثريات بعد أن غنموها من جهادهم ضد عدوهم ببر العدوة الأندلسية علقوها بالمساجد إحياء لفكرة الجهاد ودوام شعلته بين أعين المصلين.

ففي جامع القرويين عدد منها علقه المرينيون وكانت تلك النواقيس متجانسة المادة أحيانا مختلفة الحجم أحيانا أخرى نرى مثالا منها في القبة الرابعة ثريا كانت ناقوسا قطره (58) سنتيمترا التي سدت بها فتحة الناقوس، وزود الناقوس بثلاثة صفوف من حاملات المصابيح.

وبالقبة السادسة ناقوس بنفس الأبعاد من صنعة (روميو) في القرن الثالث عشر ميلادي عليه عبارات لاتينية (Vox domini santa domini... ROME FECIT) ومعناها (آن صوت الله يتجلى في بيت الله، صنع هذا الجرس روميو)، وقد أضيف إلى الناقوس ثلاث حاملات للمصابيح وزود أسفله بعبارات عربية دينية بالخط النسخي وعبارات دعائية من الشائع في ذلك العصر (الملك الدائم العز القائم) وقد سدت فتحة الناقوس بصفيحة بأوسطها دائرة مختومة بأربعة أقراص مختومة.

وفي القبة السابعة ناقوس قطره (71) سنتيمترا ركبت عليه ثلاث حوامل للمصابيح وعليه عبارات (اليمن والاقبال والسعادة) و(اليمن والاقبال والغبطة) وختمت صفيحة فتحة الناقوس بدائرة ذات ثلاثة أقراص[2].

---

(1) الفرد بل : الجريدة الآسيوية 1917م ص 190 وشكل 33.

(2) جامع القرويين 328/2.

أما الناقوس الأكبر المحول ثريا بجامع القرويين فهو المعلق بالبلاط الأوسط المقابل لباب الكتبيين وهو الذي ألفى بجبل الفتح من بر الأندلس حيث استفتحه المسلمون على يد الأمير أبي مالك ابن أبي الحسن، ذلك أن السلطان محمد بن اسماعيل بن الأحمر كان قد وفد على السلطان ابي الحسن بفاس سنة (732هـ) يشكو إليه استيلاء النصارى على جبل الفتح فأمده بجيش مغربي عقد عليه لابنه أبي مالك ففتحه على النصارى عنوة سنة (733هـ)[1].

وقد بنيت له قبة على يد الفقيه أحمد بن محمد الأشقر الصنهاجي من مال الأحباس وتم تعليقه بعد تعديله بالمكان المعد له سنة (737هـ).

وصف الجزنائي هذا الناقوس وأعطى بيانات هامة حوله قال : «وزنته فيما يذكر الذين جلبوه عشرة قناطير، ولما وصل لفاس أمر أمير المسلمين أبو الحسن أن يعلق هناك بعد أن يعمل في جوانبه أجناح قائمة منفرجة ليبقى جرمه ظاهرا عليها مراكز لقوارير الزجاج التي تسرج فيه، وبأسفله أوصال مبلغها اثنى عشر، وتحت كل وصل منها غلون مكفف، وفي وسط ذلك طبعة شبه الخاتم... وفي أسفل حرف الطبعة بيادق مخروطة ونطاق مقور في وجه الأوصال، كل ذلك من النحاس الأصفر المنقوش المخرم بالصناعة المحكمة، وكتب على النطاق : الحمد لله أمر بتعليق هذا الناقوس المبارك مولانا... أبو الحسن بن... أبي سعيد... بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق أيد الله سلطانهم... وهو الناقوس الملفى بجبل الفتح... افتتحه... مولانا أمير المسلمين أبو الحسن... على يد ولده الأمير الأسعد أبي مالك، أيده الله ونصره محاصر مدينة سجلماسة، وكان افتتاح الجبل المذكور في يوم الأحد الخامس لشهر شوال المبارك من عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة».

وعلق الناقوس بمقبض مزود بأكاليل لحمل مصابيح زائدة وعليه نقوش لاتينية مقروءة واغلقت فتحته بصفيحة من النحاس من اثنى عشر وصلة منقوشة وبداخل الدائرة التحتية المضلعة قبة صغيرة أسفلها بيادق مخروطة نحاسية ونقش على الاثنى عشر جناحا (الغبطة المتصلة) بخط كوفي وعبارات أخرى دينية ودعائية نقشت بأماكن متعددة من الناقوس، وبدائرة الناقوس تحت المضلعات الآية ﴿الله نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ...﴾ وآيات من سورة غافر[3].

6 ــ ثريتان مرينيتان بجامع الأندلسيين بفاس (ق 8 و9 هـ) :

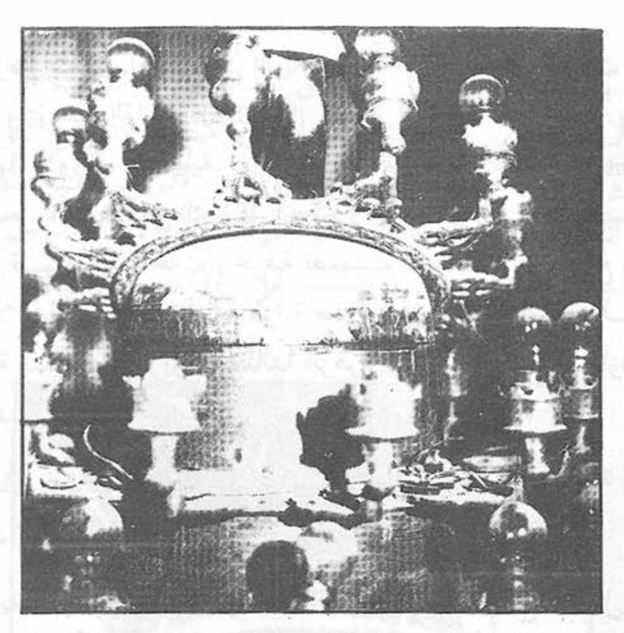
درس الاستاذ الأثري هنري تيراس ثريات جامع الأندلسيين وقال بأن هناك ثريتان

---

(1) كتابنا تاريخ شالة ص 292.

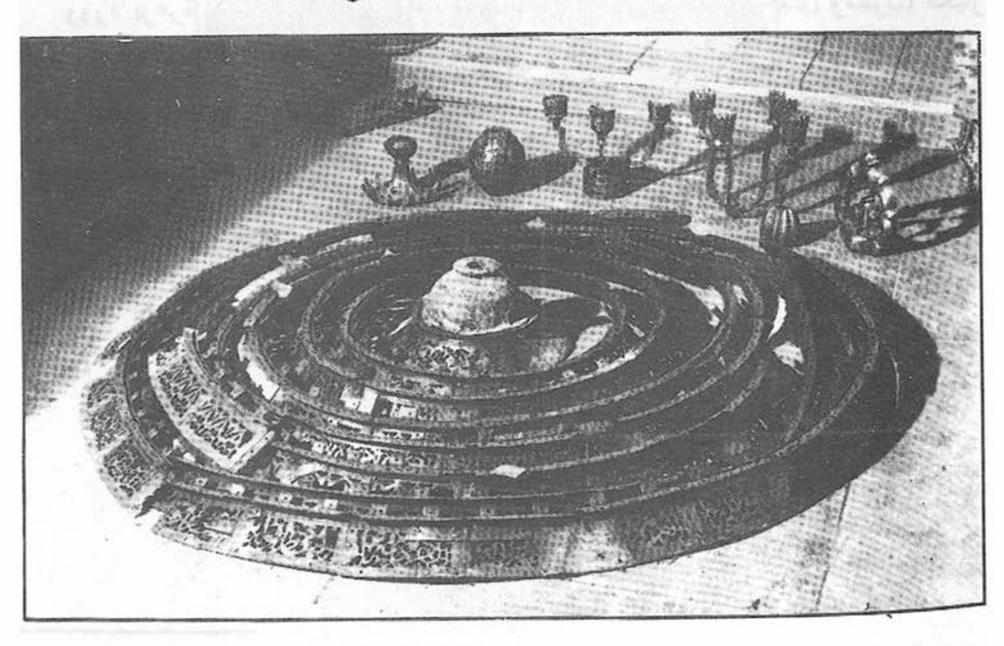
(2) زهرة الآس ص 76/75.

(3) جامع القرويين للتازي : 330/328/2.



شكل 258

ناقوس تحول إلى ثريا مما يحتفظ به جامع القرويين



شكل 259

إحدى ثريات القرويين أثناء الاصلاح والترميم وتظهر اجزاء الثريا ومراحل تركيبها

يبدو أنهما ترجعان لعصر المرينيين أحدهما (شكلXLIII) بعلاقة مزخرفة بعناية فتحت العلاقة الثلاثية نوع من الزهيرات بأسلوب يجعل الثريا تقترب من خصائص الثريات المرينية من القرن السابع أو الثامن، وتتوسط القاعدة (SOCLE) المثمنة قبة مفصصة زينت بزخارف في غاية الرقة والدقة قوامها الأوراق النخيلية، وأن شريط الشرفات المسننة (les merlons dentés) المحيطة بقاعدة الصحن الذي يحمل الثريا قد أحكم وضعه، غير أن أسفل الصحن وهو الجانب المواجه للأرض قد قسم إلى مساحات زخرفية تضمنت مجموعات من ملامح الصناعة الجديدة، وهناك نرى تفصيلا لدقائق عناصر نخيلية مرتبة مع عروق النبات، ان حواف الوريقات رقيقة وأنيقة لدرجة عالية تشبه عن طريق استطالتها الزهرة القديمة بثريا جامع تازا، كما أن السيقان نفسها غنية التعقيد.

على كل حال فإن تلك الصفات يمكن أن تعكس أسلوب صناعة القرن الثامن ولا تتعدى بدون شك نهاية القرن الثامن.

وبالمسجد أيضا ثريا أخرى أصغر حجما تعكس نفس الملامح (شكل XLV)، غير أن زخرفة الأوراق النخيلية أثقل نوعا ويمكن ارجاعها إلى القرن التاسع الهجري[1].

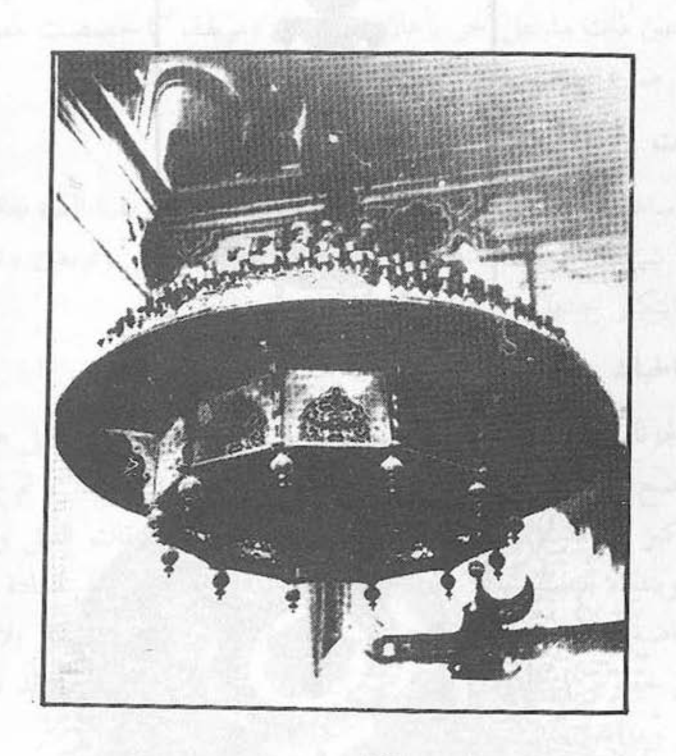
وورد بزهرة الآس أن ثريات جامع الاندلسيين الكبار والصغار إحدى وستون، الكبار منها خمس بالبلاط الأوسط والبقية بمواضع مختلفة، وفيه من الصبحيات العراقية خمس بقرب محرابه وثلاثون بسائره[2].

---

(1) هنري تيراس : جامع الأندلسيين ص 32.
(2) زهرة الآس ص 94.

ثالثا : الشمعدانات

وكان من بين التحف المعدنية ما يتعلق أيضا بدراسة الثريات ألا وهي الشمعدانات (LAMPADAIRES)، فقد برع الصناع المغاربة في صنعها وتفوقوا تفوقا كبيرا في انتاج الشمعدانات الكبيرة ومتوسطة الحجم حيث يعبرون عن قدراتهم الفنية بانطلاق مدهش حتى لكأنه عن طريق الثراء في الزخرفة والاتجاه نحو اظهار التباين وتنوع الحجم تبدو تلك التحف كوريثة أصيلة لفلسفة الفن والجمال الاندلسية على حد تعبير م. تيراس.[1]



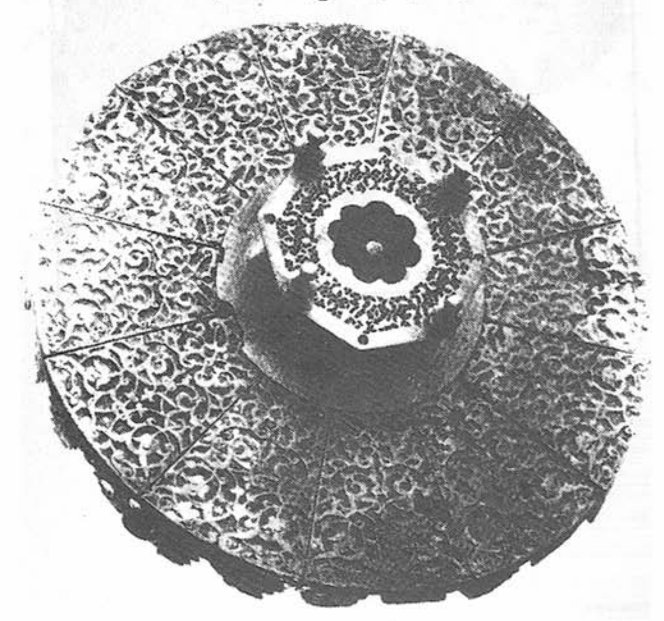
شكل 260

ثريا مرينية بجامع الأندلسيين ق 7 أو 8 هـ

(1) م. تيراس : نفس المصدر ص 198.



شكل 261
ثريا مرينية بجامع الأندلسيين



شكل 262
قاعدة الثريا المرينية بجامع الأندلسيين بفاس

آلات التوقيت والاسطرلاب

تنوع آلات التوقيت :

تعددت التحف المغربية ذائعة الصيت كالساعات والرمليات والشمسيات التي اشتهر بها المؤقتون المغاربة وخاصة أيام المرينيين الذين أرادوا ضمان سير العمل بتلك الآلات فخصصوا دويرة للمؤقت متصلة بصومعة القرويين تعرف في الحوالات الحبسية (حجج الأوقاف) باسم دار المنجانة (الساعة) وهي مصرية (حجرة عليا ذات مدخل مستقل) محملة على باب الشماعين ذات مدخل آخر بأعلاها ينفذ الى الغريفة، كما خصصت مصرية ابن مسلمة ومصرية ابن الرضاع جانب دار المنجانة لسكنى مساعدي المؤقت[1].

الساعات :

وكانت ساعات عصر الادارسة وزناتة قد ظلت على حالها بقبة الصومعة بجامع القرويين تلك القبة التي شيدها الأمير أحمد بن أبي بكر الزناتي سنة خمس وأربعين وثلاثمائة[2] إلى أن شهدت مولد ابتكار جديد في صدر الدولة المرينية.

ساعة الحباك :

يروي الجزنائي صاحب زهرة الآس أن الأمير أبا بكر (جعل في أعلى صومعة القرويين قبة صغرى ووضع في ذروتها تفافيح مموهة بالذهب في زج من حديد[3]، ثم جعل تحت القبة المذكورة قبة أكبر منها لجلوس المؤذنين وبيت المراعى منهم لأوقات الليل وانصداع الفجر لاقامة الآذان، وبندائه يقتدي سائر المؤذنين بصوامع المدينة يقلدونه على العادة المنتقلة من قديم الزمان ولهم بمواضع منها بلاطات رخام موضوعة بالحكمة، وفي وسط كل بلاطة قائم يستدل بامتداد ظله على خطوط في البلاطة لطول أزمان النهار ومرور الساعات، وقد نصبها أهل العلم بالهيئة عن نظر وموافقة وهي لهم من أفضل الهدايات[4].

ويزيد الجزنائي قائلا : ولم تزل كذلك إلى أن ولى القضاء الفقيه الخطيب أبو عبد الله محمد بن أبي الصبر أيوب فعمل في أيامه المعدل أبو عبد الله محمد بن الحباك بدنا من فخار بالقبة العليا وفيه الماء وجعل على وجه الماء طنجيراً من نحاس فيه خطوط وأثقاب، ويخرج

---

(1) جامع القرويين 326/2 وانظر ص 322 عن ساعة ابن الحباك ص 323 ساعة الصنهاجي.

(2) زهرة الآس ص 40–47 وكتابنا الفنون الاسلامية والنقوش بالمغرب ص 48–49.

(3) زهرة الآس ص 47.

(4) زهرة الآس ص 50.

منها الماء بقدر معلوم إلى أن يصل للخطوط فتعلم بذلك أيضا أوقات الليل والنهار في أيام الغيم ولياليها وذلك في سنة خمس وثمانين وستمائة[1]. ومما تمتاز به تلك الساعة أنها كانت أصغر حجما وأبسط تركيبا من الساعات التي سبقتها كما يمكن نقلها من مكان إلى آخر[2].

ساعة الغرفة التي صممها القرطسوني ونفذها الصنهاجي :

في سنة (685هـ) التي تناسب تاريخ وفاة السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني بنيت الغرفة[3] المطلة على باب الصومعة[4] وانتقل إليها بيت المراعى للأوقات وجلوس القومة بها، أما المنجانة[5] التي صنعت بهذه الغرفة لمعرفة الاوقات فإن الشيخ المعدل ابا عبد الله محمد بن عبد الله الصنهاجي النطاع احدثها هناك ورسمها له أبو عبد الله محمد بن الصدينية القرطموني، سنة سبع عشرة وسبعمائة. يصف الجزنائي ذلك بقوله :

وذلك أنه جعل في ركن الغرفة عن يسار المستقبل جبحا من خشب الأرز، وجعل في داخله بدنين كبيرين من فخار أحدهما أعلى من الآخر، وجعل الماء في الأعلى منها، وبأسفله أنبوب من نحاس مموه بالذهب محكم العمل يهبط منه الماء في البدن الأسفل بقدر معلوم، وجعل جوف الجبح مفطسا ورسم في جانبي التفطيسة بروج الأفلاك والأشهر العجمية والساعات ودقائقها وجعل في الوسط مسطرة رسم فيها أيضا الساعات ودقائقها وأوقات الليل والنهار وجعل المسطرة معلقة في خارج من الجبح يجري في حفر التفطيسة المذكورة طالعا وهابطا، وجعل في وجه الماء الذي يجتمع في البدن الأسفل جسما مجوفا من نحاس على هيئة الأترجة معلقا في الطرف الذي يلي من الغلور فإذا طلع الجسم بطلوع الماء الذي يجتمع في البدن الأسفل طلع طرف الغلور الخارج من التفطيسة وطلعت بطلوعه المسطرة، وكلما طلعت بطلوع الأزمان ظهر فيها الوقت المطلوب، فإذا تم النهار والليلة المقبلة له رد الماء من البدن الأسفل لبدن الأعلى، وعلق المسطرة كما كانت[6].

تجديد وتطوير ابن العربي للمنجانة المذكورة :

منذ أن عهد بالنظر في الأوقات والرعاية للمؤذنين إلى أبي عبد الله محمد بن محمد

---

(1) زهرة الآس ص 51.

(2) جامع القرويين 323/2.

(3) جامع القرويين 322/2 يسميها التازي (الغريفة) ويؤرخها بعام 688هـ ويقول أنها عوضت القبة العليا التي لا تفي بالحاجة، والغريفة للتصغير بنوها جنوب الصومعة فوق بابها بعد الصعود 25 درجة.

(4) الصومعة الزناتية.

(5) منجانة أصلها فارسي (بنكان) تحولت إلى ماكانة، جامع القرويين 345/2 وتعليق رقم 35.

(6) زهرة الآس ص 51.

ابن العربي سنة (747هـ) قام بتجديد المنجانة المذكورة (على وجه أتقن من الوجه الأول، ولم يزل يجتهد في ذلك صدر إيالة مولانا المتوكل ابي عنان رحمه الله فأكثر من الاجتهاد في خدمته، وجعل خارج الجبح المذكور تجاهة المستقبل له دائرة وعليها شبكة كشبكة الاسطرلاب ورسوم تدور متى طلعت المسطرة المذكورة ويعرف بها أيضا أوقات الليل والنهار وأعد هناك مع ذلك رمليات لاختيار الأوقات وجملة اسطرلابات...).

(وعندما صعد أمير المؤمنين الصومعة ووقف على المنجانة وما اتصل بها استحسنه وانعم على الناظر فيه... وذلك في سنة تسع وأربعين وسبعمائة)[1].

ساعة المدرسة البوعنانية الشهيرة : (أشكال 263 ــ 265)

وجه المرينيون عناية خاصة لانتظام الساعات وآلات التوقيت لضبط أوقات الصلاة وإعلام الناس مواقيت اليوم لسير الحياة العامة فخصصوا (دويرة) للمؤقتين تتصل بصومعة القرويين لضبط عملهم عرفت بدار المنجانة إلى أن نقل أمير المؤمنين أبو عنان فكرة انشاء الساعات وآلات التوقيت خارج المساجد والمدارس، وقد أسلفنا أن المدرسة البوعنانية قد تميزت منفردة باشتمالها على منبر وصومعة كمسجد ومدرسة ثم ها هي تتميز بوجود المنجانة خارجها، يقول الجزنائي :

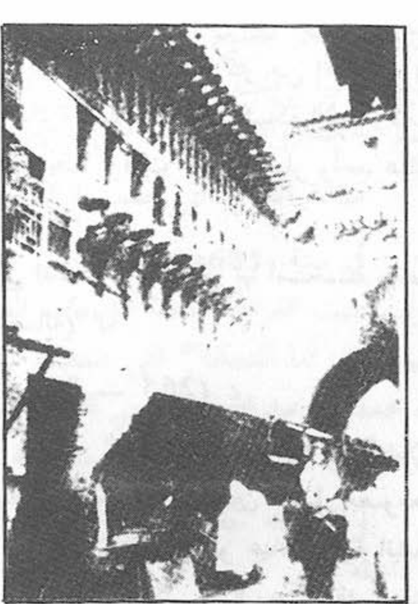
«وقد وضع مولانا المتوكل أبو عنان رحمه الله منجانة بطيقان وطسوس من نحاس مقابلة لباب مدرسته الجديدة التي أحدثها بسوق القصر من فاس وجعل شعار كل ساعة أن تسقط صنجة في طاس وتنفتح طاق، وذلك في أيام آخرها الرابع عشر لجمادى الأولى عام ثمانية وخمسين وسبعمائة على يد مؤقته علي بن أحمد التلمساني المعدل».

ويعلق مؤرخ دولة الحسن الثاني أمير المؤمنين المعاصر بأن المدرسة المتوكلية المعروفة اليوم باسم البوعنانية (وهي غير بوعنانية مكناس) الكائنة في طالعة فاس قد بناها لقاضي حضرته ومنشيء بيعته القاضي محمد المقري التلمساني، هذا والطيقان والطسوس التي يشير إليها الجزنائي لازالت موجودة إلى الآن لكنها معطلة من زمن بعيد.

ولعل فكرة الخروج بالساعات إلى المدارس وغيرها من المنشآت العامة لتظهر للناس قد عرفت تطورا ملحوظا أواخر عهد المرينيين وصدر دولة الوطاسيين اذ يستنتج الدكتور التازي وجود ساعة مائية ببداية سوق الشماعين من جهة القرويين بالزنقة المعروفة بدرب المنجانة، فقد جرى ذكرها على لسان الناس فلعله نصبت في ذلك المكان منجانة على غرار منجانة أبي عنان بالطالعة.

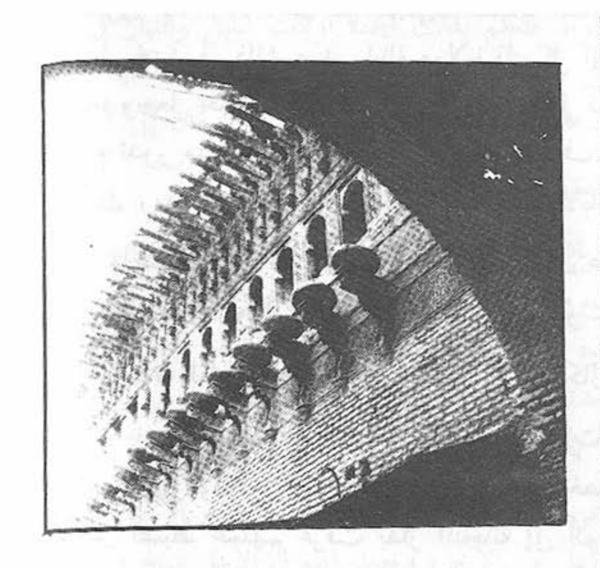
---

(1) زهرة الآس ص 52/51.



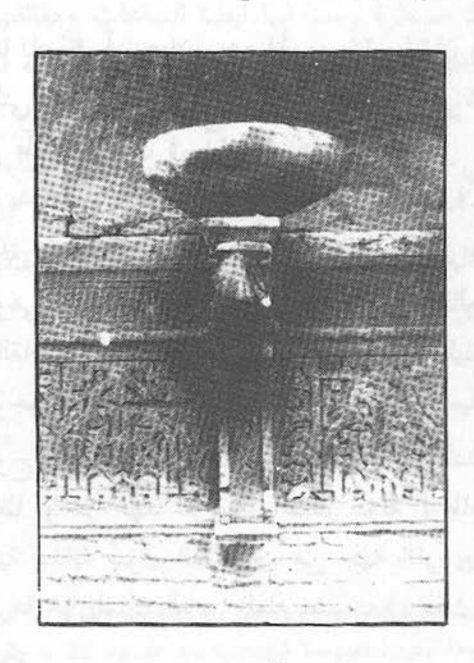
شكل 263

ساعة ابي عنان مقابل المدرسة البوعنانية بطالعة فاس



شكل 264

تفصيل من ساعة أبي عنان بالطالعة بفاس



شكل 265

تفصيل من ساعة أبي عنان بالطالعة بفاس مقابل واجهة المدرسة البوعنانية

ومن ملاحظتنا المباشرة منذ ثلاثين عاما نؤكد وجود آثار ساعة أبي عنان المائية مقابل باب مدرسته الشهيرة بطالعة فاس اذ تبقت ثلاثة عشر طاسة تحملها مساند خشبية مجوفة تسمح بهبوط الصنجات ووقوعها فوق الطاسات فيحدث ذلك رنة تشير إلى انقضاء ساعة من الوقت، ويذكر الدكتور التازي أن نظام وقوع الصنجات على الطاسات كان هو نفس النظام المتبع في بقية الساعات المائية المعروفة بالمشرق والمغرب كساعة جامع الكتبية بمراكش التي ذكرها العمري في مسالك الأبصار وساعة دمشق التي تحدث عنها ابن جبير وغيرها[1].

ساعة اللجائي :

لازال بالغريفة (على وجه التصغير) ساعة مائية من اختراع أبي زيد عبد الرحمن ابن سليمان اللجائي الفاسي المتوفى عام (773هـ) وضعها بتاريخ 21 محرم سنة 763هـ) بأمر السلطان أبي سالم ابراهيم بن السلطان أبي الحسن ولم يذكرها الجزنائي[2] الذي وصل بحوادثه إلى عام (766هـ)، أي بعد تاريخ صنعها وبعد تاريخ وفاة السلطان أبي سالم (762هـ) الذي كان على ثقافة عالية وإلمام بعلوم الفلك ومواقع النجوم.

الاسطـرلاب : (شكل 266)

وفيما عدا ذلك من الساعات وآلات التوقيت نذكر الاسطرلاب الذي تمتلك خزائن المغرب عشرات المخطوطات المتخصصة بفنونه شاهدة على اتقان المغاربة ومعرفتهم بأسراره، ومن أمثلة ذلك الاسطرلاب الذي يرجع الى عام (716هـ) وقد درسه جورج كولان وذكر أنه خرج الى ملكية فرنسي مقيم في الجزائر، كما يوجد اسطرلاب آخر عمله أبو القاسم رضوان سنة (776هـ) يوجد حاليا محفوظا بمتحف الودايا بالرباط[3].

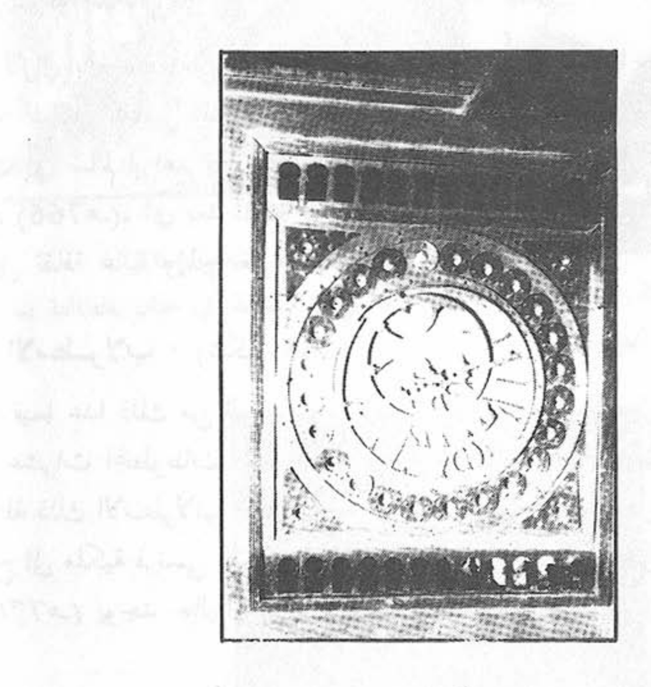
---

(1) التفصيل في جامع القرويين 345/2 وتعليق 43.

(2) مناقشة ذلك بجامع القرويين 346/2 وتعليق 45.

(3) ويعتبر الاسطرلاب ابتكارا اسلاميا مبكرا كنموذج للحاسب الآلي الذي يحاكي حركة النجوم حول الكرة السماوية ويستعمل في حل كثير من المسائل الفلكية ولاغراض الملاحة والمسح، ويستخدم أيضا لمعرفة الوقت وتحديد مواقيت الصلاة وبدايات ونهايات فصول السنة، وقد عرض في شهر ديسمبر 1989م بمعرض الرياض للتراث العلمي الاسلامي عدد من الاسطرلاب النحاس من بينها مثال يرجع الى سنة 547هـ (1152م).

وفي سنة (747هـ) اضاف المؤقت الشيخ محمد بن العربي الذي مر ذكره الى الغريفة عدة رمليات لاختبار الأوقات وجملة اسطرلابات، وعلى أحد الجوانب الخارجية لصومعة القرويين ذاتها شمسية من صنع المعدل محمد بن عمر المتوفى سنة (794هـ) بالاضافة إلى شمسية أخرى وهي شمسية المؤقت ابن العربي خارج الغرفة المذكورة، وكانت كل تلك الآلات مما يستعين به المؤقتون مع الساعات المائية لتحقيق الوقت.



شكل 266

اسطرلاب من القرويين بفاس

الأمداء النبوية، المكاييل، المد المريني

المد والصاع بالقرآن الكريم والمعاجم :

بالبحث في المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم وضع محمد فؤاد عبد الباقي لم نعثر على كلمة (مد) أو مشتقاتها بآيات القرآن الكريم.

أما كلمة (صواع) فقد وردت مرة واحدة وذلك بالآية 72 من سورة يوسف في قوله تعالى : ﴿قَالُوا نَفْقِدُ صَوَاعَ المَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حَمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾.

وفي معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الاصفهاني نجد تحت مادة (صَوَعَ) : صواع الملك كان إناء يشرب به ويكال به، ويقال له (الصاع)، ويذكر ويؤنث، قال تعالى : ﴿نَفْقِدُ صَوَاعَ﴾ ثم قال : ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا﴾.

ويعبر عن المكيل باسم ما يكال به في قوله : ﴿صَاعٌ مِنْ بُرٍّ﴾ أو ﴿صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ﴾.

وبالمجلد الثالث من لسان العرب لابن منظور : المد بالضم وهو رطل وثلث عند أهل الحجاز وعند الشافعي ورطلان عند أهل العراق وأبي حنيفة.

والصاع أربعة أمداد، والمد في الأصل ربع صاع وإنما قدر به لانه أقل ما كانوا يتصدقون به في العادة.

قال ابن الاثير : وهو يروي بفتح الميم وهو الغاية، مد البصر، وقيل أن أصل المد مقدر بان يمد الرجل يديه فيملأ كفيه طعاما.

وجاء بالقسم المنشور من مسالك الابصار لابن فضل الله العمري (والرطل هو نظير افريقية سواء على ما تقدم ذكره، وأما الكيل الاكثر : بالوسق). وأشار المحقق على النص الى أن الوسق يسمى الصفحة وهو ستون صاعا بالصاع النبوي على السواء[1].

المد النبوي المريني :

المد وحدة قياس، والمقصود قياس الصدقة، ويتخذ المد عادة من المعدن على شكل مخروط تتسع قاعدته عن القمة أو شكل يقرب من الاسطواني.

ورجوعا إلى الشرع كان المد محدد السعة ليكون (قدر حفنة اليدين المتوسطتين لا كبار

---

(1) ورقات للمنوني ص 298.

ولا صغار وإنما متوسطتين)، وهذا هو قدر المد النبوي، أما الصاع فهو قدر أربعة أمداد من المدن النبوي.

وسبق نشر دراسة موثقة للباحث بول باسكون ظهرت بمجلة هسبريس تامودا بالرباط سنة 1975م[1] تناول فيها دراسة عدد من الامداد المرينية والعلوية وضمن دراسته لوحات احصائية بعدد الأمداد المعروفة بالمتاحف وأساليب توزيع النص الكتابي على بدن المد مع القياس والوصف ومكان حفظ المد وأحيانا ثمن الشراء واسم صاحب المد وتاريخ وصوله الى المتحف.

وجميع الامداد المدروسة تنسب الى مد الصحابي الجليل زيد بن ثابت المتوفى بالمدينة عام 45 هجرية وقد عدل مده في السنة الثانية للهجرة في حياة الرسول وربما على أساس مد عدله رسول الله ﷺ بنفسه.

أهمية تلك التحف المعدنية :

وترجع أهمية تلك التحف المعدنية الى دقة الرواية الاسلامية في الاسناد، ولكونها تحمل تاريخ الصنع واسم الآمر بالصنع واسم الصانع وتاريخ الصنع باسناد دقيق وأمين ابتداء من تاريخ الصنع إلى المصدر الأول زمن الصحابي الجليل زيد بن ثابت رضي الله عنه.

ونظرا لاهمية تلك الصناعة فقد ورد في قصيدة لابن عاشر دفين سلا تحديد القصد من صنعها منها :

فضائل ما حوى مد النبـي — فلا يخفى على فهم الذكـي
فأربعة به في الفطر تجـزي — بحكم الشرع في نص جلـي
وعن كفارة الايمان عشـرا — اذا اقسمت بالله العلـي
فهـذا مستفاد العلم منـه — عظيم القدر مكيال النبـي

وسنورد هنا نماذج من الأمداد النبوية المصنوعة في العصر المريني مع قراءة النصوص المنقوشة على بدن المد، وبعض النصوص تتوزع على البدن في وضع دائري وقد تكون حلزونية الوضع أو ضمن أقواس أو داخل منطقة زخرفية أو أعمدة رأسية.

نماذج مرينية :

ظهرت عناية ملوك المرينيين بأمور الأوازن والمكاييل منذ أمر أبو يعقوب يوسف سنة (693هـ) بتعديل الصاع المغربي على المد النبوي، وكان ستون من هذا الصاع هي الوسق

---

(1) Paul Pascon : description des Mudd et S Aᶜ Maghrebins, Hesp. Tamuda 1975 TXVI P. 25/88 et 7 PL.

a بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما b أمر بتعديل هذا المد المبارك مولانا امير المسلمين ابو الحسن ابن مولانا امير المسلمين ابى سعيد ابن مولانا امير المسلمين ابى يوسف ابن عبد الحق ايده الله ونصره c على المد الذي امر بتعديله مولانا امير المسلمين ابو يعقوب رحمه الله تعالي d على المد الذي عدل (1) الحسين بن يحيى البَسكَري (2) e بمد ابراهيم بن عبد الرحمن الجايشي الذي عدله f بمد الشيخ المرحوم ابى على منصور بن يوسف القوامي وكان ابو علي عدل مده g بمد الفقيه ابى جعفر احمد بن علي بن غزلون وعدل ابو جعفر مده h بمد الفقيه القاضى ابى جعفر احمد بن الاخطل وعدل ابو جعفر مده بمد خالد بن اسماعيل وعدل خالد مده i بمد ابى بكر احمد بن حَمَد وعدل ابـو بكـر مده k بمد ابى اسحاق ابراهيم بن الشنظير وبمد ابى جعفر بن مثْمون (3) وكانا عدلا مديهما l بمد زيد بن ثابت صاحب رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وذريته وشوف وكرم A وكان تعديله في الخامس عشر من رجب الفرد الذى من سنة تسع وخمسمائة B وكان تعديل المد الذى عدله الحسين بن يحيى البَسْكَرى (2) في شهر رمضان المعظم عام سبعة وستمائة C وكان تعديل المد الذى أمر بتعديله مولانا ابو يعقوب رحمه الله تعلى فى جمدى الاولى عام ثلاثة وتسعين وستمائة D وعدّل (4) الآن هذا المد المبارك تبركا بالنبى صلى الله عليه وسلم وإخيسا (5) لسنته فى شهر رحب الفرد عام اربعة وثلاثين وسبع مائة بمدينة فاس حرسها الله تعلى m والحمد لله رب العالمين كبرا.

(1) Pour عدله .

(2) Pour البسْكرى .

(3) Pour مَيمون .

(4) Pour عُدِّل .

(5) Pour احياءً .

ISNĀD

ابو الحسن المرينى
Raǯab 734
↑
ابو يعقوب المرينى .
Ǯum. I 693
↑
الحسين بن يحيى البسكري
Ram. 607
↑
ابراهيم الجايشي
ابو على منصور القوامي
15 Raǯ. 509
↑
520
ابو جعفر ابن غزلون
454
↑
450
ابو جعفر ابن الاخطل
440
↑
خالد بن اسماعيل
455
↑
ابو بكر احمد بن حمد
m. 449
↑
ابن الشنظير وابن ميمون
m. 400 m. 402
↑
زيد ابن ثابت

شكل 267
نص واسناد مد أبي الحسن المريني (رجب 734 هـ)، عن باسكون

الذي يسمى في المغرب بالصفحة، كما عدل أبو سعيد عثمان بن يعقوب مدا آخر ونهج على أثرهما بقية ملوك المرينيين إلى أواخر عهد الدولة عندما اقترح يحيى بن زيان بن عمر الوطاسي وزير المرينيين سنة (839هـ) اعادة النظر في تحقيق المد النبوي، وبالفعل تم تحقيق ذلك بالحساب ثم باختبار مد أمين الاقبابين بفاس الذي ثبتت صحته وزنا وكيلا وسجل ذلك بوثيقتين محررتين 29 رجب سنة (839هـ)[1].

وهذه هي دراسة بعض أمثلة تلك التحف المرينية :

أولا : مد عدل بأمر السلطان ابي الحسن المريني (حكم بين 731هـ و749هـ) شهر رجب سنة (734هـ) بمدينة فاس :

كان المد المذكور بمتحف البطحاء بفاس سنة (1944م) تحت رقم **411317** ثم نقل إلى متحف الودايا بالرباط بنفس الرقم سنة (1970م)، وكان المد المذكور موضوع دراسة السيد مارسيل فيكير (Marcel Vicaire) المنشورة بمجلة الهسبريس[2] وفي دراسة بول باسكون نجد الوصف الموضوعي فمعدن التحفة من النحاس الاصفر (laiton) وهي مخروطة الهيئة،



شكل 268

صورة مد أبي الحسن (رجب 734 هـ)، عن باسكون

---

(1) المنوني : ورقات ص 105/104.

(2) مجلة هسبريس سنة 1944م عدد 31 ودراسة باسكون ص 31.

1 ... بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا (1) محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ... تعديل هذا المد امر بتعديله مولانا امير المسلمين ابو

2 ... الحسن ابن مولانا امير المسلمين ابي سعيد ابن مولانا امير المسلمين ابو يوسف ابن عبد الحق ايده الله ... على المد الذي امر بتعديله مولانا (2) ابو

3 ... يعقوب رحمه الله تعلى ... على المد الذي عدل (3) الحسين بن يحيى البسكري ... ابراهيم بن عبد الرحمن الحباشي الذي عدل (4) ... مد الشيخ(5) ابي علي منصور بن يوسف

4 ... القوامي وكان ابو علي عدل مده ... الفقيه ابي

5 ... جعفر احمد بن علي بن غزلون وعدل ابو جعفر مده ... الفقيه القاضي ابي جعفر احمد بن الاخطل وعدل ابو جعفر مده ... خالد بن اسماعيل وعدل خالد مده ... ابي بكر احمد بن حمد وعدل ابو

6 ... بكر مده ... ابي اسحاق ابراهيم بن الشنظير ومد ابي جعفر بن ميمون وكانا عدلا مديهما ... زيد بن ثابت صاحب رسول الله صلى الله

7 ... عليه وعلى آله وصحبه وشرف وكرم ... وكان تعديله في الخامس عشر من رجب الفرد الذي من سنة تسع وخمسمائة ... وكان تعديل المد الذي عدله

8 ... الحسين بن يحيى البسكري في شهر رمضان المعظم عام سبع (6) وستمائة وكان تعديل المد الذي امر بتعديله مولانا ابو يعقوب رحمه الله تعلى

9 ... في جمادى الاولى عام ثلاثة وتسعين وستمائة ... وعدل الآن هذا المد المبارك تبركا بالنبي صلى الله عليه وسلم وحيا (7) لسنته وذلك في جمادى

10 ... الاخير عام اربعة وثلاثين وسبع مائة بمدينة فاس حرسها الله تعلى ... والحمد لله رب العالمين كثيرا

ابو الحسن المريني
Zum II 731
↑
ابو يعقوب المريني
Zum I 693
↑
الحسين بن يحيى البسكري
Ram 607
↑
ابراهيم الحباشي
ابو علي منصور القوامي
15 Raǧ. 509
↑
ابو جعفر ابن غزلون
454-520
↑
ابو جعفر ابن الاخطل
440-550
↑
خالد ابن اسماعيل
455
↑
ابو بكر احمد بن حمد
m. 449
↑
ابن الشنظير وان ميمون
m. 400 m. 402
↑
زيد ابن ثابت

(1) Manque dans le texte de ABC.
(2) Manque امير المسلمين qui figure dans ABC.
(3) Pour عدله .
(4) عدله dans ABC.
(5) Manque المرحوم qui figure dans ABC.
(6) Pour سبعة (cf. ABC).
(7) Pour احياء .

شكل 269

نص واسناد مد أبي الحسن المريني (جمادى الثاني 734 هـ)، عن باسكون

والمد مصنوع من ورقة واحدة من المعدن، وقد قويت الفتحة بحافة أكثر سمكا، والبدن بدون زخرفة وسعة الفتحة (8.2) سم، والقاعدة مسطحة (11.3) سم والارتفاع 10.5 سم، وقدر السعة هو (0.795) لترا.

ويدور النص العربي حول البدن في شكل دائري بأسلوب الخط النسخي المغربي ومن الدراسة الكاملة للوصف والنص يتضح الاهتمام بسلسلة النقل عن مد الصحابي الجليل سيدي زيد بن ثابت رضي الله عنه (النص بالاسناد بالشكل 267 وصورة المد شكل 268).

ثانيا : والمثال الثاني مد عدل بأمر السلطان أبي الحسن المريني أيضا بتاريخ جمادى الثاني عام (734هـ) كان بملكية الشريف عبد الحي الكتاني بمدينة فاس سنة (1944م) درسه فيكير ونشر دراسته بمجلة هسبريس لعام (1944م) عدد 31.

والوصف من دراسة بول باسكون كالمثال السابق، فمادته من النحاس الاصفر وقد صنع المد من ورقة واحدة بدون زخرفة. تبلغ سعة الفتحة (8.2) سم والقاعدة (11) سم والارتفاع (10.9) سم وقدر السعة هو (0.796) لترا.

والنص كما يتضح من الشكل دائري يلتف حول البدن في عشرة أسطر مع ملاحظة



شكل 270

صورة مد أبي الحسن المريني (جمادى الثاني 734 هـ)، عن باسكون

TEXTE

BANDEAU a الحمد لله b امر بتعديل هاذ المد المبارك مولانا امير المسلمين ابو الحسن

A 1

ابن مولانا
امير المسلمين
ابن سعيد ابن مولانا
امير المسلمين ابى يوسف
ابن عبد الحق (1) c على المد
الذي امر بتعديله مولانا
ابو يعقوب رحمه الله (2) d على
المد الذي عدل *(2) الحسين ابن يحيى

ARCATURES A 2

البسكرى
e بمد ابراهيم ابن عبد
الرحمن الحايشي (3) الذي
عدله f بمد الشيخ (4) ابى علي
منصور ابن يوسف القواص (5)
وكان ابو علي عدل
مده g بمد الفقيه ابى جعفر احمد
ابن علي ابن غزلون وعدل ابى جعفر (6)

A 3

h الفقيه
القاضي ابى جعفر
احمد ابن الاخطل وعدل
ابى جعفر مده i بمد خالد
ابن اسماعيل وعدل خالد (7)
j بمد الامام (8) ابى بكر احمد ابن
حنبل (9) وعدل ابو بكر مده k بمد

A 4

ابى اسحاق
ابراهيم ابن الشنظلر (10)
وبمد ابى جعفر ابن
ميمون وكانا عدلا
مديهما l بمد زيد ابن
ثابت صاحب رسول
الله صلى الله عليه وسلم [12] وهاذا
تبركا بسنته (11) على يد سيدي الحاج
مسعود البجاه (12) وكان الله له (13)

MÊME ISNĀD QUE ABC ET ABE

ابو الحسن المريني
↑
ابو يعقوب المريني
↑
الحسين بن يحتى البسكري
↑
ابراهيم *الحايشي
ابو علي منصور *القوامي
↑
ابو جعفر ابن غزلون
↑
ابو جعفر ابن الاخطل
↑
خالد ابن اسماعيل
↑
ابو بكر احمد بن *حنبل
↑
ابن *الشنظلر وابن ميمون
↑
زيد ابن ثابت

(1) Manque ايده الله ونصره , qui figure dans les deux textes précédents.
(2) Manque تعلى , même remarque.
(2*) Pour عدله .
(3) Les deux points du *yā'* d'*el-Ḥā'iši* (*sic* pour *ež-Žā'iši*) sont communs aux trois points du *šīn* d'*eš-Šayḫ* à la ligne inférieure.
(4) Manque المرحوم , qui figure dans ABC.
(5) Lire القوامي , pour القوامي . A. D.-L. a lu à tort القـواـى .
(6) Manque مده بمد .
(7) Manque مـده .
(8) Complément automatique à cause du nom d'Ibn Ḥanbal.
(9) *Ḥanbal* pour *Ḥamad* avec *mīm* ouvert.
(10) Pour الشنظير qu'a lu A. D. L. à tort.
(11) Abrégé de تبركا بالنبي صلى الله عليه وسلم واحياء لسنته .
(12) A. D. L. a rajouté un *rā'* à البجاو ى , lettre qui n'est pas gravée sur le vase.
(13) Je pense qu'il faut lire وكان الله له وليا , car il semble qu'il y ait un mot effacé à g.

شكل 271

نص واسناد مد أبي الحسن المريني (731 - 749 هـ، عن باسكون



شكل 272

صورة مد أبي الحسن المصنوع بين (731 و749 هـ)، عن باسكون

أن الخطاط عند مزاولة عملية الحفر والنقش قد وضع ثلاثة نقط بآخر السطر الناقص لموازنة الاسطر وترى تلك النقط الثلاث على هيئة مثلث.

أما أسلوب الكتابة فبالخط النسخي المغربي مع تأثيرات مشرقية ببعض الحروف الهجائية مع ملاحظة رسم حرف (الميم) مفتوحا[1].

ونرى من الشكل التالي صورة النص وسلسلة الاسناد إلى الصحابي الجليل سيدي زيد ابن ثابت رضي الله عنه (شكل 269 وصورة المد شكل 270).

ثالثا : والمثال الثالث مد عدل بأمر السلطان أبي الحسن المريني نفسه بين عامي (731 و749هـ)، كان المد بمتحف مصطفى بالجزائر سنة (1929م) ثم نقل الى المتحف الوطني للآثار القديمة بالجزائر سنة 1971م) درسه السيد لامار (LAMARE) سنة (1929م) ونشر دراسته بالمجلة الافريقية[2].

ومن وصف ودراسة بول باسكون نتعرف على هذا المثال، فهو مد مصنوع من النحاس الاصفر مخروط الهيئة يحف بفتحته شريط سميك للتقوية ومزود هو نفسه بنص كتابي بينما القاعدة يحوط بها شريط سميك بزخارف محفورة على هيئة هندسية مجدولة.

والنص الكتابي يتوزع على البدن داخل أربعة مناطق زخرفية تصنعها أقواس مزدوجة الحدود، وعلى البدن زخارف نباتية من الورقة النخيلية المزدوجة (palme double) المعروفة في الفن المريني.

هذا وسعة الفتحة (8.1) سم والقاعدة (11.5) سم والارتفاع (10) سم وتبلغ السعة (0.733) لترا أو (565) جراما من القمح.

قلنا أن الحافة مزودة بنص كتابي، أما بقية النص فهي تسعة أسطر نقشت داخل أقواس بالأسلوب المعروف في الخط النسخي المغربي مع ملاحظة أن الحروف مزدوجة الحدود المحفورة بالشريط العلوي حول الحافة بينما نراها بسيطة الحفر داخل الأقواس[3] (شكل 271 للنص والاسناد وشكل 272 صورة المد).

---

(1) دراسة بالسكون ص 33.

(2) (un vase en cuivre gravé employé comme mesure, Revue Africaine 1929, 1-2 TR.

(3) دراسة بول باسكون ص 35.

فـــن النـــسيـــج والـــسجـــاد

الـــنـــســيـــج

عرفت صناعة النسيج رواجا انتاجيا إلى جانب الرواج التجاري بتبادل السلع والمنتجات مع بلدان المشرق واسبانيا بالتجارة والاهداء كهدية أبي الحسن 738هـ إلى الملك الناصر بمصر عشرة اعلام مغشاة بالذهب وعشرة رايات مذهبة.

1 – اللباس والازياء :

وهذه نبذ لاخبار اللباس والازياء المرينية، فقد كان زي السلطان والاشياخ والجند عمائم طوال رقاق قليلة العرض من كتان يعمل فوقها احرامات يلفونها على أكتافهم، ويلبس السلطان البرنس الابيض الرفيع وقد يلبسه العلماء، أما غيرهم فيلبسون البرنس بأي لون آخر، وكان من العناية بالنسيج واللباس أن أبا الحسن قد جعل لكل كاتب علامة ولقاضي القضاة انعامات أولها (بغلة مسرجة ملجمة وبقجة قماش).

وكان لباس العامة من البربر كساء من صوف ومطرفة من ارجوان وجلموسا غليظا على الرأس، وكان لباس الفقهاء كسوة من برنوس وبرد بيضاوان من صوف ثم احرام، ومنديل يتعمم به ودراعتين، وقبطية سداسية.

وكان المشايخ وقادة الجيش عرباً أو زناتيين يتشابه لباسهم عليهم عمامة طويلة خفيفة ولثام، وكانت عمائم القضاة والكتاب خضراء اللون. والمعتقد أن شيوع اللون الأبيض بالزي والأخبية والعلم قد اتخذ قياساً على ما شاع بالأندلس منذ ادخل زرياب اللون الأبيض إلى تلك البلاد ذات العلاقة التاريخية الوثيقة بالمغرب[1].

ونعرف الآن تفاصيل أكثر من أخبار عرض موكبين عسكريين أيام أبي عنان عام (758هـ) وهو يستعرض قواد الجيش وتابعيهم، فقد لبس سائر هؤلاء الأصناف أنواع الأقبية المرقومة بالذهب الابريز وفوقها المصفحات من الحلل والانزاق والاثواب البديعة المجلوبة من الشام والعراق... والدروع الجيدة... والمشاة الاندلسيون عليهم الأقبية مختلفة الألوان وفوق رؤوسهم الرتافيل (اسبانية تعني القلانس المقبية)، وبعدهم الوصفان المرتجلة قد لبسوا الأقبية الرائقة... ثم العدويون اللابسون لاحسن الاثواب..

---

(1) دكتور ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ 147/2

2 - القبـــاب :

وتقدم بين يدي موكب السلطان أبي عنان قبتان مغشيتان من الحرير مذهبتان بالاولى مصحف الخليفة عثمان بن عفان وبالثانية صحيح البخاري وصحيح مسلم.

ويلوح في الساقة (المسيرة) السلطان وحوله الخواص وأشياخ بني مرين لابسين البياض وراء ذلك الألوية المنصورة والأعلام مختلفة الألوان وقد علت عصيها حوامل مذهبة، وهوادج نساء الجيش عليها أغشية من الحلل المنسوجة بالذهب والانزاق والاثواب العراقية والاندلسية والرومية على اختلاف ألوانها يزينها التسهيم والتضليع، ولهذه الهوادج ذوائب مرسلة تداعبها الرياح[1].

وهذا لسان الدين بن الخطيب يذكر أخبية الجيش المريني في قصيدة مرفوعة إلى أبي سالم :

مضارب في البطحاء بيض قبابها	كما قلبت للعين أزهار سوسان
وما أن رأى الراؤن في الدهر قبلها	قرارة عز في مدينة كتان

ومن أخبار تلك القباب أن الفراشين كانوا يسبقون موكب السلطان فإذا نزل (ضربت له شقة من الكتان في قلبها جلود يقوم بها عصى وحبال من القنب، وتكون هذه الشقة كالمدينة لها أربعة أبواب) ذلك لميل بني مرين إلى بيوت الشعر لبداوتهم وكان (يضرب للسلطان قبة مرتفعة كبيرة من كتان تسمى الساقة لجلوس الناس فيها).

3 ـــ الرايات :

وننتقل الآن إلى الرايات فنعرف أنه كان لكل قبيلة راية خاصة تقف تحتها ويلتف الجميع تحت راية الملك.

وكانت راية الملك بيضاء مطرزة بالذهب مكتوب عليها آيات من القرآن الكريم، وهذا (العلم المنصور) هو شعار الدولة المرينية، وحول العلم المنصور اعلام أخرى مختلفة الألوان ذكرها صاحب فيض العباب منها الأحمر والأخضر مع الخطوط المحكمة بخيط الذهب الابريز.

وكانت رايات القبائل مختلفة الألوان فقد وصف ابن خلدون رايات المغرب أيام أبي الحسن (وقد بلغت في أيام السلطان أبي الحسن فيما أدركناه مائة من الطبول ومائة من البنود ملونة بالحرير ومنسوجة بالذهب ما بين كبير وصغير، ويأذنون للولاة والعمال والقواد في

---

(1) المنوني : ورقات ص 74.

اتخاذ راية واحدة صغيرة من الكتان بيضاء...) وهكذا كانت هناك أعلام ثانوية لفرق الجيش والشرطة والأسطول فضلا عن الهيئات الشعبية المختلفة، وكلها مختلفة الألوان[1].

علما أبي الحسن المريني بكنيسة طليطلة :

وفي فن النسيج نقتصر على ذكر علمين للسلطان أبي الحسن المريني لعلهما كانا أهم ما يثير انتباه الباحث في ذخائر كنيسة طليطلة وقد خسرهما السلطان أبو الحسن في موقعة طريف بالأندلس عام 741 التي تمثل نهاية الحرب المقدسة فيما وراء البوغاز بعد أن محص الله المسلمين في تلك الحملة. والعلمان معلقان على جدران قاعة الثياب المقدسة هناك وأولهما عبارة عن سجادة كبيرة ذات لون أصفر ومذهبة الجوانب نقش بشريطها الأعلى والأسفل بحروف بيضاء عبارة (النصر والتمكين والفتح المبين لمولانا أبو الحسن أمير المسلمين) وقد سجل بأسفلها نص يشير إلى صنعها بالمدينة البيضاء في شهر جمادى الآخر عام 740هـ[2]. هذا وطول السجادة 3.70 مترا وعرضها 2.20 مترا نقش بباطنها ستة عشر دائرة داخلها عبارات دينية ودعائية بأحرف سوداء منها (الملك الدائم) و(العز القائم) و(اليمن الدائم).

وكان العلم الثاني عبارة عن سجادة أصغر حجما زرقاء اللون بنقوش بيضاء تحليها عدة أهلة ونجوم، نقشت آيات الجهاد بالشريط العمودي الأيمن والشريط الأفقي الأدنى، وفي ذيل هذا العلم نص يشير إلى صنعه لأمير المسلمين (أبي سعيد عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق في قصبة فاس في شهر المحرم سنة 712هـ).

غير أن تاريخ (712هـ) الذي ورد بكتاب عبد الله عنان الاثار الاندلسية الباقية مصحوبا باسم أمير المسلمين يعقوب المريني[3] يضطرنا إلى تصحيح معلومة الاستاذ عبد الله عنان والمصدر الاسباني الذي أشار اليه، فلا دراسة عنان المباشرة ولا المصدر الاسباني تنبه إلى أن (الجد الثاني لابي الحسن وهو يعقوب بن عبد الحق) قد توفي عام (685هـ) ثم استشهد [illegible]، يوسف بتلمسان (706هـ)، أما أبو سعيد عثمان المتوفى عام (731هـ) فهو صاحب العلم المصنوع برسمه بمدينة فاس سنة (712هـ).

هذا ويبلغ طول السجادة 2.80 مترا وعرضها 2.20 مترا، وقد نقشت في الأهلة وعددها ستة عشر عبارة (لا اله إلا الله) في ثمانية منها و(محمد رسول الله) في الثمانية الأخرى، وعدد النجوم عشرون.

---

(1) حركات : المغرب عبر التاريخ 139/2.

(2) تفاصيل الوصف وبقية النص عند عبد الله عنان في : الآثار الاندلسية الباقية ص 85.

(3) عبد الله عنان : نفس المصدر ص 86.

4 ـ دار الديباج بفاس :

وقد عرفت فاس في عصر المرينيين دار الطراز[1] باسم دار الديباج وكان مقرها بالقصر الملكي في فاس الجديد وصفها لسان الدين بن الخطيب وذكر بها ما لا يحيط به الوصف من الحرير وآلات النسيج وفخام المنازل وأنواع الرسوم وغزل الذهب.

ويروي الجزنائي في زهرة الآس أن المتوكل أبا عنان المريني قدم أبا الحجاج يوسف بن عمر الأنفاسي للخطبة في القرويين وبعث له في أول خطبة خطبها كسوة سنية تشتمل على برنس وبدن كلاهما أبيض من صوف، واحرام للتردية، ومنديل للتعميم، ودراعتين من ثوب الرصان وقبطية شواشية العمل قيمتها أزيد من مائة دينار من الذهب[2].

وقد أُخرج سنة 1848م جزء من ثوب من قبر الأمير دون فيليب ابن فرديناند القديس ملك اسبانيا الذي توفي سنة 1274م ودفن في مدينة صغيرة تدعى (Villal casar de Sirga) من أعمال بلنسية. وقوام الزخرفة في تلك القطعة أشرطة متشابكة ونجوم ودوائر ومربعات وأشرطة من الكتابة الكوفية الزخرفية والكتابة بخط النسخ المغربي[3].

---

(1) راجع المقتبس لابن حيان وما شرحناه في نشأة الطراز والمدارس وأصل الطراز في الصنعة، والطراز كلمة فارسية تعني المدبج (البرودري) أي الزخرفة بالابرة على قطعة النسيج. ثم أطلق اللفظ على الثوب المدبج، الذي تحليه أشرطة من الكتابة. ثم أطلقت على المصنع، كطراز العامة وطراز الخاصة. ويتضمن النص التاريخي : البسملة، اسم الخليفة، اسم المكان واسم المشرف على الطراز. وكانت دور للطراز منتشرة في مصر وفارس والأندلس وشمال افريقيا وصقلية. أنواع زخارف المنسوجات :

1 – التابستري : تقاطع خيوط اللحمة العرضية (weft) مع السدى الطولية (warp) يوقف النسيج بخيوط اللحمة عند محل الزخرفة وتعمل بخيوط الحرير الملون.

2 – الزخرفة المنسوجة (waven patern) : تعمل الزخارف أثناء عملية النسيج.

3 – طريقة التطريز : تعمل الزخارف بالابرة على الثوب بعد نسجه.

4 – طبع الزخارف (printed) بواسطة أختام من الخشب محفور عليها الزخارف.

4 – طريقة الخيام والحائطي (applied) وتضاف على النسيج قطع أخرى ملونة ترتب لعمل زخارف مختلفة مثل قماش الشوادر المسمى في المغرب (حائطي).

(2) زهرة الآس ص 63 ـــ 64.

(3) زكي محمد حسن : فنون الاسلام ص 393 وعن أنواع الطرز وأساليبه ونماذجه، أنظر فاطمة العلوي : الطرز المغربي الأصيل.

فـــن الـســجـــــاد

المغرب بلد عريق في صناعة السجاجيد المعروفة في المغرب باسم الزرابي حسب اصطلاح القرآن الكريم. وقد ادخل العرب الى اسبانيا تلك الصناعة باعتراف المشتغلين بالآثار، ولاشك في أن يكون للمغرب تأثير واضح على الأندلس في هذا الفن. ذلك أن صناعة الأنسجة ذات الخمل كانت أولا من ابتكار القبائل الرحل الأمر الذي يؤيده تفوق عدد من مناطق المغرب الجبلية في اتقان انتاج الزرابي صناعة وزخرفة. وقد اشتهر السجاد المغربي[1] وخاصة بالرباط عاصمة المملكة حاليا بالطول المفرط وقلة العرض والزخارف القائمة على المثمنات وتفضيل الألوان الزرقاء والحمراء. إن الباحثين الذين درسوا فنون المغرب وصناعاته الاسلامية من بعيد[2]، دون معايشة ومراقبة، ودون ربط العلاقات بين نوعية الانتاج وظروف استخدامه، يعتقدون أن قلة عرض الزرابي المغربية بالنسبة إلى طولها المفرط راجع إلى ضيق الأنوال المستخدمة في النسيج أو ضيق مساحة المصانع التي كانت تستخدم تلك الألوان. على أنه من اليسير أن نفسر هنا تلك الظاهرة على ضوء حرص الصناعة المغربية على الانسجام بين الانتاج وظروف الاستخدام والاستغلال. فتخطيط المسكن المغربي يختلف جذريا عن تخطيط المساكن الحالية بالمشرق العربي حيث حرص المهندس المغربي على تحقيق حرية داخلية بوجود صحن فسيح للمسكن تتوسطه غالبا نافورة، وتدور به البوائك، مما يجعل بقية التخطيط على شكل أربعة أشرطة مستطيلة تقام فوقها قباب وقاعات للسكنى يفرض نظامها الطويل الضيق استخدام الزرابي المنسجمة مع المساحة المطلوب تغطيتها. وقد يكون هذا التخطيط مرتبطا في الأصل بطول الأخشاب المتاحة للتغطية.

وبمتحف فيكتوريا وألبرت بلندن مثال من سجاد رباط الفتح يزدان المتن فيه بأشكال هندسية على هيئة مثمنات داخلها زخرفة هندسية متشعبة تبدأ من مركز واحد، ويرى في الحاشية ما يشبه الكتابة الكوفية.

وفي متحف المترو بوليتان بنيويورك مثال آخر عبارة عن سجادة من المغرب وغالبا ما كانت من انتاج رباط الفتح، حيث يزدان المتن فيها بمربعات بداخل كل منها مثمن داخله زخرفة هندسية نجمية الشكل، بينما نلاحظ في الحاشية مثمنات صغيرة داخلها زخرفة نباتية تحاكي شكل الكتابة الكوفية المربعة. ويغلب على السجادتين الألوان الأحمر والأصفر بالأسلوب الذي كان شائعا في المغرب.

---

(1) انظر الطبعة الجديدة من : P.Ricard : Corpus de Tapis Marocains 1975 ويشتمل على أربعة أقسام :
1 – زرابي الرباط. 2 – أطلس المتوسط. 3 – أطلس الكبير وحوز مراكش. 4 – زرابي متنوعة.

(2) ومن أمثلة ذلك سوء تعليل زكي محمد حسن وتلاميذه لتلك الظاهرة، انظر فنون الاسلام ص 438.

الفصل الثامن

الكتب والمكتبات والكتابات والنقوش العربية

﴿ قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ﴾

صدق الله العظيم

الكهف آية 109

الفصل الثامن

الكتب والمكتبات والكتابات والنقوش العربية

ابحاث هذا الفصل :

أولا : الكتب والمكتبات

ثانيا : الكتابات والنقوش العربية

1 – نقوش في الحجـر :

آ – مدخل زاوية النساك خارج سلا

ب – مدخل شالة الرئيسي

ج – نقش شاهد قبر متحف الودايا

د – واجهة السقاية العزيزية بالرباط

2 – نقوش في الخشب :

نقش تأسيس خزانة جامع الاندلسيين

عنزة جامع القرويين

باب المكتبة العنانية بالقرويين

3 – نقوش في المعادن :

ثريات جامع القرويين

الناقوس الاكبر ببلاط المحراب بجامع القرويين

ناقوس الأمير أبي مالك المجلوب من الأندلس

الامداد النبوية من عصر بني مرين

4 – نقوش في النسيج :

علم السلطان أبي الحسن بطليطلة

علم مريني آخر بالأندلس

5 – نقوش في الزليـج :

نقش مدخل المدرسة العجيبة (أبي عنان) بسلا

نقوش صحن وسواري مدرسة الطالعة (أبو الحسن) بسلا

نقش صومعة جامع ابن صالح بمراكش
نقش تأسيس زاوية أبي سعيد عثمان بشالة

6 – نقوش في الرخـام :

1) بالمساجـــد :

نقش تأسيس الزيادة المرينية بجامع تازا
لوح تأسيس وتحبيس مسجد أبي الحسن بفاس
نقش تأسيس بالجامع الكبير بفاس الجديد
نقش خلوة الاسبوع العليا بجامع القرويين

2) بالـزوايـــا :

لوحة تحبيس زاوية قرب تازا باسم أبي عنان
نقش التحبيس على زاوية شالة الذي نشرناه بعد جمع اطرافه

3) بالحمامـــات :

لوحة تحبيس الحمام الجديد برباط الفتح

4) شواهد القبور : (ملوك ووزراء)

روسية السلطان يوسف بن يعقوب
شاهد قبر أبي العباس أحمد
شاهد قبر شمس الضحى
شاهدا قبر السلطان أبي الحسن بمراكش وشالة
شاهد قبر السلطان أبي عنان بجامع الجنائز بفاس الجديد
شاهد قبر الفقيه محمد ابن الوزير الخطيب بن مرزوق

5) نقوش في الرخام بالمدارس :

نقش مدرسة دار المخزن
نقش مدرسة العطارين بفاس
نقش مدرسة أبي الحسن بطالعة سلا

الفصل الثامن

الكتب والمكتبات والكتابات والنقوش العربية

أولا : الكتب والمكتبات

استحقت دولة المرينيين عن جدارة التفرد بلقب دولة العلم الذي اتخذته شعارا للدولة وسندا وهدفا لها. ولهذا كان أجل أثر تبقى بعدها هو ذلك العدد الوافر من المدارس الاسلامية حول المساجد الجامعة بعواصم المغرب بفاس ومكناس وسلا ومراكش وغيرها.

ولما كانت المساجد الجامعة كليات ومعاهد للدارسة تتوسط في عصر المرينيين مدارس الطلبة حيث يسكنون ويدرسون بعض المواد التجريبية التي قد تختلف طبيعة دراستها عن ظروف الدراسة بالمسجد الجامع، فقد لزم اذن العناية الخاصة بأمر الكتاب والمكتبات كأدوات مصاحبة لخطة الدولة التي دار قيامها ونشاطها حول العلم (أشكال 218 — 219).

وابتداء من عصر يعقوب بن عبد الحق المريني المؤسس الحقيقي للدولة نبتت فكرة العناية بالكتاب، فقد عقد صلحا مع شانجة ملك اسبانيا اشترط فيه أن يرسل الاسبان كتب العلم التي بقيت لديهم من تراث المسلمين ثم استقبل المنصور المريني ثلاثة عشر حملا من المصاحف وكتب التفسير والفقه واللغة فحبسها على طلبة العلم بفاس.

كما امتدت عنايتهم بالكتاب خارج حدودهم فنسمع أن أبا الحسن أوقف على المساجد الثلاثة المقدسة ثلاثة مصاحف كتبها بخطه وجمع لها القراء والخطاطين والنقاشين وأخرجها في حلة فريدة من الفن المغربي المتميز بالخط والزخرفة والتذهيب وأرسلها إلى مساجد مكة المكرمة والمدينة المنورة وبيت المقدس وأوقف عليها الضياع والرباع لكفاية القائمين عليها والقارئين فيها.

لهذا تبقى من عصرهم عدد من خزان الكتب التي تشهد بفضلهم على الحركة العلمية كخزانة القرويين التي أسسها أمير المؤمنين أبو عنان وزودها بكثير من علوم الابدان والاديان واللسان والاذهان وغير ذلك من العلوم على اختلافها وتنوع ضروبها وأجناسها ووقفها ابتغاء ثواب الله وعين لها قيما لضبطها في منتصف القرن الثامن. كما أن أبا عنان نفسه هو مؤسس خزانة المصاحف بالقرويين فقد بناها وشيدها أحسن تشييد وأعد لها جملة من المصاحف الحسنة الخطوط وكلف بها من يتولى أمرها على أحسن الشروط[1].

(1) انظر زهرة الآس والنبوغ المغربي ج 1 ص 186/185 وجامع القرويين ج 2 ص 332/331.

يقول الجزنائي في زهرة الآس : « وأباحها ــ يعني أبا عنان ــ لمن أراد القراءة فيها بعد أن كتب على كل جزء منها بخط يده بتوقيفها مدى الأعوام والليلي والأيام، وعين لها من ينفرد بإخراجها من هذه الخزانة وإبرازها، وردها لصيانتها في موضعها واحرازها، وذلك عند الفراغ من حاجات الناس اليها، فلا يبدل ذلك ولا يغير إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وأجرى له جراية، واسعة كرامة ورعاية، وتم عملها في شهر شوال سنة خمسين وسبعمائة[1]» (أشكال 273 ــ 274).

أما زاوية القراء، البهية الغراء التي أمر بها (مولانا المستعين عن يسار قبلة هذا الجامع ــ يعني القرويين ــ، الناطقة بالخير الجامع، المتشاكلة الأوضاع، الواقع على حسنها الاجماع، التي لم يسبقه إليها أحد من أئمة هذه الاصقاع، فإنه أقامها على ساباط هناك، وجعل بقبليها وبجوفيها من صناعة الخرط... ورتب فيها قراء يقرؤون القرآن، ويختمونه كل سبعة أيام بطول الأزمان، وأجرى لهم جراية في كل شهر ينتفعون بها، ويرتبون لذلك بسببها، وتم عملها في أواخر شهر رمضان سنة اثنتين وستين وسبعمائة...)[2].

ويرجع تأسيس خزانة الجامع الكبير بمدينة مكناس إلى عصر المرينيين، وكان موقعها الأول بالجهة الغربية من الجامع الكبير ثم نقلت إلى (مجلس الاسبوع) بأعلى (ساباط الاسبوع) المحمول على الجدار الشرقي للجامع الكبير وعلى الجدار المقابل له من المدرسة الفيلالية ويقع بابه في الصف الأول من الجامع الكبير. ومجلس الأسبوع هذاكان من مؤسسات أبي زكريا الوطاسي المقتول سنة (852هـ) وهو وزير السلطان عبد الحق المريني، وتقع الخزانة حاليا بشارع العدول حذو باب الكتب من أبواب الجامع الكبير الغربية، ورد ذكرها في الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون لابن غازي[3].

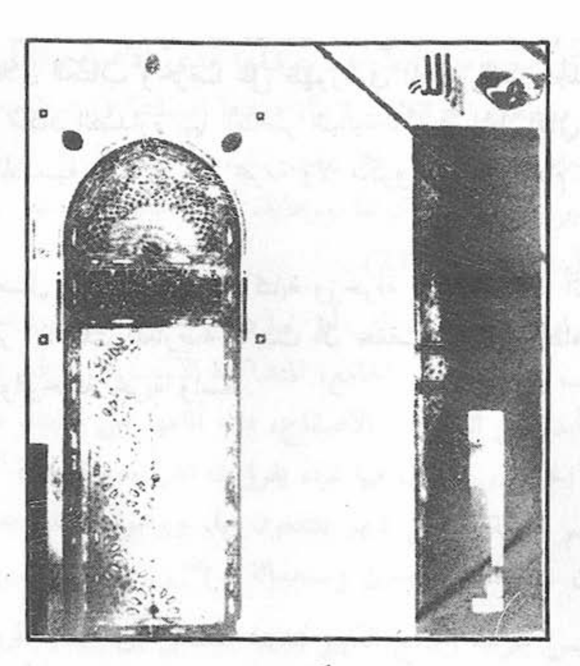
وبمكتبة الدولة بمدينة ميونخ بالمانيا الغربية مصحف نسخ بمراكش في القرن السابع الهجري زينت صفحته الأولى بزخارف بديعة من دوائر متصلة داخلها عناصر نباتية وهندسية حيث يلعب التذهيب دورا كبيرا في هذه الزخرفة.

وبهذه المناسبة نذكر قوة المعارضة العنيفة التي أبداها رجال الدين عند زخرفة المصاحف، ورغم ذلك انتشرت الزخرفة وازدهرت بصفحات الكتاب الكريم وأثبتت وجودها في فواصل الآيات وفواصل السور، رغم المعارضة التي ظلت مدة طويلة ضد زخارف الصفحة

(1) زهرة الآس ص 76.
(2) زهرة الآس ص 77/76.
(3) محمد العرائشي : خزانة الجامع الكبير بمكناس، دعوة الحق مارس 1984م ص 107.

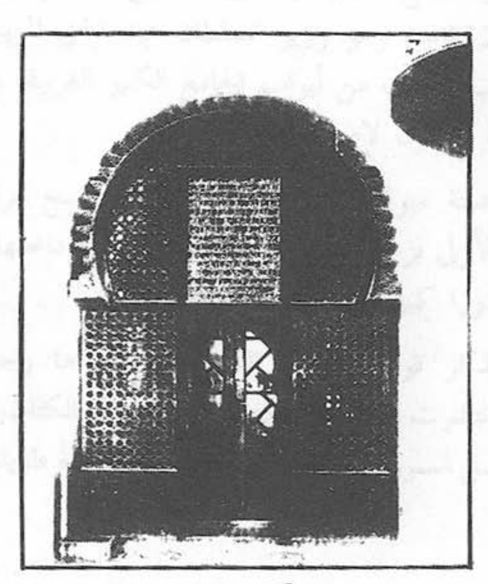
الأولى التي تسبق النص القرآني والتي تأتي في نهايته، ومع هذا اقتحم فن تزيين القرآن الكريم الميدان الفني تعلقا بجلال الكتاب وحرصا على ظهوره في المظهر الفني الجليل حيث سيطرت العناصر الهندسية على مكان الصدارة بينما العناصر النباتية تأتي في المحل الثاني. ولاشك أن تلك الفنون من الزخرفة الهندسية والنباتية غير محرمة ولا مكروهة في الاسلام على عكس الصور والتماثيل.

وإذا كان استعمال مواد الذهب في كتابة وزخرفة المصاحف قد أثار اعتراضا شديدا من رجال الدين، غير أن تلك المعارضة مالبثت أن خفقت وأقبل الخطاطون على استعمال التذهيب في الكتابة والزخرفة بحرية واسعة.



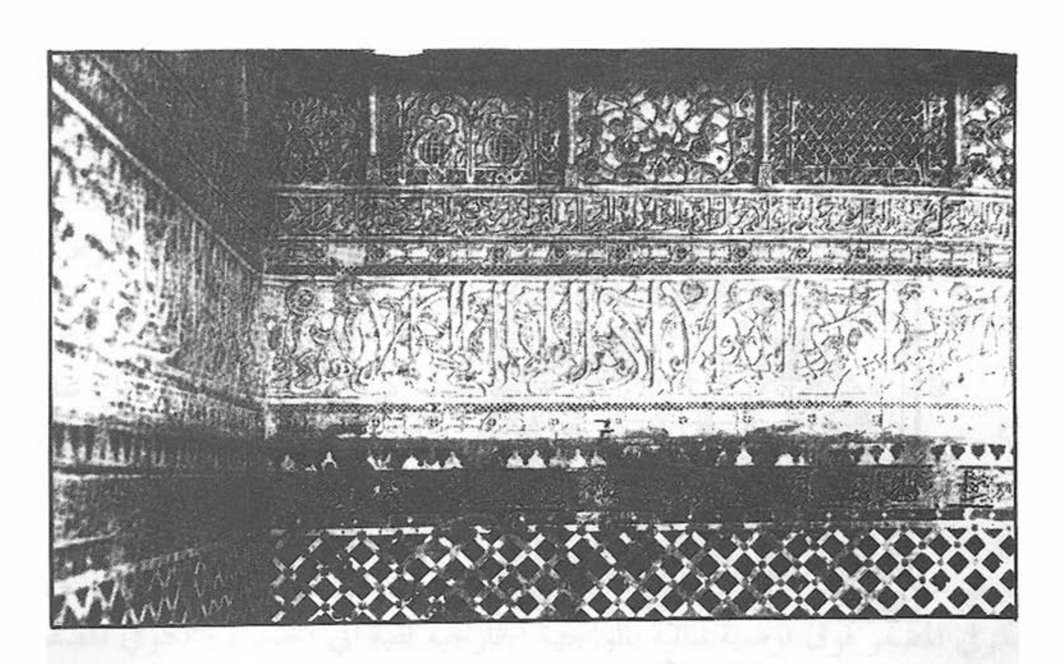
شكل 273

خزانة المصاحف التي أسسها أبو عنان إلى يسار مقصورة الامام بالقرويين (750 هـ)



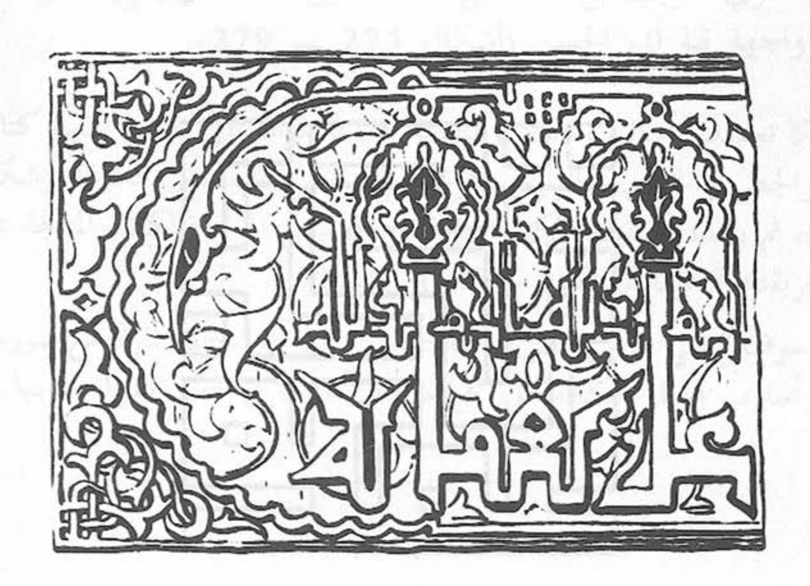
شكل 274

باب مكتبة أبي عنان التي أنشأها بالقرويين (750 هـ)



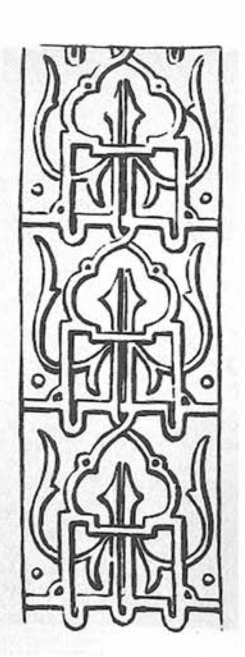
شكل 275

تنوع الخطوط وازدهار الخط النسخي المغربي الأندلسي بمدرسة أبي الحسن بسلا



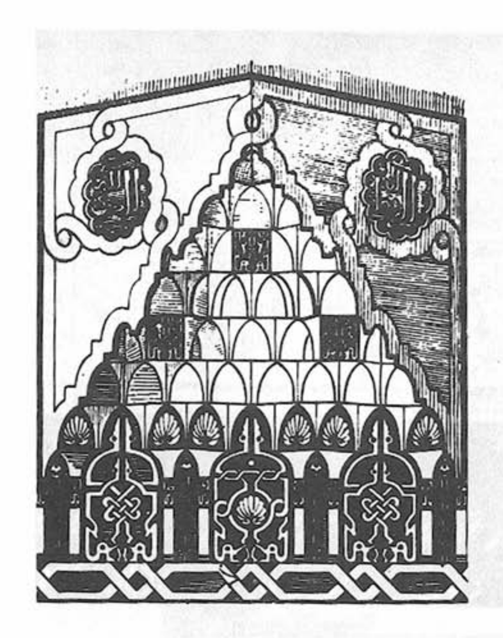
شكل 276

خط كوفي بمسجد سيدي بومدين بتلمسان، العصر الذهبي للكوفى المريني



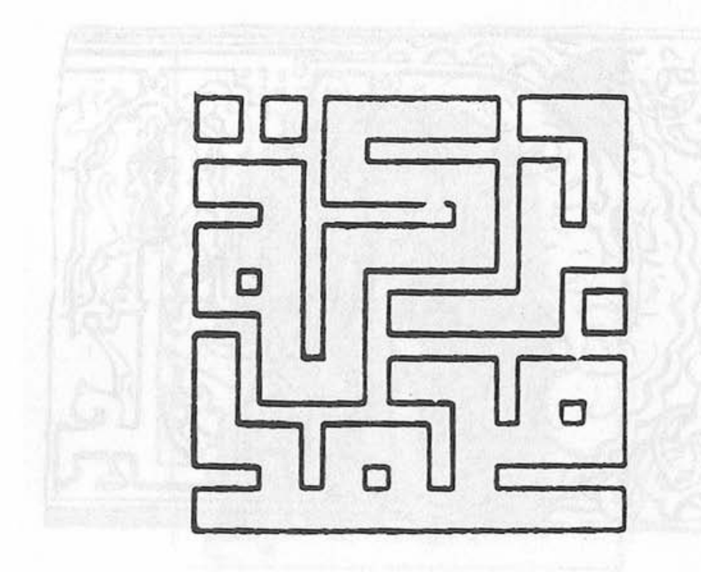
شكل 277

كوفى مضفر أرابسك من العصر المريني



شكل 278

كوفى مضفر ونسخي مغربي داخل مناطق زخرفية بمدخل شالة الكبير (739 هـ)



شكل 279

كوفي مربع (بركة محمد) بصومعة سيدي بومدين بتلمسان ق 8 هـ

ثانيا : الكتابات والنقوش العربية

تعددت أساليب الخط والكتابة في عصر المرينيين بتعدد أنواع الخط من النسخي والكوفي والمغربي والأندلسي والخطوط المضفرة وذات الزخارف الزهرية والنباتية والمربعة.

فقد نقشت بالخط الكوفي المضفر عبارات دينية على الزليج بمدخل شالة الكبير، ونقش نص التأسيس لزاوية أبي سعيد عثمان بشالة بالخط النسخي المغربي في الزليج المولف، ونقش في الجص بالخط النسخي المغربي الجميل عبارة (الملك الدائم لله) بقاعة شهداء طريف داخل خلوة شالة. كما وجد الخط الكوفي بأحرف كبيرة الحجم على أرضية عاطلة من الزخرفة بمدخل شالة الرئيسي على الحجر، والخط الكوفي المضفر فوق أرضية نباتية بالواجهة الخارجية لقبة أبي الحسن، والكوفي المضفر الذي يمتاز بالتقابل في أشرطة المدخل البارز الرئيسي لأسوار شالة. كما تنوعت الخطوط النسخية على شواهد القبور الرخامية وعكست انماطا جديدة من الخط النسخي المغربي القريب من الأندلسي بالاضافة إلى الخط الأندلسي الكبير الذي يحيط بنقوش واجهة قبة أبي الحسن (أشكال 275 ــ 279).

كما تعددت أساليب الخط والكتابة بتعدد المواد التي نقشوا عليها كتاباتهم من الحجر والجص والخشب والزليج والرخام والنحاس والنسيج والكاغد (شكل 221 و222)، ثم بتعدد أساليب الكتابة على كل مادة من المواد فللكتابة المزلجة على سبيل المثال طريقتان[1] فإما أن تكون منقوشة أو مقشرة.

وسوف أكتفي بعرض بعض الأمثلة لنقوش مرينية على مختلف المواد مع صورها لامكان ملاحظة أسلوب الخط والكتابة على كل من تلك المواد في عصر الدولة المرينية.

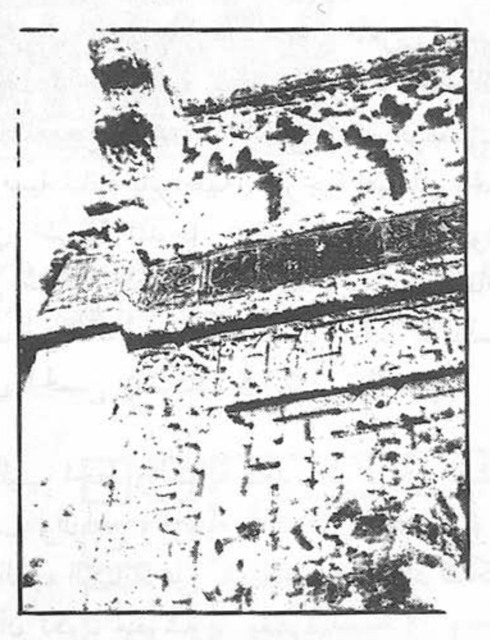
---

(1) راجع تفصيل ذلك بالفصل السادس من كتابنا دراسات جديدة في الفنون الإسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى.

1 ـــ نقوش عربية في الحجر

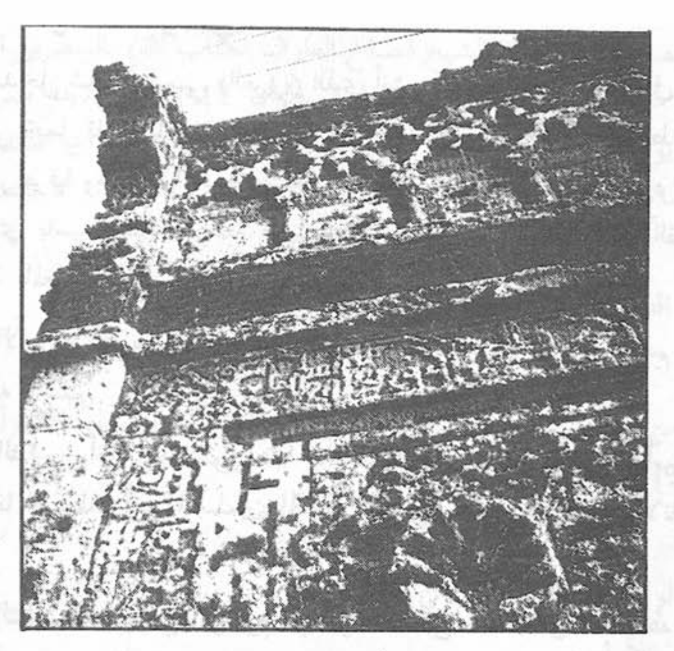
نقوش مدخل زاوية النساك :

فإذا بدأنا بالنقوش العربية المنحوتة في الحجر نشير إلى الشريط الكتابي الذي يحيط قوس فتحة الباب الرئيسي لزاوية النساك خارج سلا التي جعل فنانو عصر أمير المؤمنين أبي عنان من واجهتها الرئيسية تحفة رائعة بما نقشوه فيها من أشكال نباتية وتضفيرات هندسية وكتابات عربية (شكل 280 ـــ 281).



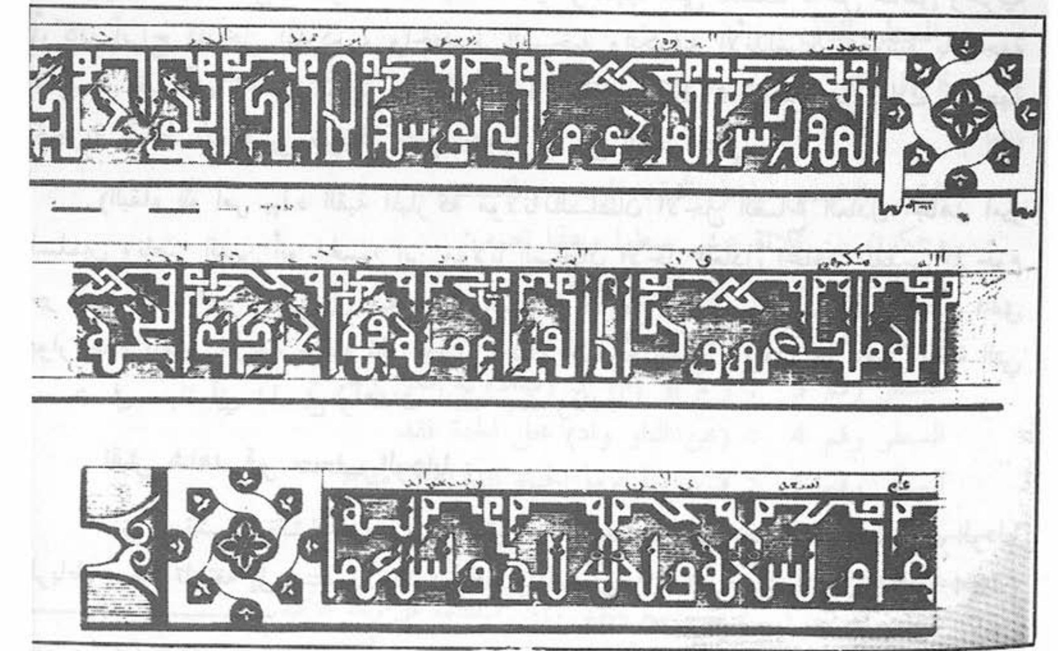
شكل 280

نقوش عربية في الحجر بواجهة مدخل زاوية النساك التي أنشأها أبو عنان خارج سلا



شكل 281

تفصيل نقوش واجهة مدخل زاوية النساك



شكل 282

نقش تأسيس في الحجر بمدخل شالة الكبير (739 هـ)

نقوش مدخل شالة الرئيسي :

ولازال مدخل شالة الرئيسي (الغربي) الذي أنشيء مع الأسوار الحالية في عصر السلطان أبي الحسن المريني يحمل تاريخ تأسيسه منقوشا في الحجر من سنة 739هـ بالخط الكوفي المضفر ويشكل شريطا زخرفيا وتأسيسيا يحيط بفتحة العقد (شكل 282). لقد نشره ليفي بروفنسال في بحثه مع هنري باسيه (شالة روضة مرينية) وقد سبق لنا تحليله بكتابنا الفنون الاسلامية والنقوش العربية بالمغرب الاقصى وهذا نصه :

السطر الأول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

السطر الثاني : أمر ببناء سور هذا الرباط المبارك مولانا السلطان أمير المسلمين أبو الحسن ابن مولانا السلطان أمير المسلمين المقدس المرحوم أبو سعيد ابن مولانا السلطان أمير المسلمين.

السطر الثالث : المقدس المرحوم أبي يوسف ابن عبد الحق خلد الله ملكهم وكان الفراغ منه في آخر ذي الحجة عام تسعة وثلاثين وسبعمائة.

وهذا فضلا عن الخطوط النسخية الدعائية والدينية التي نقشت داخل مناطق زخرفية بأركان أبراج المدخل المذكور، والخطوط النسخية والكوفية الأندلسية المنقوشة بالواجهة الخارجية لقبة أبي الحسن المريني داخل خلوة شالة[1] وكان مما نقش على تلك الواجهة الحجرية بالخط الأندلسي شريط كتابي يدور بها على النحو التالي.

(البقاء لله أمر بهذه القبة المباركة مولانا السلطان الأجل الصالح العادل المجاهد أمير المسلمين وناصر الدين أبو الحسن ابن مولانا السلطان الاجل العادل المجاهد المقدس المرحوم أمير المسلمين وناصر الدين أبي سعيد ابن السلطان الاجل أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق بجوار هذه المقابر المرعية عامله الله بجميل الجزاء أصلحه الله...) وهذا هو نقش القبة التي أسست في حياة أبي الحسن وأعدت لدفنه بعد وفاته.

نقش شاهد قبر متحف الودايا :

سبق أن نشرت نقشا جديدا لشاهد قبر من الحجر الوردي محفوظا الآن بمتحف الودايا بالرباط يرجع تاريخه إلى منتصف القرن الثامن الهجري (750هـ) (شكل 283 ــ 284)

(1) راجع كتابنا حفائر شالة الإسلامية، الفصل الثاني وكتابنا الفنون الإسلامية والنقوش العربية الفصل السادس وهنري باسيه وليفي بروفنسال : شالة روضة مرينية (بالفرنسية) هسبريس 1922 الفصلة 1 ص 33/31.

نقشت بجوانبه كلمة (الله) وأسفلها عبارة (غفور.. كريم) بينما يبدأ النص بآيات من سورة آل عمران ثم يتضمن عبارة (قبر الشيخ الصالح العارف لكتاب الله) بالسطرين السادس والسابع موضحا مكانة صاحب المقبرية، كما يتضمن السطران 11 و12 تحديدا صريحا لتاريخ وفاته 750هـ الذي يوافق عام وفاة الاميرة شمس الضحى والدة السلطان أبي عنان دفينة شالة التي نقل الشيخ الصالح إلى جوارها فدفن بشالة كما ينص النقش، وذلك تبركا بالصالحين على عادة المرينيين.

قراءة النقش[1] :

أولا :

بكل من جانبي القطعة نقرأ إلى أعلى كلمة (الله) وأسفلها بطول الجانب عبارة [ربنا غفور...] (شكل 56).

ثانيا :

بأعلى الوجه شريط كتابي من سطرين :

السطر الأول :

نقرأ فيه عبارة : لا إله إلا الله محمد رسول الله بسم الله الرحـ(من الرحيم).

السطر الثاني :

لازال كله غير مقروء [....] بسبب شدة إنهاك الحروف. (شكل 55).

ثالثا :

النقش الرئيسي داخل العقد المزدوج المفصص :

ويتكون من ثلاثة عشر سطرا وهذا نصه :

السطر رقم 1 : كل نفس ذائقة.

السطر رقم 2 : الموت وإنما تـ(وفو) ن أجو

السطر رقم 3 : ركم يو (م) الـ (قيامـ) ـة فمن زحزح

السطر رقم 4 : (عن النار واد) خل الجنة فقد

السطر رقم 5 : فـ (ـا) ز وما الحياة الدنيا إلا متاع

(1) اصطلاحات :

أ – ما بين القوسين (....) غير واضح بالنقش ويمكن استنتاجه على وجه التأكيد.

ب – ما بين القوسين [....] ؟ غير واضح بالنقش وقد اقترحناه على وجه الترجيح.

ج – ما بين القوسين [...] غير واضح بالنقش ولازال غير مقروء.

السطر رقم 6 : الغرور هذا قبر الشـ (يخ) الصالح
السطر رقم 7 : العا (رف) لكتاب الله تعالى [أبي العباس] ؟
السطر رقم 8 : بن الشيخ المرحوم أبـ (ي) زيد عبد الرحمن
السطر رقم 9 : بن عبد العـ(ـز)يز [توفى] ؟ [..........] الله
السطر رقم 10 : [توفي] يوم الاثنين الثاني والعشرين
السطر رقم 11 : لصفر من عام خمسين وسبعمائة [..........]
السطر رقم 12 : عمر الله (قـ) بره بشالة بالرحمة [و.....ه]
السطر رقم 13 : المسلمين وصلى الله على سيدنا محمد.

ملاحظات على النقش :

يبدأ النقش بنص من القرآن الكريم من سورة آل عمران الآية 185 وذلك من بداية النص بالسطر الأول (كل نفس) حتى أول كلمة من السطر السادس (الغرور)، وبعدها يبدأ النص التاريخي.

ويمكن ملاحظة رسم كلمة (نفس) بالسطر الأول وكلمة [العباس] بالسطر السابع لمقارنة حرف السين في كل منها لترجيح صحة قراءتنا لكلمة [أبي العباس].

وكذلك نلاحظ رسم حرف الذال في (ذائقة) فهي قريبة الشبه برسم الزاي في (زحزح) بالسطر الثالث.

وفي رسم كلمة (وإنما) بالسطر الثاني نلاحظ استطالة الألف الثانية إلى أسفل مع انحنائها إلى اليسار، الأمر الذي نلاحظه في نظيرتها تماما بكلمة [العباس].

وفي السطر الخامس رسمت كلمة (الحياة) مع زيادة حرف واو بعد الألف الثانية.

كذلك تتشابه حروف الحاء والخاء في السطرين السادس والثامن فيما عدا حرف الخاء في كلمة (الشيخ) بالسطر السادس.

القيمة التاريخية للنقش

إن عبارة (قبر الشيخ الصالح العارف لكتاب الله) الواردة بالسطرين السادس والسابع من النقش تحدد وظيفة ومكانة صاحب (الروسية) شاهد القبر، فقد كان أحد الأولياء العارفين بالله، وليس بخاف مقدار ما يتمتع به العارفون بالله من منزلة عند المسلمين عامة والملوك على وجه الخصوص على طول عصر ازدهار الحضارة الاسلامية. وقصة سعي السلطان أبي عنان فارس آخر أعظم سلاطين الدولة المرينية بالمغرب لمقابلة العارف بالله سيدي ابن عاشر دفين

سلا[1] والمعاصر لنفس تاريخ النقش وبنفس الطريقة رددها كثير من المؤرخين.

وتؤكد عبارة (ابن الشيخ المرحوم أبي زيد) الواردة بالسطر الثامن قيمة ومكانة تلك الشخصية من الناحية الاجتماعية، فهي لا تستند على صلاحها وعلمها وعرفانها فحسب، بل تستند كذلك على أصل اجتماعي مرموق ومعروف الاسم والصفة.

كما نجد في السطرين العاشر والحادي عشر تحديدا صريحا دقيقا لتاريخ وفاته في الثاني والعشرين من عام خمسين وسبعمائة. ويوافق هذا التاريخ بالذات عام وفاة الأميرة شمس الضحى[2] زوجة السلطان أبي الحسن المريني وأم ولده السلطان أبي عنان فارس بن أبي الحسن. وليس هناك من شك لدى المتخصصين في تاريخ المرينيين أن ذلك التاريخ (750هـ) كان يمثل أزهى فترات العصر المريني الزاهر، ذلك العصر الذي ينتهي بوفاة السلطان أبي عنان فارس عام 759هـ ليبدأ نجم الدولة المرينية بعده في الأفول.

وفضلا عن هذا فإن التثبت من قراءة الكلمتين الثالثة والرابعة بالسطر الثاني عشر من النقش (قبره بشالة) معناه أن الشيخ المذكور صاحب المقبرية موضوع البحث قد أقبر بشالة حسبما نقرأ في السطر الثاني عشر (عمر الله قبره بشالة بالرحمة). إن تلك الحقيقة نفسها تستوجب الوقوف لتحليل الواقعة وتقييم تلك الشخصية. إذ المعروف أن الأميرة شمس الضحى قد دفنت بمحضر ولدها السلطان أبي عنان فارس بمدافن الأسرة المرينية بشالة التي وضع نواتها كمقبرة للمجاهدين من ملوك وشخصيات بني مرين السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني مؤسس الدولة الحقيقي، إلى أن أدار أسوارها وأكمل قبابها عام 739هـ[3] السلطان أبو الحسن والد السلطان أبي عنان. وهكذا فإن دفن تلك الشخصية صاحبة النقش بتلك الروضة الملكية وخصوصاً في عصر الدولة الزاهر[4]، لدليل كبير على أهمية تلك

(1) الاستقصا 800/3، وارتحل السلطان إلى سلا سنة سبع وخمسين وسبعمائة وحرص على الاجتماع بالشيخ المذكور ووقف ببابه مرارا فلم يأذن له وترصده يوم الجمعة بعد الصلاة ولما انفض الناس سبقه على قدميه والناس ينظرون إليه وهو لا يراه فقال السلطان لقد مُنعنا من هذا الولي.. وقد وقع مثل ذلك لمولاي اسماعيل العلوي مع سيدي احمد ابن محمد بن عبد الله معن الاندلسي هذا وقد حرص لسان الدين بن الخطيب الوزير السفير الكاتب الشاعر على لقاء الشيخ ابن عاشر حتى ظفر به فعظم سروره وذكر في نفاضة الجراب أنه لقي من أولياء الله بسلا الولي الزاهد الكبير ابن عاشر يسر الله لقاءه على تعذره لصعوبة تأتيه وكثافة هيبته.

(2) توفيت شمس الضحى الرابع من رجب (750هـ) ودفنت في 25 منه.

(3) راجع بحثنا، شالة وقيمتها التاريخية، الذي تقدمنا به للمؤتمر الثالث للآثار بالبلاد العربية المنعقد بفاس 1959م ونشر بكتاب الجامعة العربية عن المؤتمر المذكور.

(4) ذلك أن دفن ملوك بني مرين بعد عصر أبي عنان قد تحول إلى فاس فاستقبلت شالة ابتداء من ذلك التحويل شخصيات أقل خطرا، أنظر ذلك في كتابنا، تاريخ شالة الاسلامية الفصل الثامن.

الشخصية إذ لم تكن شالة في ذلك التاريخ تضم سوى رفاة الملوك والأمراء والأميرات وبعض كبار وزراء الدولة الذين استشهدوا بموقعة طريف بالأندلس في أواخر النصف الأول من القرن الثامن الهجري[1].

ومن جهة أخرى فإن حرص السلطان أبي عنان على لقاء العارف بالله سيدي ابن عاشر بسلا وفشله على الرغم من اذلاله كبرياء الملك أمام سلطان المعرفة في سبيل اللقاء، قد أوحى إلى خلفائه فحرصوا على دفن العالم الجليل الخطيب بن مرزوق معه وإلى جانبه بنفس قاعة الدفن بجامع الجنائز بالمسجد الكبير بفاس الجديد، الأمر الذي يوضح لنا مرة أخرى منزلة العلماء العارفين لدى السلاطين في حياتهم بل وحتى بعد وفاتهم كذلك فقد كان ملوك ذلك العصر يحرصون على دفن كبار الشخصيات الدينية معهم بعد موتهم تبركاً بعلمهم وصلاحهم. وهكذا فإن دفن صاحب النقش الذي ندرسه بشالة في أوج العصر المريني الزاهر وداخل حرمة شالة وعلى مقربة من قبة الأميرة شمس الضحى أم السلطان أبي عنان لدليل على خطر تلك الشخصية ومكانتها.

على أن هناك أهمية علمية أخرى يمكن أن نعلقها على دراسة هذا النقش، فلو صحت على وجه اليقين القراءة التي وصلنا إليها (على وجه الترجيح) لكلمة (أبي العباس) الواردة بآخر السطر السابع من النقش، لأمكن إلقاء ضوء من الأهمية بمكان على بعض مشاكل نقوش المنطقة وبالذات نقوش شالة العربية التاريخية.

ذلك أن شالة تحتفظ إلى يومنا هذا بشاهد قبر منشوري الشكل قد تكسر تماما إلى أربعة أجزاء سماه الدكالي وبوجندار بشاهد أبي العباس أحمد ونسبا تبعاً لذلك إحدى قبات شالة[2] إلى أبي العباس أحمد بن ابي سالم بن السلطان أبي الحسن وقد أوضحت بكتابي الفنون الاسلامية والنقوش عدة أخطاء وقع فيها المؤرخون والأثريون الذين درسوا ذلك الشاهد. فقد قال الدكالي [3] ومن بعده بوجندار[4] بأن شاهد أبي العباس أحمد الموجود بشالة يحمل تاريخ وفاته 775 هـ. والحقيقة التي أوضحتها أن المقبرية المكسرة التي يشيران إليها لا تحمل مطلقا ذلك التاريخ بل تحمل تاريخين واضحين وليس تاريخا واحدا، وأكثر من ذلك

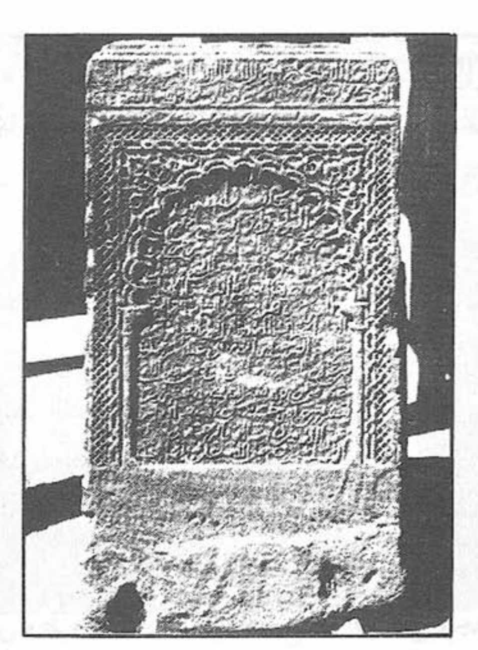
---

(1) انظر كتابنا تاريخ شالة، الفصل الثامن للتحقق من تلك الشخصيات، وانظر كذلك كتابنا حفائر شالة الإسلامية الفصل الثالث للتحقق من دفنهم بشالة.

(2) انظر كذلك كتابنا، حفائر شالة الاسلامية الفصل الثالث للوقوف على مشكلة تأريخ تلك القبة وعلاقة ذلك بالنقش موضوع البحث.

(3) السيد بن علي الدكاري : مخطوط الدرة اليتيمة ص 12.

(4) محمد بوجندار : شالة وآثارها ص 37.



شكل 283
نقش تأسيس بشاهد قبر حجر بمتحف الودايا بالرباط (750 هـ)



شكل 284
النقش بجانب شاهد قبر متحف الودايا باسم الشيخ الصالح ابى العباس (750 هـ)

أن عام 750هـ لم يرد في أحد التاريخين اللذين استطعنا قراءتهما. وهكذا بقيت لنا فكرة رددها بعض المؤرخين والأثريين عن وجود شاهد قبر بشالة ينسب إلى أبي العباس أحمد حوالي القرن الثامن الهجري فربما كان هذا النقش المؤرخ 750هـ (وفيه تحديد مكان الدفن بشالة) هو سبب ترديد المؤرخين لرواية مقبرية أبي العباس والخطأ في التاريخ وفي تحديد مواقع الاثار ونسبتها لاصحابها.

نقش في الحجر بالسقاية العزيزية برباط الفتح :

وهذا نقش تأسيسي في الحجر بالسقاية العزيزية لصق المارستان العزيزي بالمجموعة المقابلة للجامع الكبير برباط الفتح، وهذا النقش يحمل اسم أبي فارس عبد العزيز المريني في أبيات شعرية (شكل 285) منقوشة بأعلى واجهة السقاية (الشكل 286) التي تحولت بعد سنة 1963م إلى متجر للكتب غير المعالم الأصلية للأثر المسجل بضم مساحته إلى مبان خلفية أخرى[1].

وقد درست النقش وظروفه التاريخية وأستطيع أن أقرأ على وجه الترجيح كلمات البيت الأخير وقد أنهك الدهر وعوامل المناخ تلك الحروف كونها نقشت في الحجر وليس الرخام لواجهة خارجية كانت بحاجة إلى مادة صلبة، وهذه قراءتنا المقترحة :

عبـد العزيـز ابـن مولانـا الملـك   أفخـر الملوك علـى ابـن عثمـان

وإذا ما صحت قراءتنا فإن النقش يعني السلطان عبد العزيز ابن السلطان علي (وهو ابو الحسن والد ابي عنان) ابن عثمان (وهو ابو سعيد والد أبي الحسن). وعبد العزيز المريني المذكور بويع عام (767هـ) وتوفي عام (774هـ).

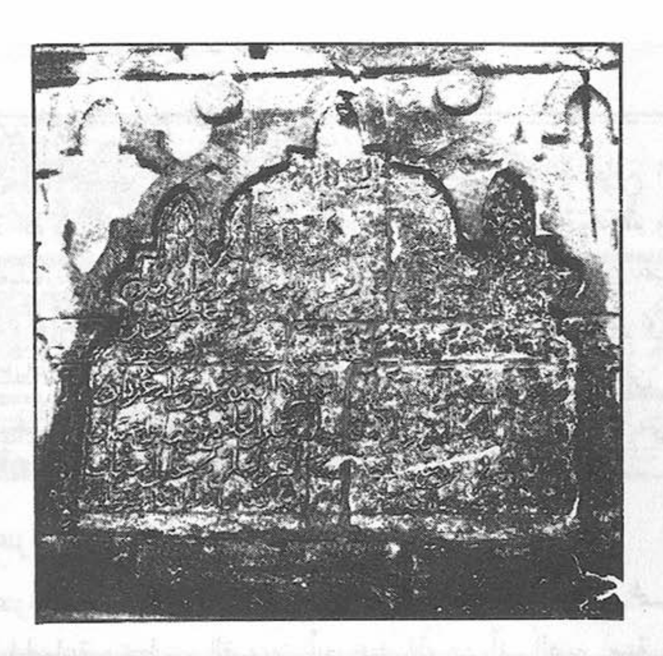
لواجهة خارجية كانت بحاجة إلى مادة صلبة، وهذه قراءتنا المقترحة :

عبـد العزيـز ابـن مولانـا الملـك   أفخـر الملوك علـى ابـن عثمـان

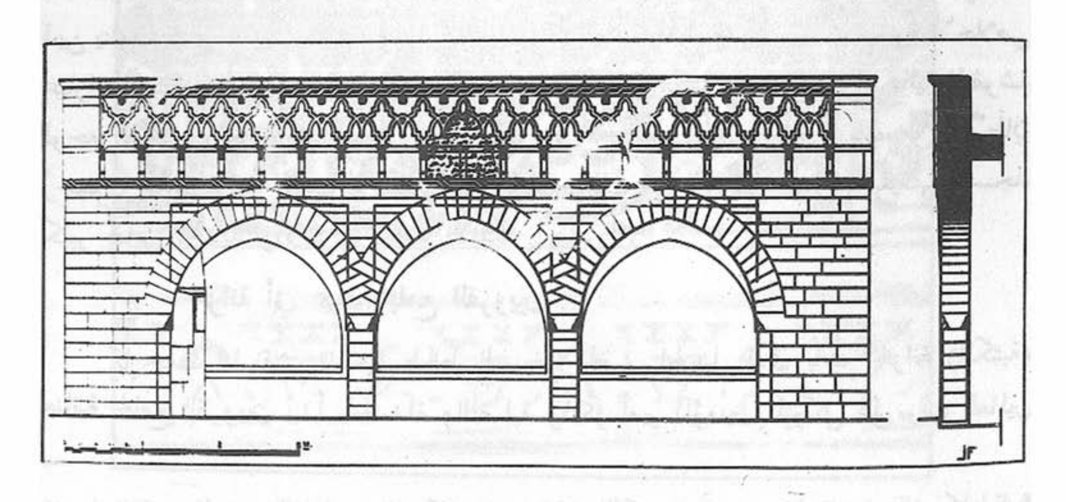
وإذا ما صحت قراءتنا فإن النقش يعني السلطان عبد العزيز ابن السلطان علي (وهو ابو الحسن والد ابي عنان) ابن عثمان (وهو ابو سعيد والد أبي الحسن). وعبد العزيز المريني المذكور بويع عام (767هـ) وتوفي عام (774هـ).

---

(1) عارضت وامتنعت عن التصريح بالمساس بالاثر المسجل وعارضت تحويل معالمه الاصلية، وانظر كتابنا حفائر شالة والرسوم والصور الخاصة بدراسة المجموعة العزيزية ص 425 وما بعدها.



شكل 285
تفصيل نقش السقاية العزيزية بالرباط



شكل 286
موضع نقش بالابيات الشعرية بأعلى واجهة السقاية العزيزية برباط الفتح

2 ـ نقوش عربية في الخشب

آ - نقش خزانة جامع الاندلسيين :

ومما نقش في الخشب على سبيل المثال نقش تأسيسي لخزانة جامع الأندلسيين سبق أن نشره الأستاذ كولان. والنقش مؤرخ من عام 816هـ ونصه (الحمد لله وحده أمر بعمل هذه الخزانة السعيدة المباركة مولانا أمير المؤمنين المتوكل على رب العالمين عبد الله أبو سعيد عثمان أيد الله أمره وأعز نصره بتاريخ شهر ربيع الثاني من عام ستة عشر وثمان مائة دركنا الله خيرها) والسلطان المذكور هو أبو سعيد عثمان[1] بن أبي العباس أحمد بن أبي سالم ابراهيم ابن أبي الحسن وهو في نفس الوقت والد السلطان عبد الحق آخر ملوك بني عبد الحق من بني مرين.

ب - عنزة جامع القرويين :

وكانت عنزة القرويين ألواحا ساذجة من خشب الأرز حتى بزوغ شمس الدولة المرينية حين قام قاضي الجماعة وخطيب القرويين أبو عبد الله بن أبي الصبر سنة 687[2] للهجرة فاستعاض عنها بعنزة جديدة من غريب الصنعة ورفيع الخشب وجميل النقش ودقيق الزخرفة كان الفراغ من صنعها عام تسعة وثمانين وست مائة. وقد نقش على وجهها الخارجي (ان الذين يتلون كتاب الله... الآية) وعبارة (الملك لله، العافية الدائمة) كما نقشت سورة الاخلاص وعبارات دينية مثل (بسم الله، لا قوة الا بالله) على غرار الكتابات الدينية والدعائية المنقوشة بالوجه الداخلي (العافية الدائمة لا حول ولا قوة الا بالله) والآية ﴿أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إلاَّ هُوَ﴾. وتلك هي العنزة المعاصرة لشقيقتها بالمسجد الكبير بفاس الجديد والأخرى بجامع الأندلس بفاس[3].

ج - خزانة أبي عنان بجامع القرويين :

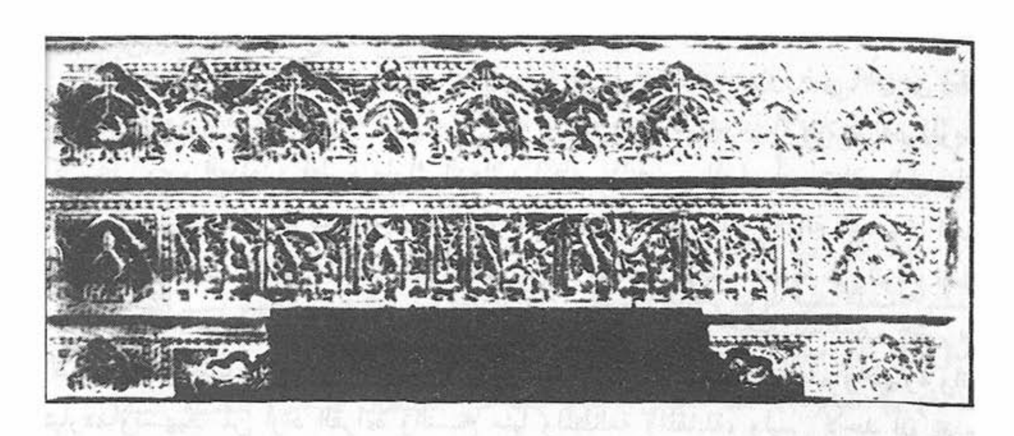
كما حفظ لنا نقش تاريخي بالخط النسخي المغربي الجميل فوق باب الخزانة (المكتبة) العنانية بجامع القرويين يبدأ بالحمدلة والتصلية وذكر أمير المؤمنين المتوكل على رب العالمين

---

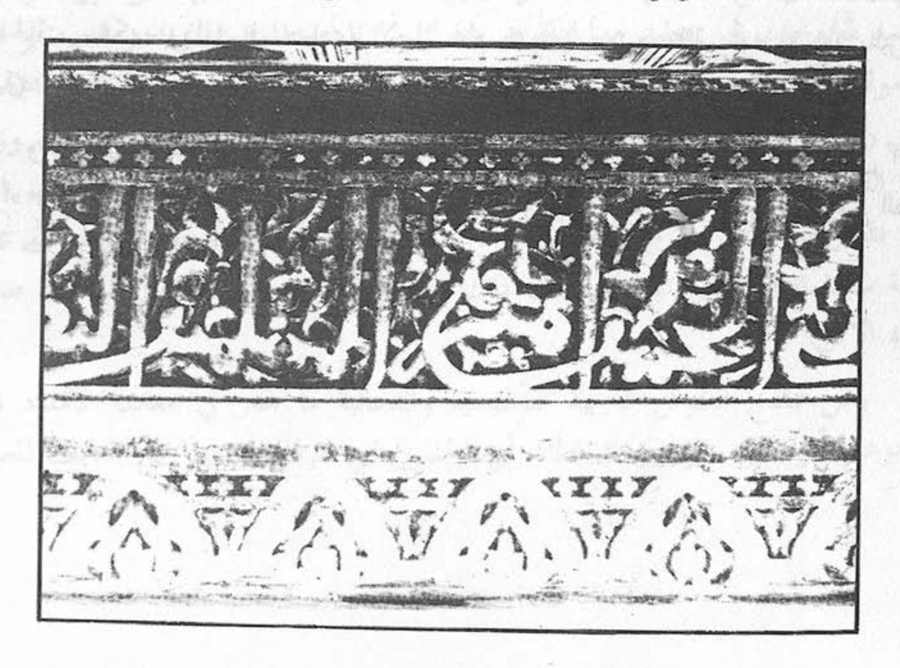
(1) ولى ثلاثة من المرينيين الملك باسم عثمان وكان صاحب النقش المذكور هو آخرهم، انظر تفصيل ذلك بكتابنا تاريخ شالة الاسلامية ص 289 وهامش 1 نفس الصفحة، ثم انظر الاستقصا ج 4 ص 95/86.

(2) جامع القرويين ج 2 ص 320 وقد وقع خطأ مطبعي لا يخفى على القاريء بالنسبة للتاريخ الميلادي الوارد بعد السنة الهجرية 687 وصحته 1288 بدل 1788 كما أخطأ في قوله أنها صنعت 687 في أيام يعقوب بن عبد الحق لان يعقوب مات سنة 685هـ فانظره بكتابنا تاريخ شالة واكتشافنا قبره بكتابنا حفائر شالة.

(3) نفس المصدر والصفحة.



شكل 287
نقش في الخشب بعتب بمدرسة الصهريج بفاس القديم



شكل 288
نقش في الخشب باسم ابى الحسن المريني بمدرسة الطالعة بسلا

أبي عنان وانشائه الخزانة المذكورة والغرض من تأسيسها وتاريخ التأسيس عام 750هـ وهذا نصه :

(الحمد لله حق حمده، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعبده، ورضي الله عن الخلفاء القائمين بالحق من بعده، مما أمر به من أحيا بإيالته الأنام، وتدارك بدولته الاسلام، أمير المؤمنين، المتوكل على رب العالمين، قطب ملوك الزمان، المظفر المنصور المولى أبو عنان، ابن الخلفاء الراشدين المرضيين، أدام الله للمسلمين أيامه، ونصر أعلامه، أنشأ هذه الخزانة السعيدة، الجامعة للعلوم الحميدة، المشتملة على الكتب التي أنعم بها من مقامه الكريم، المحتوية على أنواع العلوم، الواجب بها التعظيم، والتكريم، جعل ذلك نصره الله وقفا مؤبدا لجميع المسلمين حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين، حرصا منه أيده الله على طلبة العلم واظهاره واتقانه واشتهاره، وتسهيلا لمن أراد القراءة والنسخ منها والمطالعة والمقابلة، وليس لأحد أن يخرجها من أعلى المودع التي هي فيه، ولا يغفل المحافظة عليها والتنويه، أراد بذلك وجه الله العظيم، وثوابه الجسيم، ضاعف الله بذلك حسناته ورقى في الجنان درجاته، وأطال ملكه، ونظم بالصالحات سلكه، وذلك في جمادى الأولى عام خمسين وسبع مائة، أوصله الله بالبركات الزكية).

ومن أبرز الخطوط العربية المتبقية في الخشب بأعتاب مدرسة الصهريج بفاس القديم ما نراه في الشكل (287) والنقوش التأسيسية باسم أبي الحسن في خشب مدرسة الطالعة بمدينة سلا (شكل 288).

3 – نقوش عربية على المعادن

وقد نقشت في المعادن نصوص عربية عديدة تخلفت من عصر بني مرين، كتلك التي نراها فوق ثريات القرويين[1] التي كانت ناقوسا لأحد كنائس اسبانيا حمله المرينيون إلى المغرب وحولوه إلى هيئة الثريا ونقشوا عليه (اليمن والاقبال) مكررة بطول الدائرة والآية الكريمة ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي بمكة مباركا وهدى للعالمين... الآية ﴾.

ولازال بقبة بلاط القرويين السادسة ناقوسا يحمل نقشا لاتينيا حوله المرينيون إلى ثريا ونقشوا أسفله نصا عربيا بالخط النسخي (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما. قل هو الله أحد.. السورة ثم سورة الفاتحة) كما نقشوا بالخط الكوفي (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) بدائرته السفلى.

ولعل من أهم النقوش التاريخية على المعادن نص التأسيس الذي أمر به السلطان أبو الحسن لينقش على الناقوس الذي عاد به ولده الأمير أبو مالك من جبل طارق ونقرأ فيه (الحمد لله وحده، أمر بتعليق هذا الناقوس المبارك مولانا أمير المسلمين وناصر الدين أبو الحسن بن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي سعيد ابن أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق أيد الله سلطانهم وأسعد عصرهم وزمانهم وهو الناقوس الملفى بجبل الفتح حرسه الله افتتحه بعون الله وتأييده أمير المسلمين أبو الحسن أيده الله ونصره على يد ولده الأمير الأسعد أبي مالك عندما كان مولانا أيده الله محاصرا لمدينة سجلماسة[2] ومن المؤسف تلف ذلك النقش[3] الذي روى نصه واسم ممليه صاحب زهرة الآس.

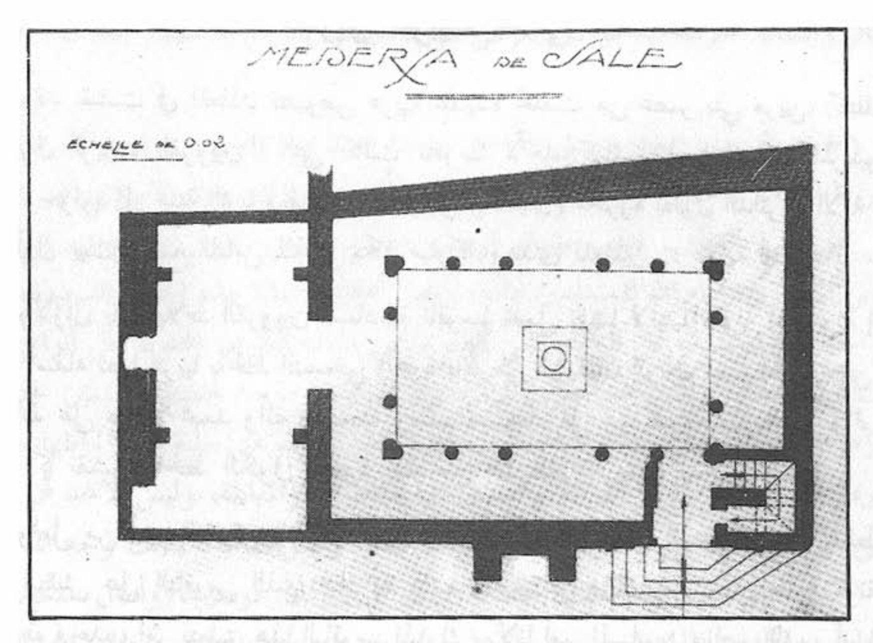
ومن نماذج النقوش العربية التأسيسية والدعائية ما حفر في معادن الامداد النبوية المصنوعة بأمر ملك المرينيين السلطان أبي الحسن التي مرت دراستها مع التحف المعدنية.

---

(1) جامع القرويين ج 2 ص 328 وهي ثريا القبة الرابعة من جهة القبلة.

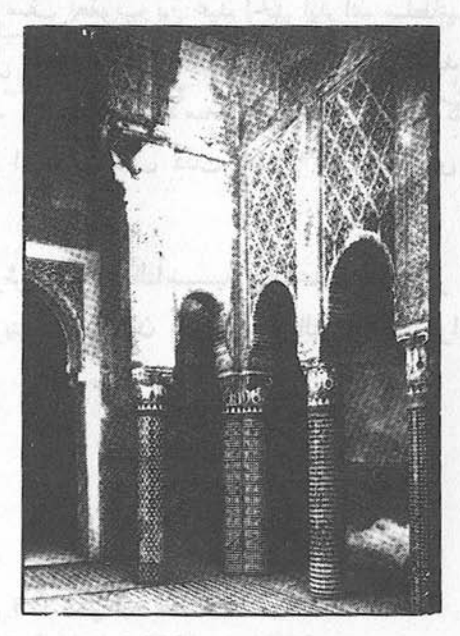
(2) زهرة الآس، المطبعة الملكية بالرباط طبعة 1967 ص 76/75.

(3) جامع القرويين ج 2 ص 330/329 وصفحة 348 هامش 76 ونحن نشاطره الرأي في احتمال تلف النقش بأيدي علماء الاستعمار وقت المحنة السياسية أثناء نفي جلالة الملك محمد الخامس رحمه الله.



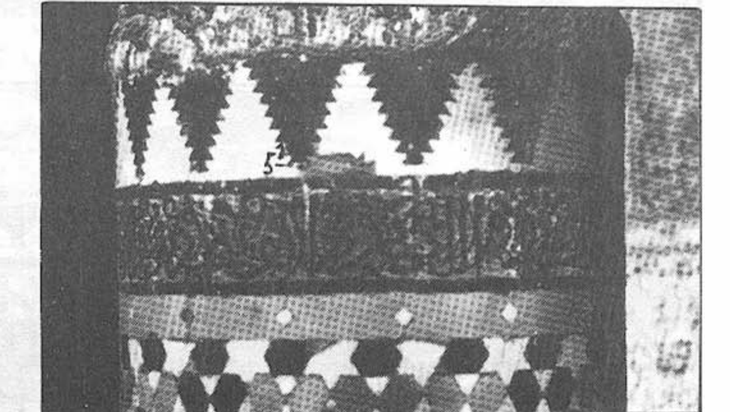
شكل 289

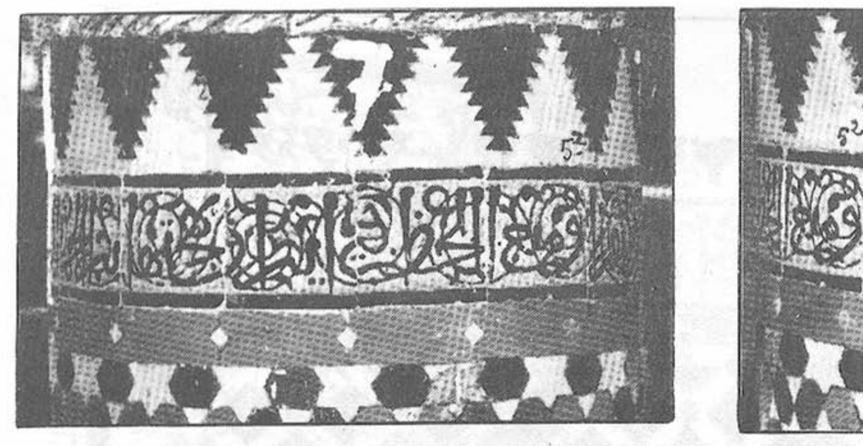
تخطيط مدرسة الطالعة بسلا حيث تدور النقوش بالجدران وسواري الصحن

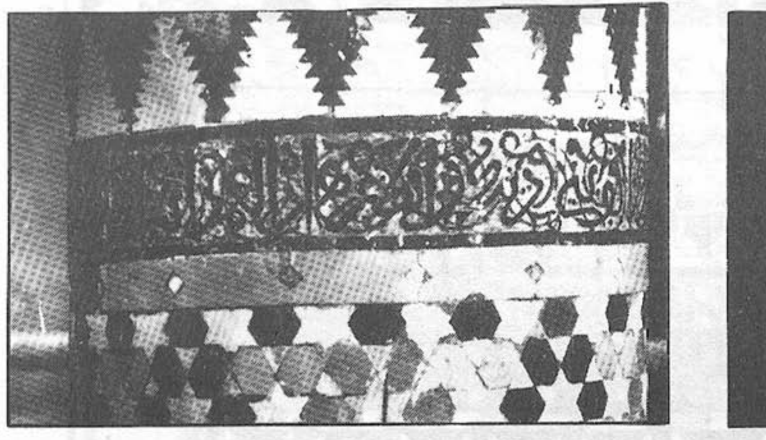


شكل 290

جانب من صحن مدرسة ابى الحسن بسلا وسواري الصحن التي رممت بعض كتاباتها

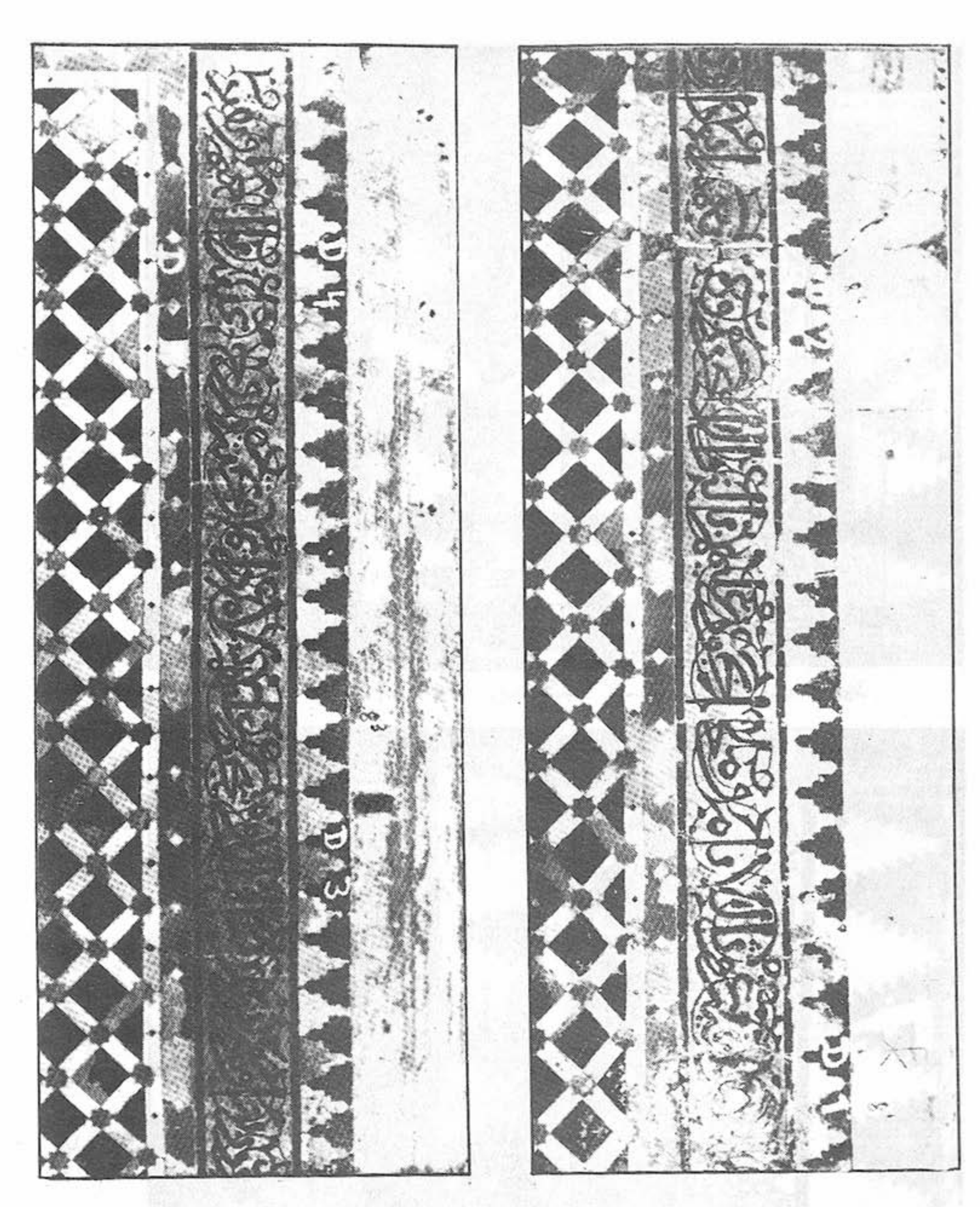






شكل 291

نقوش عربية في الزليج المقشر بسواري صحن مدرسة ابى الحسن بسلا (مجموعة خاصة اعدها الدكتور جاستون دفردان ودفعها الينا 1958 ولم تنشر الى الآن)



شكل 292

نقوش عربية في الزليج المقشر بجدران الصحن بمدرسة ابي الحسن بسلا (من مجموعة الدكتور دفردان لدينا ولم يسبق نشرها)



شكل 293

رخامة تأسيس الصومعة فوق مدخل صومعة مسجد ابن صالح بمراكش

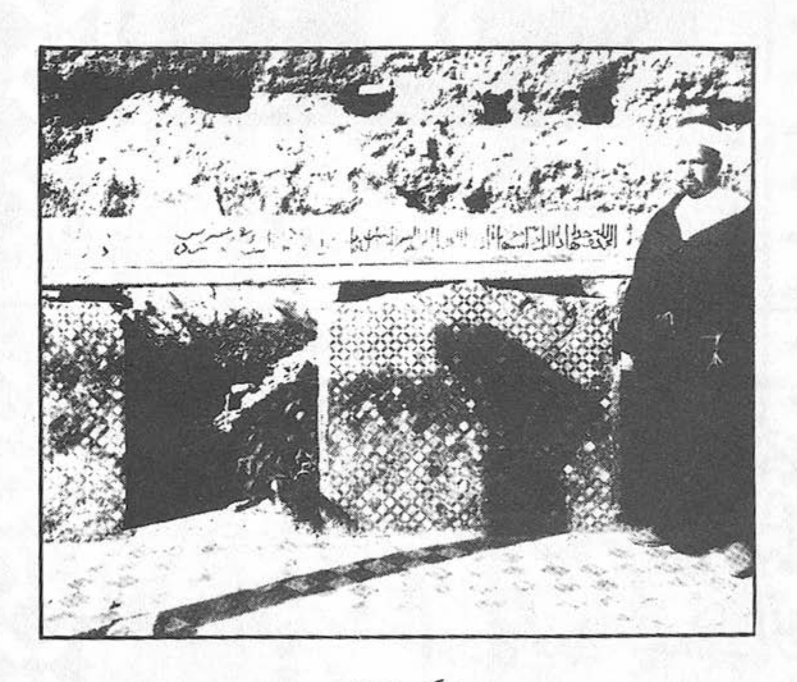


شكل 294

رخامة نقش التأسيس لصومعة مسجد ابن صالح بمراكش بالزليج المولف

4 – النقوش العربية في النسيج

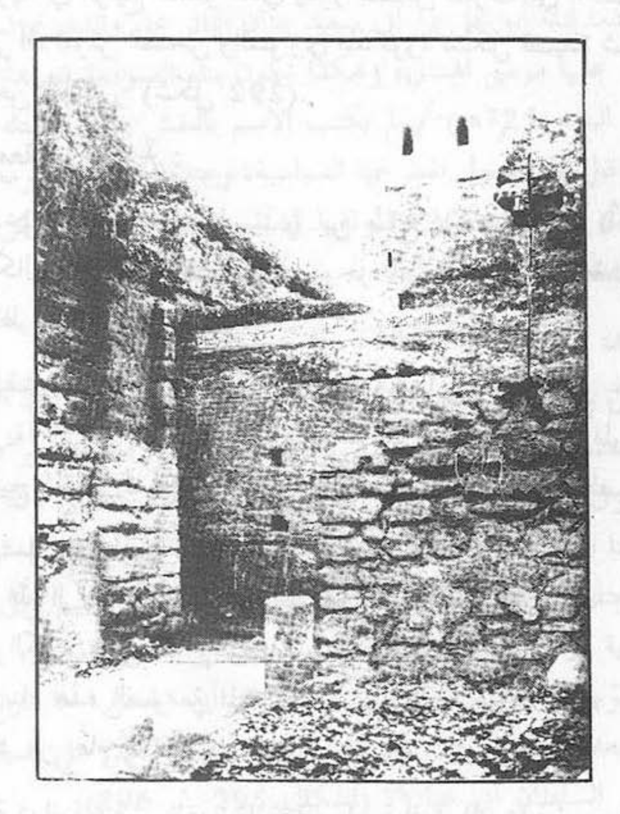
ومن أمثلة الكتابة المنسوجة ما وجد على علم السلطان أبي الحسن الموجود حاليا بكنيسة طليطلة بعد أن محص الله المسلمين بواقعة طريف سنة 741 هـ فقد نسج بأعلى العلم بحروف بيضاء عبارة نصها (النصر والتمكين والفتح المبين لمولانا أبو الحسن أمير المسلمين) كما نقش بالمتن داخل دوائر بأحرف سوداء عبارات منها (وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) و(الحمد لله على نعمه) و(الملك الدائم) و(العز القائم) و(اليمن الدائم) بالاضافة إلى نص بذيل القطعة يشير إلى أن العلم صنع للسلطان في المدينة البيضاء في شهر جمادى الآخر عام أربعين وسبعمائة.



شكل 295

نقش تأسيس بالزليج المولف لزاوية أبى سعيد عثمان بشالة بعد جمع حروفه بحفريات بوريلي والأميرة المصرية قبل حفائرنا بالموقع 1959 م

أما العلم الآخر رهين الأسر مع المثال السابق فقد نسج بأعلاه (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) وفي الشريط العمودي الأيمن (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله) وفي الشريط الأفقي الادنى تكملة الآية (بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) ثم (وما النصر إلا من عند الله) (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) (نصر من الله وفتح مبين) (وما توفيقي إلا بالله) وفي الشريط العمودي الأيسر نسجت الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنَجِّيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. ونقش في ستة عشر هلالاً بالمتن عبارة (لا إله إلا الله) و(محمد رسول الله)[1] موزعة بالتساوي على عدد الأهلة المذكورة.



شكل 296

نقش تأسيس زاوية ابي سعيد عثمان بشالة بموضعها الحالي بجدار الزاوية

(1) محمد عبد الله عنان : الآثار الأندلسية الباقية ص 86/85.

5 ـ النقوش العربية في الزليج

نقش التأسيس بالمدرسة العجيبة

وكان من أمثلة ما نقشه فنانو العصر المريني في الزليج نقش التأسيس بواجهة مدرسة أبي عنان بسلا المعروفة بالمدرسة العجيبة التي تشغلها محكمة سلا اليوم[1].

نقوش صحن وسواري مدرسة أبي الحسن بسلا :

النقوش العربية في الزليج المقشر الذي يدور بصحن مدرسة أبي الحسن بسلا وأعمدته، ومن الجدير بالذكر أن نقوش الصحن والسواري المذكورة تشكل قصيدة شعرية كاملة موزعة على جدران الصحن المذكور (شكل 292).

نقش صومعة ابن صالح :

ويرتقي مدخل صومعة مسجد سيدي ابن صالح بمراكش لوحة تأسيسية نقشت في الزليج المولف (أشكال 293 ـ 294). وهذا موجز لدراستي المباشرة للنقش سنة (1958م) وقراراته وتحليل الظروف التي أملي فيها.

لقد بقي النقش التأسيسي المحفور في الزليج سليما إلى اليوم على حالته الأولى، وهو كما نرى صنع بطريقة الزليج المولف، وقد سبق لنا شرح تقنية الزليج المولف الذي يكون أقل جمالا من الزليج المقشر لصعوبة نقش الحروف الهجائية في المادة الصلبة.

والنقش يشتمل على أربعة أسطر على النحو التالي :

1 – بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد
2 – النبي الكريم وعلى آله وصحبه وسلم تسليما
3 – ابتدأ بناء هذه الصومعة المباركة في غرة شهر رجب الفرد
4 – المبارك من عام إحدى وعشرين وسبعمائة.

وتتعلق أهمية دراسة النقش بأمور تاريخية سياسية أدت إلى عدم تسجيل أي اسم بالنص مما سبب تضارب أقوال المؤرخين في تأريخ المجموعة الأثرية المشتملة على مسجد ومسيد وصومعة.

فتاريخ بناء الصومعة (721هـ) يدخل في مدة حكم السلطان أبي سعيد عثمان

---

(1) عن تاريخ المدرسة وتطورها عمارة واستعمالا راجع كتابنا تاريخ شالة الاسلامية ولوحات 24 ـ 26.

(710 ــ 731هـ)، فرغم قول تيراس وباسيه في دراستهما (مساجد وحصون الموحدين) أن الصومعة بناها أحد المواطنين لعدم اشتمال النقش على اسم السلطان، فإننا نرى غير ذلك فقد بنيت الصومعة بأمر أبي سعيد عثمان أو أمر ولي عهده أبي الحسن اذ لم تشتمل كثير من مباني ملوك المرينيين على لوحات تأسيسية بالاسم.

لقد أوضحت بالأبحاث التاريخية بكتابي حفائر شالة الاسلامية عند دراسة مجموعة ابن صالح الأثرية بمراكش أن السلطان أبا سعيد عثمان حضر مع ولي عهده أبي الحسن إلى مراكش سنة (720هـ) وأصدر الأمر بالبناء وعقد على مراكش الى جندوز بن عثمان الذي بقي بها إلى عام (722) عندما قتله أبو علي بن أبي سعيد عثمان الثائر على والده، ثم استرجع أبو سعيد عثمان مراكش وولى عليها موسى الهنتاني، وهكذا يكون بناء الصومعة قد بدأ باشراف كندوز والي مراكش وقت البناء (721هـ) ثم لم يكتب الاسم بالنقش بسبب مقتله على يد أبي علي ابن أبي سعيد عثمان قبل تمام فصول المسرحية السياسية، وعندما تم بناء الصومعة الشاهقة المنيفة خلال عام (722هـ) أثناء عدم انجلاء الموقف السياسي كان المخرج الممكن وقتها أن ينقش النص خاليا من الاسم[1].

نقش تأسيس زاوية الخلوة بشالة :

نقش تأسيس زاوية أبي سعيد عثمان بزاوية الخلوة داخل حرم شالة الاسلامية، ونصه الحالي (الحمد لله وحده هاذه الزاوية أسسها مولانا العالم العامل الخليفة أمير المؤمنين السلطان أبو سعيد عثمان المتوفى في خمسة وعشرين من ذي القعدة عام احدى وثلاثين وسبعمائة). لقد تمخضت دراستنا لهذا النقش عن نتائج بالغة الاهمية فقد حددت عبارته الصريحة (الزاوية) صفة البناء الذي اختلف في شأنه جميع الرحالة والأثريون المشار إليهم وإلى أبحاثهم بكتابنا حفائر شالة الاسلامية والذين اعتبروه مسجداً نسبوه إلى أبي الحسن المريني، بينما أفصح النص كما نرى عن اسم مؤسس الزاوية أبي سعيد عثمان والد أبي الحسن. أما تاريخ صنع النقوش فقد أرجعناه إلى ما بعد حياة السلطان أبي عنان بسبب اشتمال النقش على لقب (أمير المؤمنين) الذي لم يتخذه غير السلطان أبي عنان[2] (أشكال 295 ــ 296).

---

(1) كتابنا حفائر شالة الاسلامية ص 403/401.

(2) راجع تفصيل ذلك ومناقشتنا للمشكلة ورأينا فيها بالمرجع السابق نفس الفصل.

6 ــ النقوش العربية في الرخام

وسوف نختتم هذا البحث بعدة نماذج من الكتابات الأثرية نقشت في الرخام ولعلها تشتمل على أكثر النقوش التاريخية والتأسيسية الباقية أهمية نظرا لاحتمال مادة الرخام وطول مقاومتها للتلف وعمق الحروف الهجائية بها، في حين تكون بقية النقوش على الحجر والجص والخشب وغيرها أسرع الى التلف أو التزييف والطمس.

وهكذا نعرض أمثلة من تلك النقوش التي خلدت أعمالا معمارية بالجوامع والزوايا والحمامات والسقايات والمرافق العامة ثم شواهد القبور وأخيرا نختم تلك النماذج بنصين تأسيسيين يتعلقان بالمدارس المرينية يعكسان علينا أسلوب ذلك العصر وأنواع العمائر المحبسة والغرض من التحبيس واسم المحبس وتاريخ التحبيس كوثائق أثرية من الدرجة الأولى لا يتسرب إليها الشك.

1 ــ نقوش الرخام بالمساجد :

نقش الزيادة المرينية بمسجد تازا الكبير :

ففي مسجد تازا الكبير لوح تأسيسي[1] يتعلق بالزيادة التي أضافها المرينيون إلى المسجد الموحدي الأول. ويحل هذا النقش كثيرا من الغموض الذي يحيط بتحديد معالم المسجد الموحدي وحدود وصفة الزيادة المرينية كما أنه يحدد الأسماء والتواريخ. والنقش بالخط المغربي النسخي الجميل من خمسة عشر سطرا يشتمل السطر في المتوسط على سبع كلمات ولا يخلو من أخطاء املائية من السهل ملاحظتها مثل (زيدة) بدل (زيدت).

وقد نقشت التعويذة في سطر مستقل تليها البسملة والتصلية في سطر آخر مستقل ثم يبدأ النص الذي يبلغ ثلاثة عشر سطرا ونقرأ منه (شكل 297) :

1 – أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
2 – بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد
3 – أما بعد أمر أمير المسلمين وناصر الدين أبي
4 – يعقوب ابن أمير المسلمين المجاهد في
5 – سبيل رب العالمين أبي يوسف (أسماه) الله
6 – وخلده بينا الزيادة التي زيدة في هذا
7 – الجامع شرفه الله وذلك أربعة بلاطاة
8 – في قبلته وبلاطان شرقي وغربي (مع) الصحن الذي

---

(1) شكل 144 بكتاب ماسلوف عن مساجد فاس وشمال المغرب والدراسة التي قام بها ليفي بروفنسال بآخر الكتاب المذكور ص 178.

ثم يحدد النقش في السطرين 11 و12 تاريخ البداية والنهاية في العمل :

11 – وابتديء في مفتتح ربيع الأول في العام المنصرم (...)

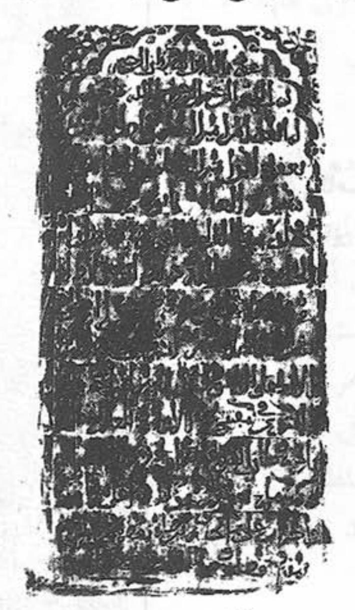
12 – ... وكان الفراغ منه في أواخر شوال إحدى وتسعين

13 – وستمائة...

ثم اختتم النقش السطر الخامس عشر بالتصلية. ويكون قد حدد مدة العمل في الزيادة المرينية بعشرين شهرا ابتداء من مفتتح ربيع الأول من عام 690 إلى آخر شوال عام 691 كما حدد اسم سلطان المرينيين الذي أمر بتلك الأعمال. ومن جهة أخرى يكون النقش قد أنهى الشك والخلاف الذي حام حول عدد أساكيب المسجد الموحدي الأول، بين ماسلوف ومارسيه، حيث حدد النقش الزيادة بأربعة أساكيب (أربعة بلاطات في قبلته) وحيث يشتمل المسجد الحالي على ثمانية أساكيب من الصحن الى جدار القبلة.

نقش تأسيس وتحبيس مسجد أبي الحسن بفاس :

ومن اللوحات التأسيسية للمساجد كذلك لوحة تحبيس تتعلق بمسجد أبي الحسن بفاس تشتمل صراحة على اسم السلطان أمير المسلمين أبي الحسن والأعيان التي حبسها من حوانيت وحمامات وخلافها لصالح دار الامام مع تاريخ رمضان من عام 742هـ[1] (شكل 298.



شكل 297

نقش تأسيس في الرخام للزيادة المرينية بمسجد تازا الموحدي

(1) مساجد فاس وشمال المغرب، دراسة بروفنسال المتعلقة بالنقوش العربية ص 175 وشكل 141.

نقش تأسيس الجامع الكبير بفاس الجديد :

ومن أواخر عصر الدولة المرينية تبقى نقش تأسيسي يتعلق بالجامع الكبير بفاس الجديد يذكر صراحة اسم السلطان أمير المسلمين المستعين بالله أبو فارس ابن أمير المسلمين المستنصر بالله أبو العباس ابن السلطان أمير المسلمين المستعين بالله أبو سالم ابن السلطان أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبو الحسن وتاريخ 17 ربيع الأول من سنة 798هـ متبوعا باسم الناظر ادريس بن أحمد[2].

وأثناء دراساتي الميدانية بفاس الجديد شهر مارس سنة 1981م تفرغت لبحث موقع الرخامة التأسيسية بالجامع الكبير وقراءتها، وهي إلى هذا التاريخ تقع في الاسكوب الثاني من جهة القبلة بنهايته الشرقية (أي على يسار الواقف في المحراب للصلاة) ملتصقة بالحائط على ارتفاع (2.75) مترا في موضع لا يمكِّن المصلين من قرائتها.



شكل 298

نقش تأسيس في الرخام بمسجد ابى الحسن بفاس

2) نفس المصدر ص 176 وشكل 142.

والنص المنقوش في الرخام بطول (22) سطرا من الصعب قراءته بأكمله، وقد رأيت عرض المهم منه على النحو التالي :

السطر (1) : الحمد لله أمر ببناء هذا السبع المبارك مولانا السلطان أمير المسلمين
السطر (2) : المستنصر بالله أبو فارس بن مولانا السلطان أمير المسلمين المستنصر بالله
السطر (3) : أبي العباس أحمد بن مولانا السلطان أمير المسلمين
السطر (20) : حبسه عليهم وذلك ابتغاء وجه الله العظيم...
السطر (21) : السابع عشر ربيع الأول من عام ثمانية (وتسعين).
السطر (23)... (اشكال 226 — 227).

والآن فإن المهم أن النقش بدأ بانه (أمر ببناء هذا السبع السلطان أمير المسلمين أبو فارس بن أبي العباس أحمد بن أبي سالم...) فيتحدد بذلك اسم السلطان، ثم يأتي التأريخ بآخر النقش (17 ربيع الأول عام 798).

إن كلمة (ثمانية) مقروءة بالسطر رقم (21) وبعدها كلمة (وتسعين) وقد تبين لي عدم الخلط بين (وتسعين) و(سبعين) لأنني لاحظت بأمانة وحققت القراءة ففوق الحرف الأول (التاء) وجدتُ نقطتين الأولى منهما ضاع نصفها وبقيت النقطة الثانية سليمة مما يؤكد صحة القراءة (وتسعين)، ومن البديهي أن الكلمة الدالة على (المئات) المفقودة كانت (وسبعمائة)دون شك.

نقش خلوة الأسبوع العليا بجامع القرويين :

كما تبقت بعض النقوش المرينية على الرخام بخلوة الأسبوع العليا بالركن الجنوبي الغربي لجامع القرويين التي كان من بين أغراضها في رأي الدكتور عبد الهادي التازي اجتماع فقيهات فاس لسماع الدروس التي كانت تلقى من أهم كرسي علمي عرفه تاريخ القرويين. وعلى الرغم من أن ذلك البناء شيد بأمر السلطان أبي محمد عبد الله الغالب بالله السعدي سنة 970 هجرية تبعا لرواية ابن القاضي في الجذوة، غير أن بعض السوارى تحمل نقوشا مرينية جعلت الدكتور التازي يعتقد بأن السلطان أبا فارس عبد العزيز المريني قد نصبها وأعدها لعمل معماري لم يتم بسبب وفاته. لقد نقشت على الخاتم الأعلى بالعمود الأوسط البسملة والتصلية على النحو التالي :

(بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله).

ونقوش على العمود الجنوبي تجاه القبلة نص تاريخي تأسيسي يحدد التاريخ واسم الأمير على النحو التالي :

(أمر بعمل هذه السارية مولانا السلطان أبو فارس عبد العزيز عام سبع مائة وسبعين).

كما نقش على العمود الشمالي ما نصه :

(أمر بعمل هذه السارية السعيدة مولانا السلطان عبد العزيز) ثم نقشت بواسطتها عبارة دعائية نصها :

(النصر والتمكين والفتح المبين).

وقد لاحظ الدكتور التازي وجود مقاطع شعرية منحوتة في الواجهات العليا لكل سارية تبين من خلالها اسم السلطان عبد العزيز المريني المذكور ومنها :

نجم فويق قطعة من السحاب الأبيض ... كأنما مذهب منها على مفضض

دام أبو فارس في عز وفي عيش رضى ... مـــان بهـــا مـــن عـــــوض[1]

---

(1) جامع القرويين ج 2 ص 334 — 336 وتعليق 108 ص 351 لبقية النصوص التي حاول قراءتها.

2 ــ نقــوش الــرخــام فــي الــزوايــا

لوحة تحبيس زاوية قرب تازا :

وإذا ما انتقلنا إلى النقوش العربية على الرخام بالزوايا، نذكر لوحة تحبيس على زاوية قرب تازا باسم الخليفة الامام المتوكل على الله أمير المؤمنين المجاهد في سبيل رب العالمين أبو عنان ابن أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبو الحسن مع تاريخ 754هـ[1]. وفي هذا النقش نلاحظ اختلافا في أسلوب الخط النسخي المغربي عن الأسلوب الذي نشاهده في نقش المرينيين بمسجد تازا سالف الذكر، على أن ما يعنينا هنا هو إبراز مسألة خاصة عنينا بها في عدة أبحاث سابقة وهي لقب (أمير المؤمنين) الذي يقترن باسم السلطان أبي عنان[2] بينما يحتفظ لوالده أبي الحسن وَمَنْ قبله بلقب (أمير المسلمين). ان النقش يؤكد ما سبق أن ذهبت إليه من اختصاص أبي عنان منفردا في تاريخ الدولة المرينية بلقب (أمير المؤمنين) ويؤكد مرة أخرى يقيني بأن نقش التأسيس بزاوية أبي سعيد عثمان بشالة المتوفى 731هـ لم يكتب إلا بعد وفاة السلطان أبي عنان 759هـ في وقت أمكن فيه استعمال لقب أمير المؤمنين جوار اسم السلطان المتوفى أبي سعيد عثمان جد السلطان أبي عنان.

نقش تحبيس على زاوية شالة :

وكان من النقوش الخاصة بالزوايا والمنحوتة في الرخام نقش التحبيس على زاوية شالة المعظمة الذي نشرناه بعد جمع أطرافه من عدة مصادر[3] والقيام بدراسات مقارنة لتحديد عدة سطوره ومساحة اللوحة الاصلية [4] وتاريخ نقشها وقراءتها ووصلنا إلى أن السلطان أبا الحسن قد أمر بنقشها لتخليد ما كان قد حبسه والده السلطان أبو سعيد عثمان الذي عودنا ألا يترك نقوشا تأسيسية أو لوحات تحبيس لما كان قد شيده في حياته. وقد لاحظت في دراساتي المقارنة مع لوحات التحبيس المرينية الأخرى بمنطقة الرباط وسلا ذكر نفس الأعيان المحبسة وأسماءها وأسلوب الخط والكتابة وكلها بتاريخ 742هـ من عصر أمير المسلمين أبي الحسن. وكانت الأهمية الكبرى لدراسة هذا النقش تتركز في المقام الأول في عبارة (زاوية شالة المعظمة) التي أيدت النقش المنحوت في الزليج باسم أبي سعيد عثمان بعد وفاته والمتعلق بتأسيس (زاوية شالة) التي كان المؤرخون والأثريون يعتبرونها مسجدا أقامها السلطان أبو الحسن المريني[5].

---

(1) ماسلوف : نفس المصدر ص 178 وشكل 145.

(2) راجع كتابنا تاريخ شالة الاسلامية للوقوف مفصلا على تطور الألقاب وكذلك كتابنا الثالث دراسات جديدة في الفنون الاسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى عند دراسة نقش التأسيس لزاوية أبي سعيد عثمان.

(3) راجع قصة جمع ذلك النقش بالفصل السادس من كتابنا الفنون الاسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى.

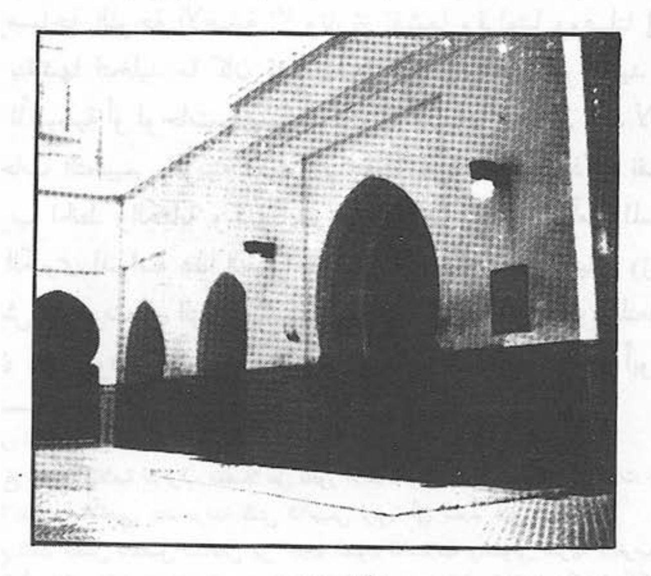
(4) طول النقش 24 أو 25 سطرا ومساحة اللوحة 119 × 66 سنتميترا انظر التفصيل بكتابنا المذكور.

(5) راجع تفاصيل ذلك بكتابنا حفائر شالة الاسلامية عن زاوية أبي سعيد عثمان بالخلوة ثم الفنون الاسلامية والنقوش العربية الفصل السادس حول دراسة نقش التحبيس على زاوية شالة المعظمة.



شكل 299

رخامة تحبيس الحمام الجديد بالرباط على زاوية شالة



شكل 300

موضع رخامة تحبيس الحمام الجديد بصحن الجامع الكبير بالرباط

3 ـــ نقــوش الــرخــام فــي الـحـمـامـــات

وبالنسبة للحمامات نذكر لوحة تحبيس الحمام الجديد (شكل 299 ـــ 300) على سبيل المثال وهو لوح أبيض من الرخام، الأرضية والحاشية والكتابة، مساحة 63 × 47 سنتيمتراً ويبلغ نصه 13 سطراً من الكتابة بالخط النسخي المغربي قليل التقعير والاستدارة من أسفل، تتساوى فيه نهايات الحروف العليا والسفلى دون تداخل كأنها رصت بانتظام بحروف غليظة تنقصها الرشاقة مع زخرفة نباتية من أوراق النخيل متعددة الأشكال. ويحمل النص اسم السلطان أبي عنان وتاريخ 755[1] وقد نقلت اللوحة من الحمام الجديد برباط الفتح المحبس على شالة إلى صحن الجامع الكبير بأول سوق الخرازين من الرباط وهذا نصه :

1 – الحمد لله وحده هذا ما حبسه مولانا الخليفة الامام المتوكل
2 – على الله أمير المؤمنين المجاهد في سبيل رب
3 – العالمين أبو عنان ابن مولانا أمير المسلمين
4 – المجاهد في سبيل رب العالمين أبي الحسن
5 – ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل
6 – رب العالمين أبي سعيد ابن مولانا أمير
7 – المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين
8 – أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق تقبل الله
9 – وبلغه في نصر الاسلام أمله الحمام الجديد برباط
10 – الفتح حرسه الله على ضريح مولانا المرحوم
11 – والدهم رضوان الله عليه واطعام المسا
12 – كين بشالة عمرها الله تعالى وذلك في عام
13 – خمسة وخمسين وسبعمائة...

(1) التفاصيل بكتابنا الفنون الاسلامية والنقوش العربية الفصل السادس. وقد سبق أن نشرها ليفي بروفنسال بالهسبريس 1922 فصلة 1 ـــ 2 ص 33 دون التفاصيل التي توصلنا إليها نتيجة الدراسة المباشرة لها والمقارنة مع لوحة تحبيس زاوية شالة.

4 ـــ نقــوش الــرخــام فــي شــواهـــد القبــور

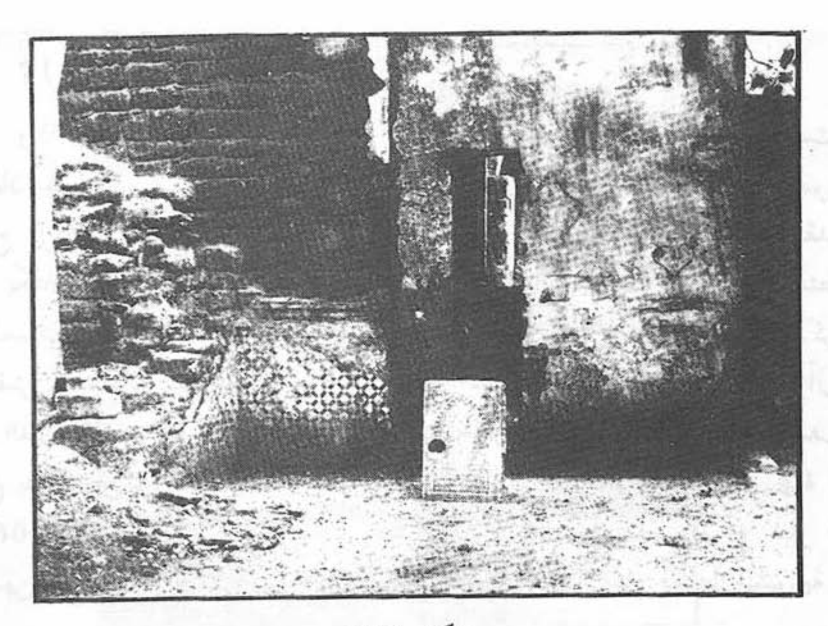
روسية السلطان يوسف :

وإذا كانت بعض النقوش التاريخية تنحت في الحجر أو الجص أو الخشب، غير أن النقوش التاريخية المتعلقة بشواهد القبور الخاصة بالملوك أو الوزراء فإنها تتخذ من الرخام. ومن الشواهد المرينية الشهيرة روسية[1] السلطان يوسف بن يعقوب المريني المقتول بتلمسان سنة 607هـ. وتستأثر الرخامة التي نقش عليها هذا النص بقصص تاريخية مطولة حيث تحمل في الأصل نقشا رومانيا بظهرها وزخارف مختلفة بجوانبها ثم نُقش عليها النص العربي بتلمسان أو المغرب وانتقلت من مكان لآخر وأعيدت ثم نقلت إلى أن استقرت أخيرا بمتحف الآثار القديمة في الرباط منذ عامين فقط (أشكال 301 ـــ 302).

ويشتمل النقش على 17 سطرا على النحو التالي :

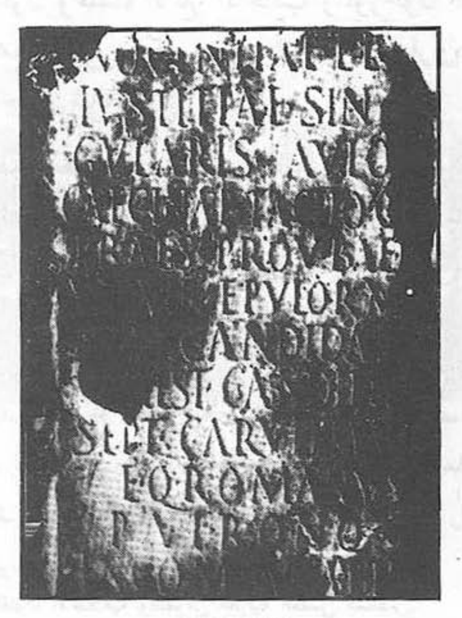
1 ــ أعوذ بالله
2 ــ من الشيطان الرجيم
3 ــ بسم الله الرحمن الرحيم
4 ــ صلى الله على سيدنا محمد
5 ــ وعلى آله وسلم تسليما
6 ــ كل من عليها فان ويبقى وجه
7 ــ ربك ذو الجلال والاكرام هذا قبر
8 ــ (سيـ) دنا ومولانا الملك العابد (...)
9 ــ (...) المجاهد الشهيد أمير المسلمين
10 ــ (وناصر) لدين المقدس المرحوم أبي
11 ــ (يعقوب) ابن مولانا الملك العادل الزا
12 ــ هـد المرابط الصالح أمير المسلمين ونـ
13 ــ اصر الدين المقدس المرحوم أبي
14 ــ يوسف بن عبد الحق قدس الله
15 ــ روحه وشرف ضريحه توفى شهيدا

(1) شاهد القبر الرأسي يسمى روسية وهو مستطيل الشكل ليوضع عند رأس الميت أما الشاهد المنشوري فيسمى جنابية بالجزائر ومقبرية بالمغرب. انظر تفصيل ذلك بكتابنا الفنون الاسلامية والنقوش العربية عند دراسة نقش السلطان يوسف بالفصل السادس.



شكل 301

رخامة شاهد قبر يوسف بن يعقوب المريني بموضعها من خلوة شالة وقت حفائرنا الأثرية 1957 م، وقد نقلت أخيراً إلى متحف الاثار القديمة بالرباط



شكل 302

النقش الروماني خلف رخامة شاهد قبر يوسف المريني

16 – في يوم الأربعاء السابع لشهر ذي
17 – القعدة عام ستة وسبعمائة.

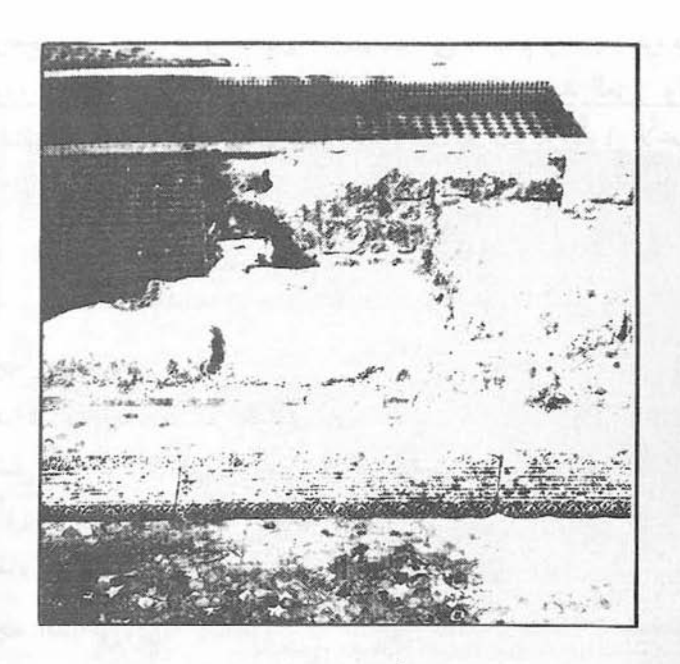
وإذا كان هنري باسيه وليفي بروفنسال يعتقدان أن تلك اللوحة نقشت بعد نقل السلطان يوسف المريني من المنصورة إلى شالة، فإننا نعتقد أن النص نقش في منصورة تلمسان ووضع على قبر السلطان يوسف هناك ثم نقلت مع جثمانه بعد ذلك إلى شالة. لقد أوضحت سابقا بكتابي الفنون الاسلامية والنقوش العربية أن أصل استخدام الشواهد المستطيلة ينسب إلى تلمسان، كما أن الظروف السياسية والحربية اضطرت الخطاط إلى اغفال ذكر المنصورة في النقش لاستحالة بقاء قبر يوسف في منطقة النزاع الساخنة بين بني مرين وآل يغمراسن الأمر الذي يؤيده تصرف السلطان أبي ثابت عامر الذي بويع بعد جده يوسف فاستشار أشياخ بني مرين في أمر حصار تلمسان وأشاروا بالرحيل فارتحل عنها في غرة ذي الحجة عام 706هـ[1]، ومما يزيد في اعتقادنا بنقش تلك الرخامة في تلمسان هو خلو شالة مقبرة المجاهدين من بني مرين من أي شاهد آخر مستطيل من الرخام فكلها منشورية الشكل[2].

شاهد قبر أبي العباس أحمد :

ولسوف أجدني مضطرا هنا لاعطاء موجز مقتضب عما عرف سابقا بشاهد أبي العباس أحمد الذي أجمع المؤرخون وعلماء الآثار الأجانب والمؤرخون العرب المغاربة على نسبته إلى السلطان أبي العباس أحمد المريني وذكروا تاريخ الوفاة الذي قرأوه بالنقش وأرخوا على أساس ذلك بناء أحد قباب خلوة شالة.

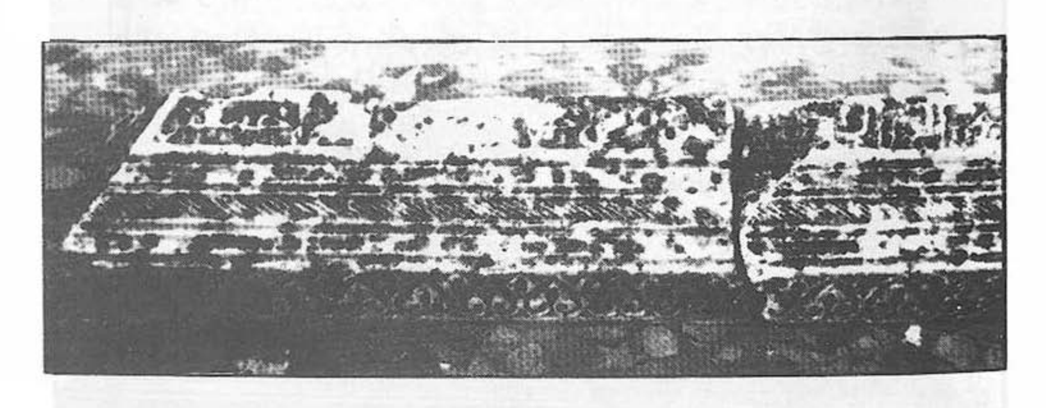
لقد كرست جهودا كبيرة لأبحاث مستفيضة بكتابي الفنون الاسلامية والنقوش العربية لدراسة ذلك النقش وتصحيحه وإعادة كتابة التاريخ الصحيح لمنشآت شالة التاريخية بكتابي تاريخ شالة الاسلامية كما أوضحت أن حياة السلطان المستنصر بالله أبي العباس أحمد بن أبي سالم إبراهيم بن أبي الحسن المريني، الذي مات بتازا ونقل الى مدافن القلة بفاس لا علاقة لها مطلقا بقصة الشاهد المذكور ولا تتعلق بالتواريخ المنقوشة فوقه من قريب أو بعيد. وبعد تصحيح القراءة وتحديد التواريخ الصحيحة والاسم الأصلي لصاحب المقبرية ألقيت أضواء جديدة على حياة ذلك الأمير المريني وهو الأمير أبو الفضل محمد أخ أبي العباس أحمد وابن

(1) راجع القصة بروض القرطاس.
(2) انظر التفاصيل بكتابنا الفنون الاسلامية والنقوش العربية الفصل السادس.
أما النقش الروماني بظهر النقش العربي في رخامة يوسف فقد نُشِرَ في :
Bulletin Arch. de commité de trav. Hist. 1941 - 1942, P. 370



شكل 303

شاهد القبر المنسوب إلى ابى العباس احمد كما هو مكسور إلى أجزاء بخلوة شالة



شكل 304

تفصيل نقش شاهد القبر المنسوب إلى ابى العباس احمد

أبي سالم ابراهيم وقد دفعه طموحه إلى الاستيلاء على الحكم واستبد بمراكش وأقام بها رسم الملك واستوزر واستلحق إلى أن وقع في أسر عمه السلطان عبد العزيز وهلك سنة 769هـ بتادلا بعد استقلاله بمراكش ثمانية أعوام ثم نقل في بداية الدولة الأولى لأخيه أبي العباس أحمد سنة 755 إلى شالة.

وهذا هو نص النقش على مقبريته (أشكال 303 ــ 304) بعد تصحيحنا لأخطاء هنري باسيه وبروفنسال ومحمد بوجندار والسيد بن علي الدكالي :

الوجه الخارجي :

الحمد لله وحده هذا قبر مولاي أبي الفـــ

(ــضل أخ مولانا) أبي العباس بن مولانا أبي سالم ابن مولا

نــا أبي الحسن ابن موالينا الخـــ

(ــلفاء الراشد) ين رحمـــ (ــة الله عليهـــ) ــم أجمعين

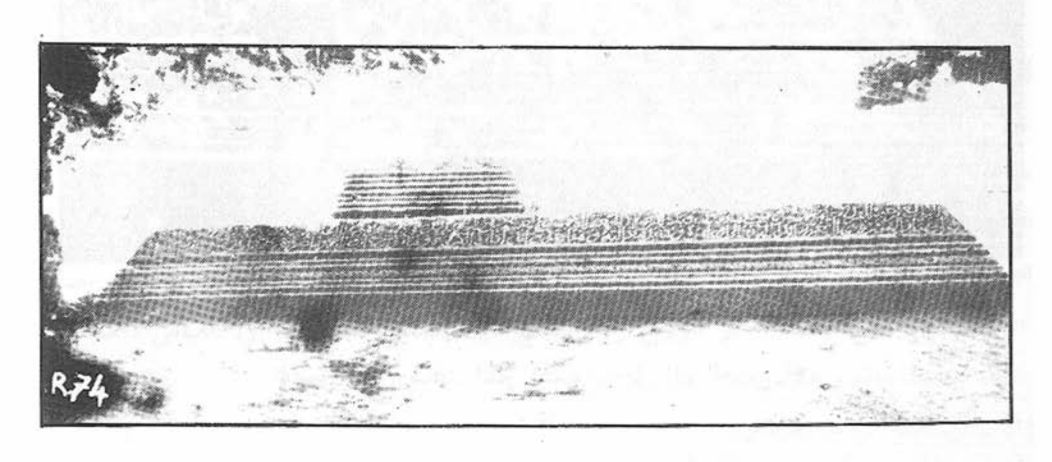
الوجه الداخلي :

توفي رحمه الله في يوم الخميس

السابع شوال عام تسعة

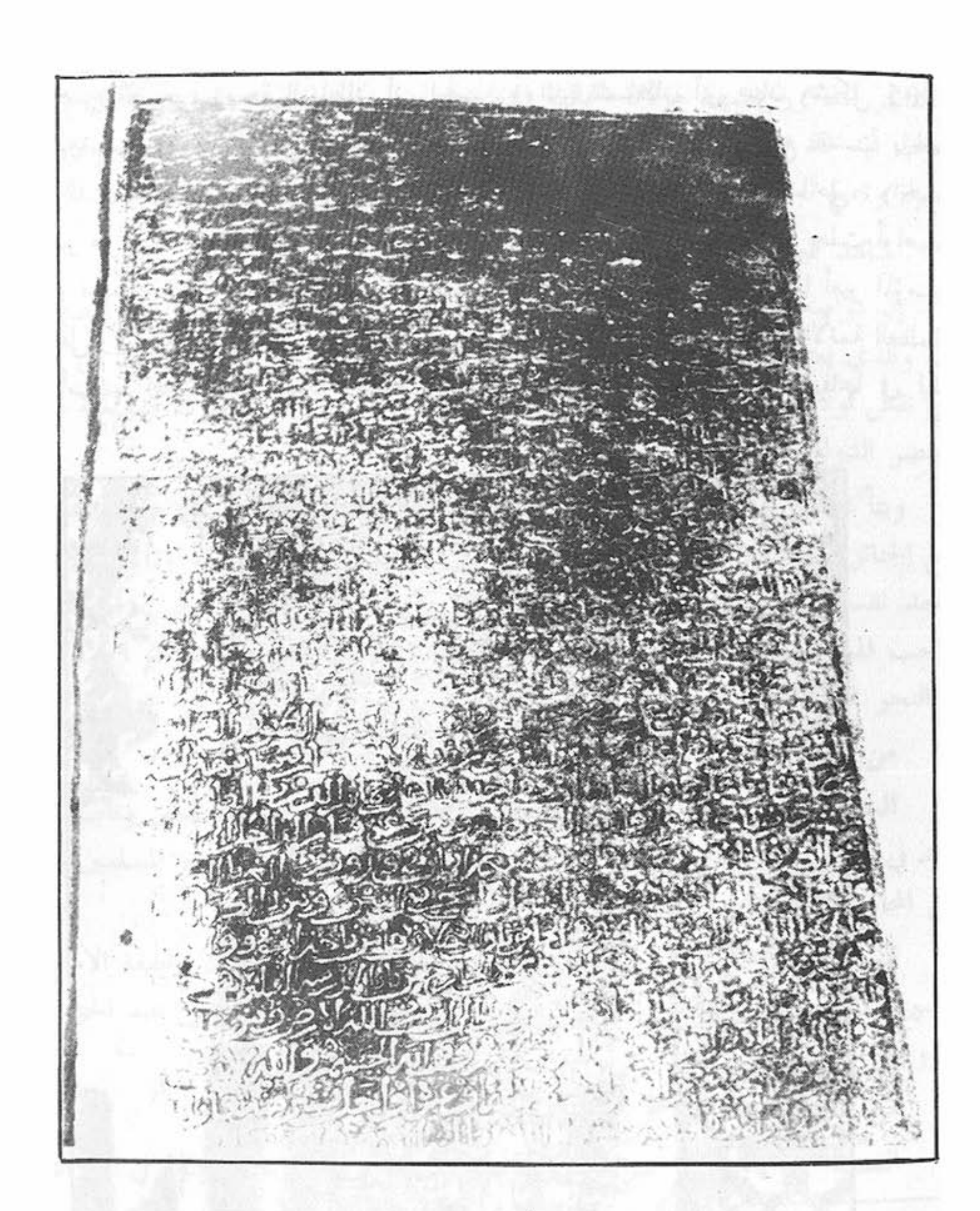
وستين وسبعمائة ودفن بالبقعة

(المقدسة والحرم المـــ) ــكرم في الموفى لعشرين من جماد الاول عام ستة وسبعين وسبعمائة.



شكل 305

شاهد قبر شمس الضحى زوجة ابى الحسن ووالدة ابى عنان المريني

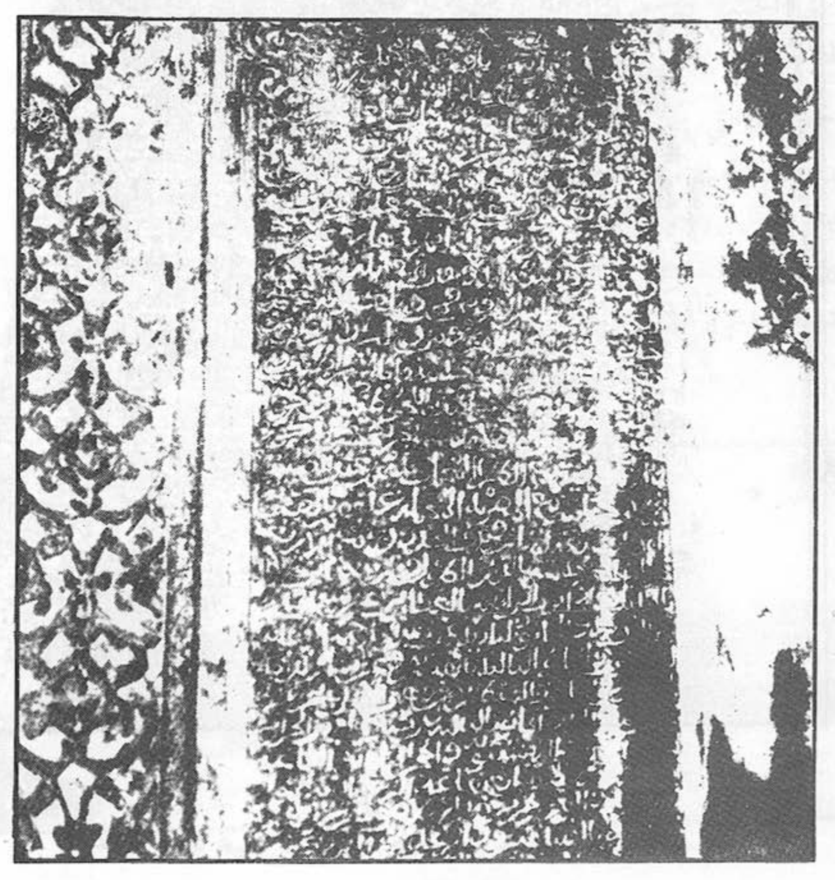


شكل 306

رخامة لوحة تحبيس ابى سعيد عثمان على مدرسة فاس الجديد

شاهد قبر شمس الضحى :

ولازال من أجمل شواهد القبور الرخامية التي تحمل نقوشا عربية تاريخية شاهد قبر الأميرة شمس الضحى زوجة السلطان أبي الحسن ووالدة السلطان أبي عنان (شكل 305) انه شاهد منشوري الشكل من الرخام الأبيض يحمل التاريخ والأسماء بوضوح نقشت بالخط النسخي الذي يقترب من الأسلوب الأندلسي وهذا نص ما نقش على الوجه الداخلي : (الحمد لله هذا قبر مولاتنا الحرة الطاهرة التقية الصالحة أم السلطان الخليفة الامام الذي جلت أواصفه (أوصافه) الجميلة ومحامده الجليلة عن أن تحصى بلسان أو ترسم ببيان مولانا أمير المؤمنين المتوكل على رب العالمين أبا (أبي) عنان ابن أمير المسلمين أبي الحسن بن الخلفاء الأئمة العظماء الأعيان أسكنها الله فسيح الجنان وتلقاها بالعفوة (العفو) والغفران وكانت وفاتها في ليلة السبت).



شكل 307

لوحة تحبيس مدرسة العطارين بفاس القديم

وقد نقش على الوجه الخارجي بقية النص الذي يشتمل على التاريخ على النحو التالي :
(الرابع لرجب الفرد عام خمسين وسبعمائة ودفنت في أثر صلاة الجمعة الخامس والعشرين من الشهر المذكور بمشهد مولانا الخليفة المنصور ومن وفد لحضور دفنها من أعيان المشرق والمغرب أيد الله تعالى أوامره وشيد معاليه ومفاخره وأبد آثاره الكريمة ومآثره وكان وليه وناصره وجمع له بين خير الدنيا والآخرة بمنه)[1].

شاهد قبر أبي الحسن :

إن دراسة تلك الشواهد بالاضافة إلى شاهد قبر السلطان أبي الحسن (752هـ) القائم بشالة والذي يعتبر أجمل شاهد قبر مريني كشف حتى اليوم (وهو خلاف شاهد أبي الحسن الذي نقش أولا بمراكش)[2]، لتشهد كلها بمدى التطور الذي بلغته الخطوط النسخية المغربية في عصر الدولة المرينية.

ويتأكد لنا ذلك مرة أخرى من دراسة شاهد قبر أمير المؤمنين أبي عنان (759هـ) بجامع الجنائز[3] بالمسجد الكبير بفاس الجديد الذي يضم كذلك شاهد قبر (760هـ) واعظ المسجد نفسه الفقيه الخطيب محمد أبو سعيد[4] ابن العالم والوزير الخطيب ابن مرزوق (صاحب المسند) تبركا به. أما نقش شاهد أبي الحسن فقد نقش به سطران في كل وجه على النحو التالي :

من الخارج :

السطر الأول : هذا قبر مولاي السلطان الخليفة الامام أمير المسلمين وناصر الدين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي الحسن ابن مولانا السلطان الخليفة الامام أمير المسلمين وناصر الدين المجاهد في

السطر الثاني : سبيل رب العالمين أبي سعيد ابن مولانا السلطان الخليفة الامام أمير المسلمين وناصر الدين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق قدس الله روحه

من الداخل :

السطر الأول : ونور ضريحه توفي رضي الله عنه وأرضاه بجبل هنتاتة في ليلة الثلاثاء

---

(1) راجع التفاصيل وعرض أخطاء المستشرقين في دراسة وقراءة النص وتصحيحنا لذلك كله بالمصدر السابق نفس الفصل.

(2) عن شاهد قبر أبي الحسن بمراكش، راجع النص والصورة هسبريس 1922 فصلة 1 هنري باسيه وليفي بروفنسال وانظر كتاب دفردان عن نقوش مراكش ص 75.

(3) روضة النسرين ص 23 (أبو عنان مولده بالمدينة البيضاء... ودفن بجامع المدينة البيضاء).

(4) كتابنا حفائر شالة الاسلامية الفصل السادس والعمارة الاسلامية لمارسيه ص 271 والفرد بل الجريدة الآسيوية يوليو — أغسطس 1917 ص 100.

السابع والعشرين لشهر ربيع الأول المبارك من عام اثنين وخمسين وسبعمائة وقبر في قبلة

السطر الثاني : جامع المنصور من مراكش عمره الله بذكره ثم نقل من هنالك إلى هذا الضريح المبارك من شالة ألحقه الله رضوانه وبوأه جنانه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم.

هذا ولاشك في أن النص أمر به وأملاه خليفته وابنه أمير المؤمنين أبو عنان وأوضح به بعض الحقائق التاريخية المتعلقة بالملك المخلوع الذي استشهد بجبل هنتاتة ودفن أولا بقبلة مسجد القصبة بمراكش قبل نقله أخيرا إلى القبة التي أعدها بشالة في حياته كما تتضح أهمية النقش من إزالة كل خلاف حول تاريخ وفاة أبي الحسن الذي يتفق مع الترتيب التاريخي لابن الأحمر في روضة النسرين ويختلف مع رواية ابن خلدون.

5 ـــ النقوش العربية فـي الرخام بالمدارس

وأخيرا نتعرض للكتابات العربية المنحوتة على الرخام باللوحات التأسيسية للمدارس المرينية. وقد أدهشتني باديء ذي بدء تلك المجموعة المعمارية التاريخية (هندسيا وفنيا) لمدارس المرينيين بفاس ومكناس وسلا وغيرها وخلقت لدي إحساسا بأنها أصبحت أهم ما خلفه المرينيون من بعدهم من الجهود العسكرية والسياسية والحضارية العامة، حيث أتحفوا حضارة الاسلام في أقل من قرن واحد ابتداء من عصر يعقوب المريني إلى نهاية عصر أمير المؤمنين أبي عنان بعدد من الوثائق الحية التي عاشت شاهدة على تطور العلم والفكر والثقافة والهندسة المعمارية وفنون الزخرفة والنقش مما جعلني أطلق على تلك الفترة (عصر بناة المدارس)[1].

لقد تبلورت القيمة الأثرية لتلك المدارس التي ظلت سليمة في غالبها إلى اليوم بوجود النقوش التاريخية بمختلف أجزائها وخاصة على اللوحات الرخامية التأسيسية.

وسوف نتعرض الآن لبعض تلك اللوحات الرخامية التي بدأت في حياة أبي الحسن ولياً للعهد ثم خليفة للاسلام وعاهلا لدولة المرينيين. وإذا كان أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق المؤسس الحقيقي للدولة لم يترك نقشا بمدرسة الحلفاويين (670هـ) أو المدرسة اليعقوبية التي تعرف اليوم بمدرسة الصفارين، فإن أمير المسلمين أبا سعيد عثمان لم يترك نقوشا في حياته للمدارس التي أسسها بفاس كذلك، واحتراما لنفس الاتجاه[2] فإن ولي العهد أبا الحسن الذي شيد بأمر والده أبي سعيد عثمان أكثر من مدرسة لم يكتب لها نقوشا في حياة والده بل كتبها بعد توليه هو الخلافة مع النقوش التي كتبها لما بنى هو من مدارس.

نقش مدرسة دار المخزن بفاس الجديد :

والمعلوم أن مدرسة دار المخزن بفاس الجديد أو المدينة البيضاء أمر ببنائها أمير المسلمين أبو سعيد عثمان بمباشرة ولي عهده الأمير أبي الحسن سنة 720هـ وتمت في شهر ذي القعدة من سنة 721 للهجرة ولكنها لم تزود بلوح التأسيس إلا عند كتابة اللوح التأسيسي للمدرسة المصباحية في خلافة السلطان أبي الحسن، وتوجد رخامة مدرسة دار المخزن إلى يمين الداخل إلى بيت الصلاة[3]. وهي تطابق مطابقة تامة رخامة تحبيس المدرسة المصباحية كما ذكر الفرد

(1) راجع فكرتي هذه مفصلة بكتابي تاريخ شالة الاسلامية ص 305/302.

(2) ولعل التقليد الذي بدأه يعقوب بعدم ترك نقش التأسيس هو سبب استمرار أبي سعيد عثمان لنفس النهج وهو احتمال كبير في رأينا خلافا لما يعتقده الدكتور التازي كما يفهم من عبارته (إذا كانت رخامة مدرسة الحلفاويين قد غابت عنا لسبب ما...) جامع القرويين ج 2 ص 361 تعليق رقم 10.

(3) التفصيل والنص بكتابنا الفنون الاسلامية والنقوش العربية بالفصل السادس خلال دراسة نقش التحبيس على زاوية شالة والتعليقات التفسيرية، وانظر موجز تاريخ مدرسة دار المخزن بجامع القرويين ج 2 ص 361 تعليق رقم 10.

بل[1]. ويعنينا آن نقرأ الآن من نقش مدرسة دار المخزن (... هذا ما أمر بتخطيطه وإنشائه... مولانا الخليفة أبو الحسن... حكم ما كان والدهم... أبو سعيد دخره من أفعال الخير... وعلى تدريس العلم بمدرسته المباركة هذه أوقفه...) (شكل 306).

نقش مدرسة العطارين بفاس :

أما أعجوبة العمارة والفنون الدينية والمدنية في مملكة الغرب الاسلامي وأعني بها مدرسة العطارين بفاس، فقد بدأ في تشييدها السلطان أبو سعيد عثمان في غرة شعبان سنة 723هـ وتم بناؤها سنة 725هـ وقد زودت بلوح تأسيسي من الرخام (شكل 307) يبدأ بالحمدلة والتصلية ثم اسم أمير المسلمين الذي أمر بالبناء وتاريخ التمام وتحديد موقع المدرسة مقابلة لسماط العطارين من فاس القرويين ثم النص صراحة على تفاصيل الأعيان المحبسة. هذا ونص التحبيس المذكور منشور بالعربية بتمامه بالجزء الثاني من جامع القرويين[2]. درس اللوحة الفرد بل ونشر دراسته كالمعهود في الجريدة الآسيوية، والنقش من اثنين وثلاثين سطرا وضع داخل بيت الصلاة بالمدرسة وابعاد الرخامة (37 × 89) سنتيمترا يتوجها عقد مفصص (arc festonné) محفور حفرا بارزا من ثلاث طبقات، وقليل ما نجد زخرفة ما باللوحة فيما عدا بعض الزهيرات ذات ثلاثة فصوص، وأسلوب الكتابة بالخط النسخي بنفس مميزات الكتابة النسخية المرينية المعروفة بالنصف الأول من القرن الثامن، ويمكننا فقط ملاحظة هيئة الحروف حيث نجدها هنا أكثر امتلاء وأقصر طولا من نظيرتها في نقش لوحة مدرسة فاس الجديد.

وقد مر بنا أن نقش مدرسة دار المخزن بفاس الجديد قد نُفذ بأمر أبي الحسن مع نقش المدرسة المصباحية[3] التي شيدها أبو الحسن قرب القرويين سنة 747هـ. ونقش المدرسة المصباحية منشور بتمامه في الجريدة الآسيوية[4] لمن أراد الرجوع اليه.

نقش مدرسة أبي الحسن بطالعة سلا :

ولهذا رأيت الاكتفاء هنا بنشر نص واحد من النقوش التاريخية للعصر المريني المنحوتة في رخام لوحات التأسيس وأعني به نقش مدرسة سلا (شكل 308). ولوحة سلا التأسيسية

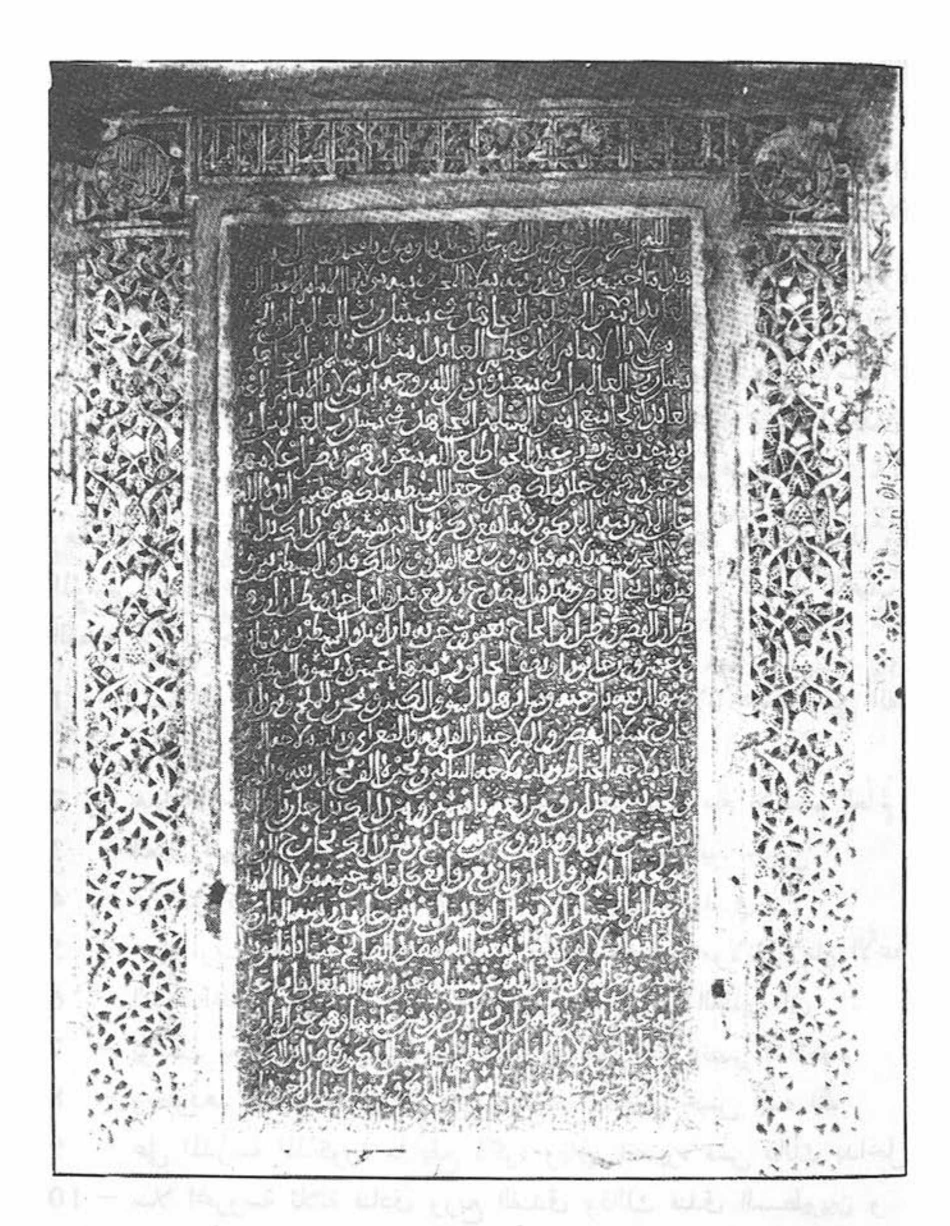
---

(1) الجريدة الآسيوية عدد يوليو ــ أغسطس 1917 ص 158 وما بعدها.

(2) جامع القرويين ج 2 ص 359/358 وقد اكتفينا بذلك عن التكرار.

(3) وتعرف في حجج الوقف باسم مدرسة الخصة لوجود البيلة (الحوض) المصنوعة من المرمر الأبيض بوسط فنائها وقد استقدمها أبو الحسن من المرية بالأندلس ووضعت بمدرسة الصهريج أولا ثم حولت إلى المدرسة المصباحية التي عرفت بهذا الاسم الأخير نسبة إلى أبي الضياء مصباح أول من تصدى للتدريس بها. انظر جامع القرويين ج 2 ص 359.

(4) الفرد بل : الجريدة الآسيوية، نقوش فاس العربية بعدد سبتمبر ــ اكتوبر 1918 ص 256.



شكل 308

لوحة تحبيس ابى الحسن على مدرسة الطالعة بمدينة سلا

لازالت إلى اليوم ملتصقة بالحائط الشمالي للصحن مقابلة لواجهة بيت الصلاة. وهي عبارة عن لوح من الرخام مساحته 119 × 61 سنتيمتراً وتبلغ حاشيته اتساع 2.5 سنتيمتراً. وأرضية اللوحة كلها خضراء فوقها حروف الكتابة بلون الرخام الأبيض. وهي تشتمل على 26 سطرا كتبت بالخط النسخي المغربي الجميل الذي تتضح فيه استدارة الحروف والتقعير التقليدي للخط المغربي أسفل السطر في أناقة ورشاقة بينها زخرفة قليلة من عنصر ثابت لا يتغير.

وقد توصلت بعد الدراسة المقارنة من ملاحظة التطابق الشامل بين نوع الرخام وأسلوب الخط وعمل الخطاط مع نقش التحبيس على زاوية شالة الذي نشرته لأول مرة بكتابي الفنون الاسلامية والنقوش العربية، كما أوضحت أن أمير المسلمين أبا الحسن المريني مؤسس مدرسة سلا المجاورة للمسجد الأعظم قد أملى هو أو نائبه نص النقشين[1] على غرار ما حدث سابقا بالنسبة للوح التأسيس بكل من مدرسة دار المخزن والمدرسة المصباحية.

وهذه هي قراءة التحبيس بمدرسة سلا[2] (شكل 227) الذي يبدأ بالبسملة والتصلية ثم اسم المؤسس المحبس عليها واسم أمير المسلمين وصاحب التحبيس ثم تفصيل الأعيان المحبسة وأخيرا القصد من تسجيل التحبيس :

1 – بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وسلم تسليما
2 – هذا ما حبسه على مدرسة سلا المحروسة مولانا الامام الاعظم العالم
3 – العابد أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبو الحسن
4 – ابن مولانا الامام الأعظم العابد أمير المسلمين المجاهد في
5 – سبيل رب العالمين أبي سعيد قدس الله روحه ابن مولانا الامام الأعظم
6 – العابد الخاشع أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي
7 – يوسف يعقوب بن عبد الحق أطلع الله سعودهم ونصر أعلامهم
8 – وجنودهم وخلد ملكهم وجعل البسيطة ملكهم حبس أيده الله
9 – على المدرسة المذكورة ما يقع ذكره ويأتي تفسيره فمن ذالك بداخل
10 – سلا المحروسة ثلاثة فنادق وربع الفندق وذالك فندق السبطيرين و
11 – فندق بأبي العاصي وفندق المصدع وربع فندق ابن أحمد وطرازان وهما
12 – طراز القصري وطراز الحاج يعقوب و..... فندق السبطيرين وثمانية

---

(1) انظر ذلك مفصلا بالفصل السادس من كتابنا الفنون الاسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى.

(2) نشرت البعثة العلمية الفرنسية نص لوحة سلا بالفرنسية ص 233 ــ 235 ج 1 من كتابها : (Rabat et sa Region)

13 – وعشرون حانوتا ونصف الحانوت منها عشرة بسوق السبطريين
14 – ومنها أربعة بالرحبة وسايرها بالسوق الكبير ومخزن للملح ومن ذالك
15 – بخارج سلا القصر والملاحتان القديمة والصغرى وثلث ملاحة الشريف
16 – وثلث ملاحة الخياط وثلث ملاحة.... و.... وأربع فدادين
17 – بولجة بن معدان ومربعة بأسمير ومن ذالك بداخل رباط الفتح
18 – اثنا عشر حانوتا وفندق وخزنة للملح ومن ذالك بخارج الرباط
19 – وبولجة الناظور فدانان وأربع رفايع كل ما حبسه مولانا الامام
20 – الأعظم أبو الحسن ابن الأئمة الراشدين المهديين على مدرسته المباركة
21 – التي أقامها بسلا... الله.... الصالح حبسا تاما مؤبدا
22 – لا يغير عن حاله ولا يعدل به عن سبيله حتى يرتفع الله تعالى قائما على
23 – صوله محفوظا بشروطه وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين
24 – وقيد هذا بأمر مولانا الامام الأعظم أبي الحسن المذكور قاصدا بذالك...
25 – ... الأوقاف وضبطها وملتمسا به تخليد ذالك وتحصيل جزيل الأجر وتاريخ
26 – يوم الجمعة التاسع عشر لجمادى الثاني اثنين وأربعين وسبعمائة

الفصل التاسع

عصــر دولــة الوطاسييــن

876 ـ 961 هجرية
1471 ـ 1553 للميلاد

الطــزاز المغربــي الأندلســي
فــي مهــب الريــاح

الفصل التاسع

عصـر دولـة الوطاسييـن

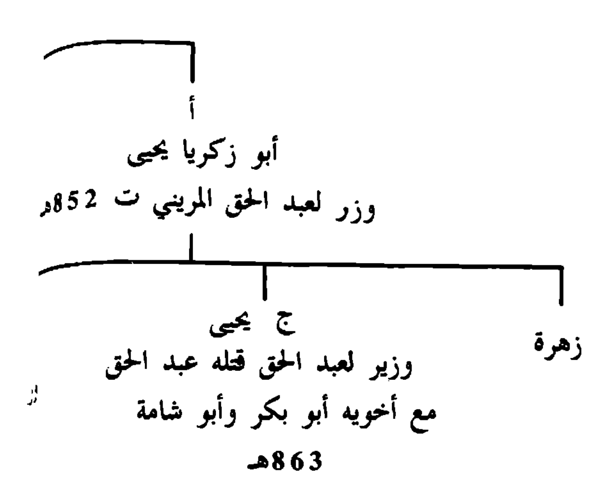
الطراز المغربي الأندلسي في مهب الرياح

أبحاث هذا الفصـل :

أولا : ظروف نشأة دولة الوطاسيين وانهيارها
1 – ظروف نشأة الدولة
2 – أصل الوطاسيين
3 – هدفهـم
4 – نهاية الوطاسيين وحدود انجازهم السياسي والحضاري

ثانيا : فنون العمارة والصناعات التطبيقية في مرحلة انتقال
1 ـــ فترة الانتقال السياسية والاقتصادية بين عصرين :
عدم الاستقرار، فقدان الأمن الداخلي، تمزق الوحدة، ضياع الأمن الخارجي
2 ـــ فنون العمارة والصناعات في مرحلة فراغ بين قمة الطراز المغربي الأندلسي وتباشير طراز الاشراف السعديين :

ثالثا : بقايا عصر الوطاسيين وذكريات الطراز المغربي الأندلسي :
1 – التحصينات والمعاقـل
2 – عمارة المدن المستحدثة : تطوان، الجديدة
3 – الجوامع : جامع شفشاون
4 – المدارس
5 – اللباس والحلي

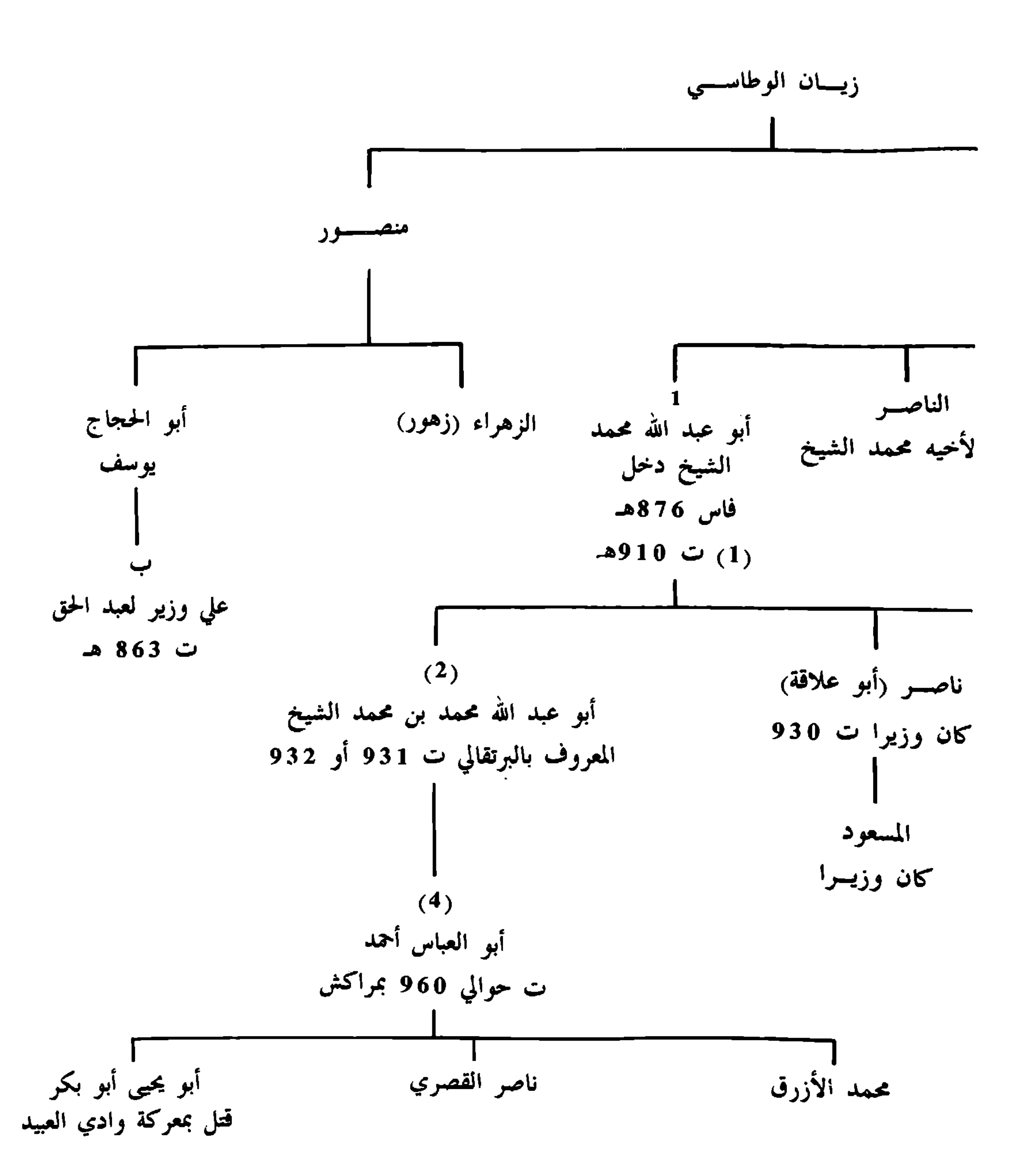


(3) + (5)
أبو الحسن علي (أبو حسون) البادسي
بويع 932 وخلع نفس العام
عاد وفتح فاس 961 وقتله السعديون
نفس العام وبموته انقرض الوطاسيون أتباع
بني مرين

الاستقصـا ج 4 ص 97

وعن ملوك الوطاسيين :

محمد الشيخ : 876 ــ 910هـ (1471 ــ 1505م) المغرب عبر التاريخ 196/2 والاستقصا 119/4 ــ 140 محمد
بن محمد الشيخ (البرتغالي) : 910 ــ 932هـ (1505 ــ 1524م) المغرب عبر التاريخ 199/2 والاستقصا 148/4
الدولة الأولى للسلطان أبي حسون بن محمد الشيخ الوطاسي 932هـ (1524م) المغرب عبر التاريخ 201/2
والاستقصا 149/4
أبو العباس أحمد : 932 ــ 956هـ (1524 ــ 1548م) المغرب عبر التاريخ 201/2 والاستقصا 151/4
الدولة الثانية للسلطان أبي حسون 961 (1553م) المغرب عبر التاريخ 203/2 والاستقصا 159/4.


زيـــان الوطاســـي
منصـــــور
أبو الحجاج
يوسف
ب
علي وزير لعبد الحق
ت 863 هـ
الزهراء (زهور)
1
أبو عبد الله محمد
الشيخ دخل
فاس 876هـ
(1) ت 910هـ
الناصـــر
لأخيه محمد الشيخ
(2)
أبو عبد الله محمد بن محمد الشيخ
المعروف بالبرتقالي ت 931 أو 932
ناصـــر (أبو علاقة)
كان وزيرا ت 930
المسعود
كان وزيـــرا
(4)
أبو العباس أحمد
ت حوالي 960 بمراكش
أبو يحيى أبو بكر
قتل بمعركة وادي العبيد
ناصر القصري
محمد الأزرق

الفصل التاسع

عصـــر دولـــة الوطاسيـــين

(876-961) هـ ــ (1471-1553) م

الطراز المغربي الاندلسي في مهب الرياح

أولا : ظروف نشأة دولة الوطاسيين وانهيارها

1 - ظروف نشأة الدولة :

صادف نشأة الدولة الوطاسية نجاح العثمانيين في بسط نفوذ الاسلام شرقا وغربا منذ فتح السلطان محمد الثاني القسطنطينية سنة (1453م) قبل ظهور دولة الوطاسيين كما امتد سلطانهم إلى بلاد اليونان وسيطرت عساكر محمد الفاتح على البانيا سنة (1479م) وضم السلطان سليم سورية وفتح مصر واقتحم عاصمة تبريز سنة (920هـ) وتوغلت جيوش العثمانيين بالنمسا وحاصرت فيينا سنة (937هـ) واحتلت فارس وانتشر نفوذهم العسكري والديني وبسطوا سيطرتهم البحرية على موانيء ومراكز البحر المتوسط الهامة[1].

وكانت امبراطورية الموحدين قد انفرط عقدها بالغرب الاسلامي وتقاسمها بنو نصر بغرناطة وبنو مرين بالمغرب الأقصى وبنو زيان بتلسمان والحفصيون في تونس. وكانت الحروب قد انهكت قوى المرينيين وارثي مجد الامبراطورية الموحدية وتهالك آخر ملوكهم على السلطة وآل الأمر إلى فرع منهم فانتصبت دولة الوطاسيين بسقوط دولة المرينيين، لكن هؤلاء (لم يكن فيهم غناؤهم فضعفت الأمة ومرج أمرها واشتغلت بمشاكلها الداخلية وحروبها الأهلية)[2].

في تلك الظروف تحولت كثير من موانيء البحر المتوسط الغربية إلى مراكز للجهاد البحري بهجرة الأسر الأندلسية البحرية بعد سقوط غرناطة، لكن المغربين الأدنى والأوسط تعرضتا لاحتلال الأسطول الاسباني الذي نزل المرسى الكبير قرب وهران سنة 932هـ، ثم صار الاسبان سادة السواحل الجزائرية إلى وقت ظهور عروج التركي لتخليص البلاد منهم في الوقت الذي احتل فيه أخوه خير الدين افريقية باسم الباب العالي سنة 942هـ واستطاع انهاء حكم دولة الحفصيين بالمغرب الادنى)[3].

---

(1) حركات : المغرب عبر التاريخ 191/2 ــ 192

(2) عبد الله كنون : النبوغ المغربي 182/1.

(3) المغرب عبر التاريخ 191/2.

(إن ظهور العثمانيين وقضاؤهم على الامبراطورية البيزنطية كان حدثا بالغ التأثير على مستقبل المغرب العربي فقد دفع الاحساس بالخوف من المد العثماني إلى ظهور قوتي الدولتين الاستعماريتين البرتغال واسبانيا والوصول إلى الهند ورأس الرجاء الصالح واكتشاف الاسبان للقارة الامريكية سنة 898هـ وظهور المستعمرات البرتغالية بالهند والصين وامريكا وافريقيا ثم وقوع سواحل وموانيء المغرب الأقصى في يد القوتين الجديدتين الاسبانية والبرتغالية مع ظهور الدولة الوطاسية)[1].

(1) نفس المصدر، ص 192 ـ 193.

2 ـ أصـل الوطاسيين

يقول صديقنا العلامة المرحوم سيدي عبد الله كنون رئيس رابطة العلماء: « إن الوطاسيين فرع من بني مرين »[1] ويرى الشيخ أبو العباس أحمد السلاوي أن (بني وطاس فرقة من بني مرين غير أنهم ليسوا من بني عبد الحق، ولما دخل بنو مرين المغرب... كان لبني وطاس هؤلاء الريف... وكان بنو الوزير منهم... يرومون الخروج على بني عبد الحق... ثم اذعنوا الى الطاعة... فاستعملهم بنو عبد الحق في وجوه الولايات والأعمال... وتعدد الوزراء منهم...)[2].

ونقل الشيخ السلاوي في الاستقصا عن ابن خلدون (أن بني الوزير هؤلاء يرون أن نسبهم دخيل في بني مرين وانهم من أعقاب يوسف بن تاشفين اللمتوني لحقوا بالبدو ونزلوا على بني وطاس ووشجت فيهم عروقهم حتى لبسوا جلدتهم... ولما كانت دولة السلطان أبي عنان واستولى على بجاية، عقد عليها لعمر بن علي الوطاسي من بني الوزير هؤلاء...)[3].

ثم كان زيان بن عمر في جملة النازعين الى السلطان أبي العباس[4] فاتصل به وصار في جملته إلى أن حاصر أبو العباس قصبة مراكش[5]... فأبلى زيان بن عمر في ذلك الحصار...)، وبعد زيان ولى ابنه أبو زكريا يحيى (الوزارة للسلطان عبد الحق... ثم بعده ابنه أبو زكريا يحيى أيضا وهو الذي قتله السلطان عبد الحق... وفر أخوه أبو عبد الله محمد الشيخ إلى الصحراء...) إلى أن عاد وملك أصيلا واستفحل أمره وتشوفت إليه الأعيان من أهل فاس والرؤساء من دولة السلطان عبد الحق... إلى أن استولى على الحضرة[6].

ونقل الدكتور ابراهيم حركات عن صاحب الزخيرة السنية أن (بني وطاس ينتمون إلى صنهاجة وبالتالي إلى لمتونة فهم من ولد وطاس بن المعز بن يوسف بن تاشفين... وبنو وطاس مجمعون على ذلك... خرج جدهم وطاس بن المعز بن تاشفين فاراً بنفسه من تلمسان أمام عبد المؤمن بن علي أمير الموحدين... فلحق ببلاد الزاب ولجأ إلى أحياء بني مرين فاستجار بهم فأجاروه... إلى أن ظهر بنو مرين على المغرب وغلبوا الموحدين على ملكهم واستوطنوا

(1) النبوغ المغربي 182/1.
(2) الاستقصا 118/4.
(3) نفس المصدر والصفحة.
(4) أيام الدولة الأولى للسلطان أبي العباس أحمد بن أبي سالم المريني.
(5) أثناء نزاعه مع ابن عمه الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن الذي كان بمراكش واعمالها.
(6) الاستقصا 119/4.

بلاده، فكانوا من جملة قبائلهم محسوبين في عددهم وكان لهم فيهم رئاسة)[1].

ويعتقد الدكتور ابراهيم حركات أن دولة الوطاسيين كانت محاولة لاعادة حكم الصنهاجيين وقد قدموا من المغرب الأوسط مع بني مرين فاقطعهم يحيى ناحية الريف وكان مركزهم هناك بحصن تازوطا حيث ثاروا على الدولة المرينية وكانت انتفاضتهم هي سبب اتقاء المرينيين شرهم بتعيينهم في الوظائف السامية فكان منهم القاضي المشهور أبو الحسن الصغير والوزير زيان بن عمر والوزير أبو زكريا يحيى[2].

(1) المغرب عبر التاريخ 194/2.
(2) نفس المصدر 195/2.

3 ـ هدفهم

نقل الشيخ السلاوي عن منويل في أخبار محمد الشيخ الوطاسي الذي قضى على آخر ملوك بني عبد الحق ودخلت فاس في طاعته شهر رمضان سنة ست وسبعين وثمانمائة أن (مملكة المغرب الأقصى كانت في غاية الاضطراب والانتكاس حتى طمع في ملكها كل من كانت توسوس له نفسه بذلك، واستولى ابن الأحمر على جميع الثغور التي كانت لبني مرين بأرض الأندلس ولم يترك لهم قيد شبر، واشرأبت أجناس الفرنج للتغلب على المغرب، وفي تلك المدة كان بأصيلا محمد الشيخ الوطاسي،... وأحس من نفسه بالقدرة على الاستيلاء على كرسي فاس... لاسيما مع ما كان الناس فيه من افتراق الكلمة... وزحف إلى فاس...)[1].

من هذا النص يتضح كيف كان المغرب الأقصى (في غاية الاضطراب والانتكاس، وما كان الناس فيه من افتراق كلمة، فهدف الوحدة الوطنية واقرار الأمن الداخلي والخارجي كان حرياً أن تقوم به أسرة جديدة بعد دخول دولة بني مرين مرحلة الشيخوخة وعصر سيطرة الوزراء والحجاب)[2].

فمنذ ولاية أبي سعيد عثمان بن أبي العباس أحمد (ولد عبد الحق آخر ملوكهم) سنة (800) هجرية، كان النقض والابرام وسائر التصرفات في دولته للوزراء والحجاب[3].

وقد اهتز الأمن الخارجي باستيلاء ابن الأحمر على جميع الثغور التي كانت لبني مرين بأرض الأندلس، وسما جنس البرتقال، الذي اعتز بعد الذلة، وظهر بعد الخمول، إلى تلك الأمصار (... وألح على سواحل المغرب الأقصى فاستولى في سنة 818هـ على مدينة سبتة...)[4] وزحف أخوه طاغية البرتقال على طنجة سنة 841 هجرية وحاصروها إلى أن ردوا عنها إلى أن[5] استولى البرتقال عليها سنة 869هـ[6] ، (كما انتزع الاصبنيول جبل طارق من يد ابن الأحمر سنة 867هـ[7] بعد استيلاء البرتقال على قصر المجاز ـــ وهو قصر مصمودة ـــ سنة 863هـ[8] ، وعلى آنفى في حدود سنة 874هـ وتهديمها ثم أصيلا

---

(1) الاستقصا 120/4

(2) الاستقصا 86/4 ، 90 ، 93

(3) نفس المصدر ص 86

(4) الاستقصا 92/4 وسلطان المغرب يومئذ أبو سعيد بن أحمد وسلطان البرتقال يومئذ خوان الاول.

(5) الاستقصا 95/4.

(6) نفس المصدر ص 98.

(7) نفس المصدر والصفحة.

(8) نفس المصدر ص 98.

سنة 876هـ[1]، بالاضافة إلى ذلك ظهر خطر الأتراك على حدود المغرب الأقصى بعد استيلائهم على المغرب الأوسط منذ ما قبل قيام دولة الوطاسيين[2].

وكان على رأس تلك الفترة العصيبة من ضعف ملوك بني مرين وسيطرة الوزراء والحجاب رياسة اليهوديين هرون وشاويل اللذين أطلق أيديهما السلطان عبد الحق لتأديب أهل فاس ومصادرة أموالهم مما أغرى الأهالي بخلع طاعته ونهاية المطاف بقتله وانقطاع أجل الدولة المرينية[3].

لقد توفرت الدوافع إذن لنهوض دولة الوطاسيين إذ لم يقتصر الأمر على ضعف الادارة المرينية وسيطرة الوزراء والحجاب واستبدادهم وافتراق الكلمة وانتشار الفتن وضياع الوحدة الوطنية وفقدان الأمن الداخلي والخارجي، فقد كان هناك سبب آخر مباشر حدد الهدف العام والخاص أمامهم ونعني به مذبحة ونكبة الوطاسيين التي جرت على يد السلطان عبد الحق ابن أبي سعيد بن أبي العباس أحمد بن أبي سالم، وكان لبني وطاس خبر طويل في الوزارة المرينية منذ ولى أبو زكريا يحيى بن زيان الوطاسي الوزارة للسلطان عبد الحق إلى أن وصل يحيى ابن عمر بن زيان الوطاسي (فكانت ولاية هذا الوزير هي مبدأ الشر ومنشأ الفتنة).

ذلك أنه لما استقل هذا الوزير بالحجابة أخذ في تغيير مراسم الملك... ونقض ما أبرمه قبله الوزراء... فلما رأى السلطان عبد الحق فعل الوزير واستحواذه على أمور الدولة وتبين له أن الوطاسيين قد التحفوا معه رداء الملك... وكادوا يغلبونه على أمره سطا بهم سطوة استأصلت جمهورهم... فتقبض على الوزير يحيى وعلى أخويه أبي بكر وأبي شامة وعلى عمهم فارس وقريبهم محمد بن علي... واستمر البحث عن محمد الشيخ ومحمد الحلو...)[4].

ويجمل الدكتور حركات هدف الوطاسيين من تأسيس دولتهم في : محاولتهم إعادة حكم الصنهاجيين وانقاذ البلاد من الفوضى ومن محاولات تأسيس امارات صغيرة مستقلة، فهبوا لتوحيد الصف المغربي تحت ادارة مركزية تضبط الشؤون الداخلية سياسياً وإداريا للقضاء على الفتنة وإمكان التصدي للخطر الخارجي[5].

وبمقتل السلطان عبد الحق آخر ملوك المرينيين يوم الجمعة السابع والعشرين من رمضان

---

(1) نفس المصدر ص 116.

(2) المغرب عبر التاريخ 195/2.

(3) الاستقصا 98/4-99.

(4) الاستقصا 97/4-98.

(5) المغرب عبر التاريخ 195/2.

سنة 869 هجرية انقرضت دولة بني عبد الحق[1] واضطربت دولتهم بفاس واجتمع أهل المدينة على مبايعة أبي عبد الله محمد الحفيد الشريف الادريسي نقيب الأشراف بفاس إلى أن حاصره محمد الشيخ الوطاسي وضيق عليه ودخل فاس سنة 875 هجرية فاستولى على الحضرة وصفا له ملك المغرب[2] وأصبح أول ملوك الوطاسيين بالمغرب الأقصى.

---

(1) الاستقصا 100/4.

(2) الاستقصا 117/4–120.

4 ــ نهاية الوطاسيين وحدود إنجازهم السياسي والحضاري

دام حكم الوطاسيين بالمغرب إلى تاريخ مقتل السلطان ابي حسون الوطاسي في الوقعة التي جرت سنة (961هـ) بالموقع المعروف بمسلمة[1] ودخول السلطان محمد الشيخ السعدي إلى فاس واستيلائه عليها، فقد (دخل أبو عبد الله محمد الشيخ إلى فاس واخضع العباد.. وأجلى منها آخر ملوك بني وطاس ثم قضى عليه بعد ذلك وعلى دولته فصفا له ملك المغرب من أقصاه إلى أقصاه...)[2].

فعندما (دبت عوامل الانحلال في جسم الدولة الوطاسية... قصرت سلطتها على حواضر المغرب... واستنفذ مجهودها... ما كان قائما بين أفرادها من التنازع على نيل السلطة... ثم ما كانت تعانيه من قتل العدو المحتمل بالثغور[3]) فقد (فتح البرتقال عدة واجهات حربية بالمغرب في أوقات متقاربة... وهدد الاسبان شمال المغرب... واحتفظت عدة مراكز باستقلال ذاتي... كما كان قيام السعديين يساير قيام الدولة الوطاسية فشغلوهم بذلك عن صد الخطر الأجنبي...)[4]، وهكذا ترنحت الدولة الوطاسية تحت وطأة تلك الضربات الخارجية وعجزت عن تحقيق وحدة المغرب السياسية.

وعلى الرغم من ذلك كله فإن الوطاسيين عصموا المغرب من الفتح العثماني الذي غطى العالم الاسلامي والشمال الافريقي ومساحات شاسعة من القارة الاوربية ذاتها وحموا المغرب الأقصى من غلبة البرتغاليين والاسبان الذين تكالبوا عليه في موجات متلاحقة دون الاستقرار والاحتلال فيما عدا بعض الشواطيء والثغور والمراكز الساحلية[5].

وإذا كان عدم الاستقرار السياسي والفوضى والتمزق الداخلي إلى جانب التهديد العسكري الخارجي يؤدي حتماً إلى عدم أو قلة العناية بتشييد المرافق والمؤسسات العامة من جانب الدولة وتخوف الأفراد وعدم قدرتهم على تحديث وتطوير العمران والصناعات، فإن بعض مظاهر الحضارة المعمارية تخلفت من عصر الوطاسيين بالاضافة إلى المنشآت التي شيدها الغزاة في المواقع الاستراتيجية بالثغور أو المراكز البعيدة عن سلطة الوطاسيين.

---

(1) الاستقصا 4/159-161.
(2) النبوغ 1/235.
(3) النبوغ المغربي 1/234.
(4) المغرب عبر التاريخ 2/203-204.
(5) نفس المصدر ص 206.

ثانيا : فنون العمارة والصناعات التطبيقية

1 ـــ فترة انتقال سياسية واقتصادية واجتماعية بين عصرين :

تزخر عشرات بل مئات المصادر المخطوطة والمطبوعة بدلالات واضحة على تقدم المغرب أيام بني مرين سياسياً وعسكرياً إلى جانب تفوقه الحضاري، كما تشهد كتب الرحلات بطول باعهم في علوم التاريخ والمسالك والأدب والفقه والاجتماع والعمران على نطاق واسع لا يكاد يدانيه انجاز آخر. ان بذرة التقدم الحضاري التي وضع نواتها الاولى أهل البيت من الأشراف الأدارسة دفع بها المرابطون والموحدون في مسيرة عرفت الازدهار والتطور في عهد المرينيين بلغت نوعيات خاصة في المجالات الحضارية الرقيقة المهذبة المصقولة المتلاحمة أشد ما يكون التلاحم بالاصالة الوطنية التاريخية[1].

وفي نفس الوقت نرى من مصادر التاريخ وواقع الآثار ووثائق الدبلوماسية والعلاقات المغربية الدولية لعصر الاشراف السعديين ما يؤكد الصورة الناصعة لتقدم المغرب عمرانياً وفنياً كما هو الحال في قصر البديع ومصادر ثراء المغرب اقتصاديا وهيبته الدولية واتساع رقعته[2].

لكن الظروف والملابسات الداخلية والخارجية جعلت من العصر الوطاسي منطقة فراغ تاريخي بين عصرين مجيدين حضارياً واجتماعياً، فلا يجد الباحث مصادر تاريخية أو مشاهدات ورحلات معاصرة تلقي أضواء على منطقة الظل الوطاسية فيما عدا كتاب الجغرافية (وصف افريقية) الذي وضعه معاصرهم الحسن الوزاني المعروف بليون الافريقي الذي قام بنشاط سياسي ودبلوماسي لحسابهم[3]، وزاد الطين بلة أن السعديين اغفلوا إعادة بناء أو ترميم المدن والمعاقل المهدمة والمهجورة من عصر الوطاسيين، لقد أشار الوزاني إلى عدة (مدن بنيت قبل الوطاسيين بزمن بعيد أو قريب ثم خبا نجمها مثل تيدنيست بحاحة... تهدمت منذ سنة (920هـ) اذ غادرها السكان خوفاً من هجوم البرتغال، وقرية تاكوليت القريبة من الصويرة القديمة تم خرابها على يد البرتغال سنة (920هـ) هجرية وكذلك تنزة بناحية مراكش وتاغوداست باقليم دكالة...)[4]، كما (يشتمل كتاب آسفي وما اليه على ذكر عدد من المدن والقرى التي خربت)[5].

---

(1) تتضح مكانة المغرب الحضارية أيام بني مرين من دراستنا هذه، وكتابنا تاريخ شالة وقوائم المصادر بعدة لغات بكتابنا الفنون الاسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى.

(2) وتتضح مكانة المغرب الحضارية من دراستنا لطراز الاشراف السعديين بالجزء الخامس من كتابنا هذا.

(3) المغرب عبر التاريخ 2/261–262.

(4) نفس المصدر ص 248.

(5) نفس المصدر تعليق رقم 1 ص 248.

2 ــ فنون العمارة والصناعات في مرحلة فراغ بين الطراز المغربي الأندلسي وطراز الاشراف

إن فنون العمارة والصناعات التطبيقية التي اتخذت منذ عهد المرينيين أشكالها النهائية إلا ما كان من تطور مرغوب حسب مقتضيات المواد والتقنيات العصرية قد دخلت مع دولة الوطاسيين منطقة ظل أو فراغ.

وعلى هذا فإن روائع الطراز المغربي الأندلسي التي بدأ صوغ أشكالها الأولى بتماذج عناصرها المغربية والأندلسية منذ أيام يوسف بن تاشفين وتوحيد العدوتين، قد آلت إلى منطقة الظل وعفا الزمان على صدارتها التي كانت مرموقة طوال عصور المرابطين والموحدين وبني مرين الزناتيين.

إن ضياع عنصر الثبات وفقدان ميزة الاستقرار في عصر الوطاسيين بالاضافة إلى اهتزاز السلطة المركزية وتنوع مصادر الخطر الخارجي... كل ذلك عاق فنون الطراز المغربي الاندلسي عن مواصلة المسيرة في ركاب ملوك الوطاسيين، وربما كان من الممكن أن تستحكم الأزمة الحضارية وتخمد جذوة الأصالة الابداعية لو طال عمر الدولة الوطاسية أكثر مما أراد لها التاريخ.

لقد تداركت العناية مستقبل الحضارة الاسلامية بالمغرب الأقصى باقدام الاشراف السعديين على انقاذ التراث[1] من مرحلة الفراغ الوطاسية واحياء معالم الطراز المغربي الأندلسي في ضوء المعطيات الجديدة التي عاصرها السعديون في اطار الوحدة الوطنية والانفتاح المدعوم على الحضارات الأخرى بازدهار التجارة وتطور الصناعة في نطاق المعاملات الدولية والمبادلات الفنية والفكرية.

---

(1) مقالنا : دفاعا عن الاسلام والمغرب والمنصور، دعوة الحق الرباط ابريل 1977.
ومقالنا: شواهد على قدرة وثراء المغرب أيام السعديين، دعوة الحق الرباط أغسطس 1978.

ثالثا : بقايا عصر الوطاسيين وذكريات الطراز المغربي الأندلسي

1 ـ التحـصينـات :

يفسر المرحوم الاستاذ عبد الله كنون اقامة البرتغاليين للتحصينات في الثغور والمراكز المغربية بعجز دولة الوطاسيين (واقتصار سلطتهم على حواضر المغرب دون البلاد النائية فلم تكن لديهم قوة كافية تمكنهم من الدور الحاسم في السواحل السوسية البعيدة حيث طغى سيل المستعمرين البرتغال لما عرفوا انهم بمنجى من طلب رجال الدولة وتعقب آثارهم، ولذلك أخذوا في بناء المعاقل والحصون والتهيؤ لليوم الذي له ما بعده)[1].

ويرى الدكتور ابراهيم حركات أن (كثيرا من المدن والمراكز قد حصنت ذاتيا كتطوان وشفشاون ودبدو وتازوطا وغيرها)[2]، فتلك الحصون شيدها إذن الأهالي بمجهودهم الذاتي ضمن خطتهم للدفاع عن كيانهم بالمناطق التي لا تصل إليها مظلة الدولة الوطاسية.

(ويعني ذلك أن ما تبقى من حصون ومعاقل المغرب في ذلك العصر كان من تشييد وتأسيس البرتغاليين الذين كانوا أول من استخدم الأبراج الخاصة بالمدفعية ــ بالمغرب ــ وزادوا في حصانتها ومتانتها لتحمل ضرب المدافع هجوماً ودفاعاً وقد اتخذوا أسفلها أهراء[3] لخزن المؤن والأسلحة والذخائر.

وقد تطور بناء الحصون البرتغالية المشيدة بالمغرب وقتئذ فبعد أن كانت أبراجاً نصف دائرية كما في سبتة وطنجة صارت مربعة بعد سنة (1431م) كما في أصيلا، ثم تحولت إلى تحصينات واسعة كما في أزمور وآسفي وأكوز.

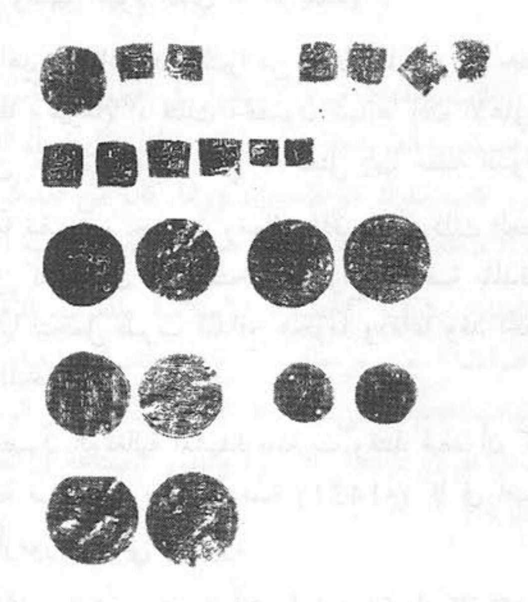
وكانت الجدران الخارجية تنتهي بمنحدرات يليها خندق لعرقلة تقدم الغزاة، وظهر في آسفي البرج المستدير ذو الغرف المتعددة واتخذت الجدران الخارجية بالجديدة تخطيط نجمة ذات أربعة فروع مدعما بأبراج قوية...)[4].

وقد نقل السلاوي عن منويل قوله : «لما علم طاغية البرتقال منويل أن مرسى أكادير

---

(1) النبوغ المغربي 234/1.
(2) المغرب عبر التاريخ 251/2.
(3) نفس المصدر والصفحة.
(4) الاستقصا 139/4-140.

جيدة لمناعتها وكثرة تجارتها بسبب مجاورتها لقبائل السوس... فاستولى عليها... وحصنوها وبنوا بها دورا وبرجاً جيداً....)، ولاحظ السلاوي أن مقصود اكادير هنا يعني حصن فونتي القريب من المرسى[1] لأن أكادير ذاته قد بني بعد هذا التاريخ بكثير[2] (وتم لهم احتلال موقع الحصن في عهد محمد الشيخ سنة 910هـ / 1505م).



شكل 309
نماذج من عملة الوطاسيين إلى جانب عملة بني زيان ملوك تلمسان

(1) مراجع التاريخ الذي أورده السلاوي 139/4.
(2) المغرب عبر التاريخ 251/2.

2 - عمارة المدن المستحدثة

يسير التاريخ في ركاب الآثار غالباً فيكتب المؤرخون تاريخ الدول على ضوء آثارها ويشرحون فلسفة العصر ومعطياته الاقتصادية والاجتماعية على أساس ما تبوح به المباني ونظمها والصناعات وفنونها، وهو أمر لازال موضع انتباه مؤسسي الدول ومؤثلي الحضارات، لهذا، كثيرا ما يرتبط قيام الدولة بتأسيس عاصمتها.

ففي الغرب الاسلامي كانت القيروان (50هـ) قاعدة الفتح الأول على يد الصحابي الجليل سيدي عقبة بن نافع المجاهد العابد، وكانت تاهرت (144هـ) قاعدة الرستميين، وسجلماسة (140هـ) مركز بني مدرار، وقرطبة (138هـ) موئل عبد الرحمن صقر قريش ودولة الأمويين الغربية، وفاس القديم أو البالي (172هـ) مستقر وعاصمة الأشراف الأدارسة، ثم كانت قاهرة المعز (359هـ) مقر العبيديين بعد تحولهم من المهدية عاصمتهم الأولى بافريقية.

وفضلا عن العرض الجغرافي الأفقي لدول وممالك المغرب العربي، فإن القطاع الرأسي تاريخيا بالمنطقة الواحدة يعطي تتابع ظهور العواصم تاريخياً. وهكذا كانت فاس القديم عاصمة الاشراف الادارسة، ومراكش عاصمة المرابطين ثم ظهرت رباط الفتح مع الموحدين وفاس الجديد عاصمة المرينيين، كما تعود الى مراكش عظمتها ونفوذها في عهد الاشراف السعديين وتظهر مكناسة الزيتون العاصمة الاسماعيلية في عهد الاشراف العلويين.

ورغم ذلك لا تظهر عاصمة جديدة أو مدينة تكون محور الأحداث في عصر الوطاسيين فلا نعرف مركزاً اختطوه وفق معطيات خاصة بهم. لقد شاهد الوطاسيون وعاصروا هواية المرينيين في بناء وتأسيس المدن الجديدة، غير أنهم تحت وطأة الظروف الأمنية بالداخل والخارج والحروب الطاحنة المتوازية في وقت واحد مع حركات الانفصال ومحاولات السعديين تحطيم دولتهم وهجوم البرتغال والاسبان على الثغور والحدود...، تحت وطأة ذلك الضغط الكبير انشغل الوطاسيون عن بناء عاصمة جديدة[1].

وهكذا كانت أهم الآثار العمرانية المتخلفة من عصرهم منشآت أوجدتها الجهود الذاتية لأصحاب النفوذ ومراكز القوى المغربية الجهوية، أو أنها كانت من عمل المستعمر البرتغالي أو الاسباني الذي أراد تشييد مراكز محصنة تأوي جنوده الحارسين لمصالحهم الاستعمارية ذات الهدف الاقتصادي في المقام الأول.

---

(1) ناقش تلك الأسباب مفصلا الدكتور حركات، انظر المغرب عبر التاريخ 249/2.

أ ــ رياسة بني راشد بغمارة وبناء مدينة شفشاون (876) هجرية :

قال السلاوي في الاستقصا : قال في نشر المثاني : اختط بعض شرفاء العلم مدينة شفشاون بقصد تحصين المسلمين من نصارى سبتة، إذ كانوا بعد استيلائهم عليها يتطاولون على أهل تلك المداشر في أواخر دولة بني وطاس، وقال في المرآة : كان اختطاط مدينة شفشاون في الجهة المعروفة عندهم بالعدوة، وهي عدوة وادي شفشاون[1] في حدود سنة ست وسبعين وثمانمائة، على يد الشريف الفقيه الصالح... أبي الحسن بن أبي محمد المعروف بأبي جمعة العلمي... مات شهيداً قبل اتمام ما شرع فيه بتدبير النصارى... مع أهل النفاق... وقام مقامه ابن عمه الأمير... أبو الحسن علي بن موسى بن راشد... فشرع في اختطاط مدينة شفشاون في العدوة الأخرى فبنى قصبتها وشيدها وأوطنها بأهله وعشيرته، ونزل الناس بها فبنوا وصارت في عداد المدن إلى أن توفي سنة سبع عشرة وتسعمائة، وورثها بنوه من بعده ولم يزالوا فيها بين سلم وحرب إلى أن أخرجهم منها الشرفاء السعديون عند استيلائهم على بلاد المغرب[2].

وهكذا فقد اختط شفشاون سنة 876 هجرية بجهود ذاتية الفقيه أبو الحسن بن أبي محمد من نسل القطب الشهير سيدي عبد السلام بن مشيش ثم أتم بناءها وأنجز عمارتها وأسكن الناس فيها ابن عمه الأمير أبو الحسن علي بن موسى وورثها بنوه إلى أن أجلاهم عنها الاشراف السعديون. وقد تبين لنا من النص أن القصد من اختطاط وتشييد المدينة هو تحصين المسلمين من نصارى سبتة الذين دفعوا بعض الخونة لاضرام النار بمسجد كان يتعبد فيه أبو الحسن واضع اساس شفشاون ومقتله لعرقلة تنفيذ المشروع.

ب ــ بناء مدينة تطاون :

جاء بالجزء الرابع من كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى قوله : قال منويل : لما استولى الاصبنيول على غرناطة خرج جماعة من أهلها إلى المغرب فنزلوا في مرتيل قرب تطاوين... فرحب بهم سلطان فاس محمد الشيخ الوطاسي... فقالوا إن ضيافتنا عندك أن تعين لنا موضعا نبني فيه بلداً يكننا ونحفظ فيه عيالنا... وعين لهم مدينة تطاوين الخربة منذ تسعين سنة وولى عليهم كبيرهم أبا الحسن عليا المنظري... من كبار جند ابن الأحمر... وشرع في بناء أسوار البلد القديم فجدده وبنى المسجد والجامع به واستوطنه هو وجماعته ثم أخذ في جهاد البرتقال في سبتة إلى أن أسر منهم ثلاثة آلاف فاستخدمهم في تمام ما بقي عليه من بناء تطاوين...

---

(1) بين مدينتي وزان وتطوان، انظر المغرب عبر التاريخ 249/2.
(2) الاستقصا 121/4.

ويعقب السلاوي على رواية منويل بقوله : «إن قوله ان بناء تطاوين كان عقب أخذ غرناطة مخالف لما يقول أهل تطاوين... ويظهر أن بي الحسن المنظري كان قد قدم من الأندلس قبل أخذ غرناطة بسنين يسيرة»[1].

وقد اقتنع الدكتور ابراهيم حركات اعتمادا على كتاب تاريخ تطوان لمؤلفه المعاصر محمد داود بأن قصبة تطوان المرينية (يوسف بن يعقوب 685هـ) التي خربها الاسبان (1500م) استقبلت فوج المهاجرين الأندلسيين سنة (889هـ) بقيادة أبي الحسن علي المنظري وهم الذين بنوا تطوان الجديدة.

(وقد كانت البناءات الأولى لتطوان الجديدة لا تزيد على بضع عشرات من الدور والمرافق بالاضافة إلى السور، أما العمارة الكاملة فقد تمت قبل نهاية القرن التاسع بعد أن تواردت أفواج جديدة من مهاجرة الأندلس.

وكانت تطوان بلدا مربع الشكل ذات سور مزدوج يبلغ عرض جزئه الداخلي سبعة أذرع. وبنى المنظري قصبة جديدة في ركن المدينة والملاح قرب الجامع الأعظم ويدعى الآن بالملاح البالي...)[2] ويضيف الدكتور حركات أن مداخل القصبة الثلاثة قد ضاعت آثارها تقريبا كما تخربت معظم أجزاء السور وإن أول ما بني من المدينة هو القصبة الموجود اليوم بحومة جامع القصبة، ولايزال جامعها موجودا وان ضيق مساحة المدينة المسورة قد أبطل عادة بناء الدور ذات الحدائق التي كانت متبعة أيام المنظري[3].

ج ــ بناء البرتغال مدينة الجديدة :

درس الشيخ السلاوي تأليف لويز ماريه البرتقالي حول أخبار الجديدة واقتطف قوله[4] :

لما كانت سنة 1502م (907هـ) بعث سلطان البرتغال واسمه منويل من دار ملكه اشبونة عمارة في البحر للاستيلاء على بعض ثغور المغرب فألجأهم هيجان البحر وموجه إلى ساحل البريجة فيما بين آزمور وتيط، وكانت البريجة بناء متخذاً هناك للحراسة يسمى برج الشيخ ولازال يسمى بهذا الاسم إلى الآن... فأرسى البرتقاليون على الساحل المذكور...

(1) نفس المصدر ص 124-125.
(2) المغرب عبر التاريخ 249/2-250 والمراجع التي أشار إليها.
(3) المغرب عبر التاريخ 250/2.
(4) الاستقصا 136/4 وما يليها.

وتركوا اثنى عشر رجلا بالبريجة بعد أن حصنوها وشحنوها بما يحتاجون إليه من عدة وقوت... وبعث لهم الملك جماعة من البنائين والعملة ليبنوا لهم ما يتحصنون به... وشرعوا في ادارة السور...

ولما فرغ هؤلاء من مقاومة الأهالي المسلمين ووصفوا له حسن البقعة وصحة الهواء ومنزلتها من البحر (وانها عسى أن تكون سلما للاستيلاء على غيرها من بلاد المغرب... فبعث حصة من العسكر... مع جماعة وافرة من البنائين والمهندسين... انتهوا إلى الموضع المذكور بعد سبع سنين من مقدمهم الأول... وشرعوا في بناء حصن مربع على كل ربع منه برج وثيق... وكان انشاؤهم لهذا الحصن على البريجة القديمة بأن جعلوها أحد أرباعه وأضافوا إليها ثلاثة أرباع أخر وأداروا السور على الجميع واتخذوا في داخل هذا الحصن ماجلاً عظيما لخزن الماء وهو النطفية في لسان الجيل بنوه مربعا بتربيع الحصن مساحة كل ربع منه مائة وثلاثين شبراً وجوانبه وقبوه من حجر النصف العجيب النحت المحكم الوضع والالتئام محمولاً ذلك القبو على ستة أقواس في كل ربع... ثم شيدوا على أحد أرباع هذا الحصن طريا عظيما مرتفعا جدا ليس صادق التربيع ولا الاستدارة غير مهندس الشكل ثم بنوا في أعلاه على أحد جوانبه بناء آخر لطيفا مستديرا صاعدا في الجو يرقى إليه على مدارج لطيفة، وجعلوا على أعلاه صارياً خارجا من جوفه، وناقوساً للحراسة يشرف الحارس منه على نحو خمسة وعشرين ميلا من سائر جهاته.

ويضيف الشيخ السلاوي أن جميع البناءات التي ذكرها لويز ماريه البرتغالي لازالت قائمة العين والأثر إلا أن الطرى قد اتخذ في هذه الأيام التي هي سنة سبع وتسعين ومائتين وألف (1297هـ) مناراً للمسجد الجامع بعد أن استأذن عامل الجديدة محمد بن ادريس الجراري السلطان الحسن العلوي لقصر المنار القديم الذي لا يسمع الناس الآذان.

ويعود السلاوي إلى إعطاء تفاصيل معمارية هامة حول حصن الجديدة فيقول : (ثم شرع نصارى البرتقال بعد الفراغ من الحصن المذكور في ادارة سور المدينة... فعمدوا إلى بقعة مربعة... مساحة كل ربع منها (375) خطوة وجعلوا مركزها الحصن المذكور ثم أداروا بها سورين عاديين ثخن الخارج منهما نحو (15) شبرا والداخل على نحو الثلثين منه، وبينهما فضاء مردوم بالتراب والحجارة الصغيرة، فصار السوران بذلك سورا واحدا سعته (50) شبرا، وهذا في غير الربع الموالي للبحر.

أما هو فليس فيه ردم وانما هو سور واحد مصمت ارتفاعه من داخل البلد نحو (60) شبرا ومن خارجه نحو (70) شبرا. ثم أداروا خارج السور خندقا فسيحا... عمقه (14) شبراً بحيث بلغوا به الماء وإذا فاض البحر ملأ ما بين جوانبه.

واتخذوا للمدينة ثلاثة أبواب أحدها للبحر وهو باب المرسى، وقد سد البناء في هذه السنين، واثنان للبحر، وجعلوا أمامها قنطرتين بالعمل الهندسي بحيث ترفعان وتوضعان وقت الحاجة إلى ذلك، فصارت المدينة بهذا كله في غاية المناعة...

وجعلوا داخل المدينة خمس حارات وسموا كل حارة باسم كبير من قدمائهم.. واتخذوا بها أربع كنائس، واتخذوا المخازن للاختزان وسائر الموافق، ومن جملتها هري كان يسع ستمائة فنبكة من الحب وأوطنوها بأهلهم وعيالهم... وكانوا يأملون الاستيلاء منها على مراكش...).

3 ــ جامع شفشاون وقنطرة الرصيف :

جامع شفشاون :

من أهم الجوامع التي وسعت بمساهمة ميزانية الدولة وكان أصلا من بناء أبي عبد الله محمد بن راشد في أواخر القرن العاشر الهجري وكانت الزيادة فيه على يد القاضي بشفشاون أحمد بن الشريف العلمي سنة (1012هـ) وتشكل الزيادة أربع بلاطات تزيد طولا عن البلاطات القديمة، كما أن العقود أصبحت أكثر سعة وارتفاعا.

قنطرة الرصيف :

ومن ذكريات عناية الوطاسيين بتدارك بعض المرافق العامة ذكر المؤرخون خبر قيام أبي العباس أحمد الوطاسي بتجديد قنطرة الرصيف بحضرة فاس وذلك في منتصف سنة إحدى وخمسين وتسعمائة.

وفي ذلك يقول الفقيه أبو مالك عبد الواحد ابن أحمد الونشريسي :[1]

جسر الرصيف أبو العباس جدده — فخر السلاطين من أبناء وطاس
فجاء في غاية الاتقان مرتفعا — لمن يمر به من عدوتي فاس
وكان تجديده في نصف عام غنا — من هجرة المصطفى المبعوث للناس

ويشتمل الشطر الأول من البيت الثالث على تاريخ التجديد للقنطرة التاريخية الواصلة بين عدوتي مدينة فاس وهو (غنا) التي تساوي حسب المصطلح المغربي الارقام (900 + 50 + 1) وجملتها سنة (951) هجرية.

وفيما عدا قنطرة الرصيف ورد ذكر السد العظيم الذي بناه على وادي فاس السلطان أبو العباس أحمد الوطاسي (وقد بقي على متانته أكثر من نصف قرن حتى انهار في عهد المنصور السعدي سنة (1009هـ) نتيجة فيضان عظيم)[2].

---

(1) الاستقصا 155/4.

(2) المغرب عبر التاريخ 252/2 واشارته الى نزهة الحادي ص 265.

4 ـ المـــدارس

كانت ظروف الأحوال الأمنية الداخلية والخارجية وقلة موارد الدولة بسبب ضعف الادارة المركزية وبقية الأسباب الآنف شرحها كافية لاعاقة الوطاسيين عن بناء مدارس جديدة تخلد عصرهم على نحو ما فعل أسلافهم المرينيون، وعلى الرغم من ذلك كله فقد حاولوا في نطاق امكانياتهم المحدودة العناية بالمدارس القائمة وسكنى طلابها، فبعد أن كانت مدارس المرينيين عظيمة الثراء بالحبوسات المخصصة للانفاق على المباني والعلماء والطلاب وكسوتهم وحياتهم الكاملة بالمدارس ومرافقها، اقتصرت قدرات الوطاسيين على إيجاد السكن للطلبة، (أما المؤونة فيتصدق بها المحسنون من سكان فاس ونواحيها)[1].

وكان بفاس فضلا عن المدارس والجوامع نحو مائتي كتاب لتعليم التلاميذ القرآن قبل الالتحاق بالمدرسة لتعلم بقية العلوم.

وإذا كانت وفرة مدارس المرينيين بفاس قد اغنت الوطاسيين عن إقامة وانشاء مدارس جديدة في العاصمة العلمية، غير أن مدارس سوس التي عم انتشارها وازدهارها كانت هي الاخرى من ثمرة جهود عدد من العلماء والمحسنين دون الدولة.

ولعل ذلك الوضع كان من وراء عدم وجود تصميم معين أو بناء نموذجي لنظام المدارس السوسية على عصر الدولة الوطاسية (وقد عرفت سوس عدة مدارس من هذا العصر أشهرها مدرسة آقا[2] ومدرسة تازمورت بسملالة التي أسسها أحفاد الامام ابن العربي ومدرسة آل عمرو من أوائل القرن العاشر على يد أسرة آل عمرو والمدرسة البرحيلية بأولاد برحيل[3] ومن أوائل علمائها حسين الشوشاوي المتوفى أواخر القرن التاسع)[4].

---

(1) نفس المصدر ص 255.

(2) نفس المصدر 252 كان من علمائها محمد بن مبارك المتوفى 920.

(3) قرب تارودانت، نفس المصدر ص 252.

(4) نفس المصدر ص 252.

اللبـــاس والحلـــي

وهذه فقرات في اللباس والحلي عند بني وطاس، فقد لبس سكان حاحة كساء الصوف وعمائم اتخذوها من الصوف كذلك لعدم زراعة الكتان وعدم انتشار نسيجه بينهم، وكان لسكان جزولة صدرة بدون أكمام.

وتلبس النساء العربيات قميصا أسود بكمين عريضين فوقه رداء يلف الجسم يتدلى طرفاه على الكتف، واللثام مثقوب أمام إحدى العينين.

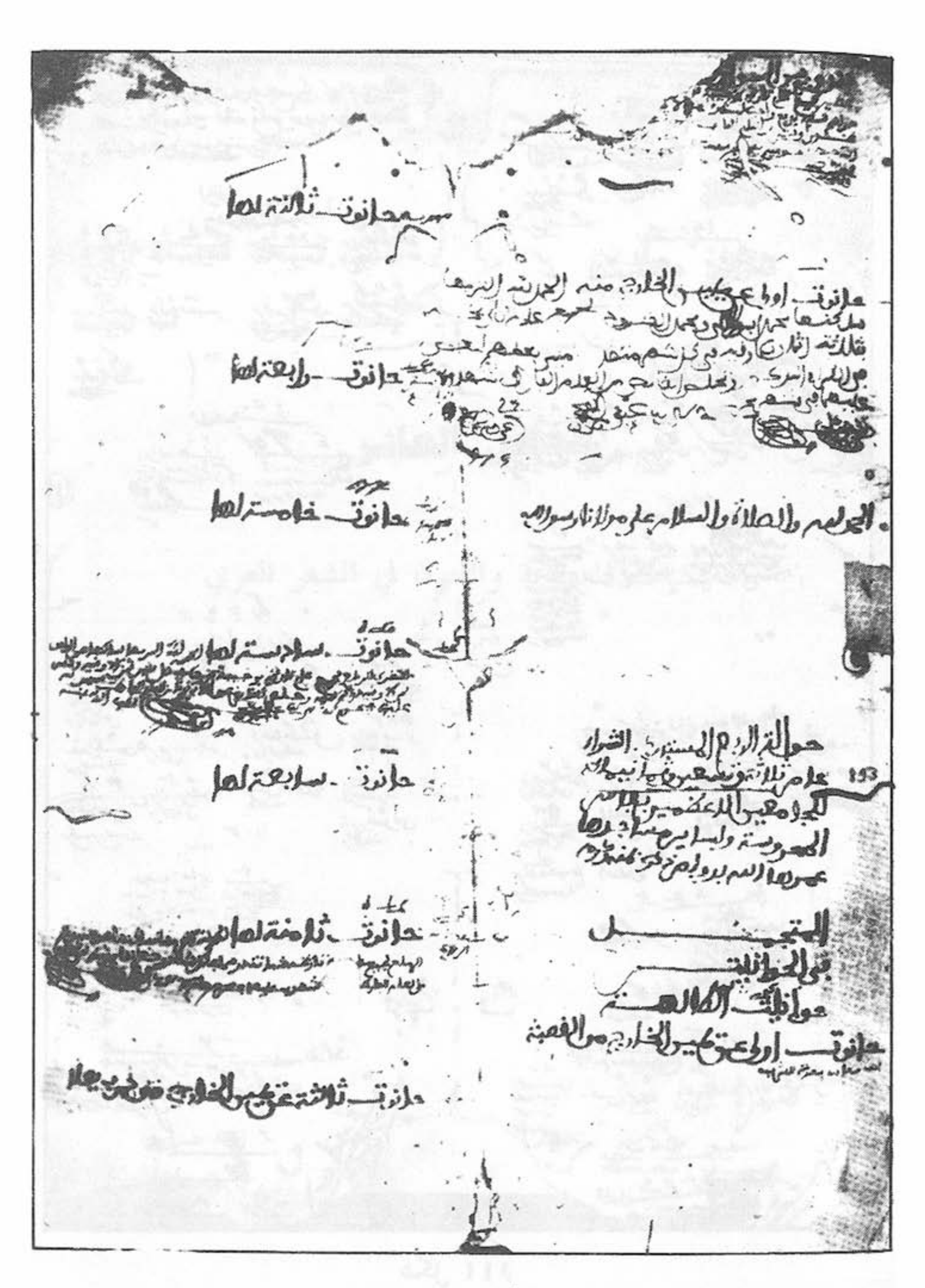
ولباس أعيان أهل فاس الملف المستورد شتاء، ولباسهم معطف يلف الجسد بأكمام نصفية فوقه جبة مخيطة من الأمام فوقها برنس أو سلهام وعلى الرأس طاقية وعمامة، وعامة الناس يلبسون المعطف أو البرنس بدون جبة وطاقية بدون عمامة.

وتلبس نساء فاس في الشتاء فساتين عريضة الأكمام مخيطة من الامام وتلتف المرأة بالحائك وتتلثم باللثام وتستر سيقانها بالسراول.

وتتخذ الحلي من الذهب الاقراط والاساور والخواتم لنساء المدن، أما في البادية فتتخذ المرأة زينتها من الفضة خواتم وأقراط وأساور للسيقان[1].

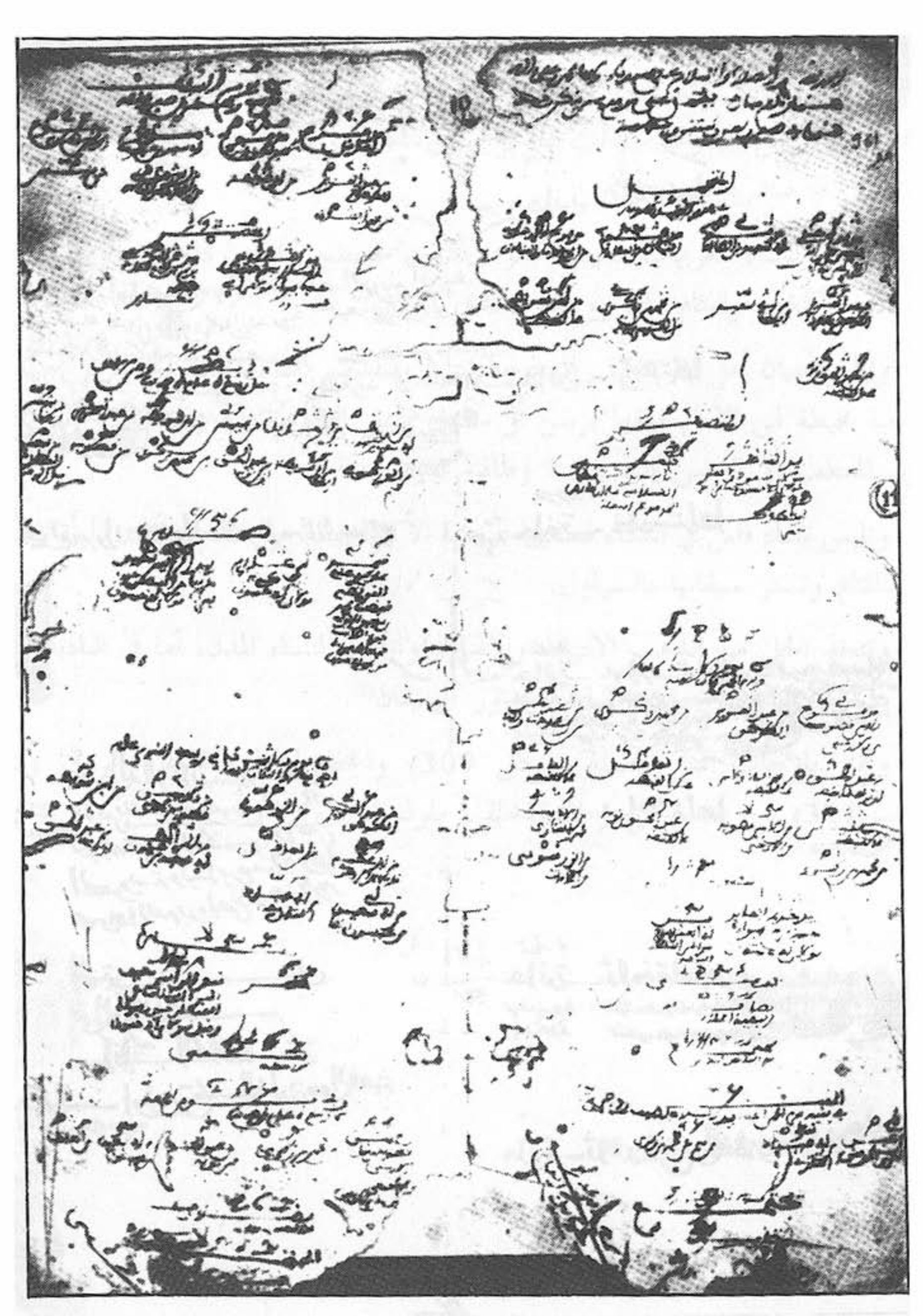
ونختم بلوحات تمثل العملة (شكل 309) والخطوط العربية على الورق (شكل 310 ـــ 311) من عصر بني وطاس خلفاء ملوك المرينيين.

(1) نقلا موجزا عن ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ 237/2.



شكل 310

حوالة حبسية على الورق مخطوطة من عام (899) هجرية



شكل 311

زمام مخطوط على الورق من عصر دولة الوطاسيين

الفصل العاشر

المنشآت المعمارية والفنون في الشعر العربي

الفصل العاشر

المنشآت المعمارية والفنون التطبيقية في الشعر العربي

المباني والمدارس :

كان مما وصف به لسان الدين بن الخطيب منشآت السلطان أبي عنان المريني بالمغرب في كتابه رقم الحلل قوله :

ممهد الملك ومسدى المنن ... وواحد الدهر وفخر الزمن
باني المباني النخبة[1] الشريفة ... بمقتضى همته المنيفة
وتارك المدارس[2] الظريفة ... شاهدة بأنه الخليفة

الزوايا :

كما لخص لسان الدين في رقم الحلل سيرة السلطان أبي عنان بقصيدة نذكر منها :

وخلص الأمر لكلف فارس ... باني الزوايا الكثر والمدارس

وقد وصف أبو بكر بن جزي بعض ما أنشأه السلطان أبو عنان من الزوايا في قوله :

هذا محل الفضل والايثار ... والرفق بالسكان والزوار
دار على الاحسان شيدت والتقى ... فجزاؤها الحسنى وعقبى الدار
هي ملجأ للواردين ومورد ... لابن السبيل وكل ركب ساري
آثار مولانا الخليفة فارس ... أكرم بها في المجد من آثار
بنيت على يد عبدهم وخديمها ... بها العلى محمد بن حدار
في عام أربعة وخمسين انقضت ... من بعد سبعمئين في الأعصار

---

(1) تعددت منشآت أمير المؤمنين أبي عنان مثل المساجد والمدارس والزوايا والأسوار والمستشفيات ومن أكثرها شهرة المدرسة البوعنانية بفاس والأخرى بمكناس. انظر مجمل ذكر تلك الآثار في كتابنا تاريخ شالة الاسلامية الفصل الخاص بمميزات العصر المريني.

(2) ينص ابن الخطيب على المدارس بالذات لشهرة المدرسة البوعنانية بفاس على الخصوص، راجع الأبيات كاملة في الاستقصا ج 3 ص 177.

الــدور :

ويصف ابن الخطيب ساحات الدور المغربية وعظمها في خطابه لمبارك بن إبراهيم الخلطي :

ساحات دارك للضيوف مبارك وبضوء نار قراك يهدى السالك

عمارة شالة الاسلامية والقبور :

وبعد رجوع لسان الدين من مراكش كان ينتاب رباط شالة مدفن المجاهدين من ملوك بني مرين، ومنها كتب إلى السلطان أبي سالم المريني ليشفع له عند أهل الأندلس في رد متاعه، وقد شفع بالكتاب المؤرخ لعام 761 قصيدة منها :

مولاي ها أنا في جوار أبيكا[1] فابذل من البر المقدر فيكا
اسمعه ما يرضيك من تحت الثرى والله يسمعك الذي يرضيكا
مولاي ما استأثرت عنك بمهجتي اني ومهجتي التي تفديكا
لكن رأيت جناب شالة[2] مغنما يضفي على العز في ناديكا

وبأمر السلطان أبي سالم المريني كتب من شعر أبي القاسم عبد الله بن يوسف المالقي أحد كتابه الذين ضمهم ديوانه مع ابن خلدون أبيات في طره قبة رياض الغزلان من حضرته أوردها الناصري في الاستقصا ونقتبس منها :

القباب وهندستها :

هذا محل المنى بالأمن مغمور من حله فهو بالأمان محبور
مأوى النعيم به ما شئت من ترف تهوى محاسنه الولدان والحور
هذى مصانع مولانا التي جمعت شمل السرور وأمر السعد مأمور
وهذه القبة الغراء ما نظرت لشكلها العين الأغر تنظير
وما يصورها في الفهم ذو فكر الا منه لكل الحسن تصوير
ولا يرام بحصر وصف ما جمعت من المحاسن الاصد تقصير
فيها المقاصير تحميها مهابته لله ما جمعت تلك المقاصير

---

(1) يقصدر بجوار قبر أبيك. فقد وقف ابن الخطيب مرارا بين تلك القبور وكتب منها تكرارا لملوك بني مرين يستعطفهم.

(2) عبارة (جناب شالة) تعطينا فكرة عن مدى عناية ملوك المرينيين بمآثرهم ومعرفة المفكرين كابن الخطيب لتلك الحقيقة منذ أن أدار أبو الحسن المريني أسوار شالة عام 739 هجرية وأقام بها القباب وأضاف عدة منشآت عدا منشآت أسلافه بها. راجع بحثنا عن شالة بكتاب الجامعة العربية عن مؤتمر الآثار الثالث.

النسيج والزجاج :

وقد ذكر صاحب الجذوة عن أبي راشد البدري أن السلطان أبا عنان المريني هو الذي أحدث العلم الأزرق في الصومعة يوم الجمعة وأنه أمر بنصب ساري خشب بأعلى الصومعة ينشر فيه علم في أوقات الصلاة وفنار فيه سراج أوقات صلاة الليل ليستدل من لم يسمع النداء[1] ومما قيل في ذلك :

نور به علم الايمان مرتفع ... للمهتدين به للحق ارشاد
يأتون من كل صوب نحوه فلهم ... لديه للرشد اصدار وايراد

السرج :

ومما قيل في السرج[2] :

انظر إلى سرج في الليل مشرقة ... من الزجاج حواها وهي تلتهب
كأنها ألسن الحيات بارزة ... عند الهجير فما تنفك تضطرب

صناعات الساعات :

ومن أهم ما يستلفت النظر في الشعر المغربي تلك الدقة البالغة في وصف الأمور التقنية حسبما قيل في وصف المنجانة. وكان السلطان أبو عنان المريني قد أمر بصنع منجانة بطيقان وطسوس من نحاس مقابلة لباب مدرسته بفاس وجعل شعار كل ساعة أن تسقط صنجة في طاس وتفتح طاق، وذلك في عام 758 هجرية على يد مؤقته علي بن أحمد التلمساني المعدل[3] :

روح من الماء في جسم من الصفر ... مولد بلطيف الحسن والنظر
مستعبر لم يغب عن عينه سكن ... ولم يت من ذوي ضغن على حذر
وفي أعاليه حسبان يفضله ... للناظرين بلا ذهن ولا فكر
إذا بكى دار في أحشائه فلك ... خاف المسير، وان لم يلك لم يدر
مترجم عن مواقيت يخبرنا ... بها، فيوجد فيها صادق الخبر
تقضي بها الخمس في وقت الوجوب وان ... غطى على الشمس ستر الغيم والمطر
وإن سهرت لأوقات تؤرقني ... عرفت مقدار وقت السهد والسهر
مجدد كل ميقات تخيره ... ذوو التميز للأسفار والحضر
ومخرج لك بالأجزاء ألطفها ... من النهار وقوت الليل والسحر
نتيجة العلم والأفكار صوره ... يا حبذا بدع الأفكار في الصور

(1) الاستقصا ج 3 ص 207/206.
(2) زهرة الآس ص 69.
(3) زهرة الآس ص 53.

دليل المصادر والمراجع الرئيسية لدراسة الطرازالمغربي الأندلسي لعصر المرابطين والموحدين وبني مرين

أولا : المراجع العربية

1 - القرآن الكريم : كتاب الله العزيز.
2 - ابن أبي زرع : الأنيس المطرب روض القرطاس، نشر دار المنصور الرباط.
3 - ابن الأحمر : روضة النسرين في دولة بني مرين، باريس 1917 م.
4 - ابن الأثير : الكامل في التاريخ، مصر 1301 هـ.
5 - ابن الزيات التادلي : التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أدولف فور، الرباط 1958.
6 - ابن القاضي : جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام بمدينة فاس، فاس 1309 هـ.
7 - ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة، بيروت 1960.
8 - ابن جبير : رحلة ابن جبير، بيروت 1964.
9 - ابن حيان : المقتبس.
10 - ابن عذارى : البيان المغرب في أخبار المغرب، 1948.
11 - ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الترجمة الفرنسية لجودفروى باريس 1927.
12 - إبراهيم جمعة : قصة الكتاب العربية، سلسلة إقرأ القاهرة 1947 (عدد 53).
13 - إبراهيم حركات (دكتور) : المغرب عبر التاريخ، جزآن.
14 - أبو العباس أحمد الناصري السلاوي : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدارالبيضاء 1955.
15 - أبو العباس المقري : نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، الطبعة الأولى 1949.
16 - أحمد فكري (المرحوم الدكتور) : المسجد الجامع بالقيروان، القاهرة 1936.
17 - ـــــ : مسجد الزيتونة بتونس، القاهرة 1952.
18 - ـــــ : مدخل إلى مساجد القاهرة ومدارسها.
19 - ـــــ : مساجد القاهرة ومدارسها، القاهرة 1962 - 1966.
20 - أرنست كونل : الفن الاسلامي، تعريب أحمد موسى.

21 – البيدق .(أبو بكر الصنهاجي) : أخبار المهدي بن تومرت.
22 – الحسن الوزاني (ليون الافريقي) : وصف افريقيا، الترجمة الفرنسية جزآن باريس 1958.
23 – الخطيب بن مرزوق : المسند الصحيح الحسن، مخطوط رقم (111) بالخزانة العامة بالرباط ومقتطفات ليفي بروفنسال بالهسبريس ومخطوط الاسكوريال (1666 ف ر)
24 – الزركشي : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم (2691 الف).
25 – القلقشندي : صبح الأعشى، القاهرة 1914.
26 – السيد بن علي الدكالي (مؤرخ مرحوم) : اتحاف أشراف الملا، مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم (11).
27 – ــــ : الدرة اليتيمة، مخطوط الخزانة العامة بالرباط (ميكروفيلم رقم 11).
28 – ــــ : حدائق الأزهار، تفصيل ما أجمله في الأتحاف، مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم (د 1320).
29 – السيد عبد العزيز سالم (دكتور) : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، 1962.
30 – ــــ : العمارة الحربية في الأندلس، مصر، دائرة معارف الشعب 64.
31 – ــــ : المغرب الكبير، الجزء الثاني العصر الوسيط، الاسكندرية 1966.
32 – بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية.
33 – جمال محرز (المرحوم الدكتور) : الرسوم الجدارية الاسلامية في البرطل الحمراء.
34 – جوميث مورينو : الفن الاسلامي في اسبانيا، الترجمة العربية، مصر 1968.
35 – حسن أحمد محمود (دكتور) : قيام دولة المرابطين.
36 – حسن حسني عبد الوهاب (المرحوم) : ورقات في الحضارة التونسية بافريقية، جزآن تونس 1965 – 1966.
37 – حسين مؤنس (دكتور) : مجموعة رسائل مرابطية، معهد الدراسات الاسلامية مدريد 1954.
38 – ديماند (م.س) : الفنون الاسلامية، تعريب أحمد محمد موسى، القاهرة 1953.
39 – زاهية راغب الدجاني : المدارس النظامية، مجلة العربي يونيو 1971.
40 – زكي محمد حسن (المرحوم الدكتور) : فنون الاسلام، طبعة أولى القاهرة 1948.
41 – ــــ : الفن الاسلامي : في مصر، القاهرة.
42 – ــــ : ترجمة الجزء الثاني من كتاب تراث الاسلام وضع كريستي وأرنولد.
43 – سعد زغلول عبد الحميد (دكتور) : تحقيق كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار لمؤلف موحدي مجهول، نشر جامعة الاسكندرية بمصر.
44 – سيد أحمد نقشبندي : الدينار الاسلامي في المتحف العراقي، بغداد 1953.

45 – عباس الجراري (دكتور) : تطور الأدب الأندلسي في عهد المرابطين، مجلة المناهل الرباط عدد 16 ديسمبر 1979.
46 – عبد الله السويسي : تاريخ رباط الفتح، 1979 (نقل عنا نتائج اكتشافاتنا الأثرية المنشورة دون الاشارة إلى مرجعه ودون كفاية في مجال الدراسة الأثرية يشاركه مقدم الكتاب في المسؤولية)
47 – عبد الله السقاط : الزاوية المغربية، مجلة دعوة الحق الرباط أبريل 1987.
48 – عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة.
49 – ــــ : كتاب العبر وديوان المبتدء والخبر.
50 – عبد العزيز بن عبد الله : نقد منهجية تيراس، بجريدة العلم الرباط 2 فبراير 1952.
51 – ــــ : مظاهر الحضارة المغربية جزآن، الدارالبيضاء 1957 – 1958.
52 – ــــ : الفن المغربي في خمسة قرون، مجلة التربية الوطنية الرباط أكتوبر 1959.
53 – ــــ : معطيات الفن الاسلامي في المغرب، بحث لمؤتمر الآثار السابع لجامعة الدول العربية بأبي ظبي 1974.
54 – عبد القادر زمامة : معالم وأعلام من فاس القديمة، مجلة البحث العلمي الرباط أبريل 1975.
55 – عبد الله كنون (المرحوم) : النبوغ المغربي جزآن.
56 – عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القاهرة 1964.
57 – ــــ : الآثار الأندلسية الباقية، القاهرة 1961.
58 – عبد الملك بن صاحب الصلاة : تاريخ المن بالامامة، تحقيق عبد الهادي التازي، بيروت 1964
59 – عبد الهادي التازي (دكتور) : جامع القرويين 3 أجزاء بيروت.
60 – ــــ : الحروف المنقوشة بالقرويين، كتاب المؤتمر الثالث للآثار بالبلاد العربية، طبع القاهرة 1960.
61 – عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب، القاهرة 1949.
62 – عبد الرحمن السهيلي (دفين مراكش 583 هـ) : تاريخ في دولة الموحدين
63 – عبد الرحمن بن محمد الجيلالي : تاريخ الجزائر العام، الجزائر 1971.
64 – عبد الوهاب بن منصور (مؤرخ المملكة المغربية المعاصر) : قبائل المغرب، جزء أول الرباط 1968.
65 – عثمان عثمان إسماعيل (دكتور) : نقص الدراسات في الخزف الاسلامي المغربي، كتاب المؤتمر الخامس للآثار بالبلاد العربية، طبع القاهرة 1969.
66 – ــــ : شالة وقيمتها التاريخية، كتاب الجامعة العربية للمؤتمر الثالث للآثار،طبع القاهرة 1960.
67 – ــــ : القاهرة المغربية، تحقيق موقع صراع ابي الحسن المريني وولده أبي عنان، مجلة التربية الوطنية الرباط يونيو 1960.

68 – ـــــ : على هامش نداء اليونسكو لانقاذ آثار مدينة فاس، تصويبات لأخطاء معاصرة بالمدرسة البوعنانية ومتحف البطحاء بفاس، دعوة الحق بالرباط اعداد يوليو 1980 ونوفمبر 1980.
69 – ـــــ : الفن الاسلامي وروافده شرقا وغربا، مجلة المتحف العربي الكويت أكتوبر 1987
70 – ـــــ : عمارة ومميزات أبواب الموحدين برباط الفتح، مجلة المتحف العريق يناير 1987.
71 – ـــــ : تاريخ العمارة والفنون بالمغرب الأقصى بمجلة المنهل السعودية، جدة يوليو / أغسطس 1985.
72 – ـــــ : تعالوا معنا إلى المغرب، دراسة تاريخية، مجلة المنهل جدة مارس/أبريل 1988.
73 – ـــــ : فلسفة المرابطين ومؤثرات الفن الاسلامي في الطراز المغربي الأندلسي مجلة المنهل جدة يوليو 1989.
74 – ـــــ : مظاهر الحضارة المعمارية والفنون في شعر ابن زيدون مجلة المنهل جدة اعداد سبتمبر/أكتوبر 86 ونوفمبر 86 ويناير 87 وفبراير 87 وأبريل 87.
75 – ـــــ : أقدم مسجد عتيق برباط الفتح، مجلة دعوة الحق الرباط أكتوبر 1984 ونوفمبر 1985.
76 – ـــــ : حيوية فنون المغرب، بكتاب متنوعات محمد الفاسي نشر جامعة محمد الخامس 1967.
77 – ـــــ : ملوك المغرب ورجاله يسجلون انتصارات الاسلام بالأندلس، جريدة الأنباء 74/8/20
78 – ـــــ : الآثار الاسلامية بالمغرب العربي وحرب المستشرقين، مجلة دعوة الحق الرباط، سلسلة في أربع حلقات ابتداء من يونيو 74.
79 – ـــــ : تاريخ شالة الاسلامية، دار الثقافة بيروت 1975.
80 – ـــــ : حفائر شالة الاسلامية، دار الثقافة بيروت 1977.
81 – ـــــ : دراسات جديدة في الفنون الاسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى، دار الثقافة بيروت 1977.
82 – ـــــ : تاريخ العمارة الأثرية والفنون الاسلامية بالمغرب الأقصى 5 أجزاء.
83 – ـــــ : المغرب إسلام وحضارة، 20 حلقة عن آثار وفنون المغرب، جريدة الأنباء الرباط 1980.
84 – ـــــ : الحضارة أصل وصورة 21 حلقة عن آثار وفنون المغرب، جريدة الأنباء الرباط 1980.
85 – ـــــ : الموحدون أصحاب مدرسة في الفن والعمارة، ستة أبحاث مسهبة جريدة العلم الرباط أكتوبر 1980 (على هامش ندوة الهندسة المعمارية لبلدان البحر الأبيض المتوسط بوزارة الثقافة بالرباط.
86 – ـــــ : قول في الآثار الاسلامية 20 حلقة بجريدة الميثاق الوطني الرباط ديسمبر 1980 ويناير 1981.

87 - ـــــ : مشرق الحضارة بالمغرب الأقصى 30 حلقة عن تاريخ العمارة والفنون المغربية، جريدة الميثاق الوطني العدد الأسبوعي 1982/1981.
88 - ـــــ : الحياة الثقافية بالمغرب، نشر وزارة الاعلام الرباط مارس 1879. الفصل المتعلق بالآثار والمباني التاريخية والمتاحف ومركز احصاء التراث
89 - ـــــ : أصحاب الميمنة، سيرة أبطال الايلام بالمغرب من الأصول والمصادر، (منذ عصر القادة الفاتحين إلى عصر الأشراف العلويين) دار الكتاب الدارالبيضاء.
90 - ـــــ : إنصاف ابن خلدون من تهمة التهجم على العرب، مجلة المنهل، وزارة الثقافة الرباط عدد أول.
91 - علي الجزنائي : جنى زهرة الآس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية الرباط 1967.
92 - فاطمة العلوي : الطرز المغربي الأصيل.
93 - قاسم الزهيري : تأثير الحضارة المغربية على دول افريقيا، سلسلة بجريدة العلم الرباط 28/23 مارس 1963.
94 - لسان الدين بن الخطيب : ريحانة الكتاب، معلوماته عن عن زاوية النساك.
95 - ـــــ : تاريخ المغرب العربي (قسم من كتاب أعمال الأعلام) تحقيق محمد ابراهيم الكتاني وزميله.
96 - ـــــ : تاريخ اسبانيا الاسلامية (قسم من كتاب أعمال الأعلام) تحقيق ليفي بروفنسال، بيروت 1956.
97 - ليفي بروفنسال : الاسلام في المغرب والأندلس، تعريب السيد عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين، القاهرة 1956.
98 - ـــــ : مجموعة رسائل موحدية، الرباط 1941.
99 - محمد الفاسي (أستاذ رئيس الجامعة ووزير) : تصدير كتابنا تاريخ شالة الاسلامية.
100 - ـــــ : شاعر الخلافة الموحدية، الرباط 1957.
101 - ـــــ : نشأة الدولة المرينية ومميزات العصر المريني، سلسلة محاضرات عامة، جامعة محمد الخامس يناير 1961.
102 - ـــــ : الأرقام العربية الحقيقية، مجلة المنهل، جدة مارس 1987.
103 - محمد المنوني : فاس معلمة، مجلة فنون، وزارة الثقافة الرباط نوفمبر 1973.
104 - ـــــ : منشآت مرينية، مجلة المناهل الرباط ديسمبر 1979.
105 - ـــــ : وصف المغرب أيام أبي الحسن المريني، مجلة البحث العلمي الرباط عدد 1.
106 - ـــــ : فاس الجديد مقر الحكم المريني، مجلة البحث العلمي الرباط عدد 11 و12.
107 - ـــــ : دور الأوقاف المغربية في التكامل الاجتماعي، مجلة دعوة الحق الرباط يوليو 1983.
108 - ـــــ : ورقات عن الحضارة المغربية.

109 – محمد العرائشي : خزانة الجامع الكبير بفاس، دعوة الحق الرباط مارس 1984.
110 – محمد ابن أبي شنب : نشر حوادث مجهولة المؤلف باسم (الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، الجزائر 1920.
111 – محمد ابن أحمد المطري : التعريف بما آنست الهجرة من معالم الهجرة، تحقيق محمد ابن عبد المحسن الخيال.
112 – محمد بن جعفر بن ادريس الكتاني : سلوة الانفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من صلحاء فاس.
113 – محمد بوجندار (المؤرخ المرحوم) : شالة وآثارها، الرباط 1340 هـ.
114 – ــــ : مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح، الرباط 1925 م.
115 – ــــ : قصبة الرباط التاريخية، مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم (د 1047).
116 – محمد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، نشر دار الكتب المصرية.
117 – يحيى بن خلدون : تاريخ بني عبد الواد ملوك تلمسان.

ثانيا : المراجع الأجنبية :

118 Allain (Ch.) et Deverdin (G.) : Les portes anciennes de Marrakech. Ds. Hesp. T. XLIV 1957.
119 Bargès : Tlemcen, Paris 1859.
120 Basset (H.) : Salih ben Tarif. Encycl de l'Islam, Paris 1925, P. 117.
121 ------ : Un àquedec Almohade à Rabat Ds. Revue Afr. LXIV 1923.
122 ------ ; Une primitives Mosquée de la Koutoubia à Marrakech Ds. Comptes rendus de l'acad. des Inscrip. et belles lettres 1923.
123 Basset (H.) et Provençal (L.) : Chella une Nécropoles Mérinide. Paris 1923.
124 ------ : l'Inscription funéraire d'Aboul Hassan à Marrakech, Hesp. 1922.
125 Bel (A.) : Les premiers Emirs Mérinides et l'Islam, Paris 1937.
126 ------ : Contribution à l'étude des dirhams de l'époque Almohade, Hesp. 1933.
127 ------ : Les Inscriptions Arabes de Fès, Paris 1919.
128 ------ : Almovides et Almohades, Encycl. de l'Islam.
129 ------ : L'épigraphie dans la décoration des médersa mérinides de Fès. Acte du congrés d'histoire de l'art, Paris 1921.
130 ------ : Les Industries de la céramiques à Fès, Paris 1918.
131 ------ : Ali ben Yusif, Ds. Encycl. de l'Islam T.I, P.292.
132 Berchem (Max Van) : L'art Musulman au musée de Tlemcen, Journal des savants 1906, P.410 - 425.
133 ------ : L'épigraphie Musulmane en Algérie, Ds. R. Afri 1905.
134 Bertaux (E.) : L'art Mudejar, les survivances de l'art Musulman dans l'art Chrétien d'Espagne (R. des cours et conférences) 1912 - 1913.
135 Beylie (général léen de) : la kalaa de Béni-Hammad, Paris 1909.
136 Blachère (R.) : Quelque détails sur la vie privée de sultan Mérinide Abi el Hassan; Ds. memorial H. basset T.I
137 Borely (J.) : La Mosquée de Hassan à Rabat a-t-elle été achevée ? Ds. France-Maroc Juin 1925.
138 ------ : Tinmel douze carnets de notes, geuthner 1934.
139 Brémond (G.) : Berbères et Arabes 1950.
140 Brèthes (J.D) : Contribution à l'histoire du Maroc par les recherches numismatiques, Casablanca 1939.
141 Brosslard : Inscriptions Arabes de Tlemcen; Ds. R. Afri III.
142 BUTLER : Islamic Pottery, London 1926.
143 Caillé (J.) : La Mosquée de Hassan à Rabat.
144 ------ : La ville de Rabat 3 Vol.
145 Calvert (A.F.) : The Alhambra, London New-york 1907.
146 Campardou (J) : Inscription du lustre de la Mosquée de Taza, Ds D'Afrique Française sept 1913.
147 Canard (M.) : Les relations entre les Mérinides et les Memlouks au XIV S. Ds. Annales de l'institut des études orientales V, P. 41 - 81.
148 Catalogue Raisonné du Musée de la ville d'ORAN.
149 Circourt (de) : Histoire des mores Medejares et des Morisques ou des Arabes d'espagne sous domination chrétienne, paris 1946.
150 COLIN (G.) : Tit, encycl. de l'Islam T.N 1930.

151 Cour (A.) : Cataloque des manuscrits de la médersa de Tlemcen, Alger 1907.
152 ------ : Les derniers Merinides, Bul de la Soc. de géog, d'Alger; 1905.
153 Creswell (K.A.C.) : Early Muslim architecture Oxford 1932 - 40.
154 Delaroziere (J) et Henri Bresselette : La grande noria et L'aqueduc de vieux mechouar à Fès - Djedid Ds (Soc, de l'Afrique du nord) Rabat Avril 1938, Alger 1939.
155 Delpy (A.) : Note dure une exposition temporaires de céramiques Musulmanes archaique trouvés au Maroc (Cahier des arts et tech. d'Afri - du nord) 1951.
156 Dernade (L.) : Les portes de Fès, france - Maroc 1922.
157 Desus Lamare (L.) : Le anza. 5e congrés inter, d'arch. alger Avril 1930.
158 Dieulafoy (L.C.) : La Mosqué de Hassan, 1919.
159 Deverdum (G.) : deux tahbis Almohades. Hesp, 1954.
160 ------ : Etude épigraphique D.S. Publ, de l'inst, des H.E.M. T.L.I.V. 1957.
161 ------ : Inscriptions Arabes de Marrakech. Rabat 1956.
162 Devonshir, Mrs R.L : Madrassas and Mderssas, Burlington Magazine XLIX, P 111.
163 Diez (E.) : Manara (Minaret). encycl, de l'islam 1929.
164 Doutte (E.) : La Mosquée de Tinmal Ds, J. Asiati, 1902.
165 ------ : Bibliographie des Inscriptions Mérinides de Chella, Ds. Marrakech - paris 1925.
166 Gallotti (J.) : Le lanternon du minaret de la koutoubia à Marrakech, Hesp. 1923.
167 Gayot (H.) : Le décor floral de L'islam occidental.
168 Galvin (L.) : La Meghreb central à l'époque des Zirides, paris, 1957.

أبحاث موضوعية وهامة لتوضيح العلاقات الفنية.

169 Gomez Moreno (M.) : L'entrecroisement des arcades dans l'architecture, Arabe. (acte de congrés d'hostoire de l'art) Paris 1921.
170 Guichard : La Giralda du Magreb. France - Maroc 1921.
171 Houdas (O.) : essai sur l'écriture Maghrebine du nouveaux mélanges orientaux de l'école des langues orientales vivantes Paris 1886.
172 Joudia Hassar : note à propos d'un bronze arabe trouvé au chella, (B.A.M) T.X, p, 173 + 15 Pl.
173 Julien (Ch.A.) : histoire de l'Afrique du nord 2e Vol. Paris 1956.
174 Kunnel (E,) : Vom Maurischen Ornament. Ds. kunst and kunstler, XXII p 94 - 103.
175 ------ : Maurisch kunst 1924.
176 Lavoix (H.) : catalogue des monnaies de la bibliothèque nationale (France) 1887 - 1892.
177 le Tourneau (R.) : Fès avant le protectorat, Casablanca 1943.
178 Maitret (capitaine) : la fortification Nord Afri. Ds, Archives Berbère 1916.
179 Marçais (G.) : l'architecture Musulmane d'occident, Paris 1955.
180 ------ : Manuel d'art Musulman, 1926.
181 ------ : Tlemcen, paris 1950.
182 ------ : l'art de l'islam, 1946.
183 ------ : les échanges artistiques entre l'Egypte et les pays Musulmans occidenteaux, Hesp, XIX 1934.
184 ------ : remarques sur les méderssa funéraire en berberie, à propos de la tachfinia de Tlemcen, le Caire 1937.
185 ------ : Mérinides, Ds. encycl. de l'islam.
186 Marçais (W. et G) : Les monuments Arabes de Tlemcen, paris 1903.
187 Maslow (B.) : Les mosquées de Fès et du nord du Maroc, 1934.

188 ------ : La quobba Barudiyyin, Al Andalous XIII 1948.
189 Meunié (J.) et Allain (C.) : La forteresse Almorovides de Zagora, Hesp, T. XLIII 1936.
190 Michaux - Bellaires (E) : A Propos d'une inscription mérinide à Al - Kasr - Al kebir Hesp 1927.
191 Migeon (C.) : Les arts Musulmans 1926.
192 ------ : Manuel d'art Musulman 1927.
193 Mission Sc du Maroc : Rabat et sa région 4 Vol Paris 1918.
194 Otte - Dorn (kattarina) : lart de l'Islam. traduit de l'Allemand par Jean - Pierre Simon Hollande 1967.

المرابطون ص 124، الموحدون والطراز المغربي الأندلسي ص 125 تخطيط المسجد بشكل حرف T بالمغرب يرجع إلى طراز القيروان ص 125 قصور المرابطين والموحدين ص 126 دار الامارة بمراكش (قصر المرابطين) تجاور آثاره موقع الكتبية.

195 Paul Pascon : Description des Mudd et Sa Maghrebins. Hesp - Tamuda 1975 T. XVI, P 88.
196 Pauty (E.) : Le plan de l'université quarawiyin à Fès. Hesp 1923.
197 ------ : Vue d'ensemble sur les hammams de Rabat - Salé.
198 Pool (stanly - lane) : the Moors in Spain, london 1889.

نقله إلى العربية علي الجارم (العرب في إسبانيا)

199 Provençal (L.) : Inscriptions Arabes de l'Espagne Paris - leyde 1931.
200 ------ : Le titre souverin des Almoravides. Ds. Arabica II, 1955.
201 ------ : La civilisation Arabe en Espagne, le Caire 1938.
202 ------ : Grenade Musulmane, (Annales universitaires de l'Algérie, Alger 1937.
203 Raguenet (A.) : Petits édifices historique, Paris 1931.

عن صوامع مسجد المنصورة وسيدي الحلوي ومسجد ابي الحسن بتلمسان.

204 Ricard (P.) : Corpus de tapis Marocains.
205 ------ : L'horloge de la médersa Bou - Anania de Fès.Ds Bull. Sco.Géo. de L'Alger XXIX, P 248 - 254.
206 ------ : Fès et ses environs, Paris 1920.
207 ------ : Pour comprendre l'art Musulman dans L'Afrique du nord et en Espagne, Paris 1924
208 ------ : Note sur la mosqué de tinmel, Hesp 1923.
209 ------ : L'évolution de l'architecture et de la décoration, France - Maroc, IV (chronique de Fès) P 157.
210 Ricard (P) et delpy (A) : note au sujet de vielles portes de maisons Marocains Hesp, XV 1932.
211 ROY (B.) etPoinssot (R) : Inscriptions Arabes et kairouan, (bull, de H.E.T) Vol. II, Paris 1950.
212 Saladin (Henri) : Manuel d'art Musulman, L'architecture I, Paris 1907 (Medersa du Maroc P. 185 - 309).
213 Terrasse (Henri) : La MOsquée des Andalous à fès - Paris 1942.

(Les boiseries بحث في أشغال النجارة)

214 ------ : L'Art Hispano - Mauresque Paris 1932.

215 ------ : La forteresse Almoravide d'Amergo.
216 ------ : Le Jama Al-Gnaiz à la mosquée d'al quarawiyin, Hesp, XIX 1934.
217 ------ : L'influence de l'Afriquiya sur l'archit. Mus. du Maroc avant les almoravides Revue Afri. 1938.
218 ------ : Trois bains Mérinides au Maroc Ds Al-Andalous XVII 1950.
219 ------ : Les monuments Almoravides de Marrakech acte de XXI[e] congrés int. de Orient. Paris 1949.
220 ------ : La grande Mosquée de Taza 1943.
221 ------ : Les portes de L'arsenal de alé, Hesp. 1922.
222 ------ : Minbars anciens du Maroc (Mélanges d'histoire et archéologie de l'occident Musulman) Alger 1958.
223 ------ : Ville impèriales du Maroc, Grenoble 1937.
224 ------ : Une porte Mérinides de Fès-Djdid (instit. d'études orient.) 1947.
225 Terrasse (H.) et Basset (H.) : Sanctuaires et forteresse Almohades, Paris 1932.
226 Terrasse (H) et Hainaut (J.) : Les arts décoratifs au Maroc, Paris 1925.
227 Terrasse (M) : Le mobilier liturique Mérinides, (B.A.M.)T.X, P. 185 - 198 + 13 PL.

معالم وتطور العمارة الإسلامية بإمارات ودول المغرب العربي وإسبانيا المسلمة

المغرب الأدنى إفريقية تونس	المغرب الأوسط (الشرقي) قسنطينة	المغرب الأوسط (الغربي) الجزائر وهران تلمسان	المغرب الأقصى	إسبانيا المسلمة
الفتح الإسلامي عصر القادة الفاتحين وعصر الولاة التابعين للخليفة الأموي بدمشق ثم العباسي ببغداد تأسيس المسجد الجامع بالقيروان تأسيس ضريح سيدي عقبة بن نافع جامع الزيتونة بتونس				
بنو الأغلب عمران القيروان وتوسعة مسجدها الجامع وتأسيس العباسية ورقادة ومدينة سوسة	**الخوارج الرستميون (أباضية)** تأسيس تاهرت، بناء سدراتة	**بنو مدرار** خوارج بناء سجلماسة	**دولة الأشراف الأدارسة** تأسيس مدينة فاس بعدوتيها وجامعيها القرويين والأندلس. تأسيس مسجد شالة العتيق بعد تقسيم المملكة في عهد الإمام محمد بن المولى إدريس الثاني (1).	**الأمويون الغربيون** إمارة عبد الرحمن الداخل ثم خلافة قرطبة ثم دولة تابعهم الحاجب المنصور بن أبي عامر، قرطبة وجامعها ومدينة الزهراء.
العبيديون الفواطم بناء المهدية وجامعها والأسوار المسيلة		**زناتة** بناء افكان	**الزناتيون : المغراويون والمكناسيون وبنو يفرن** تأسيس مدينة وجدة، عمارة مسجد شالة العتيق وبناء صومعته (2)	**عصر ملوك الطوائف** قصر الجعفرية بسراقسطة وعمارة بني هود بطليطلة وآثار بني عباد بإشبيلية
بنو زيري (صنهاجة) تأسيس مدينة أشير	**بنو حماد (صنهاجة)** بناء القلعة ودار البحر الحمادي ومسجد القلعة ومنارها تأسيس مدينة بجاية	**المرابطون (صنهاجة)** مسجد جزائر بني مزغنة مسجد ندرومة وتلمسان الأعظم	توسعة جامع القرويين وعمارته العامة النهائية	
النورماند عمارة وفنون صقلية	**الموحدون (امبراطورية تضم دول المغرب العربي والأندلس)**		تأسيس جامع تينمل، جامع الكتبية بمراكش ومناره، قصبة مراكش وجامعها ومناره، تأسيس قصبة المهدية نواة رباط الفتح، مسجد حسان ومناره، تأسيس مدينة رباط الفتح، أسوار وأبواب تاريخية شهيرة بالعمارة الإسلامية : كباب أجناو بمراكش وأبواب الرواح والوداية وباب العلو وباب الأحد برباط الفتح.	جامع قصبة اشبيلية ومناره (الجيرالدا) أبراج وأسوار وحصون
الحفصيون قصور ومساجد ومدارس ودور لسك العملة		**بنو زيان (بنو عبد الواد ملوك تلمسان)** مسجد بلحسن بتلمسان وصومعة المسجد المرابطي الأعظم بتلمسان	**بنو مرين الزناتيون ورثة الموحدين** مدارس فاس ومكناس وسلا ومراكش، تأسيس فاس الجديد أسوار وقباب شالة وتوسيع مسجد الأدارسة بها وبناء زاوية أبي سعيد وزاوية المدخل بشالة (3) تأسيس مدن وصوامع وإقرار معالم الطراز المغربي الأندلسي بالمملكة المغربية إلى اليوم.	**بنو نصر (بنو الأحمر)** قصر الحمراء بجميع مرافقه بغرناطة
نيابات (ولايات) العصر العثماني **عهد البيلربكوات** **البدايات الباشوات** مساجد وقصور	مساجد وقصور قسنطينة	مساجد وقصور الجزائر	**الوطاسيون أتباع المرينيين** **الأشراف السعديون** قبور الأشراف السعديين بمراكش وقصر البديع بمجزأته العلمية بها، مساجد كثيرة (بمراكش وفاس) وقصور ومصانع للسكر	نهاية عصر إمارات ودول المسلمين وبداية حكم النصارى (نهاية نشاط الطراز المغربي الأندلسي) وبداية ظهور طراز المدجنين
الاستعمار الفرنسي منشآت عصرية			**الأشراف العلويون** قصور ومساجد ومؤسسات وأسوار مكناس (الإسماعيلية) قصبة مهدية سبو، فنادق فاس ومساجدها العلوية ومساجد مراكش ورباط الفتح كجامع السنة وجامع مولاي سليمان والجامع الكبير، قصر الباهية بمراكش. **الحماية الفرنسية (لم تشيد ما شيدته ببقية شمال إفريقيا)**	
الجمهورية التونسية منشآت عصرية	**الجمهورية الجزائرية** منشآت عصرية		**المملكة المغربية** عصر الاستقلال والانبعاث (دولة محمد الخامس والحسن الثاني) شيدت المملكة مجموعة سدود تاريخية وفريدة، دار السلام وقصور الرباط، تأسيس مساجد ومدن وموانئ جديدة ومؤسسات عصرية وجامعات، تشييد الحسن الثاني لضريح محمد الخامس بالرباط العمل الفني النموذجي لعصر الأشراف العلويين، مسجد الحسن الثاني بالدار البيضاء.	

خريطة تطور أشهر معالم العمارة الإسلامية بالمغرب الإسلامي دون التقيد بمقياس رسم معين لمدد سنوات الحكم المعاصرة فيما بينها

(1) بعد اكتشافاتنا الأثرية. كتابنا تاريخ شالة الإسلامية وكتابنا حفائر شالة الإسلامية وكتاب الفنون الإسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى

(2) بعد اكتشافاتنا الأثرية. كتابنا تاريخ شالة الإسلامية وكتابنا حفائر شالة الإسلامية وكتاب الفنون الإسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى

(3) بعد اكتشافاتنا الأثرية. كتابنا تاريخ شالة الإسلامية وكتابنا حفائر شالة الإسلامية وكتاب الفنون الإسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى

دليل مقابلة التاريخ الهجري بالتاريخ الميلادي

الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي
1	16 يوليوز 622	35	11 يوليوز 655	69	6 يونيو 688	103	1 يوليوز 721
2	5 يوليوز 623	36	30 يونيو 656	70	25 يونيو 689	104	21 يونيو 722
3	24 يونيو 624	37	19 يونيو 657	71	15 يونيو 690	105	10 يونيو 723
4	13 يونيو 625	38	9 يونيو 658	72	4 يونيو 691	106	29 مايو 724
5	2 يونيو 626	39	29 مايو 659	73	23 مايو 692	107	19 مايو 725
6	23 مايو 627	40	17 مايو 660	74	13 مايو 693	108	8 مايو 726
7	11 مايو 628	41	7 مايو 661	75	2 مايو 694	109	27 أبريل 727
8	1 مايو 629	42	26 أبريل 662	76	21 أبريل 695	110	16 أبريل 728
9	20 أبريل 630	43	15 أبريل 663	77	10 أبريل 696	111	5 أبريل 729
10	9 أبريل 631	44	4 أبريل 664	78	30 مارس 697	112	26 مارس 730
11	29 مارس 632	45	24 مارس 665	79	20 مارس 698	113	15 مارس 731
12	18 مارس 633	46	13 مارس 666	80	9 مارس 699	114	3 مارس 732
13	7 مارس 634	47	3 مارس 667	81	26 فبراير 700	115	21 فبراير 733
14	25 فبراير 635	48	20 فبراير 668	82	15 فبراير 701	116	10 فبراير 734
15	14 فبراير 636	49	9 فبراير 669	83	4 فبراير 702	117	31 يناير 735
16	2 فبراير 637	50	29 فبراير 670	84	24 يناير 703	118	20 يناير 736
17	23 يناير 638	51	18 يناير 671	85	14 يناير 704	119	8 يناير 737
18	12 يناير 639	52	8 يناير 672	86	2 يناير 705	120	29 ديسمبر 737
19	2 يناير 640	53	27 يناير 672	87	13 ديسمبر 706	121	18 ديسمبر 738
20	21 ديسمبر 640	54	16 ديسمبر 673	88	12 ديسمبر 707	122	7 ديسمبر 739
21	10 ديسمبر 641	55	6 ديسنبر 674	89	1 ديسمبر 708	123	26 نوفمبر 740
22	30 نوفمبر 642	56	25 نوفمبر 675	90	20 نوفمبر 709	124	15 نوفمبر 741
23	1 نوفمبر 643	57	14 نوفمبر 676	91	9 نوفمبر 709	125	4 نوفمبر 742
24	7 نوفمبر 644	58	3 نوفمبر 677	92	29 أكتوبر 710	126	25 أكتوبر 743
25	28 أكتوبر 645	59	23 أكتوبر 678	93	19 أكتوبر 711	127	13 أكتوبر 744
26	17 أكتوبر 646	60	13 أكتوبر 679	94	7 أكتوبر 712	128	3 أكتوبر 745
27	7 أكتوبر 647	61	1 أكتوبر 680	95	26 سبتمبر 713	129	22 سبتمبر 746
28	25 سبتمبر 648	62	20 سبتمبر 681	96	16 سبتمبر 714	130	11 سبتمبر 747
29	14 سبتمبر 649	63	10 سبتمبر 682	97	5 سبتمبر 715	131	31 سبتمبر 748
30	4 سبتمبر 650	64	30 اغسطس 683	98	25 اغسطس 716	132	20 اغسطس 749
31	24 اغسطس 651	65	18 اغسطس 684	99	14 اغسطس 717	133	9 أغسطس 750
32	2 اغسطس 652	66	8 اغسطس 685	100	3 اغسطس 718	134	30 أغسطس 751
33	2 اغسطس 653	67	28 يونيو 686	101	24 يوليوز 719	135	18 يوليو 752
34	22 يوليوز 654	68	18 يونيو 687	102	12 يوليوز 720	136	7 يوليو 753

الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي
137	27 يوليو 754	174	20 مايو 790	212	2 أبريل 827	249	24 يبراير 863
138	16 يونيو 755	175	10 مايو 791	213	22 مارس 828	250	13 يبراير 864
139	5 يونيو 756	176	28 مايو 792	214	11 مارس 829	251	2 يبراير 865
140	25 مايو 757	177	18 أبريل 793	215	25 فبراير 830	252	22 يناير 866
141	14 مايو 758	178	7 أبريل 794	216	18 فبراير 831	253	11 يناير 867
142	4 مايو 759	179	27 مارس 795	217	7 فبراير 832	254	1 يناير 868
143	22 أبريل 760	180	16 مارس 796	218	27 يناير 833	255	20 ديسمبر 868
144	11 أبريل 761	181	5 مارس 797	219	16 يناير 834	256	9 ديسمبر 869
145	1 أبريل 762	182	22 فبراير 798	220	5 يناير 835	257	29 نوفمبر 870
146	21 مارس 763	183	12 فبراير 799	221	26 ديسمبر 836	258	18 نوفمبر 871
147	10 مارس 764	184	1 فبراير 800	222	14 ديسمبر 836	259	7 نوفمبر 872
148	27 فبراير 765	185	20 يناير 801	223	3 ديسمبر 837	260	27 أكتوبر 873
149	16 فبراير 766	186	10 يناير 802	224	23 نوفمبر 838	261	16 أكتوبر 874
150	6 يناير 767	187	30 ديسمبر 802	225	12 نوفمبر 839	262	6 أكتوبر 875
151	26 يناير 768	188	20 ديسمبر 803	226	31 أكتوبر 840	263	24 سبتمبر 876
152	14 يناير 769	189	8 ديسمبر 804	227	20 أكتوبر 841	264	13 سبتمبر 877
153	4 يناير 770	190	27 نوفمبر 805	228	10 أكتوبر 842	265	3 سبتمبر 878
154	24 ديسمبر 770	191	17 نوفمبر 806	229	30 سبتمبر 843	266	23 أغسطس 879
155	13 ديسمبر 771	192	6 نوفمبر 807	230	18 سبتمبر 844	267	12 أغسطس 880
156	2 ديسمبر 772	193	25 أكتوبر 808	231	7 سبتمبر 845	268	1 أغسطس 881
157	21 نوفمبر 773	194	15 أكتوبر 809	232	28 أغسطس 846	269	21 يوليو 882
158	11 نوفمبر 774	195	4 أكتوبر 810	233	17 أغسطس 847	270	11 يونيو 883
159	31 أكتوبر 775	196	23 سبتمبر 811	234	5 أغسطس 848	271	29 يونيو 884
160	19 أكتوبر 776	197	12 سبتمبر 812	235	26 يوليوز 849	272	18 يونيو 885
161	9 أكتوبر 777	198	1 سبتمبر 813	236	15 يوليوز 850	273	8 يونيو 886
162	28 سبتمبر 778	199	22 أغسطس 814	237	5 يوليوز 851	274	28 ماي 887
163	17 سبتمبر 779	200	11 أغسطس 815	238	23 يونيو 852	275	16 ماي 888
164	6 سبتمبر 780	201	30 يوليوز 816	239	12 يونيو 853	276	6 ماي 889
165	26 أغسطس 781	202	20 يوليوز 817	240	2 يونيو 854	277	25 أبريل 890
166	15 أغسطس 782	203	9 يوليوز 818	241	22 ماي 855	278	15 أبريل 891
167	5 أغسطس 783	204	28 يونيو 819	242	10 ماي 856	279	3 أبريل 892
168	24 يوليو 784	205	17 يونيو 820	243	30 أبريل 857	280	23 مارس 893
169	14 يوليو 785	206	6 يونيو 821	244	19 أبريل 858	281	13 مارس 894
170	3 يوليو 786	207	27 مايو 822	245	8 أبريل 859	282	2 مارس 895
171	22 يونيو 787	208	16 مايو 823	246	28 مارس 860	283	19 فبراير 896
172	11 يونيو 788	209	4 مايو 824	247	17 مارس 861	284	8 فبراير 897
173	11 مايو 789	210	24 أبريل 825	248	7 مارس 862	285	28 يناير 898
		211	13 أبريل 826				

الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابنة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي
286	17 يناير 899	324	30 نوفمبر 935	362	12 أكتوبر 972	400	25 أغسطس 1009
287	7 يناير 900	325	19 نوفمبر 936	363	2 أكتوبر 973	401	15 أغسطس 1010
288	26 ديسمبر 900	326	8 نوفمبر 937	364	21 سبتمبر 974	402	4 أغسطس 1011
289	16 ديسمبر 901	327	29 أكتوبر 938	365	10 سبتمبر 975	403	23 يوليوز 1012
290	5 ديسمبر 902	328	18 أكتوبر 939	366	30 أغسطس 976	404	13 يوليو 1013
291	24 نوفمبر 903	329	6 أكتوبر 940	367	19 أغسطس 977	405	3 يوليو 1014
292	13 نوفمبر 904	330	26 سبتمبر 941	368	9 أغسطس 978	406	21 يونيو 1015
293	2 نوفمبر 905	331	15 سبتمبر 942	369	29 يوليو 979	407	10 يونيو 1016
294	22 أكتوبر 906	332	4 سبتمبر 943	370	17 يوليو 980	408	30 ماي 1017
295	12 أكتوبر 907	333	24 أغسطس 944	371	7 يوليو 981	409	20 ماي 1018
296	30 سبتمبر 908	234	13 أغسطس 945	372	26 يونيو 982	410	9 ماي 1019
297	20 سبتمبر 909	335	2 أغسطس 946	373	15 يونيو 983	411	27 أبريل 1020
298	9 سبتمبر 910	336	23 يوليوز 947	374	4 يونيو 984	412	17 أبريل 1021
299	29 أغسطس 911	337	11 يوليو 948	375	24 ماي 985	413	6 أبريل 1022
300	18 أغسطس 912	338	1 يوليو 949	376	13 ماي 986	414	26 مارس 1023
301	7 أغسطس 913	339	20 يونيو 950	377	3 ماي 987	415	15 مارس 1024
302	27 يوليوز 914	340	9 يونيو 951	378	21 أبريل 988	416	4 مارس 1025
303	17 يوليوز 915	341	29 مايو 952	379	11 أبريل 989	417	22 فبراير 1026
304	5 يوليوز 916	342	18 مايو 953	380	31 أبريل 990	418	11 فبراير 1027
305	24 يونيو 917	343	7 مايو 954	381	20 مارس 991	419	31 يناير 1028
306	14 يونيو 918	344	27 أبريل 955	382	9 مارس 992	420	20 يناير 1029
307	3 يونيو 919	345	15 أبريل 956	383	26 فبراير 993	421	9 يناير 1030
308	23 مايو 920	346	4 أبريل 957	384	15 فبراير 994	422	29 ديسمبر 1030
309	12 مايو 921	347	25 مارس 958	385	5 فبراير 995	423	19 ديسمبر 1031
310	1 مايو 922	348	14 مارس 959	386	25 فبراير 996	424	7 ديسمبر 1032
311	21 أبريل 923	349	3 مارس 960	387	14 يناير 997	425	26 نوفمبر 1033
312	9 أبريل 924	350	20 فبراير 961	388	3 يناير 998	426	16 نوفمبر 1034
313	29 مارس 925	351	9 فبراير 962	389	23 ديسمبر 998	427	5 نوفمبر 1035
314	19 مارس 926	352	30 يناير 963	390	13 ديسمبر 999	428	25 أكتوبر 1036
315	8 مارس 927	353	19 يناير 964	391	1 ديسمبر 1000	429	14 أكتوبر 1037
316	25 فبراير 928	354	7 يناير 965	392	20 نوفمبر 1001	430	3 أكتوبر 1038
317	14 فبراير 929	355	28 ديسمبر 965	393	10 نوفمبر 1002	431	23 سبتمبر 1039
318	3 فبراير 930	356	17 ديسمبر 966	394	30 أكتوبر 1003	432	11 سبتمبر 1040
319	24 يناير 931	357	7 ديسمبر 967	395	18 أكتوبر 1004	433	31 أغسطس 1041
320	13 يناير 932	358	25 نوفمبر 968	396	8 أكتوبر 1005	434	21 أغسطس 1042
321	1 يناير 933	359	14 نوفمبر 969	397	27 سبتمبر 1006	435	10 أغسطس 1043
322	22 ديسمبر 933	360	2 نوفمبر 970	298	17 سبتمبر 1007	436	29 يوليو 1044
323	11 ديسمبر 934	361	24 أكتوبر 971	399	5 سبتمبر 1008	437	19 يوليو 1045

الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي
438	8 يوليو 1046
439	28 يونيو 1047
440	16 يونيو 1048
441	5 يونيو 1049
442	26 مايو 1050
443	15 مايو 1051
444	3 مايو 1052
445	23 أبريل 1053
446	12 أبريل 1054
447	2 أبريل 1055
448	21 مارس 1056
449	10 مارس 1057
450	28 فبراير 1058
451	17 فبراير 1059
452	6 فبراير 1060
453	26 يناير 1061
454	15 يناير 1062
455	4 يناير 1063
456	25 ديسمبر 1063
457	13 ديسمبر 1064
458	3 ديسمبر 1065
459	22 نوفمبر 1066
460	11 نوفمبر 1067
461	31 أكتوبر 1068
462	20 أكتوبر 1069
463	9 أكتوبر 1070
464	29 سبتمبر 1071
465	17 سبتمبر 1072
466	6 سبتمبر 1073
467	27 أغسطس 1074
468	16 أغسطس 1075
469	5 أغسطس 1076
470	25 يوليو 1077
471	14 يوليو 1078
472	4 يوليو 1079
473	22 يونيو 1080
474	11 يونيو 1081
475	1 يونيو 1082
476	21 مايو 1083
477	10 مايو 1084
478	29 أبريل 1085
479	18 أبريل 1086
480	8 أبريل 1087
481	27 مارس 1088
482	16 مارس 1089
483	6 مارس 1090
484	23 فبراير 1091
485	12 فبراير 1092
486	1 فبراير 1093
487	21 يناير 1094
488	11 يناير 1095
489	31 ديسمبر 1095
490	19 ديسمبر 1096
491	9 ديسمبر 1097
492	28 نوفمبر 1098
493	17 نوفمبر 1099
494	6 نوفمبر 1100
495	26 أكتوبر 1101
496	15 أكتوبر 1102
497	5 أكتوبر 1103
498	23 سبتمبر 1104
499	13 سبتمبر 1105
500	2 سبتمبر 1106
501	22 اغسطس 1107
502	11 أغسطس 1108
503	31 يوليو 1109
504	20 يوليو 1110
505	10 يوليو 1111
506	28 يونيو 1112
507	18 يونيو 1113
508	7 يونيو 1114
509	27 مايو 1115
510	16 مايو 1116
511	5 مايو 1117
512	24 أبريل 1118
513	14 أبريل 1119
514	2 أبريل 1120
515	22 مارس 1121
516	12 مارس 1122
517	1 مارس 1123
518	19 فبراير 1124
519	7 فبراير 1125
520	27 يناير 1126
521	17 يناير 1127
522	6 يناير 1128
523	25 ديسمبر 1128
524	15 ديسمبر 1129
525	4 ديسمبر 1130
526	23 نوفمبر 1131
527	12 نوفمبر 1132
528	1 نوفمبر 1133
529	22 أكتوبر 1134
530	11 أكتوبر 1135
531	29 سبتمبر 1136
532	19 سبتمبر 1137
533	8 سبتمبر 1138
534	28 أغسطس 1139
535	17 أغسطس 1140
536	6 أغسطس 1141
537	27 يوليو 1142
538	16 يوليو 1143
539	4 يوليو 1144
540	24 يونيو 1145
541	13 يونيو 1146
542	2 يونيو 1147
543	22 مايو 1148
544	11 مايو 1149
545	30 أبريل 1150
546	20 أبريل 1151
547	8 أبريل 1152
548	27 مارس 1153
549	18 مارس 1154
550	7 مارس 1155
551	25 فبراير 1156
552	13 فبراير 1157
553	2 فبراير 1158
554	23 يناير 1159
555	12 يناير 1160
556	31 ديسمبر 1160
557	21 ديسمبر 1161
558	10 ديسمبر 1162
559	30 نوفمبر 1163
560	18 نوفمبر 1164
561	7 نوفمبر 1165
562	28 أكتوبر 1166
563	17 أكتوبر 1167
564	5 أكتوبر 1168
565	25 سبتمبر 1169
566	14 سبتمبر 1170
567	4 سبتمبر 1171
568	23 أغسطس 1172
569	12 أغسطس 1173
570	2 أغسطس 1174
571	22 يوليو 1175
572	10 يوليو 1176
573	30 يوليو 1177
574	19 يونيو 1178
575	8 يونيو 1179
576	28 مايو 1180
577	17 مايو 1181
578	7 مايو 1182
579	26 أبريل 1183
580	14 أبريل 1184
581	4 أبريل 1185
582	24 مارس 1186
583	13 مارس 1187
584	2 مارس 1188
585	19 فبراير 1189
586	8 فبراير 1190
587	29 يناير 1191
588	18 يناير 1192
589	7 يناير 1193
590	27 ديسمبر 1193
591	16 ديسمبر 1194
592	6 ديسمبر 1195
593	24 نوفمبر 1196
594	13 نوفمبر 1197
595	3 نوفمبر 1198
596	23 أكتوبر 1199
597	12 أكتوبر 1200

الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي
598	1 أكتوبر 1201	636	14 أغسطس 1238	674	27 يونيو 1275	712	9 مايو 1312
599	20 سبتمبر 1202	637	3 أغسطس 1239	675	15 يونيو 1276	713	28 أبريل 1313
600	10 سبتمبر 1203	638	23 يوليو 1240	676	4 يونيو 1277	714	17 أبريل 1314
601	29 أغسطس 1204	639	12 يوليو 1241	677	25 مايو 1278	715	7 أبريل 1315
602	18 أغسطس 1205	640	1 يوليو 1242	678	14 مايو 1279	716	26 مارس 1316
603	8 أغسطس 1206	641	21 يونيو 1243	679	3 مايو 1280	717	16 مارس 1317
604	28 يوليو 1207	642	9 يونيو 1244	680	22 أبريل 1281	718	5 مارس 1318
605	16 يوليو 1208	643	29 مايو 1245	681	11 أبريل 1282	719	22 فبراير 1319
606	6 يوليو 1209	644	19 مايو 1246	682	1 أبريل 1283	720	12 فبراير 1320
607	25 يونيو 1210	645	8 مايو 1247	683	20 مارس 1284	721	31 يناير 1321
608	15 يونيو 1211	646	26 أبريل 1248	684	9 مارس 1285	722	20 يناير 1322
609	3 يونيو 1212	647	16 أبريل 1249	685	27 فبراير 1286	723	10 يناير 1323
610	23 مايو 1213	648	5 أبريل 1250	686	16 فبراير 1287	724	30 ديسمبر 1323
611	13 مايو 1214	649	26 مارس 1251	687	6 فبراير 1288	725	8 ديسمبر 1324
612	2 مايو 1215	650	14 مارس 1252	688	25 يناير 1289	726	8 ديسمبر 1325
613	20 أبريل 1216	651	3 مارس 1253	689	14 يناير 1290	727	27 نوفمبر 1326
614	10 أبريل 1217	652	21 فبراير 1254	690	4 يناير 1291	728	17 نوفمبر 1327
615	30 مارس 1218	653	10 فبراير 1255	691	24 يناير 1291	729	5 نوفمبر 1328
616	19 مارس 1219	654	30 يناير 1256	692	12 سبتمبر 1292	730	25 أكتوبر 1329
617	8 مارس 1220	655	19 يناير 1257	693	2 ديسمبر 1293	731	15 أكتوبر 1330
618	25 فبراير 1221	656	8 يناير 1258	694	21 نوفمبر 1294	732	4 أكتوبر 1331
619	15 فبراير 1222	657	29 ديسمبر 1258	695	10 نوفمبر 1295	733	22 سبتمبر 1332
620	4 فبراير 1223	658	18 ديسمبر 1259	696	30 أكتوبر 1296	734	12 سبتمبر 1333
621	24 يناير 1224	659	6 ديسمبر 1260	697	19 أكتوبر 1297	735	1 سبتمبر 1334
622	13 يناير 1225	660	26 نوفمبر 1261	698	9 أكتوبر 1298	736	21 أغسطس 1335
623	2 يناير 1226	661	15 نوفمبر 1262	699	28 سبتمبر 1299	737	10 أغسطس 1336
624	22 ديسمبر 1226	662	4 نوفمبر 1263	700	16 سبتمبر 1300	738	30 يوليو 1337
625	12 ديسمبر 1227	663	24 أكتوبر 1264	701	5 سبتمبر 1301	739	20 يوليو 1338
626	30 نوفمبر 1228	664	13 أكتوبر 1265	702	26 أغسطس 1302	740	9 يوليو 1339
627	20 نوفمبر 1229	665	2 أكتوبر 1266	703	15 أغسطس 1303	741	27 يونيو 1340
628	9 نوفمبر 1230	666	22 سبتمبر 1267	704	4 أغسطس 1304	742	17 يونيو 1341
629	29 أكتوبر 1231	667	10 سبتمبر 1268	705	24 يوليو 1305	743	6 يونيو 1342
630	18 أكتوبر 1232	668	31 أغسطس 1269	706	13 يوليو 1306	744	26 مايو 1343
631	7 أكتوبر 1233	669	20 أغسطس 1270	707	3 يوليو 1307	745	15 مايو 1344
632	26 سبتمبر 1234	670	9 أغسطس 1271	708	21 يونيو 1308	746	4 مايو 1345
633	16 سبتمبر 1235	671	29 يوليو 1272	709	11 يونيو 1309	747	24 أبريل 1346
634	4 سبتمبر 1236	672	18 يوليو 1273	710	31 مايو 1310	748	13 أبريل 1347
635	24 أغسطس 1237	673	7 يوليو 1274	711	20 مايو 1311	749	1 أبريل 1348

الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي
750	22 مارس 1349	788	2 فبراير 1386	826	15 ديسيمبر 1422	864	28 أكتوبر 1459
751	11 مارس 1350	789	22 يناير 1387	827	5 ديسمبر 1423	865	17 أكتوبر 1460
752	28 فبراير 1351	790	11 يناير 1388	828	23 نوفمبر 1424	866	6 أكتوبر 1461
753	18 فبراير 1352	791	31 ديسمبر 1388	829	13 نوفمبر 1425	867	2 سبتمبر 1462
754	6 فبراير 1353	792	20 ديسمبر 1389	830	2 نوفمبر 1426	868	5 سبتمبر 1463
755	26 يناير 1354	793	9 ديسمبر 1390	831	22 أكتوبر 1427	869	3 سبتمبر 1464
756	16 يناير 1355	794	29 نوفمبر 1391	832	11 أكتوبر 1428	870	24 أغسطس 1465
757	5 يناير 1356	795	17 نوفمبر 1392	833	30 سبتمبر 1429	871	13 أغسطس 1466
758	25 ديسمبر 1356	796	6 نوفمبر 1393	834	19 سبتمبر 1430	872	2 أغسطس 1467
759	15 ديسمبر 1357	797	27 أكتوبر 1394	835	9 سبتمبر 1431	873	22 يوليو 1468
760	3 ديسمبر 1358	798	16 أكتوبر 1395	836	28 أغسطس 1432	874	11 يوليو 1469
761	23 نوفمبر 1359	799	5 أكتوبر 1396	837	18 أغسطس 1433	875	30 يونيو 1470
762	11 نوفمبر 1360	800	24 سبتمبر 1397	838	7 أغسطس 1434	876	20 يونيو 1471
763	31 أكتوبر 1361	801	13 سبتمبر 1398	839	27 يوليو 1435	877	8 يونيو 1472
764	21 أكتوبر 1362	802	3 سبتمبر 1399	840	16 يوليو 1436	878	29 مايو 1473
765	10 أكتوبر 1363	803	22 أغسطس 1400	841	5 يوليو 1437	879	18 مايو 1474
766	28 سبتمبر 1364	804	11 أغسطس 1401	842	24 يونيو 1438	880	7 مايو 1475
767	18 سبتمبر 1365	805	1 أغسطس 1402	843	14 يونيو 1439	881	26 أبريل 1476
768	7 سبتمبر 1366	806	21 يوليو 1403	844	2 يونيو 1440	882	15 أبريل 1477
769	28 أغسطس 1367	807	10 يوليو 1404	845	22 مايو 1441	883	4 أبريل 1478
770	16 أغسطس 1368	808	29 يونيو 1405	846	12 مايو 1442	884	25 مارس 1479
771	5 أغسطس 1369	809	18 يونيو 1406	847	1 مايو 1443	885	13 مارس 1480
772	26 يوليو 1370	810	8 يونيو 1407	848	20 أبريل 1444	886	2 مارس 1481
773	15 يوليو 1371	811	27 مايو 1408	849	9 أبريل 1445	887	20 فبراير 1482
774	3 يوليو 1372	812	16 مايو 1409	850	29 مارس 1446	888	9 فبراير 1483
775	23 يونيو 1373	813	6 مايو 1410	851	19 مارس 1447	889	30 يناير 1484
776	12 يونيو 1374	814	25 أبريل 1411	852	7 مارس 1447	890	18 يناير 1485
777	2 يونيو 1375	815	13 أبريل 1412	853	24 فبراير 1449	891	7 يناير 1486
778	21 مايو 1376	816	3 أبريل 1413	854	14 فبراير 1450	892	28 ديسمبر 1486
779	10 مايو 1377	817	23 مارس 1414	855	3 فبراير 1451	893	17 ديسمبر 1487
780	30 أبريل 1378	818	13 مارس 1415	856	23 يناير 1452	894	5 ديسمبر 1488
781	19 أبريل 1379	819	1 مارس 1416	857	12 يناير 1453	895	25 نوفمبر 1489
782	7 أبريل 1380	820	18 فبراير 1417	858	1 يناير 1454	896	14 نوفمبر 1490
783	28 مارس 1381	821	8 فبراير 1418	859	22 ديسمبر 1454	897	4 نوفمبر 1491
784	17 مارس 1382	822	28 يناير 1419	860	11 ديسمبر 1455	898	23 أكتوبر 1492
785	6 مارس 1383	823	17 يناير 1420	861	29 نوفمبر 1456	899	12 أكتوبر 1493
786	24 فبراير 1384	824	6 يناير 1421	862	19 نوفمبر 1457	900	2 أكتوبر 1494
787	12 فبراير 1385	825	26 ديسمبر 1421	863	8 نوفمبر 1458	901	21 سبتمبر 1495

الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي
902	9 سبتمبر 1496	940	23 يوليو 1533	978	5 يونيو 1570	1016	28 أبريل 1607
903	30 أغسطس 1497	941	13 يوليو 1534	979	26 مايو 1571	1017	17 أبريل 1608
904	19 أغسطس 1498	942	2 يوليو 1535	980	14 مايو 1572	1018	16 أبريل 1609
905	8 أغسطس 1499	943	20 يونيو 1536	981	3 مايو 1573	1019	26 مارس 1610
906	28 يوليو 1500	944	10 يونيو 1537	982	23 أبريل 1574	1020	16 مارس 1611
907	17 يوليو 1501	945	30 مايو 1538	983	12 أبريل 1575	1021	4 مارس 1612
908	7 يوليو 1502	946	19 مايو 1539	984	31 مارس 1576	1022	21 فبراير 1613
909	26 يونيو 1503	947	8 مايو 1540	985	21 مارس 1577	1023	11 فبراير 1614
910	14 يونيو 1504	948	27 أبريل 1541	986	10 مارس 1578	1024	31 يناير 1615
911	4 يونيو 1505	949	17 أبريل 1542	987	28 فبراير 1579	1025	20 يناير 1616
912	24 مايو 1506	950	6 أبريل 1543	988	17 فبراير 1580	1026	9 يناير 1617
913	13 مايو 1507	951	25 مارس 1544	989	5 فبراير 1581	1027	29 ديسمبر 1617
914	2 مايو 1508	952	15 مارس 1545	990	26 يناير 1582	1028	19 ديسمبر 1618
915	21 أبريل 1509	953	4 مارس 1546	991	25 يناير 1583	1029	8 ديسمبر 1619
916	10 أبريل 1510	954	21 فبراير 1547	992	14 يناير 1584	1030	26 نوفمبر 1620
917	31 مارس 1511	955	11 فبراير 1548	993	3 يناير 1585	1031	16 نوفمبر 1621
918	19 مارس 1512	956	30 يناير 1549	994	23 ديسمبر 1585	1032	5 نوفمبر 1622
919	9 مارس 1513	957	20 يناير 1550	995	12 ديسمبر 1586	1033	25 أكتوبر 1623
920	26 فبراير 1514	958	9 يناير 1551	996	2 ديسمبر 1587	1034	14 أكتوبر 1624
921	15 فبراير 1515	959	29 ديسمبر 1551	997	20 نوفمبر 1588	1035	3 أكتوبر 1625
922	5 فبراير 1516	960	18 ديسمبر 1552	998	10 نوفمبر 1589	1036	22 سبتمبر 1626
923	24 يناير 1517	961	7 ديسمبر 1553	999	30 أكتوبر 1590	1037	12 سبتمبر 1627
924	13 يناير 1518	962	26 نوفمبر 1554	1000	19 أكتوبر 1591	1038	31 سبتمبر 1628
925	3 يناير 1519	963	16 نوفمبر 1555	1001	8 أكتوبر 1592	1039	21 أغسطس 1629
926	23 ديسمبر 1519	964	4 نوفمبر 1556	1002	27 سبتمبر 1593	1040	10 أغسطس 1630
927	12 ديسمبر 1520	965	24 أكتوبر 1557	1003	26 سبتمبر 1594	1041	30 يوليو 1631
928	1 ديسمبر 1521	966	14 أكتوبر 1558	1004	6 سبتمبر 1595	1042	19 يوليو 1632
929	20 نوفمبر 1522	967	3 أكتوبر 1559	1005	28 أغسطس 1596	1043	8 يوليو 1633
930	10 نوفمبر 1523	968	22 سبتمبر 1560	1006	14 أغسطس 1597	1044	20 يونيو 1634
931	29 أكتوبر 1524	969	11 سبتمبر 1561	1007	4 أغسطس 1598	1045	17 يونيو 1635
932	18 أكتوبر 1525	970	31 أغسطس 1562	1008	24 يوليو 1599	1046	5 يونيو 1636
933	8 سبتمبر 1526	971	21 أغسطس 1563	1009	13 يوليو 1600	1047	26 مايو 1637
934	27 سبتمبر 1527	972	9 أغسطس 1564	1010	2 يونيو 1601	1048	15 مايو 1638
935	15 سبتمبر 1528	973	29 يوليو 1565	1011	21 يونيو 1602	1049	4 مايو 1639
936	5 سبتمبر 1529	974	19 يوليو 1566	1012	11 يونيو 1603	1050	23 أبريل 1640
937	25 أغسطس 1530	975	8 يوليو 1567	1013	30 مايو 1604	1051	12 أبريل 1641
938	15 أغسطس 1531	976	26 يوليو 1568	1014	19 مايو 1605	1052	1 أبريل 1642
939	3 أغسطس 1532	977	16 يونيو 1569	1015	9 مايو 1606	1053	22 مارس 1643

الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي
1054	10 مارس 1644	1093	10 يناير 1682	1132	14 نوفمبر 1719	1171	15 سبتمبر 1757
1055	27 فبراير 1645	1094	31 ديسمبر 1682	1133	2 نوفمبر 1720	1172	4 سبتمبر 1758
1056	17 فبراير 1646	1095	20 ديسمبر 1683	1134	22 أكتوبر 1721	1173	25 أغسطس 1759
1057	6 فبراير 1647	1096	8 ديسمبر 1684	1135	12 أكتوبر 1722	1174	13 أغسطس 1760
1058	27 يناير 1648	1097	28 نوفمبر 1685	1136	1 أكتوبر 1723	1175	2 أغسطس 1761
1059	15 يناير 1649	1098	17 نوفمبر 1686	1137	20 سبتمبر 1724	1176	23 يوليو 1762
1060	4 يناير 1650	1099	7 نوفمبر 1687	1138	9 سبتمبر 1725	1177	12 يوليو 1763
1061	25 ديسمبر 1650	1100	26 أكتوبر 1688	1139	29 أغسطس 1726	1178	1 يوليو 1764
1062	14 ديسمبر 1651	1101	15 أكتوبر 1689	1140	19 أغسطس 1727	1179	20 يونيو 1765
1063	2 ديسمبر 1652	1102	5 أكتوبر 1690	1141	7 أغسطس 1728	1180	9 يونيو 1766
1064	22 ديسمبر 1653	1103	24 سبتمبر 1691	1142	27 يوليو 1729	1181	30 مايو 1767
1065	11 نوفمبر 1654	1104	12 سبتمبر 1692	1143	17 يوليو 1730	1182	18 مايو 1768
1066	31 أكتوبر 1655	1105	2 سبتمبر 1693	1144	6 يوليو 1731	1183	7 مايو 1769
1067	20 أكتوبر 1656	1106	22 أغسطس 1694	1145	24 يونيو 1732	1184	27 أبريل 1770
1068	9 أكتوبر 1657	1107	12 أغسطس 1695	1146	14 يونيو 1733	1185	16 أبريل 1771
1069	29 سبتمبر 1658	1108	31 يوليو 1696	1147	3 يونيو 1734	1186	4 أبريل 1772
1070	18 سبتمبر 1659	1109	20 يوليو 1697	1148	24 مايو 1735	1187	25 مارس 1773
1071	6 سبتمبر 1660	1110	10 يوليو 1698	1149	12 مايو 1736	1188	14 مارس 1774
1072	27 أغسطس 1661	1111	29 يونيو 1699	1150	1 مايو 1737	1189	4 مارس 1775
1073	16 أغسطس 1662	1112	18 يونيو 1700	1151	21 أبريل 1738	1190	21 فبراير 1776
1074	5 أغسطس 1663	1113	8 يونيو 1701	1152	10 أبريل 1739	1191	19 فبراير 1777
1075	25 يوليو 1664	1114	28 مايو 1702	1153	29 مارس 1740	1192	30 يناير 1778
1076	14 يوليو 1665	1115	17 مايو 1703	1154	19 مارس 1741	1193	19 يناير 1779
1077	4 يوليو 1666	1116	6 مايو 1704	1155	8 مارس 1742	1194	8 يناير 1780
1078	23 يونيو 1667	1117	25 أبريل 1705	1156	25 فبراير 1743	1195	28 ديسمبر 1780
1079	11 يونيو 1668	1118	15 أبريل 1706	1157	15 فبراير 1744	1196	17 ديسمبر 1781
1080	1 يونيو 1669	1119	4 أبريل 1707	1158	3 فبراير 1745	1197	7 ديسمبر 1782
1081	21 مايو 1670	1120	23 مارس 1708	1159	24 يناير 1746	1198	26 نوفمبر 1783
1082	10 مايو 1671	1121	13 مارس 1709	1160	13 يناير 1747	1199	14 نوفمبر 1784
1083	29 أبريل 1672	1122	2 مارس 1710	1161	2 يناير 1748	1200	4 نوفمبر 1785
1084	18 أبريل 1673	1123	19 فبراير 1711	1162	22 ديسمبر 1748	1201	34 أكتوبر 1786
1085	7 أبريل 1674	1124	9 فبراير 1712	1163	11 ديسمبر 1749	1202	13 أكتوبر 1787
1086	28 مارس 1675	1125	28 يناير 1713	1164	30 نوفمبر 1750	1203	2 أكتوبر 1788
1087	16 مارس 1676	1126	17 يناير 1714	1165	20 نوفمبر 1751	1204	21 سبتمبر 1789
1088	6 مارس 1677	1127	7 يناير 1715	1166	8 نوفمبر 1752	1205	10 سبتمبر 1790
1089	23 فبراير 1678	1128	27 ديسمبر 1715	1167	29 أكتوبر 1753	1206	31 أغسطس 1791
1090	12 فبراير 1679	1129	16 ديسمبر 1716	1168	18 أكتوبر 1754	1207	19 أغسطس 1792
1091	2 فبراير 1680	1130	5 ديسمبر 1717	1169	7 أكتوبر 1755	1208	9 أغسطس 1793
1092	21 يناير 1681	1131	24 نوفمبر 1718	1170	26 سبتمبر 1756	1209	29 يوليو 1794

الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي
1210	18 يوليو 1795	1248	31 مايو 1832	1286	13 أبريل 1869	1324	25 فبراير 1906
1211	7 يوليو 1796	1249	21 مايو 1833	1287	3 أبريل 1870	1325	14 فبراير 1907
1212	26 يونيو 1797	1250	10 مايو 1834	1288	23 مارس 1871	1326	4 فبراير 1908
1213	15 يونيو 1798	1251	29 أبريل 1835	1289	11 مارس 1872	1327	23 يناير 1909
1214	5 يونيو 1799	1252	18 أبريل 1836	1290	1 مارس 1873	1328	13 يناير 1910
1215	25 مايو 1800	1253	7 أبريل 1837	1291	18 فبراير 1874	1329	2 يناير 1911
1216	14 مايو 1801	1254	27 مارس 1838	1292	7 فبراير 1875	1330	22 ديسمبر 1911
1217	4 مايو 1802	1255	17 مارس 1839	1293	28 يناير 1876	1331	11 ديسمبر 1912
1218	23 أبريل 1803	1256	5 مارس 1840	1294	16 يناير 1877	1332	30 نوفمبر 1913
1219	12 أبريل 1804	1257	23 فبراير 1841	1295	5 يناير 1878	1333	19 نوفمبر 1914
1220	1 أبريل 1805	1258	12 فبراير 1842	1296	26 ديسمبر 1878	1334	9 نوفمبر 1915
1221	21 مارس 1806	1259	1 فبراير 1843	1297	15 ديسمبر 1879	1335	28 أكتوبر 1916
1222	11 مارس 1807	1260	22 يناير 1844	1298	4 ديسمبر 1880	1336	17 أكتوبر 1917
1223	28 فبراير 1808	1261	10 يناير 1845	1299	23 نوفمبر 1881	1337	7 أكتوبر 1918
1224	16 فبراير 1809	1262	30 ديسمبر 1845	1300	12 نوفمبر 1882	1338	26 سبتمبر 1919
1225	6 فبراير 1810	1263	20 ديسمبر 1846	1301	2 نوفمبر 1883	1339	15 سبتمبر 1920
1226	26 يناير 1811	1264	9 ديسمبر 1847	1302	21 أكتوبر 1884	1340	4 سبتمبر 1921
1227	16 يناير 1812	1265	27 نوفمبر 1848	1303	10 أكتوبر 1885	1341	24 أغسطس 1922
1228	4 يناير 1813	1266	17 نوفمبر 1849	1304	30 سبتمبر 1886	1342	14 أغسطس 1923
1229	24 ديسمبر 1813	1267	6 نوفمبر 1850	1305	19 سبتمبر 1887	1343	2 أغسطس 1924
1230	14 ديسمبر 1814	1268	27 أكتوبر 1851	1306	9 سبتمبر 1888	1344	22 يوليو 1925
1231	3 ديسمبر 1815	1269	15 أكتوبر 1852	1307	27 أغسطس 1889	1345	12 يوليو 1926
1232	21 نوفمبر 1816	1270	4 أكتوبر 1853	1308	17 أغسطس 1890	1346	1 يوليو 1927
1233	11 نوفمبر 1817	1271	24 سبتمبر 1854	1309	7 أغسطس 1891	1347	20 يونيو 1928
1234	31 أكتوبر 1818	1272	13 سبتمبر 1855	1310	26 يوليو 1892	1348	9 يونيو 1929
1235	20 أكتوبر 1819	1273	1 سبتمبر 1856	1311	15 يوليو 1893	1349	29 مايو 1930
1236	9 أكتوبر 1820	1274	22 أغسطس 1857	1312	5 يوليو 1894	1350	19 مايو 1931
1237	28 سبتمبر 1821	1275	11 أغسطس 1858	1313	24 يونيو 1895	1351	7 مايو 1932
1238	18 سبتمبر 1822	1276	31 يوليو 1859	1314	12 يونيو 1896	1352	26 أبريل 1933
1239	7 سبتمبر 1823	1277	20 يوليو 1860	1315	2 يونيو 1897	1353	16 أبريل 1934
1240	26 أغسطس 1824	1278	9 يوليو 1861	1316	22 مايو 1898	1354	5 أبريل 1935
1241	16 أغسطس 1825	1279	29 يونيو 1862	1317	12 مايو 1899	1355	24 مارس 1936
1242	5 أغسطس 1826	1280	18 يونيو 1863	1318	1 مايو 1900	1356	14 مارس 1937
1243	25 يوليو 1827	1281	6 يونيو 1864	1319	20 أبريل 1901	1357	3 مارس 1938
1244	14 يوليو 1828	1282	27 مايو 1865	1320	10 أبريل 1902	1358	21 فبراير 1939
1245	3 يوليو 1829	1283	16 مايو 1866	1321	30 مارس 1903	1359	10 فبراير 1940
1246	22 يونيو 1830	1284	5 مايو 1867	1322	18 مارس 1904	1360	29 يناير 1941
1247	12 يونيو 1831	1285	24 أبريل 1868	1323	8 مارس 1905	1361	19 يناير 1942

الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي
1362	8 يناير 1943	1377	29 يوليوز 1957	1392	16 فبراير 1972	1407	6 سبتمبر 1986
1363	28 ديسمبر 1943	1378	18 يوليوز 1958	1393	4 فبراير 1973	1408	26 أغسطس 1987
1364	17 ديسمبر 1944	1379	7 يوليوز 1959	1394	25 يناير 1974	1409	14 أغسطس 1988
1365	6 ديسمبر 1945	1380	26 يونيو 1960	1395	14 يناير 1975	1410	4 أغسطس 1989
1366	25 نوفمبر 1946	1381	15 يونيو 1961	1396	3 يناير 1976	1411	24 يوليو 1990
1367	15 نوفمبر 1947	1382	4 يونيو 1962	1397	23 ديسمبر 1976	1412	13 يوليوز 1991
1368	3 نوفمبر 1948	1383	25 مايو 1963	1398	12 ديسمبر 1977	1413	2 يوليو 1992
1369	24 أكتوبر 1949	1384	13 مايو 1964	1399	2 ديسمبر 1978	1414	21 يونيو 1993
1370	13 أكتوبر 1950	1385	2 مايو 1965	1400	21 نوفمبر 1979	1415	10 يونيو 1994
1371	2 أكتوبر 1951	1386	22 أبريل 1966	1401	9 نوفمبر 1980	1416	31 مايو 1995
1372	21 سبتمبر 1952	1387	11 أبريل 1967	1402	30 أكتوبر 1981	1417	19 مايو 1996
1373	10 سبتمبر 1953	1388	31 مارس 1968	1403	19 أكتوبر 1982	1418	9 مايو 1997
1374	30 أغسطس 1954	1389	20 مارس 1969	1404	8 أكتوبر 1983	1419	28 أبريل 1998
1375	20 أغسطس 1955	13[illegible]	9 مارس 1970	1405	27 سبتمبر 1984	1420	17 أبريل 1999
1376	8 أغسطس 1956	1391	27 فبراير 1971	1406	16 سبتمبر 1985	1421	6 أبريل 2000

تاريخ
العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية
بالمغرب الأقصى

تم بحمد الله وعونه تعالى الجزء الرابع ويليه بمشيئة الله

الجزء الخامس الخاص

بعصر الدولة السعدية ودولة الأشراف العلويين

MÊME ISNĀD QUE ABC — TEXTE LIGNES CIRCULAIRES

ابو الحسن المريني Žum. II 734	1	a .·. بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا (1) محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما b امر بتعديل هذا المد المبارك مولانا امير المسلمين ابو
↑ ابو يعقوب المريني Žum. I 693	2	.·. الحسن ابن مولانا امير المسلمين ابو سعيد ابن مولانا امير المسلمين ابى يوسف ابن عبد الحق ايده الله ونصره c على المد الذي امر بتعديله مولانا (2) ابو
↑ الحسين بن يحيى البسكري Ram. 607	3	.·. يعقوب رحمه الله تعلى d على المد الذي عدل (3) الحسين بن يحيى البسكري e بمد ابراهيم بن عبد الرحمن الجايشي الذي عدل (4) f بمد الشيخ(5) ابي علي منصور بن يوسف
↑ ابراهيم الجايشي ابو علي منصور القوامي 15 raž. 509	4	.·. القوامي وكان ابو على عدل مده g بمد الفقيه ابي
↑ ابو جعفر ابن غزلون 454-520	5	.·. جعفر احمد بن علي بن غزلون وعدل ابو جعفر مده h بمد الفقيه القاضي ابي جعفر احمد بن الاخطل وعدل ابو جعفر مده i بمد خالد بن اسماعيل وعدل خالد مده j بمد ابي بكر احمد بن حمد وعدل ابو
↑ ابو جعفر ابن الاخطل 440-550	6	.·. بكر مده k بمد ابي اسحاق ابراهيم بن الشنظير وبمد ابي جعفر بن ميمون وكانا عدلا مديهما l بمد زيد بن ثابت صاحب رسول الله صلى الله
↑ خالد ابن اسماعيل 455	7	.·. عليه وعلى آله وصحبه وشرف وكرم A وكان تعديله في الخامس عشر من رجب الفرد الذي من سنة تسع وخمسمائة B وكان تعديل المد الذي عدله
↑ ابو بكر احمد بن حمد m. 449	8	.·. الحسين بن يحيى البسكري في شهر رمضان المعظم عام سبع (6) وستمائة وكان تعديل المد الذي امر بتعديله مولانا ابو يعقوب رحمه الله تعلى
↑ ابن الشنظير وان ميمون m. 400 m. 402	9	.·. في جمادى الاولى عام ثلاثة وتسعين وستمائة D وعدل الآن هذا المد المبارك تبركا بالنبي صلى الله عليه وسلم وحيا (7) لسنته وذلك في جمادى
↑ زيد ابن ثابت	10	.·. الاخير عام اربعة وثلاثين وسبع مائة بمدينة فاس حرسها الله تعلى m والحمد لله رب العالمين كثيرا.

(1) Manque dans le texte de ABC.
(2) Manque امير المسلمين qui figure dans ABC.
(3) Pour عدله .
(4) عدله dans ABC.
(5) Manque المرحوم qui figure dans ABC.
(6) Pour سبعة . (cf. ABC).
(7) Pour احياء .

شكل 269
نص واسناد مد أبي الحسن المريني (جمادى الثاني 734 هـ)، عن باسكون

صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
47	13	يعد	بعد	318	8	منكسر	منكسر(
51	7	طليعة	طيعة	319	17	de coupé	decoupé
78	6	تعرضت	بمقدرة	345	1	النبىء	النيىء
79	12	درائر	دوائر	345	3	الالات	آلات
110	هامش 1	حونيت	حوانيت	346	17	الصنهاجي[1]	الصنهاجي([1])
111	3	يخصصوم	يخصصون	362	1	اللذين	اللذان
115	هامش 1	النونى	المنونى	365	1	خماد	حماد
164	20	كابيه	كاييه	401	6	صَوَاع	صُوَاع
172	4	الذين	الدين	401	7	صَوَاع	صُوَاع
174	5	سيق	سبق	401	9	صَوَاع	صُوَاع
184	15	فبيات	قبيات	412	20	استشهد	استشهد إبنه
184	17	الزعفران،	الزعفران)	446	12	وقراراته	وقراءته
184	23	للذفن	للدفن	447	21	النقوش	النقش
204	18	بالقزمود	بالقرمود	500	24	يقصدر	يقصد
281	13	التابة	التابية	506	5	العريق	العربي
297	20	يضع	يصنع	507	5	الايلام	الإسلام
301	4	المحلات	المحلاة				

الإنتاج العلمي للمؤلف

كتب مطبوعة :

- تاريخ شالة الإسلامية دار الثقافة بيروت 1975
- حفائر شالة الإسلامية دار الثقافة بيروت 1975
- دراسات جديدة في الفنون الإسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى، دار الثقافة بيروت 1975
- قضية الصحراء المغربية ومصطلح البيعة، وزارة الأنباء الرباط 1975
- سيرة أبطال الإسلام في المغرب من الأصول والمصادر، دار الكتاب الدار البيضاء 1978
- تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، دار الهلال العربية الرباط 1992 الجزء الأول (عصر دولة الأدارسة وعصر أمراء زناتة).
- تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى ج 2 عصر دولة المرابطين.
- تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج 3 عصر دولة الموحدين.
- تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج 4 عصر دولتي المرينيين وبني وطاس.
- تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج 5 عصر دولتي الأشراف السعديين والعلويين.
- معجم ألفاظ القرآن الكريم في علوم الحضارة، الآثار والعمارة والفنون، دار الهلال العربية الرباط.

كتب نشرت حلقات بالصحف والمجلات :

- مظاهر الحضارة المعمارية والفنون في شعر ابن زيدون، مجلة المنهل السعودية جدة.
- الهجرة النبوية الكبرى بيننا وبين فيلسوف الغرب المعاصر توينبي، جريدة الأنباء الرباط.
- عروبة القدس وعمارة قبة الصخرة، جريدة الأنباء الرباط.
- موجز تاريخ العمارة والفنون بالمغرب (روائع المغرب)، جريدة الميثاق الوطني الرباط.
- الآثار الإسلامية بالمغرب العربي وحرب المستشرقين، مجلة دعوة الحق الرباط.

كتب تحت الطبع :

ضريح محمد الخامس وتأسيس مدينة الرباط وعمارة جامع حسان، الوثائق الملكية الرباط.

كتب معدة للطبع :

- دفاعا عن حضارة الإسلام في المغرب

- ثلاثون شمعة في عرس المسيرة الخضراء.

كتب ودراسات تعد للطبع :

- ثلاثة معالم مغربية : المرابطون وفاس وجامع القرويين.
- ثلاثة منابر مغربية بجوامع الأندلسيين وبوعنانية فاس وجامع تازة.
- حضارة الرستمين وغيبتها عن كتاب (أعمال الأعلام) لابن الخطيب.
- صومعة الكتبية في دراسات المستشرقين.

رقم الإيداع القانوني
1992/893

مطبعة المعارف الجديدة
الرباط 947-08/09/15/38


الهلال العربية للطباعة والنشر
ARABIAN AL HILAL Impression et Edition

الرباط، 21 زنقة ديكارت حي الليمون تلفون : 99-60-70 فاكس : 707751



تعريف بالمؤلف

– الدكتور عثمان عثمان إسماعيل من مواليد 1925 م بالإسكندرية باب المغرب.

– حصل على درجة الليسانس مع مرتبة الشرف بأول فوج لقسم الآثار الإسلامية بالجامعات العربية، جامعة الاسكندرية سنة 1950.

– حصل على الدبلوم العالي في التربية وعلم النفس، الإسكندرية 1951.

– انفرد بين خريجي أقسام الآثار بالحصول على دبلوم الدراسات العليا المعادل للماجستير في الآثار الإسلامية من معهد الآثار العالي بجامعة القاهرة 1956.

– حصل على درجة الدكتوراه بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى في الحضارة والآثار الإسلامية المغربية من جامعة الإسكندرية 1965.

– تبنت رئاسة جامعة محمد الخامس بين عامي 1958 و1963 أبحاثه ودراساته واكتشافاته لعمل أول حفائر أثرية علمية لمتخصص عربي داخل تراب المملكة المغربية.

– شارك بحكم الوظيفة والتخصص بين عامي 1958 و1963 في جميع مؤتمرات الآثار الدورية بالمغرب التي أقرت جميعها نتائج أبحاثه واكتشافاته.

– شارك بعدة أبحاث تخصصية في آثار وفنون المغرب العربي بعدد من مؤتمرات جامعة الدول العربية والجامعات العربية.

– ظهر له ثلاثة عشر كتابا مطبوعا وأكثر من أربع مائة بحث ومقال وبرنامج متلفز ومذاع حول حضارة وآثار الإسلام بالمغرب.

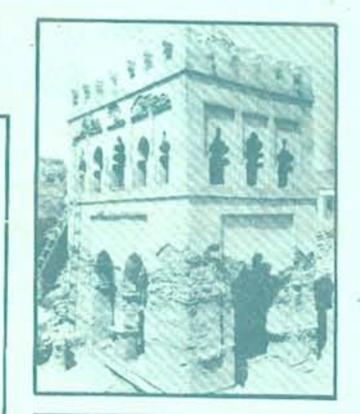
– أستاذ التاريخ والآثار بجامعة محمد الخامس بالرباط منذ العام الدراسي 58/57.

– أستاذ الحضارة والفن الإسلامي بجامعة وهران بالجمهورية الجزائرية 73/70.

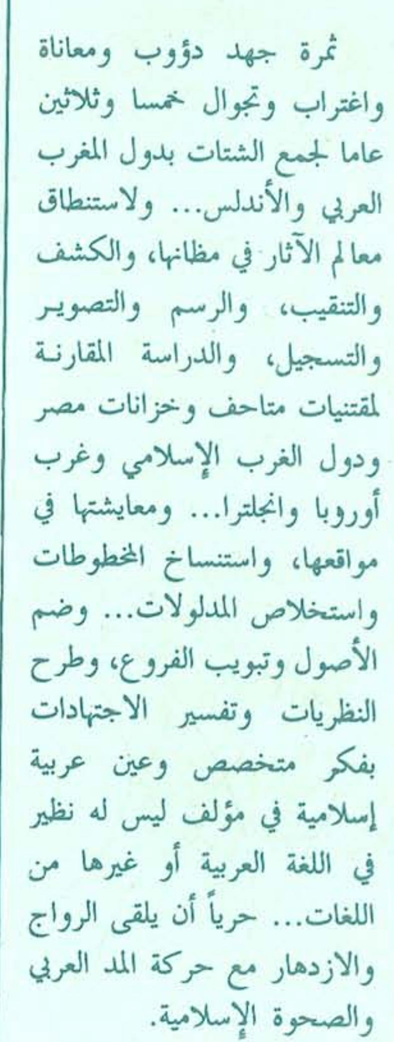
– أستاذ بالتعليم العالي المغربي مفتش عام مساعد للمباني التاريخية والآثار 1973.

– أستاذ جامعي رئيس مشرف على الأبحاث بالمملكة المغربية 1982.

– عضو اتحاد المؤرخين العرب.







هذا الكتاب

ثمرة جهد دؤوب ومعاناة واغتراب وتجوال خمسا وثلاثين عاما لجمع الشتات بدول المغرب العربي والأندلس... ولاستنطاق معالم الآثار في مظانها، والكشف والتنقيب، والرسم والتصوير والتسجيل، والدراسة المقارنة لمقتنيات متاحف وخزانات مصر ودول الغرب الإسلامي وغرب أوروبا وانجلترا... ومعايشتها في مواقعها، واستنساخ المخطوطات واستخلاص المدلولات... وضم الأصول وتبويب الفروع، وطرح النظريات وتفسير الاجتهادات بفكر متخصص وعين عربية إسلامية في مؤلف ليس له نظير في اللغة العربية أو غيرها من اللغات... حرياً أن يلقى الرواج والازدهار مع حركة المد العربي والصحوة الإسلامية.

